العقل

بين القلب والدماغ

الشيخ صباح الركابي

دار المحجة البيضاء

العَقْلُ بَيْنَ القَلْبِ وَالدّمَاغِ

The Mind Between Heart & Brain

دِراسَةٌ قُرْآنيَّةٌ عِلْمِيّةٌ تَجْرِيبِيَّةٌ، تَتَناوَلُ مَوْضُوعَ العَقْلِ، مِنْ حَيْثُ المَوقِعِ بَينَ القَلْبِ والدّمَاغِ، وتُثْبِتُ وُجودَهُ فِي القَلْبِ، بالآياتِ القُرْآنِيَّةِ والأحاديثِ وَالرواياتِ وَأَدِلَّةِ كُتُبِ اليهود، التَوْراةَ وَالزَبورَ وكتب النَّصارى، الأَناجِيلَ الخَمْسَةِ، بَرْنابَا ومَتّى وَلُوقا وَمَرْقص وَيوحَنّا، وَكتاب الصابئة المندائية، الكنْزَارَبَا، وَمُعَزَزَةً بِآخر الأدِلَّةِ العِلْمِيَّةِ، من التجارب المختبرية والكتب التخصصية، وَأقوال العرفاء، والشُّعْراء من العَرَبِ وَالعَجَمِ

الشَّيْخُ صباحُ الرِكابِي



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
ISBN : 978-614-426-168-2



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb
E-mail & FB: info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إلٰه العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين، وبعد. . .

قبل ما يقرب من ربع قرن حينما كنت في شمال العراق لأداء الخدمة العسكرية المقيتة، شاهدت ورقة مزدوجة لمجلة العلوم وفيها صورة لقلب إنسان، ونظراً للفراغ الذي كنا نعيشه وعدم وجود كتب أو ما نقتل به الوقت، رفعت تلك الورقة وأخذت أقرأها بتمعن، فاستوقفني عمل القلب الذاتي، وكيفية استقلاله عن الدماغ في حركته، حينها تذكرت قول الله تعالى في سورة الحج، واستوقفتني هذه الآية في كتاب الله العزيز كثيراً، هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ألا وهي قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1]، وكنت أقول لماذا قيد القرآن القلوب بهذا القيد، التي في الصدور؟ ألم يقصد من القلوب العقول؟ أوليس القلب كناية عن العقل؟ وهل أن محل العقل في القلب أم في الدماغ كما هو شائع علمياً؟ ثم أخذت

---

(١) الحج/ ٤٦.

أجمع الآيات الخاصة بالقلوب وأتتبع أحاديث النبي الأكرمﷺ وأقوال الإمام عليّ عليه السلام ، كحديث النبي الأكرمﷺ ***(ألا وأن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)***[1] وكذلك قول الإمام عليّ عليه السلام : ***(لقد علّق بنياط هذا الإنسان مضغة هي أعجب ما فيه وذلك هو القلب وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها . . .)***[2]، ومئات الأحاديث والروايات التي ملأت كتب المسلمين وكتب غير المسلمين من الشرائع، والتي تصف القلب بأنه العضو الرئيس والمهم في الإنسان.

ترى، هل أن القلب محل العقل والتدبّر والتفكّر والإيمان؟ وما هو دور الدماغ إذن؟ وهل أن القلب قائد أم منقاد؟ ونفس السؤال عن الدماغ، هل هو قائد أم منقاد؟ وهكذا أخذتُ استخرج الآيات التي ذَكرتْ القلب، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال أهل البيت عليهم السلام ، وأقرأ التفاسير، والكتب العلمية، والكتب العرفانية عن القلب، وأتتبع أخبار العمليات الجراحية لتبديل القلب، وأخبار من أُبدلت قلوبهم، سواء بالقلوب الصناعية أم بالقلوب الطبيعية، والنتائج التي تحصل بعد تبديل قلب الإنسان، وكيفية تصرفات وطبائع وأخلاق من أُبدلت قلوبهم، وكل ما يتصل به من تعلم وتغير وتبدل، وأقوال العظماء وشعر العرب والعجم، ووصلت إلى النتيجة التي أخبرت بها كتب الله تعالى الناطقة والصامتة، قبل ما يقرب من أربعة عشر قرناً، بل أكثر، كما في قوله تعالى في الآية ٤٦ في أعلاه من سورة الحج، وأحاديث النبي الأكرمﷺ وأقوال أهل بيت العصمة عليهم السلام ، وتبين لي أن هذا القلب ليس مضختين لدفع الدم إلى جميع أجزاء الجسم فقط، بل هو جوهر الإنسان، بل هو الإنسان نفسه، كما تبين لي، أن الدم عنصر شاعر واع لدوره الحياتي في نقل مشاعر القلب وأحاسيسه وإرادته إلى كافة أعضاء الجسم، ونقل أخبار المحيطين الداخلي والخارجي إلى القلب، كما تبين أن

---

(١) صحيح البخاري ج١ كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ح٥٢، وكذلك سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٦ باب٢٧٠٨ح٤٦٥٦ مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف اللام حكمة رقم ١٤٣.

لهذا القلب القدرة على اختصار عاملي الزمان والمكان، واختصار الطرق، وتجاوز الحواجز، مهما كانت هذه الحواجز مادية أو روحية، بل الوصول بالإنسان إلى عرش الرحمان، وما الأحلام والرؤى إلا واحدة من تلك الأدلة.

إن العلماء الغربيين لم يدرسوا علاقة القلب بالعواطف والمشاعر، وهذه الظاهرة لم ترد في كتبهم، ويعترف علماء الغرب أنهم لم يدرسوا القلب دراسة أخرى، أي دراسة نفسية، كما يقول البروفيسور أرثر كابلان (Arthr Caplan) رئيس قسم الأخلاق الطبية في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قال: «*إن العلماء لم يعطوا اهتماماً لهذه الظاهرة، بل إننا لم ندرس علاقة العاطفة والنفس بإعضاء الجسم، بل نتعامل مع الجسم وكأنه مجرد آلة*»(١).

إن المعلومات العلمية التي ستجدها عزيزي القارئ في هذا الكتاب، والموافقة للقرآن والسنة النبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام، كلها نقلت من مصادر علمية رصينة معتمدة في المراكز العلمية العالمية، بل هي منها، وليس هناك خبر أو تحليل أخرجناه من كيسنا، اللهم إلا الاستنتاجات، وهذا ما أكده الأساتذة الكرام في تقاريضهم، كما أن الكتاب ليس من الترف الإخباري، إنما هو انطلاقة جديدة حديثة مع قدمها لمعرفة الإنسان، وأبعاده الروحية والجسدية، ليرى الإنسان نفسه أنه أعظم مخلوق في الوجود، وأن الوجود ما خُلق إلا لأجله، وليعلم أنه مكرّم من خالقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾(٢)، ولغرض معرفة القلوب كما هي وعلى حقيقتها وكيفية التعامل معها، وإيصالها إلى بارئها وربها، حتى ترجع إليه راضية مرضية سليمة، فالرجوع إلى الله تعالى بالغنيمة لا يتم إلا بالقلب السليم، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٣) فلغرض الورود على ربنا بقلب سليم، لا بدّ أن نفقه الكيفية التي من خلالها نستطيع أن نربي هذا القلب، ونجليه ونصقله ونعوّده على ما أراد الله منه وله،

---

(1) Science of heart, Institute of HeartMath.

(٢) الإسراء/ ٧٠.

(٣) الشعراء/ ٨٩.

ونعود به إليه مطمئناً، راضياً مرضياً، ترتسم عليه الأسماء الحسنى وتنتقش الصفات العظمى، ويصل العبد إلى مقام النوافل ومن ثم إلى مقام الفرائض[١]، وذلك من خلال أعمال الجوارح والجوانح اليومية، في الطاعة والعبادة والتخلق بأخلاق الله تعالى، كما قال الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم: *(أفهمت يا هشام؟ قلت: زدني قال: إن لله تسعة وتسعون اسماً)*[٢]، والقصد هنا أسماء الله تعالى في مقام التوحيد الأفعالي وحيثية التطبيق العملي للإنسان.

إن عظمة الإنسان تكمن في العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، وأن العبادة هي الموصلة لليقين كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[٤]، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: *(العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد في العبودية وجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية)*[٥]، ولما كان مقر اليقين في القلب ـ كما ندعيه وأثبتناه في هذا البحث ـ فلا بدّ لهذا القلب أن يتعوّد على العبادة ليصل إلى اليقين، وأن يتربى على طاعة الله تعالى، وأن يُجنّب القلبُ الأمراض الروحية والمادية، وذلك من خلال التدريب والتفكّر والمشارطة والمراقبة والمحاسبة ونوع الطعام ومصدره، وغيرها من الأعمال التي يمارسها الإنسان باختياره أو رغماً عنه في كل دقيقة من عمره الذي يذهب ولا يعود.

إن القول المشهور (العقل السليم في الجسم السليم)، يبرّز ويوضّح لما نحن فيه، ولن يؤثر عليه وجود الأجسام السقيمة مع وجود العقول السليمة، وبالعكس وجود

---

(١) إشارة الى حديث قرب النواقل وحديث قرب الفرائض. قال الله عزّ وجلّ: من أهان لي ولياً، فقد أرصد لمحاربتي، وما تقرب إليّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، وأنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، و يده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته «مستدرك الوسائل» ج٣ باب وجوب الصلاة ص٤١.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب التوحيد باب معاني الأسماء ح٢.

(٣) الذاريات/ ٥٦.

(٤) الحجر/ ٩٩.

(٥) الآداب المعنوية للصلاة/ السيد روح الله الخميني (قدس سره) ص ٣٢.

العقول السقيمة في الأجسام السليمة، كما حدث لنبي الله أيوب عليه السلام، فمع ما فيه من مرض الجسد إلا أن عقله ظل سليماً، وسوف نرى من خلال البحث أثر القلب على عودة الجسم السقيم سليماً ولو بعد مدة من الزمن، ونرى أيضاً كيف يبدو الجسم السليم لذوي العقول والقلوب السقيمة، وأن هولاء لا يعمرون طويلاً مع أن ظاهر أجسامهم تقول غير ذلك.

إن الكلام عن القلب ليس بالأمر اليسير، ولا هو بالمتناول لدى الكتّاب والمفكرين والعلماء، بل هو أشبه باللغز الذي بات يحير علماء الطب والاجتماع وغيرهم من أرباب العلوم، كما أني أعتقد أن بعضهم يخفي من أسرار قد تهد كياناتهم الفكرية والفلسفية، التي تتعارض مع ما يتوصلون إليه، والذي يتطابق مع الفكر والعقيدة والطرح الإسلامي خاصة والسماوي عامة، وبالتالي يهدد كياناتهم السياسية والاقتصادية، بل يهدد أصل وجودهم، ولكن الحقيقة لا تبقى إلى الأبد من غير ظهور وانكشاف، لأن الله تعالى قد وضع لكل شيء حداً محدوداً وأمداً غير ممدود، وما كان بالأمس سرّاً صار اليوم علناً، وتتناوله الألسن والكتب والفضائيات، و تصل به الأخبار إلى أبعد نقطة في عالمنا الذي أصبح قرية صغيرة في تناوله للمعلومات وتداولها ومعرفتها ببركة وسائل الاتصالات.

إنني أجزم بأن القلب الذي نتحدث عنه، لم يُعرف في الأدب الغربي ولا في العلوم الطبية الغربية والشرقية، كما عرفة أصحاب الشرائع السماوية، فهم قد ركزوا عليه، وقد ملئت الكتب الشرائعية و الكتب الطبية لعلماء المسلمين بعشرات الوصفات الوقائية والعلاجية الروحية والجسدية لهذا القلب الذي يصفه تعالى بأنه يعمى، وأنه لا يفقه، وأنه لا يعقل، وأنه لا يعلم، وغيرها من الصفات السلبية وأضدادها من الصفات والأفعال الإيجابية.

إن هذا البحث، هو بوابة الدخول لهذا العالم الغريب المليئ بالمفاجأت، ولا يَعتبرُ الكاتب نفسه قد ختم على الكتّاب والعلماء في هذا الباب، لسعة هذا العلم أولاً، ولحداثته العلمية والتجريبية ثانياً، ولاستحالة أو لصعوبة الإيمان بالقرآن الكريم

وبأحاديث النبيﷺ وأقوال أهل البيت﵈، وأقوال المفكرين العرب والمسلمين خصوصاً من غير المسلمين ثالثاً، ولعدم وجوده سابقاً رابعاً، إلا أنني أعتقد جازماً أنه لن يكون الكتاب الأخير في هذا المجال، إنما هو بوابة الدخول إلى هذا العلم الفسيح الذي سينفتح ولا ينغلق إلى يوم القيامة.

إن هذا البحث هو مجموعة بحوث مستقلة يجمعها القلب، وإلا فكل باب من أبواب هذا البحث يُعد بحثاً مستقلاً بنفسه كبحث القلب والأخلاق وبحث كيفية حصول العلم في القلب وبحث أثر القيم والأفكار والصور في المحيط الخارجي وانتقالها عن طرق الدم، وبحث الجينات الروحية وهناك الكثير من البحوث التي بحاجة إلى أن تبحث بحثاً مستقلاً عن القلب رغم علاقتها به.

إنني إذ أجمع هذه البحوث في كتاب واحد إنما لغرض إظهار عظمة القلب ومحوريته ومركزيته في حياة الإنسان، وبالتالي عظمة الخالق تعالى ورسولهﷺ ورسالته الخالدة وأهل بيت النبوة والعصمة﵈.

لقد عرضت عملي هذا على علماء الدين وأتحفوني بتوجيهاتهم السديدة، من حذف وإضافة وبيان وتهذيب عبارة، لاسيما سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد مُحمد صادق الخرسان، كما عرضته على أصحاب الاختصاص من الأطباء وأصحاب التخصص الإحيائي (البيولوجي)، واستفدت من توجيهاتهم وآرائهم وتقديمهم لهذا البحث، وقمت بتثبيت تقاريظ وآراء من كتبوا عن البحث في بداية الكتاب عرفاناً مني لهم بما بذلوه من جهد ووقت لقراءة البحث والتعليق والتقريض له. ولا أملك إلا أن أدعوا لهم بحسن العاقبة والتوفيق والسداد لما فيه منفعة العباد، وأقدم لهم جزيل شكري وامتناني.

إنني إذ أجد العمل المتواضع، من الآيات والأحاديث والروايات والتجارب العلمية الطبية في تبديل القلوب سواء الطبيعية أو الصناعية، وما هو متعارف بين عامة الناس التي ترى محورية القلب والخاصة التي ترى محورية الدماغ، والأخص منهما وهم العلماء الذين أخذوا من الأنبياء﵈ والأوصياء﵈ والربط بين هذه الرؤى

والوصول إلى ما وصلتُ إليه من النتائج الغريبة على أصحاب العلوم التجريبية المادية، أو غير الماديين الذين أَخَذَتْ منهم شبهة العلم مأخذها، أعرف جيداً ما سيثار على هذا الموضوع، سواء من العلماء الماديين، أو من علماء الدين، أو عامة الناس الذين لم يطلعوا على الروايات.

كما أنني أعتقد أن الوقت لن يطول حتى يغدو هذا العلم من أعظم العلوم، لأن معرفة القلب على ما أراد الله تعالى لنا أن نعرفه على حقيقته النسبية ـ وليست المطلقة لأنه عرش الرحمان كما جاء في الحديث الشريف ـ لهو من أعظم العلوم نفعاً للإنسان، وسرعة تقدّمه ورقيّه روحياً ومادياً.

أخيراً أسأل الله تعالى أن يوفقني في إتمامه والوصول به إلى كماله اللائق به والغاية والهدف المنشود منهما، لأن حقيقة الإنسان هي العقل، والقلب محله كما سترى.

الحمد لله رب العالمين على توفيقه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الأخيار المنتجبين.

المؤلف ١٨/ شعبان المعظم/ ١٤٣٣هـ المصادف ٩/ تموز/ ٢٠١٢م

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لغرض الدخول في أبحاث الموضوع، لا بدّ لي أن أُبين الهدف من كتابة هذا البحث أولاً، وما هي الفائدة المترتبة عليه ثانياً، وما هي مواد ومصادر البحث ثالثاً، ثم أختم بترتيب البحث رابعاً.

أولاً: الهدف:

إن الهدف من كتابة هذا البحث، هو اطلاع القارئ المسلم على عظمة عقيدته الإسلامية، وعمقها، واتصالها بمنبع مفيض الوجود، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ثم ليكون على بيّنة من دينه وعقيدته، وأن دينه ليس ديناً أرضياً، أو أنه جاء من وحي الحاجة المادية، أو الخوف، أو لسدّ الفراغ الحاصل من تغير الأجواء والأهواء، أو النقص المركب لدى الإنسان، أو أنه من ابتكار المتسلطين والملوك للسيطرة على الفقراء لإقناعهم بأن الفقر من الله والفقراء عياله، وأنهم أحب إلى الله، ولئلا يثوروا على الحكام مهما فعلوا، لأنهم ظل الله في الأرض، وأن الله تعالى سيقتص منهم، فهم مرجون لأمره، حتى يتسيدوا على الناس، كما قال معاوية *«ما قاتلتكم لتصلوا أو تصوموا... وإنما لأتأمر عليكم»*(١). كلا إنه ليس كذلك، إنما

---

(١) مقاتل الطالبيين/ لأبي الفرج الأصفهاني، رجع الحديث الى خبر الحسن ص٤٥.

هو الفصل وليس بالهزل في كل شيء، سواء في علوم الاجتماع أو النفس أو العلوم الدينية والدنيوية.

إن معرفة القارئ المسلم الكريم بهذا العلم، وأن الله تعالى أخبر نبيه به في كتابه الكريم قبل ما يقرب من أربعة عشر قرناً، يجعل المسلم يقف مرفوع الرأس بين خزعبلات وانحراف بعض أصحاب الشرائع السماوية عن الحق، ، مع أنها ذكرت القلب وأهميته كما ستجده في الباب الرابع، وتيه وضلال الشرائع الأرضية، وأن العلم كل العلم في شريعته التي شرعها الله له. ومن الأهداف أيضاً، أن يتعرف العالم على عقيدة الإسلام الحقة، وأنها لا تعارض العلم، بل هي العلم، وأنها سبقتهم بقرون في العلوم التي يدعون أنهم بدأوها.

ومن الأهداف، أن يدرس المسلم عقيدته جيداً، ويتصل بها اتصال الظل بذيه، لأن وجوده منه وإليه، ولا ظل من غير جسم، هذا أولاً.

وأما ثانياً، ففيه فائدتان، الأولى للأطباء وقد ثبتها في الخاتمة، والثانية للناس كافة، وقد ثبتها أيضاً في الخاتمة، وهي أهم من الأولى، لأنها الممهدة لها والأساس الذي عليه تبنى، والفائدة هذه تعم الإنسان السليم قبل أن تهم السقيم، لأن السقيم أصبح واقع حال، قد يمكن التخلص منه، وهو بصعوبة، وقد لا يمكن التخلص منه، وأما السليم فهي الوقاية التي تمنع حصول المرض والتعرض إلى عملية تبديل القلب، وهو هدف سام بحدّ ذاته، لأنه التقوى، وهل هناك أفضل من التقوى والوقاية!

ثانياً: الفائدة:

وأما الفائدة المترتبة على البحث، فهي ليسدّ المسلم المؤمن النقص الحاصل لديه من عدم معرفته بدينه أولاً، ولغرض أن يغير المسلم المؤمن مصيره بيده، بل غير المسلم أيضاً، وذلك من خلال تغيير نفسه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١) وما النفس إلا القلب وما الإنسان إلا القلب، بذلك يستطيع

---

(١) الرعد/ ١١.

الإنسان أن يتحكم في حركاته وسكناته، ويبطل حجة من يقول: إن الإنسان مجبور على فعله، بل الإنسان مخير في أفعاله وعبادته وسلوكه وأن **(لا جبر ولا تفويض)**[(١)] كما قال الإمام الصادق عليه السلام، وكما قلت في الهدف من هذا البحث في أولاً، سواء بالنسبة إلى الأصحاء أو الأطباء أو المرضى، لما فيه من بناء مجتمع سليم الأرواح والأجساد.

ثالثاً: المصادر:

وأما مصادر البحث، فهي بالدرجة الأساس، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها وآله آلاف الصلاة والسلام، وروايات أهل البيت عليهم السلام، فأما من القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[(٢)] وهي أصل البحث، وأما غيرها، من الآيات و الأحاديث والروايات والأبحاث العلمية فلغرض تأكيد الآية وتعزيزها، وأما من السنة النبوية فحديثه صلى الله عليه وآله: ***(إن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)***[(٣)]، أو ***(إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)***[(٤)]، وأما من روايات أهل البيت عليهم السلام فقول الإمام عليّ عليه السلام: ***(. . . وأن الله وهب لي قلباً عقولاً ولساناً قؤولاً)***[(٥)] ومن المصادر العلمية المأخوذة من الكتب العلمية ومواقع الشبكة العنكبوتية كما سنشير في محله وكذلك في مصادر البحث.

وقد أضفت مصادر كتب أهل اليهود والنصارى والصابئة، كما أضفت إليها أقوال العرفاء والشعراء من العرب و العجم.

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ باب القدر والجبر والتفويض ح ١٣.

(٢) الحج/ ٤٦.

(٣) البخاري ج١ كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ح٥٢، وكذلك السلسلة الصحيحة للألباني ج٦ باب٢٧٠٨، ح٤٦٥٦ مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٤) مقامات القلب/ الفيض الكاشاني ص٢٥٧.

(٥) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الميم حكمة رقم ٢٠٤٢.

رابعاً: ترتيبه:

رتبته على مقدمة وتمهيد وأحد عشر باباً، تبركاً بكتاب الباب الحادي عشر للعلامة الحلي، وخاتمة.

الباب الأول: القلب والدم في فصلين

تناولت في الفصل الأول القلب من حيث: خَلْق القلب، وأجزاؤه، وحركته، وجهازه العصبي، ووظيفته، وكهربائيته، والقلب والحياة المادية، والقلب والروح، وتغذية القلب المادية والروحية، والقلب الروحي والقلب المادي، والقلب والأخلاق، وأثر الجينات الوراثية الروحية على اكتساب الصفات الروحية وفقدها، وحواس القلب، وبصمة القلب. وأما الفصل الثاني تناولت فيه الدم من حيث: تكون الدم، وأجزاؤه، وفصائله، وأمراضه، ووظيفته، والدورة الدموية المادية والدورة الدموية الروحية، وتغذيته المادية والروحية، والجهاز العصبي الروحي، والتبرع بالدم.

الباب الثاني: القلب والدماغ

تناولت فيه العلاقة بين القلب والدماغ، وكيفية حصول العلم لدى القلب، والدماغ والجهاز العصبي، والدماغ والتفكير، والقلب والتفكير، والدماغ والإيمان، والقلب والإيمان.

الباب الثالث: العقل

تناولت فيه معنى العقل، والدماغ والعقل، والقلب والعقل، ودور العقل.

الباب الرابع: القلب في الأثر الديني

ذكرت آيات القلب في القرآن الكريم، والقلب في أحاديث النبي ﷺ، والقلب في أقوال الإمام عليّ عليه السلام، والقلب في روايات أهل البيت عليهم السلام، والقلب في الفقه والتفسير، والدعاء والقلب في التوراة، وفي الزبور، وفي الأناجيل الخمسة، وفي الكنزاربا.

الباب الخامس: أنواع القلوب

ذكرت القلب في القرآن، والقلب في الحديث الشريف، والقلب عند أهل البيت عليهم السلام

الباب السادس: أحوال القلب

تناولت فيه أمراضه الروحية والمادية وعلاجهما.

الباب السابع: التخاطر وتأثير القلوب فيما بينها

الباب الثامن: القلب في الأبحاث العلمية.

الباب التاسع: أخبار أصحاب القلوب والرئتين المستبدلة.

أ ـ أصحاب القلوب الطبيعية، ب ـ أصحاب القلوب الصناعية.

الباب العاشر: القلب عند العرفاء والشعراء، والعرفاء هم أصحاب الكشف والشهود.

الباب الحادي عشر: زبدة المخاض، وفيه حسم النزاع بين الحسيين والعقليين، والفرق بين العقل والفكر، والعقل والفكر والتفكر والتفكير والعلم، وملاحظتان: الأولى: للإنسان سليم القلب ومريضه، والثانية: نصائح للأطباء، وبشكل عام العمل قبل إجراء عملية زرع القلب الطبيعي ونصائح لزرع القلب الصناعي سواء للأطباء أو للمرضى، وتبرع المرأة للرجل وبالعكس، ثم عمليات المستقبل، وأخيراً الأسئلة المطروحة على البحث والمحتملة الطرح والإجابة عليها.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا يقربني إليه، وأن يرشدني لما فيه الخير والصواب، إنه نِعمَ المولى ونِعمَ النصير، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

المؤلف

ملاحظة:

١ ـ خط القرآن الكريم بالخط الغامق.

٢ ـ خط الحديث النبوي والروايات بالخط الغامق المائل.

٣ ـ الخط المنقول من المصادر بالخط المائل.

٤ ـ الكتابة مابين هذين المعقوفين [ ] من المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل البدء في أبحاث الكتاب أسجل شكري وامتناني لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى الوجود، بمختلف المساهمات، كالمعلومة العقلية أو الروحية أو العلمية أو الإشارة إلى مصدر أستفيد منه في البحث أو تشجيع على إتمامه، لاسيما جناب الأخ علي عبد سهم الإستاذ الدكتور في كلية الطب البيطري في جامعة البصرة، الذي هيأ لي أول الأبحاث العلمية، وقدح الشرارة الأولى في كتابة الأبحاث العلمية، كما أشكر الأخ الباحث العلمي مجيد العمري لما هيأ لإقامة ندوة في مركز علوم البحار بهذا البحث لمدير المركز وموظفيه، كما أشكر الأستاذ الدكتور مالك حسن علي مدير مركز علوم البحار في جامعة البصرة المحترم في استضافة الندوة الأولى والتباحث حول البحث والشكر للأستاذ الدكتور سعد شاهين معاون عميد كلية الطب في جامعة البصرة المحترم وما قدمه من مساعدة علمية ومصادر بحث وحوار واستفسار أغنى البحث، والشكر موصول إلى طلابي في حوزة القائم للعلوم الدينية، الذين كانوا يواصلون السؤال عنه والاستفسار عن بعض أبحاثه، أو من الذين كتبوا التقاريظ لهذا الكتاب وأبدى رأيه وملاحظاته عليه وزودني بعلمه من قبل العلماء الأكاديميين، أمثال الأستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي المحترم والأستاذ الدكتور مالك حسن علي المحترم والأستاذ الدكتور ناجح حمود الأسدي المحترم، بالرغم من مشاغلهم، وما كان لهذا البحث أن يخرج للوجود، على نواقصه أو هفواته، إلا بهذه الجهود المجتمعة، ومن وراء كل هؤلاء التوفيق الإلهي، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والله ولي النعم. . . . .

وإليكم أيها الأخوة تقاريظ العلماء بحسب زمن وصولها:

١ ـ تقريظ الأستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وعجل الله فرجهم.

لطالما وقفت وزملائي من الأطباء وحتى الكتب المرجعية للطب الحديث ولم نجد تفسيراً لبعض الظواهر التي يمر بها الإنسان وبدنه في ظروف فسلجية ومرضية تؤدي إلى خلل جسيم في أعضائه، أو ما يحصل في الأورام السرطانية وانتشارها السريع دون قدرة على التحكم بها أو أمراض المناعة الذاتية التي بها يهدم الجسم ذاته تدريجياً وهكذا ينتهي المصاب بالوفاة ولا أحد يعلم الأسباب الحقيقية. وكل منا يتذكر منذ صغره لبلوغه، أنه قد مر في كثير من الأحيان كان قلبه دليله كما يقال على أحداث كثيرة مرت به، من الحزن والكآبة إلى السعادة والتفاؤل التي لم يجد لها تفسيراً في حينه، ولكن بعد وقت يمر به حدث جسيم، كأنما تنبأ به قلبه أو (صنعه) له لكي يمر به لاحقاً، على أنه قدر له، والأمثلة كثيرة على ذلك يتذكر كل منا بعضها. وقد مر علينا ذكر القلب والعقل في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وأقوال أهل البيت عليهم السلام، مما يشير إلى ذلك أو يناقش القلب أولاً أم العقل، ويصعب التفسير لذلك. وعلمياً وفسلجياً، لطالما استوقفتنا حالات مرضى في العناية المركزة، لأناس مات الدماغ عندهم لفترات طويلة، وصلت إلى أشهر أو سنة واعتمدت الأعضاء على ما تجهز به الأطباء، إلا القلب، بقي يعمل ذاتياً بصورة طبيعية جداً، كأنه ليس لذلك الشخص الميت سريرياً، وبعضهم قد عاد إلى الحياة بعد هذه الفترة الطويلة من صمود القلب، ونحن عاجزون عن تفسير هذه الحالات. ومن الغريب أن نقرأ وحتى الغربيون [الغربيين] يرون ما يحصل لمرضى بعد زرع القلب لهم (لأنها غير موجودة في بلادنا)، وكيف مروا بتقلبات كثيرة في سلوكهم وشخصيتهم، لم يستطع العلم تفسيرها، أو

يعزيها إلى المرض والكآبة أو أنها آثار جانبية للعقاقير المستعملة بعد الزرع. فالقلب سر لله فيه شأن هو أعلم به في حياة الإنسان، من الفرح والسرور إلى الحزن، وأهم من ذلك كله إلى الإيمان من عدمة. كيف؟!! العلم عند الله.

وعندما طرح علينا المؤلف وفقه الله فكرة الكتاب أو البحث في هذا الموضوع، أعجبني كثيراً وزملائي الذين. . لأسباب عدة، منها جرأته في خوض هذا الموضوع أو هذا البحر الغامض وهو من خارج الوسط الطبي، وما قد يصل إليه من نتائج صعبة أو طويلة البحث أو غريبة التفسير والربط، وكذلك لصعوبة الموضوع، وعدم وجود تجارب مماثلة سابقاً من الناحيتين الفقهية والعلمية، ولأنه سيفتح باباً جديداً للبحث العلمي في هذا الموضوع، وكنا نتمنى لو كان لدينا متسع من الوقت والأجهزة المتطورة للإسهام بالتشريح الدقيق للقلب، ودراسة فسلجته من ناحية جديدة تتعلق بهذا الشأن، لا ككونه مضخة للدم بين الرئتين وأعضاء الجسم فقط. وبعد الإطلاع على فصول الكتاب، أعجبني كثيراً، وأتمنى أن يقرأه المختصون في المجالين الفقهي والعلمي، لما فيه من معلومات تنم عن سبر أغوار مواضيع كبيرة ومتداخلة من قبل المؤلف، وبدأ يتضح لنا تفسير لبعض الأسئلة التي أشرنا إليها، وبحاجة إلى إكمال البحث. وقد نرى ما للأجهزة الحديثة وذبذباتها اللاسلكية أو المغناطيسية، واستوقفتني فكرة دخول الآثار الضارة والنافعة والسلبية والإيجابية مع الطعام والهواء إلى جسم الإنسان ليست كمادة وإنما كمعنى وحلال وحرام والعلم عند الله ومنه التوفيق.

الأستاذ الدكتور سعد شاهين حمادي
معاون عميد كلية الطب
جامعة البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين (محمد) وآل بيته الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين وعجل الله فرجهم.

طالما وقفت وزملائي من الاطباء وحتى الكتب المرجعية للطب الحديث ولم نجد تفسيراً لبعض الظواهر التي يمر بها الانسان وبدنه في ظروف فسلجيه ومرضيه تؤدي الى خلل جسيم في اعضائه او ما يحصل من الاورام السرطانية وانتشارها السريع دون قدرة على التحكم بها او امراضها المناعيه الذاتيه التي بها يهدم الجسم ذاته تدريجياً وهكذا ينتهي المصاب بالوفاة ولا احد يعلم الاسباب الحقيقية.

وكل منا يتذكر منذ صغره وبلوغه انه قد مر في كثير من الاحيان كان قلبه دليله كما يقال على احداث كثيرة مرت به من الحزن والكآبه الى السعادة والتفاؤل التي لم نجد لها تفسيراً في حينه ولكن بعد وقت يمر به حدث جسيم كأنما تنبأ به قلبه أو (صفعه) له لكن نمر به لاحقاً على أنه قدر له و والامثلة كثيرة على ذلك يتذكر كل منا بعضها.

وقد مر علينا ذكر القلب والعقل في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة واقوال اهل البيت عليهم السلام مما يشير الى ذلك.

أو نناقش القلب اولاً ام العقل وليصعب التفسير لذلك.

وعلمياً وفسلجياً لطالما استوقفتنا حالات مرضى في العناية المركزة للناس ماتت الدماغ عندهم لفترات طويلة وصلت الى اشهر او ربما سنة واعتمدت الاعضاء على ما تجهز به من الاطباء الا ان القلب بقي يعمل ذاتياً بصورة طبيعية جداً كأنه نبض لذلك الشخص الميت سريرياً وبعضهم قد عاد الى الحياة بعد هذه الفترة الطويلة من صمود القلب ونحن عاجزون عن تفسير هذه الحالات.

ومن الغريب ان تقرأ وحتى الغربيون يرون ما حصل لمرضى بعد زرع القلب لهم (لانها غير موجودة في بلدنا) وكيف انهم مروا بتقلبات كثيرة في سلوكهم وشخصيتهم لم يستطع العلم تفسيرها أو يعزيها الى المرض ولكآبة او انها آثار جانبية للعقاقير المستعملة بعد الزرع.

فالقلب سر كبير لله فيه شأن هو اعلم به في حياة الانسان من الفرح والسرور الى الحزن واهم من ذلك كله الى الايمان من عدمه. كيف!! العلم عند الله.

وعندما طرح علينا المؤلف وفقه الله فكرة الكتاب او البحث في هذا الموضوع اعجبني كثيراً وزملائي الذين لاسباب عدة منها جرأته في خوض هذا الموضوع او هذا البحر الغامض وهو من خارج الوسط الطبي وما قد يصل اليه من نتائج

صعبة أو طويلة البحث او عزيزة التفسير والربط وكذلك لصعوبة الموضوع وعدم وجود تجارب مماثلة سابقاً من الناحيتين الفقهية والعلمية، ولأنه سيفتح باباً جديداً للبحث العلمي من هذا الموضوع وكنا نتمنى لو كان لدينا متسعاً من الوقت والاجهزة المتطورة للاسهام بالتشريح الدقيق للقلب ودراسة فسلجته من ناحية جديدة تتعلق بهذا الشأن لا لكونه مضخة للدم بين الرئتين واعضاء الجسم فقط.

وبعد الاطلاع على فصول الكتاب اعجبني كثيراً واتمنى ان يقرؤه المختصون في المجالين الفقهي والعلمي لما فيه من معلومات تنم عن سبر أغوار مواضيع كبيرة ومتداخلة من قبل المؤلف وبدأ يتضح لنا تفسيراً لبعض الاسئلة التي اشرنا اليها وحاجة اكمال البحث

وقد نرى ما للاجهزة الحديثة وذبذباتها اللاسلكية او المغناطيسية والاشعاعية فكرة دخول الاثار الضارة والنافعة والسلبية والايجابية مع الطعام والهواء الى جسم الانسان ليست جامدة وانما كمعنى وحلال او حرام والعلم عند الله وبيده التوفيق

أ.د. سعد شاهين حمادي
معاون عميد كلية الطب/ جامعة النهرين

٢ ـ تقريظ الأستاذ الدكتور مالك حسن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله منزل القرآن تبصرة للعبادعلى قلب خاتم الرسل وخير الكائنات محمد بن عبدالله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وبعد جناب الشيخ الفاضل صباح الركابي السلام عليكم، فإني طالعت كتابكم العقل بين القلب والدماغ، إذ شرفتموني بإبداء الرأي فيه.

فعندما فكرت ملياً بعنوان الكتاب وقلبت أبوابه وفصوله وجدته طارقاً لموضوع عميق ودقيق، ومفهومه تتداخل فيه عدة علوم رئيسية، بين الطب والفسلجة وعلوم القرآن والحديث وعلم الفلسفة وغيرها، الأمر الذي يلقي على الباحث مسؤولية كبرى وتحدٍّ كبير، ولذلك فإن الولوج فيه هي إرادة قوية وهمة عالية قد تمتع فيها الباحث.

إن دخول الباحث في هذه المقاربة العلمية للعلوم المتداخلة، يمثل مشاركة جادة في دعم تفعيل المنهج العلمي والاتجاه البحثي للشريعة الإسلامية السمحاء متمثلة بعلوم الثقلين، كتاب الله وسنة نبيه وعترته صلوات الله عليهم، والذي نحن في حياتنا المعاصرة بأمس الحاجة إليه. فالقارئ خلال مراجعته للكتاب يجد نفسه في خضم سلسلة من النتائج، مبنية على تطور المكتشفات والتجارب المختبرية والسريرية، والتقنيات المتطورة جداً التي يمكن أن تنقلب فيها المفاهيم والاستنتاجات العلمية في أي وقت، فالتطور الذي يشهده العالم الآن مذهل ومتسارع، وإني إذ أحدد نفسي في إبداء وجهة نظري، لصغري في مجال خبرتي في أسس تطوير البحث العلمي، فإن الكاتب في مثاله المدروس لإيجاد موقع العقل، قد بنى فرضيته أو نظريته على أسس استقراء مصادر الشريعة الإسلامية، ثم راح يطبق مخرجات نتائج البحث العلمي المختلفة، ورأيناه في موقع آخر يشير إلى ضرورة الحصول على معلومات أكثر وإلى إجراء دراسات أعمق للوصول إلى الحقائق والغايات، وهو في كل ذلك قد وافق

الصواب، وعليه، نخلص إلى تأكيد عدة حقائق جديرة بالاعتبار، فإننا كمسلمين قد تراجعنا كثيراً في إسهاماتنا الإيجابية في الإرث الإنساني العالمي في مختلف مجالات العلوم، لأننا لم نستمر بل أغفلنا كثيراً أسس ومقومات المنهج العلمي الإلهي، المتمثل بكنوز العلم المودعة في كتاب الله وآل البيت خصوصاً، ولم نجرِ بعد بحوثنا وتحقيقاتنا المختبرية والحقلية على محورية الأسس العظيمة، نسأل الله المولى القدير التوفيق للكاتب في مسعاه وتحقيق المزيد في تطوير هذا الإتجاه العلمي، إن الله ولي التوفيق.

الأستاذ الدكتور
مالك حسن علي
[مدير مركز علوم البحار]
[جامعة البصرة]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله منزل القرآن تبصره للعباد على قلب خاتم الرسل وخير الكائنات محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ، وبعد جناب الشيخ الفاضل صباح الركابي السلام عليكم ،فإني طالعت كتابكم العقل بين القلب والدماغ ، إذ شرفتموني بإبداء الرأي فيه .

فعندما فكرت مليا" بعنوان الكتاب وقلبت أبوابه وفصوله وجدته طارقا" لموضوع عميق ودقيق ومفهومه تتداخل فيه عده علوم رئيسية ، بين الطب والفسلجة وعلوم القران والحديث وعلم الفلسفة وغيرها ، الأمر الذي يلقي على الباحث مسؤولية كبرى وتحدٍّ كبير ولذلك فإن الولوج فيه هي إراده قوية وهمه عالية قد تمتع فيها الباحث . إن دخول الباحث في هذه المقاربة العلمية للعلوم المتداخلة يمثل مشاركة جادة في دعم تفعيل المنهج العلمي والاتجاه البحثي للشريعة الإسلامية السمحاء متمثلة بعلوم الثقلين، كتاب الله وسنة نبيه وعترته صلوات الله عليهم ، والذي نحن في حياتنا المعاصرة بأمس الحاجة إليه .فالقارئ خلال مراجعته للكتاب يجد نفسه في خضم سلسلة من النتائج مبينة على تطور المكتشفات والتجارب المختبرية والسريرية ، والتقنيات المتطورة جدا" التي يمكن إن تنقلب فيها المفاهيم والاستنتاجات العلمية في أي وقت ، فالتطور الذي يشهده العالم الآن مذهل ومتسارع ، وإني إذ أحدد نفسي في إبداء وجهة نظري ، لصغري ،في مجال خبرتي في أسس تطوير البحث العلمي فإن الكاتب في مثاله المدروس لإيجاد موقع العقل قد بنى فرضية أو نظرية على أسس استقراء مصادر الشريعة الإسلامية ثم راح يطبق مخرجات نتائج البحث العلمي المختلفة ورأيناه في موقع أخر يشير إلى ضرورة الحصول على معلومات أكثر والى إجراء دراسات أعمق للوصول إلى الحقائق والغايات ،وهو في كل ذلك قد وافق الصواب وعليه نخلص إلى تأكيد عدة حقائق جديرة بالاعتبار، فإننا كمسلمين قد تراجعنا كثيرا" في إسهاماتنا الايجابية في الإرث الإنساني العالمي في مختلف مجالات العلوم لأننا لم نستثمر بل أغفلنا كثيرا" أسس ومقومات المنهج العلمي الإلهي المتمثل بكنوز العلم المودعة في كتاب الله وآل البيت خصوصا" و لم نجري بعد بحوثنا وتحقيقاتنا المختبرية والحقلية على محورية تلك الأسس العظيمة نسأل الله المولى القدير التوفيق للكاتب في مسعاه وتحقيق المزيد في تطوير هذا الإتجاه العلمي إن الله ولي التوفيق

الأستاذ الدكتور

مالك حسن علي

٣ ـ تقريظ الأستاذ الدكتور ناجح حمود الأسدي

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد التحية

شيخنا الغالي وصل كتابكم القيم واطلعت وقرأت، ولقد مهد لي الدكتور المهندس حسن المحترم حول موضوعات الكتاب، فإن كتابكم يحتوي على معلومات وكتابات دقيقة وشيقة في نفس الوقت، وعندما قرأت كتابكم ورغم قراءتي السريعة وجدت وتحسست بعمق البحث ودقة المعلومة، ودراستكم حول هذا الموضوع هي لأول مرة أسمع أو أقرأ هكذا موضوع محترم، ولقد أدهشني العنوان كثيراً.

أما بالنسبة للملاحظات حول هذا الكتاب أو هذا الموضوع ورغم قراءتي المستعجلة لكثرة مشاغلي، لكن كانت قراءة وافية ومركزة لم أجد ما ينافي العلم، وبالأخص مهنة الطب وكل مل يتعلق بها. أما من الناحية الدينية والشرعية وآداب اللغة العربية فأنتم أعلم وأجدر منا في هذا المجال، والجدير بالذكر وجدت معلومات طبية بحتة في كتابكم وكأنكم مارستوا واشتغلتوا [مارستم واشتغلتم] في مهنة الطب. .

فوفقكم الله لكل خير وأتمنى لكتابكم أن يملئ الأصداء ويملئ المكتبات العراقية الجامعية منها والعامة. . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. د ناجح حمود الأسدي ٥/ ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

السيد المحترم

شيخنا الفاضل لقد وصلت كتاباتكم القيمة واطلعت وقرأت
ولقد وصلني الدكتور المهندس حسين المحترم حول موضوعات
الكتاب فإنه كتابكم يحتوي على معلومات وكتابات
دقيقة ومستقيمة في نفس الوقت وعندما قرأت كتابكم
ورغم قراءتي السريعة وجدت وكتبت لبعض الصحف ودقة
المعلومة وما تتكلم حول هذا الموضوع هي لأول مرة
أسمع وأقرأ هذا موضوع محترم ولقد أدهشني
العنوان كثيراً أما بالنسبة للملاحظات حول هذا الكتاب
وهذا الموضوع ورغم قراءتي المستعجلة لكثرة مشاغلي
لكن كانت قراءته دقيقة ومركزة لم أجد ما ينافي العلم
وبالأخص بحثه الطبي وكل ما يتعلق بها أما ما يخص الأحاديث
الشريفة والشريعة وآداب اللغة العربية فأنتم أعلم وأجدر منا
في هذا المجال والجدير بالذكر وجدت معلومات جديدة بحثتم
في كتابكم وكأنكم ما تركتوا أو تتعلقوا في هذا الصدد...
فجزاكم الله كل خير وأتمنى لكتابكم أن يكون للأجيال
وطلبة العلم المراكز الجامعية منهجاً للمعاهد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د. [illegible] الأسدي

٥/٤

مقدمتان

الأولى: لغوية ممهدة لدخول البحث

١ ـ معاني كلمات البحث

٢ ـ معنى المطلق والمقيد

قبل البدء في أبحاث الكتاب، يحسن بنا أن نقدم معاني الكلمات ذات العلاقة بالبحث، والتي لا بدّ لنا أن نتعرف على المعاني اللغوية لها، وعلاقة المعنى اللغوي بالمعنى الإصطلاحي، الذي سنمر عليه في أبحاثنا وكما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وأقوال أهل البيتعليهم السلام، حتى نتعرف على تفسير الآيات والروايات التي تناولت موضوع القلب من زوايا متعددة ومعان كثيرة نسد فيها الثغرات التي قد تعترض القارئ.

١ ـ معاني كلمات البحث

القلب: Heart

وردت مفردة القلب في القرآن الكريم (١٢٣) مرة وبـ (١٤) صيغة مختلفة[١].

قلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به

---

(١) ١) ـ قلب = ٢، ٢ ـ القلب =١، ٣ ـ قلبين =١، ٤ ـ قلوب =١٥، ٥ ـ القلوب =٦، ٦ ـ قلبي =١، ٧ ـ قلبه =٨، ٨ ـ قلبها =١، ٩ ـ قلبك =٣، ١٠ ـ قلوبكما =١، ١١ ـ قلوبنا =٦، ١٢ ـ قلوبكم =١٥، ١٣ ـ قلوبهم =٦٢، ١٤ ـ قلوبهن = ١ المجموع ١٢٣).

من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق/ ٣٧]: أي علم وفهم، وكذلك: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام/ ٢٥]، وقوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة/ ٨٧]، وقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال/ ١٠]: أي نثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم، وعلى عكسه: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ [الحشر/ ٢]، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب/ ٥٣] أي: أجلب للعفة، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح/ ٤]، وقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر/ ١٤] أي متفرقة، وقوله: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج/ ٤٦] قيل العقل وقيل الروح، فأما العقل فلا يصح عليه ذلك، قال: ومجازة مجاز، وقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة/ ٢٥]، والأنهار لا تجري وإنما تجري المياه التي فيها. وتقليب الشيء تغييره من حال إلى حال نحو ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب/ ٦٦]، وتقليب الأمور: تدبيرها والنظر فيها، قال: ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة/ ٤٨]، وتقليب الله القلوب والبصائر: صرفها من رأي إلى رأي، قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام/ ١١٠][1].

كما وردت كلمة القلب أكثر من مئتي مرة بصيغ مختلفة في كتاب إكمال غرر الحكم[2].

الفؤاد: Heart (centre of a person,s feeling)

وردت مادة الفؤاد في القرآن الكريم (١٦) مرة بـ (٦) صيغ[3].

فأد: الفؤاد كالقلب لكن يقال له: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي: التوقد: يقال

---

(١) مفردات الفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف القاف ص٦٨١.

(٢) ١) ـ قلب = ١٨، ٢ ـ القلب = ٢٦، ٣ ـ قلوب = ٦، ٤ ـ القلوب = ٤٨، ٥ ـ قلوبكم = ١٢، ٦ ـ قلوبهم = ٧، ٧ ـ قلبه = ٣٨، ٨ ـ قلبك = ١٢ المجموع = ١٦٧).

(٣) ١) ـ فؤاد = ١، ٢ ـ الفؤاد = ٢، ٣ ـ أفئدة = ٣، ٤ ـ الأفئدة = ٥ ٥ ـ فؤادك = ٢، ٦ ـ أفئدتهم = ٣ المجموع = ١٦).

فأدت اللحم: شويته، ولحم فئيد: مشوي. قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم/ ١١]، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ [الإسراء/ ٣٦]، وجمع الفؤاد: أفئدة، قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم/ ٣٨]، ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة/ ٦ ـ ٧]، وتخصيص الأفئدة تنبيه عن فرط تأثير له[١].

الصدر: Chest

وردت مادة الصدر في القرآن الكريم (٤٤) مرة وبـ(٨) صيغ[٢].

الصدر: الجارحة. قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه/ ٢٥]، وجمعه صدور، قال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات/ ١٠]، ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج/ ٤٦]، ثم استعير لمقدم الشيء كصدر القناة، وصدر المجلس، والكتاب والكلام...... قال بعض الحكماء: حيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق/ ٣٧]، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وسائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه/ ٢٥] فسؤال لإصلاح قواه، وكذلك قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١٤]، وإشارة إلى اشتفائهم، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج/ ٤٦]، أي: العقول التي هي مندرجة فيما بين سائر القوى وليست بمهتدية، والله أعلم بذلك وبوجه الصواب فيه[٣].

الصدر: ما دون العنق إلى فضاء الجوف[٤].

العقل: Mind

وردت مادة العقل في القرآن الكريم (٤٩) مرة وبـ(٥) صيغ، كما وردت كلمة

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الفاء ص٦٤٦.

(٢) ١) ـ صدراً = ١، ٢ ـ صدور = ٤، ٣ ـ الصدور = ١٦، ٤ ـ صدري = ٢، ٥ ـ صدرك = ٤، ٦ ـ صدره = ٣، ٧ ـ صدوركم = ٤، ٨ ـ صدورهم = ١٠ المجموع = ٤٤).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الصاد ص٤٧٧.

(٤) المنجد في اللغة/ لوئيس معلوف ص ٤١٨.

العقل في كتب مختلفة من كتب المسلمين آلاف المرات وبنفس هذا المعنى، كما جاء في كتاب الكافي وبحار الأنوار ومرآة العقول وتحف العقول والبخاري ومسلم، كما جاء في كتاب إكمال غرر الحكم ودرر الكلم ٣٢٣(١).

العقل: عقل: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير المؤمنين (رضي الله عنه)«عليه السلام»

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع

*وإلى الأول أشار النبي الأكرمﷺ: **(وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل)**وإلى الثاني أشار بقوله: **(ما كسب أحد أفضل من عقل يهدي إلى هدى ويرد عن ردى)**.*

وهذا العقل هو المعني بقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٣] وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول، نحو: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ١٧١]، ونحو ذلك من الآيات، وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد بعدم العقل فإشارة إلى الأول، وأصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل لسانه كفّه، ومنه قيل للحصن معقل(٢).

لب: Essence

وردت هذه المادة في القرآن الكريم بعدة تصريفات ١٦ مرة في ١٦ آية كما وردت مرات عديدة في أقوال الإمام عليّ عليه السلام.

---

(١) ١) ـ عقلوه = ١، ٢ ـ يعقلون = ٢٢، ٣ ـ تعقلون = ٢٤، ٤ ـ نعقل = ١ ٥ ـ يعقلها = ١ المجموع = ٤٩، في غرر الحكم١ ـ عقل = ٤٤، ٢ ـ العقل = ٧٧، ٣ ـ عقول = ٩، ٤ ـ عقلك = ١٥ مرة، ٥ ـ عقله = ٣٦، ٦ ـ العاقل = ٥٢ المجموع ٣٢٣ مرة).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف العين ص٥٧٧.

ختم : Stamp

الختم والطبع يقال على وجهين: مصدر ختمت وطبعت، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع. والثاني: الأثر الحاصل عن النقش، ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتباراً بما يحصل من المنع بالختم والأبواب، نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة/ ٧]، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية/ ٢٣]، وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتباراً بالنقش الحاصل، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر، ومنه قيل: ختمت القرآن، أي: انتهيت إلى آخره، فقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة/ ٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الأنعام/ ٤٦]، إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أنَّ الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل، أو ارتكاب محظور ـ ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق ـ يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي، وكأنما يختم بذلك على قلبه، وعلى ذلك: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [النحل/ ١٠٨]، وعلى هذا النحو استعارة الإغفال في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف/ ٢٨]، واستعارة الكنّ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام/ ٢٥]، واستعارة القساوة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ﴾ [المائدة/ ١٣]، قال الجبائي: يجعل الله ختماً على قلوب الكفار، ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم، وليس ذلك بشيء، فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها اصحاب التشريح، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال. وقال بعضهم: خَتْمُهُ شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس/ ٦٥] أي: نمنعهم من الكلام[1].

طبع : Stamp

الطبع: أن تصور الشيء بصورة ما، كطبع السكة، وطبع الدراهم، وهو أعم من

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الخاء ص ٢٧٤.

الختم وأخص من النقش، والطابع والخاتم: ما يطبع ويختم، والطابع: فاعل ذلك، وقيل للطابع طابع، وذلك كتسمية الفعل إلى الآلة، نحو: سيف قاطع. قال تعالى: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون/ ٣]، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم/ ٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس/ ٧٤]. وقيل طبعت المكيال: إذا ملأته، وذلك لكون الملء كالعلامة المانعة من تناول بعض ما فيه، والطبع: المطبوع، أي المملوء[١].

وأما في المنجد: طبع طبعاً: *الشيء صوره بصورة ما، وطبع عليه ختم، يقال «طبع الله على قلبه» أي ختم وغطى فلا يعي ولا يوفق*[٢].

رين: Corrosion

الرين: صدأ يعلو الشيء الجلي، قال: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين/ ١٤]، أي: صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر[٣].

الوتين: Aorta

عرق يسقي الكبد، وإذا انقطع مات صاحبه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة/ ٤٦][٤].

معنى القلب والعقل والروح والنفس كما ورد في كتاب مقامات القلب للفيض الكاشاني (رض) في الصفحات من ٩ ـ ١٣.

معنى القلب: Heart Meaning [٥]

لفظ القلب يطلق لمعنيين:

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الطاء ص ٥١٥.

(٢) المنجد في اللغة/ لوئيس معلوف ص ٤٦٠.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الراء ص٣٧٣.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الواو ص ٨٥٢..

(٥) راجع بحار الأنوار ج٦٧ باب ٤٤ القلب وصلاحه وفساده.

الأول: اللحم الصنوبري الشكل. . . . ولسنا الآن في صدد شرح شكله . . لأن هذا لا يتعلق بالأغراض الدينية . . .

الثاني: وهو لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بهذا القلب الجسماني وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك، والعالم، والعارف. وهو المخاطب والمعاتب والمطالب .

وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته بالجسم، فإنَّ تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلق المتمكن بالمكان. وشرح ذلك نتوقاه لسببين:

الأول: إن ذلك يعود إلى علم المكاشفة، وليس غرض هذا الكتاب إلا علوم المعاملة.

الثاني: إن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وهو لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ، وليس لغيره أن يتكلم به .

والقلب بهذا المعنى الثاني هو مقصودنا، وغرضنا ذكر أوصافه وأحواله لا ذكر حقيقته في ذاتها. فعلم المعاملة يتناول معرفة الصفات والأحوال لا حقيقة الشيء وذاته .

معنى الروح : Spirit Meaning

الروح هو أيضاً يطلق لمعنيين:

الأول: وهو جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق إلى سائر أجزاء البدن، وجريانها في البدن وفيضان أنوار الحياة من الحس والسمع والبصر والشم. . . . . . . وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، وليس غرضنا شرحه لأنه غرض الأطباء .

المعنى الثاني: وهو اللطيفة الربانية العالمة المدركة، وهو الذي شرحناه في أحد معنيي القلب، وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(١)] وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والإفهام عن درك كنه حقيقته[(٢)].

معنى النفس : Soul (Psyche) Meaning

للنفس أيضاً معنيان:

*الأول: أن يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي بيانه، وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون: لا بدّ من مجاهدة النفس وكسرها، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: **(أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)**.*

الثاني: هو اللطيفة التي ذكرناها والتي هي الإنسان في الحقيقة، فهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها[(٣)].

معنى العقل : Mind Meaning

العقل هو أيضاً له معنيان:

الأول: أنه يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي بالقلب.

*الثاني: أنه يطلق ويراد به المدرك للعلوم، فيكون هو القلب، أي تلك اللطيفة. ونحن نعلم أن كل عالم له في نفسه وجود وهو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالة فيه، والصفة غير الموصوف. والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك، أعني المدرك، وهو المراد بقوله ﷺ: **(أول ما خلق الله العقل)** وفي الخبر أنه قال له **(أقبل فأقبل، وقال له أدبر فأدبر)**[(٤)].*

---

(١) الإسراء/ ٨٥.

(٢) مقامات القلب/ الفيض الكاشاني ص١٠.

(٣) مقامات القلب/ الفيض الكاشاني ص٩ ـ ١١.

(٤) مقامات القلب/ الفيض الكاشاني ص١٢.

الدماغ : Brain

لم يرد ذكر الدماغ في القرآن الكريم مطلقاً، إلا مرة واحدة وبصيغة الفعل، كما ورد في كتاب غرر الحكم ودرر الكلم قليلاً وليس محلاً للعقل، بل كان العقل يعطف على الدماغ، ولما كان العطف يدل على التغاير فليس الدماغ محلاً للعقل.

إن هذا يدل على عدم أهمية الدماغ وعدم دوره في العقل، وإلا لذكره الله تعالى ولذكره النبي الأكرمﷺ ولذكره الأئمة الميامينعليهم السلام.

إن الناس يعلمون ظاهر الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[١]، ولا يعلمون باطنها، فكيف علمهم بالآخرة؟ وإذا كانت الدنيا كلها من عالم الشهادة ولم يعلموا إلا ظاهرها، فكيف لهم العلم بعالم الغيب؟ والروح والقلب والنفس، هذه مصطلحات متداخلة، وهي من عالم الأمر، وهو عالم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا من أذن له الرحمان وقال صواباً.

إن الاتصال بعالم الغيب يتم من خلال تزكية النفوس وتصفية القلوب، حتى تكون هي مشيئة الله كما في كثير من الأحاديث والروايات التي تصف النبيﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢] والأئمةعليهم السلام بأنهم محل فيض الرحمان إلى الدنيا، ولولاهم لساخت الأرض بأهلها ***(لو بقيت الأرض يوماً بغير إمام منا لساخت بأهلها ولعذبهم الله بأشد عذابه، إن الله تبارك وتعالى جعلنا الحجة في أرضه، وأماناً في الأرض لأهل الأرض لن يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم)***[٣].

إن المصيبة الكبرى، هي ترك الناس لتراث الأمة الإسلامية وعلومها، وبالأخص ترك أغلب المسلمين، الذين هم نقلة وحملة هذا التراث العظيم، فمثلهم قوله تعالى:

---

(١) الروم/ ٧.

(٢) الأنبياء/ ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٢٣ باب الاضطرار إلى الحجة وأن الأرض لا تخلو من حجة ح٦٤.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

٢ ـ المطلق والمقيد: Absolute & Limited

قال صاحب جواهر البلاغة: *إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزأيها «المسند والمسند إليه» فالحكم (مطلق) وذلك: حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن. وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما، فالحكم (مقيد) وذلك: حيث يراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، فتكون فائدته أتم وأكمل، ولو حذف القيد لكان الكلام كذباً، أو غير مقصود، نحو: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾(٢) فلو حذف الحال وهو (لاعبين) لكان الكلام كذباً، بدليل الواقع*(٣).

أما ما جاء في كتب علم أصول الفقه:

تعريفات الأصوليين وأمثلتهم للمطلق:

١ ـ *(وهو لفظ خاص يدل على فرد شائع في جنسه)*(٤).

٢ ـ *(وهو لفظ خاص يدل على فرد شائع في جنسه دون قيد يقلل من هذا الشيوع)، مثاله قوله تعالى:* ﴿نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾(٥) *فلفظ*

---

(١) الجمعة/ ٥.

(٢) الأنبياء/ ١٦.

(٣) جواهر البلاغة/ أحمد الهاشمي الباب الخامس - في الإطلاق والتقييد.

(٤) كفاية الأصول/ الأخوند الخراساني باب المطلق والمقيد.

(٥) المجادلة/ ٢ ـ ٣.

الرقبة مطلق لدلالته على فرد شائع في جنسه. والمقيد حينئذ هو الذي يلحقه قيد يقلل من شيوعه، مثل قوله تعالى في بيان كفارة القتل الخطأ: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(١) فالقيد هو الإيمان وقد قلل من شيوع الرقبة في جميع أفرادها، وقصرها على الرقبة المؤمنة، فسميت الرقبة حينئذ مقيدة، ووصف المؤمنة مقيد(٢).

ذكرت هذا الكلام لغرض أن يتضح للقارئ أن الآية ما ذكرت قيد (التي في الصدور) إلا لتبين أن القلوب المقصودة فيها، هي هذه القلوب التي محلها وموقعها في الصدور، ولكي لا تذهب بكم التأويلات، إلى أن القصد من القلوب، العقول التي محلها الدماغ كما هو شائع في الأوساط العلمية والعرفية لعامة الناس أو غيره من أعضاء الجسم، فذكر هذا القيد (التي في الصدور) في الآية ذكر بيان لموقع العقل في القلب، ودفع توهم واشتباه وتأويل من يقول: إن القلب هنا كناية عن العقل فقط وليس المراد هذا الجسم الصنوبري، الذي يضخ الدم، وأنا أتفق معه من حيث الواجب وأختلف معه من حيث المكان، لأنني أعتقد أن القلب المادي محلاً للقلب الروحي، أي العقلي، وأن العقل في القلب، ويتبعه الفكر والتفكر، كما ستجده في آخر الكتاب.

فالقيد إذن قيد بيان لمحل العقول أولاً، وقيد دفع توهم واشتباه من أن القلب في الآية كناية عن العقل ومجازاً في التعبير ثانياً.

الثانية: مسار تطور العلوم

Science Development Path

الرسم في أدناه مخطط يبين مراحل تطور العلم عند الإنسان، فالنقطة رقم ١ وهي المرحلة الأولى تبين علم الإنسان في بداية مسيرته العلمية، والنقطة رقم ٢ تبين المرحلة التالية لها، وأما المرحلة ١َ فتبين أن العلم سيمر بنفس الحالة الأولى ولكنه

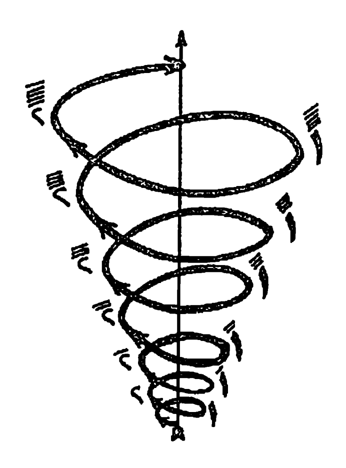
---

(١) المائدة/ ٩٢.

(٢) مفتاح الوصول إلى علم الأصول/ الشيخ أحمد كاظم البهادلي ج١ ص ٣٩٩.

بمرتبة أعلى، أي أن نفس العلوم التي كانت في المرحلة الأولى ثم تركت على أساس أن العلم تطور وأنها قد عفى عليها الزمان، ولكنه عاد إليها مرة أخرى، ولكن بشكل آخر أوسع من علم المرحلة الأولى، وهكذا المرحلة الثانية ٢ و٢َ والثالثة ٣ و٣َ إلى الوقت الحاضر وما زال الإنسان يتقدم، لأن العلم لا يتوقف عند نقطة معينة، والسهم يشير إلى تقدم وتطور المعرفة الإنسانية، وأشباه الدوائر، وهي الخط المتصل بحلقات غير دائرية تمثل اتصال العلم وعدم توقفه واختلاف أشباه الدوائر في السعة وزيادة أطوال أشباه أنصاف الأقطار يمثل زيادة وسعة العلم اللاحق وسعة المعرفة اللاحقة عن العلم السابق والمعرفة السابقة.

إن هذا الرسم البياني لا يمثل التطور والرقي في علم الأخلاق ولا في علم العقيدة، بل لعل الإنسان يتراجع في تلك العلوم ويتسافل فيها، كما هو عليه في الإباحية الجنسية التي كان من نتائجها أمراض العصر، كمرض فقدان المناعة المكتسبة (فيروس مرض الإيدز HIV) والزهري وغيرها، ولكنه في حالة رقي وتطور وصعود في علوم الفضاء والاتصالات والحاسبات وغيرها.



شكل رقم (١) مسار تطور العلم

وضعت هذا الرسم لأبين أن العلم القديم الذي كان يعتقد أن القلب مركز الفكر ثم تُرك هذا العلم وانتقل إلى الدماغ بحسب ظاهر التجارب العلمية، بل إن بعضها ما زال

في مرحلة النظرية ولم يرقَ إلى مستوى العلم الثابت، أي القانوني كما هي عليه كثير من القوانين الفيزيائية والكيميائية والعلوم الأخرى، والنظرية كما يقول المناطقة في طور التصور أو في طور الخيال أو الوهم، وقد يصيب الوهم مستقبلاً وقد يخطأ، أو أنه في مرحلة الخيال، وكلاهما لا يمكن اعتماده كقانون.

أما الآن، فأقول إنه سيعود إلى القلب مرة أخرى على أنه مركز العقل والفكر والعقيدة والإيمان، ولكن بشواهد تجريبية وأدلة علمية من نفس علوم من يدعي خرافة مركزيّة القلب، وعلميّة ومركزيّة الدماغ، والسبب هو التقدم العلمي التجريبي لحالات القلب التي لم يجد العلم لها تفسيراً علمياً على ضوء علومهم الجامدة على ما يدّعونه من ثبات لها، ومنها الموت السريري وعودة الميت سريرياً إلى الحياة وحركة القلب الذاتية والنشاط الكهربائي والنشاط الكهرومغناطيسي وغيرها من الحالات المكتشفة وغير المكتشفة.

بعد أن مهدنا في المقدمتين الأولى والثانية للبحث وهما من أصل البحث نلج، أبواب البحث باباً بعد باب ولوجاً شاقاً عسيراً مضنياً، أخذ مني الوقت الطويل، والتتبع والتأني في إيراد المعلومة، والتثبت منها من مصادرها، وهذا ما أكده السادة الأساتذة أهل الاختصاص، ومراجعة أصحاب الإختصاص خاصة الأطباء وغيرهم من أصحاب الإختصاص الفقهي، ثم العرض على كتاب الله وأحاديث المصطفى ﷺ وروايات أهل البيت عليهم السلام. ولا يتصور الأخوة الكرام أني عندما أقول العرض على كتاب الله تعالى والحديث والرواية على أني آخذ برأيي، بل من تفسيرات العلماء سواء، عن طريق الكتب والمصادر المعتمدة عندنا أو من السؤال مشافهة، وهذا ما زاد في البحث عناء وشقاء، ولكن كانت لذة الحصول على المعلومة الدقيقة، التي تسفر عن علم لم يُتَطرق إليه بهذا الشكل الواسع وهذا العمق الذي اعترف به علماء وأساتذة الطب والعلوم الأخرى، تنسيني هذه المتاعب والمشاق، وتبعث فيّ روح التجديد في البحث العلمي المعتمد على إرثنا العلمي الذي لا ينافس ولا يداني، وتجعلني أقف مرفوع الرأس بين العلماء الماديين لما أعتقده من فكر عظيم لم يبقِ لغيرنا من العلوم، إلا ما هو تطبيقاً

للقوانين التي تركها ـ ومع الأسف كله ـ علماء الأمة الإسلامية الأكاديميين خاصة، واعتمدوا على ما يصل إلينا من الغرب والشرق، فأصبحنا أمة مستهلِكة (بالفتح وبالكسر) حتى في العلوم بعد أن كنا أمة منتِجة (بالكسر) في العلوم النظرية أولاً والصناعات ثانياً.

الباب الأول
القلب والدم في النصوص الدينية والبحث العلمي

الفصل الأول: القلب

١ ـ خلق القلب ٢ ـ أجزاء القلب

٣ ـ حركة القلب ٤ ـ وظيفة القلب

٥ ـ كهربائية القلب ٦ ـ الجهاز العصبي للقلب

٧ ـ القلب والحياة المادية ٨ ـ القلب والروح

٩ ـ تغذية القلب أ ـ التغذية الروحية ب ـ التغذية المادية

١٠ ـ القلب والأخلاق ١١ ـ حواس القلب

١٢ ـ بصمة القلب

الفصل الثاني: الدم

١ ـ خلق الدم ٢ ـ أجزاء الدم ٣ ـ فصائل الدم

٤ ـ وظيفة الدم ٥ ـ الجهاز الحسيّ للدم

٦ ـ الدورة الدموية أ ـ الكبرى ب ـ الصغرى

٧ ـ تغذية الدم أ ـ الروحية ب ـ المادية

٨ ـ أمراض الدم أ ـ الروحية ب ـ المادية

٩ ـ التبرع بالدم

الفصل الأول

القلب Heart

جعلت القلب والدم في باب واحد، لأني أعتقد أن الدم جزء من القلب، وأن ما يصيب الدم يصيب القلب وبالعكس، ولكن بنسبة أقل، وما يؤدي إلى مرض القلب يؤدي إلى مرض الدم، وأن الدم هو الناقل الأمين أو الناقل الخائن للمعلومات إلى القلب بحسب اختلاف الغذاء واختلاف العوامل الوراثية.

قبل البحث، لا بدّ لنا أن نتعرف عن ماهية القلب الذي نتحدث عنه!

القلب الذي نتكلم عنه عبارة عن ثلاثة قلوب، هي: القلب المادي، والقلب البخاري والقلب الروحي، فأما القلب المادي، فيتكون من قلبين هما القلب الأيسر المكون من الأذين الأيسر والبطين الأيسر ولواحقه الأخرى كالصمامات والشرايين والأوردة الخاصة به والعضلات والجهاز العصبي المادي، ووظيفته استقبال الدم من الرئتين وضخه إلى أعضاء الجسم كافة، والقلب الأيمن المكون من الأذين الأيمن والبطين الأيمن ولواحقه من الصمامات والشرايين والأوردة والجهاز العصبي، ووظيفته استقبال الدم من الجسم المحمل بالفضلات وضخه للرئتين، ويسمى القلبان بشكل عام القلب، وأما القلب البخاري فيتكون من الحرارة المتولدة داخل تجويف القلب والمنتشر في أرجاء الجسم والمعبر عنها أحياناً بالحياة مقابل الموت، وهذا القلب من حيث تكوينه فهو مادي ومن حيث عمله فهو روحي، وأما القلب الروحي فيتكون كذلك من قلبين كالقلب المادي تماماً، فالقلب الأيمن والقلب الأيسر المكونان من

الأذينين الروحيين والبطينين الروحيين ويسميان بالقلب الروحي، وأن القلوب الثلاثة، المادي والبخاري والروحي تقع في مكان واحد ولها تأثيرات متبادلة فيما بينها، وأما قيمة الإنسان كإنسان فبقلبه الروحي لا المادي، والقلب الروحي مدار التكليف.

هذا بشكل إجمالي، وسنتكلم عن القلبين المادي والروحي بالتفصيل، لأن البخاري مشترك بينهما، كما نبحث عن نوع الغذاء الخاص به والعمل والتقوى لكل واحد أيضاً.

إن طبيعة الإنسان، أي إنسان، إذا تكلم عن نفسه ويقول: أنا يضع يده على صدره إشارة إلى أنه هو، ولا يضع يده على رأسه ليعبر عن نفسه، وحتى لو تكلم عن الجماعة التي ينتمي إليها فيقول: نحن، أيضاً يضع يده على صدره، بل الأكثر من ذلك غالباً ما يضع يده على الجهة اليسرى، وهي محل ميلان القلب، ولا يضع يده على رأسه، وأما من يريد أن يخالف ويقول أنا أضع يدي على رأسي عندما أقول أنا وهذا يدل على عدم محورية القلب، فنقول له: إنك طمست فطرتك أو أنت تبطن شيئاً وتظهر غيره، في حين إذا أراد أن يتذكر، أو إذا نسي ويقول: لا أتذكر، أو نسيت يضع يده على رأسه، وبالتحديد على مقدمة رأسه، وهو محل المخ، المسؤول عن الأعمال الإرادية، وهذا تمييز بين عمل القلب وعمل الدماغ، فالقلب هو [الأنا] وهو الإنسان وأما الرأس فهو جزء الإنسان، فإذا كان التذكر بالدماغ، وبالتحديد بالمخ، فهو جزء من كل.

إن الشواهد القرآنية والحديثية والروائية والأبحاث العلمية المتأخرة، تدل بما لا يقبل الشك، بأن القلب هو محل الفكر والتذكر والتعقل والتدبر، وهو الإنسان المتمثل بالروح، وهي جوهرة الإنسان، وليس الإنسان إنساناً إلا بروحه.

١ ـ خلق القلب Heart,s Creation

أ ـ المادي: Material

يبدأ تكون القلب قبل تكون جميع أعضاء الجسم، حيث يبدأ خلقه وعمله بعد

(٢١) يوماً من بداية الحمل، ويبدأ بالنبض وضخ الدم إلى أعضاء الجسم، ولم يكن هناك دماغ ولا جهاز عصبي كما هو الآن بعد اكتمال الجنين، وهذا يعني أنه يبدأ بالسيطرة على الجسم منذ تكونه وعمله ويبقى إلى لحظة موت الإنسان.

ب ـ الروحي: Spiritual

أما القلب الروحي فيتأخر عن القلب المادي خلقاً، لأن الإنسان لم يتكون بعد، ولعل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[1] تشير إلى أن الروح تبث في الجنين بعد أن يكتمل له أربعة أشهر، وأما الروايات التي تصف الإنسان الجنين الذي يموت بموت أمه قتلاً بأنه إنسان له الدية كاملة، كذلك تشير إلى اكتماله الأربعة أشهر، وهذا يؤكد أن الروح لم تلج الجسم قبل الأشهر الأربعة، أي أن القلب الروحي لم يخلق أو لم يكتمل بعد حتى يكون هو القائد الروحي والمادي للجسم.

٢ ـ أجزاء القلب Parts of Heart

أ ـ القلب المادي: Heart Material

يتكون القلب من أربع حجرات هي: الأذينين الأيمن والأيسر في الجهة العلوية والبطينين الأيمن والأيسر في الجهة السفلية، وشرايين وأوردة وصمامات وعضلات.

قبل البدء في هذا البحث لنتعرف على معنى الأذين ومعنى البطين.

الأذين: *الأذن: الجارحة.. ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لما يسمع، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة/ ٦١] أي استماعه لما يعود بخير لكم، وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام/ ٢٥] إشارة إلى جهلهم لا إلى*

---

(١) المؤمنون/ ١٢ ـ ١٤.

عدم سمعهم. والأذن والأذان لما يسمع، ويعبر بذلك عن العلم، إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا، قال تعالى: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [التوبة/ ٤٩] . . . والمؤذّن: كل من يعلم بشيء نداءاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ [يوسف/ ٧٠] و ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف/ ٤٤] و﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [الحج/ ٢٧] . والأذين: المكان الذي يأتيه الأذان[١].

البطين: أصل البطن الجارحة، ويقال لكل غامض بطن. . .[٢].

لماذا في القلب أُذينان، ولماذا بطينان؟ لعل هذا أهم سؤال عن القلب.

الأذين تصغير للأذن والبطين تصغير للبطن، ولعل تسمية الأذين بالأذين لأنه مستمع عملي واستقبالي للمعلومات الواردة إلى القلب بعد أن خرجت الأوامر والتعليمات المادية من القلب عن طريق البطينين لأعضاء الجسم سواء في الدورة الدموية الكبرى أو الدورة الدموية الصغرى، فالأذينان يستقبلان الدم الراجع إلى القلب عن طريق الأوردة التى تحمل الأخبار المادية للجسم والرئتين.

ب ـ القلب الروحي: Heart Spiritual

وأما القلب الروحي فيتكون أيضاً من الأذينين الأيمن والأيسر والبطينين الأيمن والأيسر، وهذا القلب وهذه الحجرات الأربع كلها تقع في نفس القلب المادي، والأذين والبطين سواء كان أيسراً أو أيمناً فهو يقع أيضاً في نفس الأذين أو البطين.

إن عظمة القلب الذي جاءت به الآيات والأحاديث والروايات، هو هذا القلب الروحي، وليس القلب المادي، وإنما القلب المادي مقدمة للقلب الروحي ووعاء له ومحل له، وإن بينهما في بعض الأحيان كل الاتفاق، فينقاد القلب المادي إلى القلب الروحي انقياداً تاماً من غير اختلاف أو تخلف، وهذا هو قلب المعصوم عليه السلام، وقد يخالف في بعض الأحيان، وقد يكثر من المخالفة، وقد ينقلب على عكس القلب الأول الذي خلقه الله تعالى، كما هو عند الجاحدين.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الألف ص٧٠.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الباء ص١٣٠.

قال النبي الأكرم ﷺ: ***(ما من قلب إلا وله أذنان، على أحدهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عز وجل:*** ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[١]، [٢]، لعل هذا الحديث إشارة الى الأذينين، مع أن النبي ﷺ قد عبر عنهما بـ (الأذنان) ولم يقل (الأذينان)، وهو الأصوب عندي لأن الأذين تصغير للأذن وهوخلاف الواقع الذي عليه الأذين، لأنه يقوم بدور أكبر من دور الأذن فيستحق أن يسمى بالأذن وأن تسمى الأذن بالأذين، بل إن دور الأذين ـ كما هو المتعارف ـ هو التعبير عن علم وفكر وحاجة الإنسان ومن جميع الجهات، أما الأذن المعروفة فليس لها إلا أن تستقبل الأصوات وليس لها قوة التفكير والتدبير، إلا الشيء القليل كما أذهب إليه أنا في أن كل جزء من أجزاء الإنسان ذو عقل وفكر بقدر وظيفته، ولعل هناك وجه في التسمية باستخدام صيغة التصغير، لأن العرب أحياناً يستخدمون التصغير ويريدون التعظيم وهو كثير في كلام العرب[٣].

إن الأذين الأيسر يأخذ الدم من الرئتين ثم يضخه إلى أعضاء الجسم، وهذا الدم مزود بالأوكسجين القادم من الهواء والفضاء الخارجي والممتزج بأساليب الأخص والخاصة والعامة والأعم منها جميعاً، ومبتذل الأصوات والصور وجميع أفعال العباد مما يؤدي إلى غلبة إحدى الصفتين، الرحمانية أو الشيطنة على فعل الإنسان من خلال المعلومات التي يحملها الدم عبر الأذين الأيسر ثم البطين الأيسر إلى أعضاء الجسم، مما يؤدي إلى الطاعة والعبودية أو التمرد والمعصية والرذيلة، إضافة إلى أن الصدر محل الوسوسة الشيطانية إلى الإنسان، ولذلك قال تعالى ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، فلا بدّ أن يقف الملك

---

(١) ق/ ١٧ - ١٨..

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب الإيمان والكفر باب أن للقلب أذنين ح١ ص٢٦٦.

(٣) أنا جُذَيلُها المحكّك وعُذَيقُها المرجّب، قول الحباب بن المنذر في السقيفة يمدح نفسه ويعظمها. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص٢٢، حديث السقيفة.

خلال حركة القلب المادي، وكذلك يرسل الأوامر ويتلقى المعلومات كلها من خلال حركة الدم التابعة لحركة القلب المادي.

٤ ـ وظيفة القلب: Heart,s Function

تختلف وظيفة القلب باختلاف نوع القلب الذي نتحدث عنه، ولما كان القلب قلبان: قلب أيمن وقلب أيسر وأن كل قلب مكون من حجرتين هما الأذين والبطين، وكل واحدة له عمله ووظيفته الخاصة به. فالقلوب اذن أربعة، ولما كان القلب بشكل عام قلبان. فالقلوب إذن ثمانية. ولكل قلب وظيفته الخاصة به، وسنتحدث عن كل قلب على حدة. ونذكر المشتركات بين القلوب، وتأثير القلب المادي على القلب الروحي وبالعكس.

للقلب بشكل عام وظيفتان:

الوظيفة الأولى: مادية عضوية، وهي ضخ الدم إلى أعضاء جسم الإنسان، سواء في الدورة الدموية الكبرى أو الدورة الدموية الصغرى، والوظيفة الأخرى روحية أو عقلية أو نفسية. فكل هذه المعاني والاصطلاحات تنطبق عليها، وبحسب العمل والوظيفة والموقف والعلم الذي يتحدث فيه المتحدث أو العالم، وهذه الوظيفة هي إيصال الغذاء الروحي والعقائدي لجميع أجزاء الجسم بما فيها خلايا القلب والرئتين، كلاً بحسب قابليته على التعقل والتفكر والتدبر ونوع الغذاء الذي يحتاجه ذلك العضو.

أ ـ **القلب المادي:** Material Heart

للقلب المادي وظيفتان: الوظيفة الأولى: تنقسم الوظيفة الأولى ـ المادية ـ إلى قسمين. أحدهما ضخ الدم إلى جميع أعضاء الجسم ما عدى حويصلات الرئتين وتسمى بالدورة الدموية الكبرى، وفي هذه الدورة يغذي القلب الجسم بالغذاء المادي الحاصل عليه من المعدة عن طريق امتصاص الدم له وتوزيعه إلى بقية أعضاء الجسم، وأما الغذاء المادي الآخر، فهو الأوكسجين (O_2) الحاصل عليه القلب من تجويف

حويصلات الرئتين (لأن خلايا حويصلات الرئتين تعدان من الجسم الذي يتغذى بغذاء المعدة وبالأوكسجين بالدورة الدموية الكبرى ويطرح ثاني أوكسيد الكربون بالدورة الدموية الصغرى) والذي يصل إلى القلب عن طريق الدم أيضاً بعملية أكسدة الهيموغلوبين ومن ثم إلى بقية أعضاء الجسم.

إن الأقسام التي تقوم بهذا العمل هي البطين الأيسر والأذين الأيمن في ضخ واستقبال الدم على التوالي.

والوظيفة الأخرى: هي ضخ الدم إلى الرئتين عن طريق البطين الأيمن واستلامه عن طريق الأذين الأيسر، وهذه الدورة تختلف عن سابقتها، فهي تنقل الدم المادي المحمل بثاني أوكسيد الكربون المأخوذ من الجسم وإيصاله إلى الرئتين، وليس لنا رأي أو تعليق على هذا الموضوع لأنه ليس من مختصات الكتاب ولا الكاتب إلا بقدر ما يتعلق الأمر بالقلب الروحي الإلهي وأثره على عمل القلب الروحي.

ب ـ القلب الروحي: Spiritual Heart

أما وظيفة القلب الروحي: فهي تنقسم أيضاً إلى قسمين: الوظيفة الأولى، نقل الغذاء الروحي والأوامر والأفكار والمعتقدات والمسائل العقلية المعقدة إلى جميع أعضاء الجسم بما فيها القلب المادي (الخلايا) والرئتين (كلها حويصلات وخلايا)، وهذه الوظيفة هي نفس قيمة الإنسان، فالإنسان إنسان بقدر تعلقه وارتباطه بخالقه وطاعته له، وإلا أولئك كالأنعام، والبحث يتكلم عن هذه الوظيفة وهذا القسم بالذات منها، وفي هذه القسم يُنقل أعظم أنواع الغذاء، وأعقده، وأندره، إلى جميع أعضاء الجسم، وأن الوظيفة الأساس لهذا الغذاء مقاومة الشيطان أولاً، أي التقوى ضد كل ما يسيء إلى عمل القلب أو تقلبه عن بارئه، وعن الفطرة التي فطر عليها، إن كان موجوداً ـ وهو الشيطان ـ وتمكين الرئتين من مقاومة دخوله ـ الشيطان ـ إليهما ثانياً إن لم يكن داخلاً فيهما، المعبر عنه بالتخلي عن وسوسة الشيطان والأخلاق الرذيلة لغرض التحلي بالأخلاق الحميدة، لأن الشيطان يتربص بهما، فإذا وجدهما خاليتين من الواقي

الأساس وهو الغذاء الروحي، أي التقوى، والذي يساعد على وجوده أيضاً الغذاء المادي، هجم عليهما، وهذا هو الذي يسميه القرآن الكريم الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، فالصدر هنا هو الرئتان، لأن الصدر يحوي القلب والرئتين لا غير، ولما كان القلب عرش الرحمان كانت الرئتان مخنس الشيطان، وأن عظمة الإنسان تكمن في كيفية الاستفادة من هذا الغذاء، بل قبل ذلك كيفية صنعه؟ وما هي الوسائل والطرق التي تؤدي إلى صنعه؟ وما هي آثار العبادة عليه؟ والدعاء؟ والكلام الحسن؟ والفعل الممدوح؟ والكلام الرقيق؟ وقبل هذا وذاك الإخلاص في النية؟

وأما الوظيفة الثانية فهي: نقل الفساد الروحي من جميع أعضاء الجسم، والتي قد تكون مرت بسرعة دون قدرة القلب على التخلص منها في المرة الأولى، أو التي دخلت إلى الجسم من غير جهة الرئتين (كالطعام) كالأكل الحرام، وتحمل معها أفكار الكفر والانحراف بالنسبة إلى الإنسان المؤمن، وهذه العملية تتم عن طريق رجوع الدم بالأوردة إلى القلب وتصفيته وتنقيته وتزويده بالقيم والأفكار والعقائد التي انفطر عليها القلب وأكدها في المعرفة اللاحقة بالدرس والكسب، وضخها إلى الرئتين لتعود إلى الأذين الأيسر لغرض ضخها إلى جميع أعضاء الجسم عن طريق البطين الأيسر بعد أن تلقت الأوامر والعقائد، وبعد أن يتم تنقية الأوكسجين المحمل بأعمال وأقوال العامة ومبتذل العمل والصور والقول.

إن هاتين الوظيفتين الروحيتين أيضاً تنقسم كل واحدة منهما إلى قسمين، قسم ذكرته، وهو نقل الغذاء الروحي إلى كافة أجزاء الجسم، كما هو في الدورتين الدمويتين الماديتين، وأما القسم الآخر فهو تلقي المعلومات من كافة أقسام وأعضاء وأجزاء الجسم، بل من كافة الخلايا، وأن كل قطرة من الدم تحمل معلومات كاملة عن الجسم، فمنها ما هو عقائدي ومنها ما هو استجابة للأوامر ومنها ما هو استفسار عن مجهول ومنها ما هو تأكيد لمعلوم وغيرها من الأمور التي سنمر عليها عند التعرض لأعمال الدم ووظائفه.

وسترى عزيزي القارئ في موضوع الدم، وبالذات في الدورتين الدمويتين الكبرى والصغرى، أن الإنسان قد يخطأ عن عمد في استخدام الغذاء بشكل معكوس فيؤدي إلى انقلاب قلبه فيصبح منكوساً، فتنقلب الأمور كلها، فلا يرى الصدق خيراً ولا العفة خيراً ولا العبادة خيراً، ولا المعروف معروفاً ولا المنكر منكراً، بل يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وهو مصداق حديث النبي الأكرمﷺ: *(عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)*(١).

من الوظائف المهمة للقلب هي السيطرة الكاملة والتوجيه التام لجميع أجزاء الجسم وذلك من خلال الدم.

قبل البدء عزيزي القارئ تعال معي نقرأ في روايات أهل البيتعليهم السلام لتعرف مدى عظمتهمعليهم السلام، وما وضعوا لنا من درر في شتى العلوم وأصنافها، بل بدقائق الأمور التي يعجز الإنسان أن يصل إليها الآن وإلى يوم القيامة وبعد كل هذا التقدم العلمي وما سيتقدم.

(عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبداللهعليه السلام قال: قلت له: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله إلا به، قلت وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظاً، قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان، أقولٌ هو وعمل أم قولٌ بلا فعل؟ فقال: الإيمان عمل كله والقول

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٩٧ أبواب الأمر بالمعروف باب ١ ح٨٢، وسائل الشيعةج١١كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب ١ ح١٢.

بعض ذلك العمل، . . . : لأن الله تعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله، ولسانه الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه، فليس من جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى اسمه، ينطق بها الكتاب لها ويشهد به عليها . . . : فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾[1]، ثم يقول عليه السلام: وفرض على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقده)[2].

قال لي الأخ الدكتور محمد علي عبدالكريم أخصائي جراحة العيون في مركز البصرة التخصصي لجراحة العيون: أن التعامل الحاد والعشوائي أو غير الدقيق مع العضلات المحركة للعين أو تلف أحدها من جراء العملية يؤدي إلى انخفاض ضربات القلب، وقد يؤدي إلى توقفه. فما هي العلاقة بين العين والقلب، التي تؤدي إلى توقف القلب؟

فنقول لو لم تكن للقلب مدخلية في الأبصار، ولو لم تكن علاقة بين العين والقلب كما قال تعالى في الآية محل البحث: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾، لما تأثر القلب إلى درجة التوقف بسبب تلف أو خدش عضلة العين؟

---

(١) النحل/ ١٠٦.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها ح ١ ص٣٣.

من هنا يثبت عندنا علم أهل البيت عليهم السلام الذي سبق العلوم بمئات السنين عندما قال: إن القلب أمير الجسد.

إن القصة المعروفة لهشام بن الحكم، وهو أحد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام، مع فقيه البصرة عمرو بن عبيد عندما سأله عن فائدة القلب، فقال: إنه إمام الجوارح كلها، وإليك القصة مفصلة كما في الكافي الشريف:

قال هشام بلغني ما كان في عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة... فاستفرجت الناس ففرجوا لي... ثم قلت أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بني أي شيء هذا من سؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاً، قلت: أجبني فيها، قال لي سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فماذا تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، فقلت: لابدّ من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم واختلافهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟ قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً. ثم التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال:

فمن أين أنت؟ قال: قلت: من الكوفة، قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمني إليه. . .)[١].

فكل جارحة إذا أرادت أن تقوم بعمل يخالف فطرة الإنسان، كالنظرة الخائنة أو المسير إلى المعصية أو تناول مسروق أو تزوير توقيع وغيرها من الأفعال التي تقوم بها الجوارح، فإن القلب يردها ويزجرها عن الفعل، فقال له: لم يترك الله تعالى الفرد الواحد حتى وضع له من داخله من يرده، فكيف يترك الأمة سدى من غير هدى يرشدها إلى الصواب ويدلها على الحق.

إن من أهم وظائف القلب السيطرة التامة على جميع أعضاء الجسم، وأن القلب القوي لا يفلت من قبضته أي عضو من الأعضاء، وأقصد بالقلب القوي، القلب الروحي لا القلب المادي، فكلما كان الإنسان صاحب إرادة وعزيمة، كان قلبه أقوى على السيطرة على جسمه والعكس بالعكس.

إن جميع أعضاء الجسم من العين والأذن والرجل واليد والأنف والفم، وهي الخارجية، والدم والرئتين، وهي الداخلية، كلها تأتمر بأوامر القلب، وأنها مجسات له، تنقل له أخبار الخارج عن طريق الجسم وأخبار الداخل التي في الجسم، وما يسمى بالجهاز الحسي أو العصبي المرتبط بالدماغ، سواء بالمخ أو المخيخ أو النخاع المستطيل ما هي إلا أدوات من أدوات القلب، وذلك لأن الدماغ بكامله من أدوات القلب، وإليك عزيزي القارئ ما قاله أهل البيتعليهم السلام عن أعضاء الجسم وعلاقتها بالقلب، وكيفية إدارة الجسم من خلال القلب باستخدام العمل الاستخباراتي الداخلي والخارجي لأعضاء الجسم وإيصالها إلى القلب.

١ ـ العين:

قال الإمام عليّعليه السلام: ***(العين بريد القلب)***، وقال: ***(العيون طلائع القلوب)*** وقال: ***(العين رائد القلب)***[٢].

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني١ كتاب الحجة باب الاضطرار إلى الحجة ح٣ ص١٦٩.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حكمة حرف الهمزة رقم ٤١٦ ، حرف العين رقم ٤١٣، ٤٥٣.

٢ ـ اللسان:

قال: *(الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر على اللسان)*.

وقال: *(يا كميل اللسان ينزح من القلب، والقلب يقوم بالغذاء فانظر فيما تغذي به قلبك وجسمك، فإن لم يكن حلالاً لم يقبل الله تسبيحك وشكرك)*[١].

٣ ـ الأذن:

(القلب ينبوع الحكمة والأذن مغيضها)[٢].

عن الإمام الرضاعليه السلام قال: *(.. وذلك أن الأجسام أسست على مثال المُلك (المملكة)، فملك الجسد هو ما في القلب، والعمال العروق في الأوصال والدماغ، وبيت الملك قلبه، وأرضه الجسد، والأعوان يداه، ورجلاه، وشفتاه، ولسانه، وأذناه، وخزاؤنه معدته وبطنه، وحجابه صدره..)*[٣] وسنعرض لقولهعليه السلام في أن الصدر حجابه عند تعرضنا للوسواس الخناس.

وظائف القلوب الثمانية: Eight Hearts Functions

ذكرت أن القلوب ثمانية، وهي أربعة للقلب المادي الصنوبري الهيئة والذي وظيفته ضخ واستقبال الدم من وإلى الجسم عن طريق البطينين والأذينين وأربعة للقلب الروحي والذي وظيفته إرسال الأوامر واستقبال الطلبات وعلى الشكل الآتي:

وظائف القلوب المادية الأربعة: Four Material Hearts Functions

التسلسل الذي ستجده في البحث، أخذت فيه أهمية القسم ودوره في الجسم، فليس الأول من حيث الخلق والعمل، وهكذا بالنسبة إلى الثاني والثالث والرابع.

أولاً: القلب الأول: وهو البطين الأيسر الذي يضخ الدم إلى جميع جسم الإنسان

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف اللام حكمة رقم ١٩٤٩، وحرف الهمزة حكمة رقم ٢٨٥٢.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف القاف حكمة رقم ١٩٩٧، والمغيض: المنقص والمقلل.

(٣) طب الإمام الرضاعليه السلام المعروف بالرسالة الذهبية/ شرح محسن عقيل ص٢٥.

في الدورة الدموية الكبرى محملاً بالأوكسجين لغرض استهلاك الطاقة.

ثانياً: القلب الثاني: وهو البطين الأيمن الذي يضخ الدم إلى الرئتين في الدورة الدموية الصغرى محملاً بثاني أوكسيد الكربون لطرحه خارج الجسم.

ثالثاً: القلب الثالث: وهو الأذين الأيسر وهو الذي يستقبل الدم من الرئتين في الدورة الدموية الصغرى محملا بالأوكسجين ودفعه إلى البطين الأيسر لضخه إلى الجسم.

رابعاً: القلب الرابع: وهو الأذين الأيمن الذي يستقبل الدم من الجسم في الدورة الدموية الكبرى محملاً بثاني أوكسيد الكربون ليدفعه إلى البطين الأيمن ثم إلى الرئتين في الدورة الدموية الصغرى.

هذه القلوب الأربعة لها وظائف مختلفة، صحيح أن عملها مرتبط بعضها ببعض، إلا أن وظيفة كل عضو خاص به، وأن هذه القلوب تؤثر على القلوب الأربعة التي سنتكلم عنها بعد هذه القلوب، ولا تهمنا هذه القلوب إلا بقدر تأثير الطعام والأمراض فيها، ثم تأثير هذا الطعام وهذه الأمراض على عمل القلوب الأربعة الروحية، لأن عمل القلب المادي يؤثر في عمل القلب الروحي، وكذلك العكس كما أشرنا أكثر من مرة إلى هذا التأثير المتبادل.

بشكل إجمالي، فإن أي خلل في أي قلب من هذه القلوب المادية، سيقلل كمية أو نوعية الغذاء المادي الذي يجب أن يصل إلى أعضاء الجسم، وهذا ينعكس على عمل القلب الروحي المقابل له في العمل، ونأخذ على سبيل المثال: البطين الأيسر المادي وأثره على البطين الأيسر الروحي.

فلو تعرض البطين الأيسر إلى خلل في قدرته العضلية في ضخ الدم إلى أعضاء جسم الإنسان، فإن هذا سيؤدي إلى خلل في وصول الدم إلى الجسم بالكمية المطلوبة، وكذلك بالنوعية المطلوبة، وكذلك بالوقت المحدد والمطلوب، وهذا يؤدي إلى خلل في وصول الغذاء الروحي للمكان وفي الزمان المطلوبين، وعلى سبيل

المثال، لو تعرض الإنسان المؤمن إلى ضربة عنيفة في عقيدته، واحتاج إلى الغذاء الذي يسعفه في الإجابة عليها، إلا أن القلب تأخر، أدّى هذا التأخر في الإجابة إلى هزة في العقيدة، وقد تتوالى هذه الحالات مما يؤدي إلى زعزعة الاعتقاد.

إن هدف الكتاب هو القلب الروحي الذي هو محل العقل، أي الإيمان والتدبير والتفكر والتفقه والفهم والإدراك، وما يقابله من الكفر والتفريط والانشغال والفراغ، لذلك نكتفي بهذا القدر في البحث في القلوب الأربعة المادية على أننا سنمر على هذه القلوب كلما احتجنا إليها في الكلام عن القلوب الأربعة الروحية عند كلامنا عنها.

وظائف القلوب الروحية الأربعة: Four Spiritual Hearts Functions

أولاً: القلب الأول:

وهو القلب الذي يضخ الدم الروحي إلى جميع أعضاء الجسم بالدورة الدموية الروحية الكبرى، محملاً بالغذاء الروحي الخاص لكل عضو من أعضاء الجسم، وكل بحسب موقعه وواجبه ووظيفته، وأن هذا الغذاء يشبه الماء النازل من السماء وهو كثير، إلا أن الأودية تأخذ بقدر طاقتها واستيعابها من كمية الماء النازل، كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾(١).

إن وظيفة هذا القلب، هي إيصال المعلومات العقائدية، وليس له دخل بالمعلومات القادمة من أعضاء جسم الإنسان، فإنها من مختصات قلب آخر.

إن اختلاف الوظيفة يستوجب اختلاف الغذاء، وهذا القلب لا بدّ وأن يحمل غذاءً عقائدياً يعتمد على عقيدة هذا القلب، وأن هذا القلب لا يتأثر بما يجري في المحيط الخارجي لأنه ليس من شأنه، وأن هذا القلب هو أهم القلوب على الإطلاق لأنه يحمل عقيدة الإنسان، فهو الإنسان نفسه.

والغذاء الذي يصفه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل ليتقوى به القلب هو هذا الغذاء،

---

(١) الرعد/ ١٧.

قال: *(يا كميل، اللسان ينزح من القلب والقلب يقوم بالغذاء فانظر فيما تغذي قلبك وجسمك، فإن لم يكن حلالاً لم يقبل الله تسبيحك وشكرك)*(١).

إن الإمام عليه السلام لم يتطرق إلى نوع الغذاء المادي، كالسعرات الحرارية أو النشويات أو اللحوم، وإنما كان بصدد نوع الغذاء بين الحرام والحلال، فقال عليه السلام .. فإن لم يكن حلالاً، والغذاء المادي لا يفرق فيه التركيب الكيمياوي والغذائي بين الحلال والحرام، إنما قصدُ الإمام عليه السلام الغذاء الروحي وهو عين هذا الغذاء بإضافة الحلال والحرام، وهذا ما لا يمكن كشفه بالمختبر، على أقل تقدير في الوقت الحاضر.

إن محل هذا القلب الروحي هو نفس محل القلب الأول المادي وهو البطين الأيسر، ووظيفة هذا القلب، هي إيصال المعلومات القلبية الروحية إلى أعضاء الجسم، لغرض الامتثال إلى أوامره والتقيد بها وتطبيقها وفق العقيدة التي يعتقدها القلب، أي الإنسان، لأن القلب هو الإنسان كما أعتقد، وعليه فإن الدم الواصل إلى الرجلين أو اليدين، يحمل غذاء أقل قدراً من الدم الواصل إلى الرأس مثلاً أو إلى الرئتين، وذلك لأن العقل الموجود في هذه الأعضاء محدد بفعل واحد صغير لا يتجاوز تطبيق الأوامر وتنفيذها بشكل يتناسب ووظيفته، بينما نجد أن الدم الواصل إلى الدماغ يحتاج إلى كمية ونوعية من الطعام تختلف عن طعام اليد أو الرجل كمّاً ونوعاً، والنوع هو المهم هنا، لتعلقه بنوع العمل الذي يؤديه الدماغ، وهو العمل المستوجب لبعض الإبداع أو التصرف الآني المفوض فيه من قبل القلب، أي العقل.

لعل القارئ الكريم يسأل فيقول: إذا كان الدم الخارج من البطين الأيسر هو نفس الدم الواصل إلى الرأس وإلى الرجل ويحمل نفس الغذاء، فبماذا يختلف دم الرأس عن دم القدم ومصدره واحد ويحمل غذاءً واحداً؟

أعتقد أن القارئ اللبيب لا يفوته أن الماء الذي يسقي المزروعات كلها واحد،

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة رقم ٢٨٥٢.

فيأخذ منه النخل والعنب والرمان والتين، بل الإنسان والحيوان بأنواعه، فلماذا يكون نتاجه مختلفاً في جميع هذه الكائنات، بل حتى في ما يسمى جزافاً بالجمادات؟

إن الاستعداد الموجود في كل جزء من أعضاء جسم الإنسان بل في الكائنات كلها أيضاً، هو الذي يحدد نوع الغذاء المطلوب، هذا أولاً، وثانياً: إن العمليات الكيميائية والفيزيائية التي يجريها الروح العام، أي المركز، أي القلب والتي يجريها نفس العضو أو جزء العضو على الغذاء هي التي تغير نوع الغذاء وتجعله مناسباً لهذا العضو ومختلفاً عن غذاء العضو الآخر، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

لو سألنا عن هذا التفضيل الوارد في الآية ما هو؟

أجبنا: أولاً: إن الغذاء يختلف من إنسان لآخر، فما هو فاضل عند هذا مفضول عند غيره، وبالعكس، وثانياً: هناك من الغذاء ما هو جيد للجميع، كالعسل مثلاً، وثالثاً: بحسب حالة الإنسان من الصحة والمرض.

والإجابة نفس الإجابة بالنسبة للغذاء الروحي، فتغير طبيعة الناس وعقائدهم وقدرتهم على الاستيعاب يستوجب تغير غذائهم الروحي، وأما الغذاء الذي يحتاجه كل الناس فهو الإيمان بالله تعالى، وهو الغذاء المشترك بين الناس كالماء والهواء الماديين.

إن القوة الروحية للإنسان هي التي تكسبه تلك القوة المادية التي تميزه عن غيره من الناس، وبتعبير آخر، إن قوة الإنسان الروحية، وبتعبير ثالث، إن القلب القوي، هذه القوى هي التي تغير نوع الطعام، وتأثر به إلى أن تصل به إلى المستوى الأرقى والأمثل فيما يحتاجه الإنسان، وليست قوة الإنسان بكثرة طعامه أو بكثرة أنواعه، صحيح أن هذا الكم والنوع من الطعام له أثره على قوة الإنسان وتفكيره، إلا أنه ليس هو السبب الوحيد، وليس هو السبب الأقوى، وما ينصحنا به الأنبياء والأئمة عليهم السلام بنوع من الطعام، ذلك لأننا

---

(١) الرعد/ ٤.

تركنا حقيقة الطعام ونوعه، ولأننا لا نفكر إلا بالماديات، فكان من واجبهم أن يرشدونا إلى هذا الطريق الذي لا محيص عنه، لأنه علاج لمرض أصابنا، لا أنه تقويم بنائي، وبتعبير فقهي وقانوني فهو كاشف عن علاج من أجل الصحة والعودة إلى الأصل لا منشئ لها، لأننا أثقالنا إلى الأرض، ولأننا نأخذ من الأرض ما يفيد وما يسكن ويثقل إلى الأرض، فلا بدّ أن نأخذ ما يخلصنا من هذا السكن وهذا التثاقل.

إن الشواهد كثيرة، فأكل النبي عيسى عليه السلام وأكل النبي موسى عليه السلام، بل أكل جميع الأنبياء عليهم السلام على هذا المستوى، ولنستمع إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف واليه على البصرة، حين دعي إلى وليمة فأجابهم، وأعاب عليه الإمام عليه السلام فيها إجابة تلك الدعوة، التي لم تكن لله، وهنا يصف طعامه عليه السلام كمّاً ونوعاً فيقول:

(ألا وأن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه(ثوبين) *ومن طُعْمِه بقرصيه*(رغيفين)، ***ألا وأنكم لا تقدرون على ذلك.... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح...... وكأني بقائلكم يقول: «إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الإقران ومنازلة الشجعان» ألا وأن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات العِذْيَة***(التي تسقى بماء المطر فقط) ***أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها)***[1]، هذا إذن هو طعام ابن أبي طالب عليه السلام، الذي قلع به باب خيبر، وفلق مرحباً نصفين، وجندل الأبطال في بدر وأُحد وحنين، وهزم عمر بن عبدوَد العامري على صغر سن الإمام عليه السلام، وبقي معه هذا القلب وهذه القوة إلى صفين حين أنصف معاوية فقال له أخرج للقتال فأما أنا وأما أنت ونجنب المسلمين هذه الحرب[2].

---

(١) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالحمن كتاب له عليه السلام إلى والي البصرة عثمان بن حنيف برقم ٤٥.
(٢) منتهى الآمال/ الشيخ عباس القمي ج٣ ص٣٤.

القلب الثاني :

وهو القلب الذي يضخ الدم الروحي إلى الرئتين في الدورة الدموية الروحية الصغرى، ومحل هذا القلب هو نفس محل القلب المادي، أي في البطين الأيمن.

وظيفة هذا القلب ضخ الدم الروحي المحمل بالنفايات الروحية والأفكار التي طردها القلب، سواء من الرئتين أو من أعضاء جسم الإنسان إلى الرئتين، لغرض طرحها خارج الجسم والتخلص منها.

إن هذا القلب يحمل أخبث السموم الروحية، لأنه من نفثات الشياطين في أعضاء جسم الإنسان، وهذا الدم الروحي ينتقل إلى الرئتين ويحصل له التبادل مع الدم الروحي الذاهب إلى بقية أعضاء جسم الإنسان والمحمل بأفكار مختلطة بين الخير والشر والقادم من خارج الجسم.

إن هذا القلب الروحي بحاجة إلى رقابة روحية قلبية من قبل البطين الأيسر عبر الدم الروحي القادم إليه من الأذين الأيمن الذي يحمل الدم الروحي من أعضاء الجسم، ولو تُرِكَ هذا القلب من غير رقابة ولا سيطرة من قبل القلب الأول، لاتفق هذا القلب مع الرئتين في تمكين الوسواس الخناس من السيطرة أكبر فأكبر على بقية القلوب، وهذا المعبر عنه في قول الإمام الباقر عليه السلام قال: *(ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا [ت] غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١])*[٢].

إن هذا القلب الروحي الثاني له أوامره الخاصة به، إلا أنه يجب أن لا تتعارض مع القلب الروحي الأول، لأن العقيدة ليست فيه، إنما هو مسؤول في التصرف فقط، أي أنه يتصرف وفق الحالة المتغيرة والتي تستوجب رداً سريعاً لا يرجع فيه إلى القلب الروحي

---

(١) المطففين/ ١٤.

(٢) أصول الكافي/ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الايمان والكفر باب الذنوب ح٢.

الأول، ولكنه ضمن عقيدة القلب الروحي الأول، فلو خبث هذا القلب ـ وكثيراً ما يخبث ـ بوسوسة الشيطان الإنسي أو الجني صار معارضاً للقلب الروحي الأول، وهذا المعارض نعبر عنه أحياناً بالنفس، وهو الذي نعبر عنه أحياناً بالنفس الأمارة، وأما القلب الروحي الأول فهو الذي نعبر عنه بالنفس اللوامة، أو يرتقي فيكون النفس المطمئنة، ولنستمع إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام وتلميذ سيد المرسلين ﷺ، قال: ***(وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها*** (أذللها) ***بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر [القيامة])***[1]، إذاً هو عليّ عليه السلام، تمكن من نفسه ونصب لنفسه الأمّارة ـ مع أن نفسه مع الله في آن وآن ـ نفساً أقوى منها وجعلها عليها رقيبة مربية مؤدبة لا تزل ولا تضل، ولا تنسى ولا تخطأ، نفس مستقيمة من أول مباشرة الحياة الدنيا حتى مفارقة الأرواح الأجساد.

فالقلب الروحي الأول هو العقيدة، وأما القلب الروحي الثاني فهو الوقاية، أي التقوى، والعقيدة بحاجة إلى وقاية من التردي، فالمشارطة والمراقبة والمحاسبة أسلوب العظماء في الحياة الدنيا.

من هنا عرفنا أن العقيدة سواء التي هي من الفطرة أو ما يخالطها من خير أو شر بما يكتسبه الإنسان في مسيرة حياته، هي في القلبين الضاخين للدم الروحي، وهما القلب الروحي في البطين الأيسر والقلب الروحي في البطين الأيمن.

إن تسمية البطين بالبطين تستبطن العقيدة، لأن البطن هي المخزن الذي يحتوي الغذاء المادي، فكذا البطين فهو المخزن الذي يحتوي الغذاء الروحي سواء الفطري والمكتسب أو الوقاية والحماية والرقابة.

إن تسمية البطين بهذا الاسم (البطين) من أبدع الأسماء الموافقة لعمل هذا العضو، كما سيأتي أيضاً في تسمية الأذين، وهذه التسمية لها علاقة بالبطن كما ذكرت سابقاً المستبطن للعمق والمعلوماتية المخزونة فيه.

---

(١) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح كتاب رقم ٤٥ لوالي البصرة عثمان بن حنيف.

القلب الروحي الثالث:

وظيفة القلب الروحي الثالث استقبال الدم الروحي من الرئتين، ومحله في القلب المادي الثالث، أي في الأذين الأيسر، ووظيفة هذا القلب الروحية، الإستماع إلى المحيط الخارجي، ونقل الأفكار والآراء والقيم والأخلاق وكل ما هو متعارف عند الناس أو في المحيط الخارجي من تغير في الطبيعة المادية والأخلاقية والعقائدية والشبهات وغيرها من مستجدات الواقع الخارجي.

إن تسمية الأذين بهذا الاسم تسمية رائعة جداً، فالأذين كاسم، له علاقة بالاستماع أو التنصت أو جلب الأخبار، وهذا هو عمل الأذين حقيقة، نقل أخبار المحيط الخارجي عن طريق التنفس ثم إلى حويصلات الرئتين ثم إلى الدم حيث يحمَّل بالنفس والفكر الخارجي إلى القلب المادي وهو نفس موقع القلب الروحي كما ذكرت سابقاً.

إن عملية نقل الأخبار الى جهة مركزية واحدة وهي القلب الروحي تجعل القلب الروحي يسيطر على جميع فعاليات الجسم الروحية والمادية، لأن أفعال الجسم المادية تأتمر بأوامر العقل، ومقره في القلب الروحي، فلو تمرد أحد القلوب على هذا القلب فهو العصيان، وقد يكون هذا العصيان مذموماً وقد يكون ممدوحاً، والمدح والذم بحسب عقيدة القلب.

إن هذا العصيان هو الذي يجعل القلوب تنقسم إلى أربعة أقسام، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: *(إن القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أجرد، فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، فأما المطبوع فقلب المنافق وأما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر وإن ابتلاه صبر، وأما المنكوس فقلب المشرك، ثم قرأ هذه الآية ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾*[1]، [2].

---

(١) الملك/ ٢٢.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب في ظلمة قلب المنافق وإن أعطي اللسان، ونور قلب المؤمن وإن قصر به لسانه ح٢.

إن القلب الروحي الثالث هو أصل سبب انحراف الإنسان عن الحق إلى الباطل، وهو في نفس الوقت أصل بقائه على الفطرة، فالحديث في أن الإنسان على الفطرة ولكن: ***ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه***[١] بسبب انحراف هذا القلب الروحي وتغذية بالفكر الانحرافي عن الفطرة، وأن المواعظ والتربية تمر من خلال هذا القلب إلى القلب الروحي الأول مركز ومكمن العقيدة عند الإنسان.

إن المحيط الخارجي المملوء بشتى أنواع الأفكار والعقائد الصالحة والطالحة والتي تتخلل إلى الجسم من خلال الهواء المستنشق وعبر الرئتين ثم إلى القلب، وهنا في القلب تجري عمليات التنقية والتصفية من القيم والأفكار والعقائد المخالفة لعقيدة القلب، أي لعقيدة الإنسان، وأن القلب الروحي القوي الذي يجعل جميع أعضاء الجسم مجسات له، ومنقادة له ومأتمرة بأوامره فلا تسمح هذه المجسات، وهي محطات المراقبة والمنع، للعقائد الفاسدة من الدخول إلى قلب الإنسان أو إلى الرئتين أصلاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البلغاء والمتكلمين أبو الحسن والحسين عليه السلام لتقوية القلب: ***(أكل السفرجل قوة للقلب الضعيف وهو يطيّب المعدة ويذكّي الفؤاد ويشجّع الجبان ويُحسِن الولد)***[٢].

إن الشيطان يدخل إلى الصدر، وبالتحديد إلى الرئتين، لغرض اقتناص الفرصة للهجوم على الإنسان، أي للهجوم على قلبه المادي الأول ومنه إلى القلب الروحي الأول، لأن محل القلب الروحي الأول في القلب المادي الأول كما ذكرت، وأن الوصول إلى القلب المادي يمهد للوصول إلى القلب الروحي، كما أن العلاقة متبادلة بين القلوب المادية والقلوب الروحية، فضعف القلب المادي مقدمة لضعف القلب الروحي المقابل له، والعكس بالعكس غالباً، فضعف القلب الروحي قوة للقلب المادي، إلا في المؤمن فضعف القلب الروحي ضعف للقلب المادي.

---

(١) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق ج٢ كتاب الخمس باب الخراج والجزية ح٢.
(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة ٢٥٠٤.

في الحديث *(لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض)*[١]، وفي حديث آخر *(إن الشيطان واضع خطمه* [أنفه] *على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله* [والذكر بالقلب] *خنس وإن نسي التقم قلبه)*[٢]. والشيطان هنا من الجنسين الأنس والجن، وهما اللذان يدخلان إلى جوف الإنسان حقيقة، مادية أو عقيدة، عن طريق التنفس فيخنسان في الصدر (الرئتين) ويبقيان إلى أن يعلما أن الإنسان قد غفل عن ربه أو عن عقيدته، فيهجما عليه، وأن القلب سواء الثالث أو الأول ليحس بوجودهما وأن لم يشاهدهما، فيبقى منشغلاً بهما، مدافعاً عن نفسه لئلا يدخلا على الأول غفلة، فهذا الانشغال ولعدم قوة القلب الأول كما هو عليه غير المعصوم عليه السلام لا يرى الملكوت لانشغاله بمقاومة الشياطين، وهذا يشبه جسم الإنسان الذي يدخله فيروس فيبقى الدم يتابعه من خلال الكريات البيضاء، أو مجمل الدم المادي، فينشغل الدم عن واجبه، مما يؤدي إلى ضعف الإنسان وقلة نشاطه، لأنه منشغل بعدو قوي، ولو كان المصل الوقائي الذي أخذه الإنسان قوياً لما انشغل به، لأنه سيقتله مباشرة فور دخوله، وهكذا القلب الأول، لو كان ضعيفاً غير مسيطر على بقية القلوب، لغلبته أو لتواطأت مع عدوه عليه، وتحينت الفرص لإصابته.

إن التقوى التي يتقي بها العبد المؤمن، هي المصل الذي يغذي به القلب الروحي الثالث، وكلما كان المصل (التقوى) جيداً ملائماً للأمراض المتوقعة، كلما كان الإنسان في مأمن، وهنا تكمن قوة المؤمن من غيره، بل المؤمن القوي في تقواه خير من المؤمن الضعيف، ولذلك نجد كثيراً ما تصاب النساء بالأمراض النفسية، وما يسمى بالتلبس، والتابعة وغيرها من الأمراض التي منها ما هو حقيقة ومنها ما هو وهم يتوهمه الإنسان الضعيف، ويزيد المشعبذ (المشعوذ) من اعتقاد المؤمن الضعيف بما يملي عليه من اعتقادات وأوهام وخزعبلات.

---

(١) مقامات القلب/ للفيض الكاشاني ص٣٩.

(٢) مقامات القلب/ للفيض الكاشاني ص٦٤.

القلب الروحي الرابع:

وهو القلب الذي يستقبل الدم الروحي القادم من جميع أعضاء الجسم ومحله في القلب المادي الرابع، وهو الأذين الأيمن.

يحمل الدم الروحي النفايات والسموم التي ترسبت في الجسم من خلال عملية الشهيق الروحية، والتي حملت معها ما يدور في المحيط الخارجي إلى داخل الجسم، ولعدم كفاءة القلب الروحي الثالث، عبرت بعض تلك العقائد الفاسدة إلى جسم الإنسان الروحي(١) ومنه إلى قلبه الروحي، وهنا مرت هذه العقائد الفاسدة من خلال القلب الروحي الرابع إلى القلب.

إن من واجبات هذا القلب بعث الرسائل المستفسرة، وبعث أخبار تلوث المحيط الداخلي وإعلام القلب الروحي الأول من خلال مرور الدم الروحي إلى البطين الأيمن الذي يرسله إلى القلب الروحي الثاني للتخلص من النفايات الروحية ثم العودة إلى القلب الروحي الأول، وهنا يتعرف القلب الروحي الأول على أخبار الجسم.

هنا أيضاً يمكن أن يحدث التواطئ بين هذا القلب والدم الروحي، أو أن الدم الروحي لخيانته للقلب الأول لا يحمل العقائد الفاسدة إلى القلب الثاني ومن ثم إلى القلب الثالث ومن ثم إلى القلب الأول، باعتبار أن القلب الأول هو المسؤول الأول عن عقيدة الإنسان، وهو يشكل الجزء الأكبر من قلب الإنسان الذي نعبر عنه بحقيقة عقيدة الإنسان، وأن القلب الأول إذا عمي عميت القلوب كلها وليس العكس صحيحاً، بل العمدة بقاء القلب الأول على الفطرة حتى لو خالفته بقية القلوب الثلاثة الروحية وأعانتها القلوب المادية الأربعة، لأن القلب الروحي الأول متعلق بالله تعالى، وأن حقيقة الإنسان الروحية كلها هي هذا القلب الروحي الأول، وأن قوله تعالى وهو الآية

---

(١) لا يلتبس عليك الأمر في انه كيف يكون جسماً وهو روح؟ لأننا نقصد بالجسم الروحي محل تلبس القلب الروحي بمكان القلب المادي ولا نقصد به نفس الجارحة كعضو مادي، كالمعصية التي تقوم بها العين فتخون صاحبها في النظرة المريبة والمحرمة والممنوعة، أو اللفظ السيء الذي يلفظه اللسان خلافاً لعقيدة الإنسان، وهكذا غيرها من الجوارح.

محل البحث ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾(١) تقصد هذا القلب، لأن عمى هذا القلب عمى لكل القلوب، فهو صمام الأمان من انحراف الفطرة وبقائها على ما كانت عليه، ولو انحرف هذا القلب مع بقاء بقية القلوب لكان من الصعب على الإنسان أن تكون نيته خالصة لوجهه تعالى، فيدخل الرياء في أعماله وأقواله، فيكون منافقاً أو مرائياً.

إن هذه الآية من أعظم الآيات التي تصف القلب بأنه قلوب وليس قلب واحد، وحسب اطلاعي لم يتطرق إلى هذا المعنى أحد من المفسرين أو العرفاء، فالآية وإن ذكرت الصدور بصيغة الجمع وأن القلوب جاءت بنفس الصيغة وهي الجمع المقابلة لها، إلا أن المعنى يمكن أن يؤوَّل إلى أن القلب في الإنسان عبارة عن مجموعة قلوب، كما أن الصدر مجموعة صدور، وأن الآية وإن ذكرت الناس بصيغة الجمع، فهذا لا يضر بكون المقصود من القلوب والصدور المجموع عينه في الفرد الواحد، وهذا كثير في القرآن مشابه لقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(٢)، مع أن الآية تصف قلبي امرأتين وهما من أزواج النبيﷺ، فالمعنى والله العالم، أن القلوب والصدور المقصودة في الآية هي القلوب والصدور التي ذكرتها في هذا البحث.

هنا بحث عملي يشعر به كل إنسان، ويرى غيره من الناس يتصرفون كما هو يتصرف، هذا الشعور هو: أن الإنسان يجد كثيراً من الناس من له أخلاق متناقضة، ففي الشجاعة شجاع، وهي صفة حسنة، ولكنه سيء الخلق، مع أهله ومع الناس، بل مع نفسه، يحب التعفف لنفسه، ولكنه يرتاد دور البغاء، ويمتد طرفه إلى أعراض الناس، ولا يسمح لغيره أن ينظر إلى عرضه، لا، بل تجده يدافع عن المرأة التي تستصرخه، فينتخي لها وكأنها عرضه، ولكنه بعد دقائق يتعرض لأعراض الناس.

---

(١) الحج/ ٤٦.
(٢) التحريم/ ٤.

ما هو السبب؟

السبب كل السبب في تعدد القلوب، فلا القلب الأول قادر على مسك زمام الأمور، ولا القلب الثاني ولا الثالث ولا الرابع، فمن جهة أنها عقيدة جيدة، وهي في القلب الأول، أي البطين الأيسر الروحي، إلا أن البطين الأيمن متأثر بسموم الجسم، فيدفعها إلى الرئتين

ومنها إلى القلب في الأذين الأيسر، وهكذا تجده يتخبط بين هذا الرأي وذاك.

٥ ـ كهربائية القلب Electriecity of Heart

قبل الكلام عن كهربائية القلب وقدرتها ونسبتها إلى بقية طاقات الجسد، لابدّ لنا أن نتعرف على الطريقة التي تتكون فيها كهربائية القلب، وهل هي من إنتاج القلب حصرياً أم من غيره.

الطاقة الكهربائية للقلب(١):

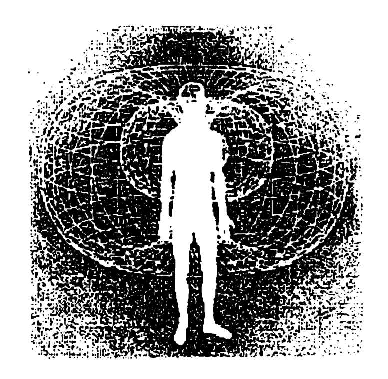
يقوم القلب ذاتياً بإنتاج الطاقة الكهربائية، ويتم هذا في العقدة الأذينية، وذلك من خلال تبدل الشحنات الموجبة مكان السالبة في أيونات الصوديوم والبوتاسيوم، وهذا هو سر إنتاج الطاقة الكهربائية.

إن حركة القلب الذاتية تتم من خلال الكهرباء، وأن توليد الكهرباء في القلب، يؤكد لنا استقلالية القلب عن الدماغ أو عن أي عضو آخر في الجسم، ولذلك تجد الإنسان الذي يموت موتاً سريرياً يبقى قلبه ينبض ويعمل، ولو قدر للعلماء أن يصلوا إلى تفكير الميت سريرياً، لعرفوا الكثير من أسرار القلب وبعد ذلك التعرف على حقيقة الإنسان وهذا يحتاج إلى أجهزة متطورة.

---

(1) Science of the heart, Institute of HeartMath.

غاية التطور في المجال الروحي أو النفسي لا الفسلجي
الاسم يشير إلى المجال الكهرومغناطيسي للقلب[١].



تشير الأبحاث الأخيرة إلى أن كهربائية القلب أقوى من كهربائية الدماغ بـ (٥٠ ـ ١٠٠) مرة، وأما المجال المغناطيسي للقلب أقوى بـ (٥٠٠٠) مرة من المجال المغناطيسي للدماغ، وهذا يؤكد قيادة القلب لأعضاء الجسم وسيطرته عليها والتحكم بها بما فيها الدماغ، وسنشير إلى كيفية التخاطر عن بعد بين الأشخاص المسمى بالباراسيكلوجي أي التخاطر عن بعد.

إننا نعلم أن زيادة التيار الكهربائي يعني زيادة المجال المغناطيسي، وبالتالي شدة الموجات الكهرومغناطيسية، وهذا يمكّن القلب من التأثير على الآخرين، وذلك من خلال إرسال موجات كهرومغناطيسية إلى الفضاء الخارجي للقلوب، بل يمكن التحكم بها من مسافة بعيدة، وقصة راسبوتين الروسي مع ألكسيس نكوليافيتش ولي عهد القيصر الروسي معروفة[٢]، فكيف استطاع في علاج الأمير الذي كان ينزف دماً بسبب جرح عميق؟ لولا التحكم ببعث الأشعة، سواء أكانت أشعة كهرومغناطيسية أو غيرها من الأشعة أو الانبعاثات القلبية، كما أن شدة الموجات وتحديدها للشخص المطلوب

---

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

(2) ejabat google.com wikipedia.org.

مع عدم وصول تلك الموجات إلى الآخرين، أيضاً يدل على أن الشخص يمكنه أن يكتشف عمل القلب المطلوب بأي نوع من أنواع الأشعة يعمل، وبأي تردد أو بأي طول موجي، أو أن هناك أشعة أو انبعاثات لم تكتشف بعد.

لقد أثبت الباحثان Rollin McCraty و Mike Atkinson (رولن مكّري ومايك أتكنسون) أن هناك علاقة بين الإدراك والنشاط الكهرومغناطيسي للقلب والدماغ، فكلما نشط القلب نشط بعده الدماغ، وكلما كان القلب نشيطاً استطاع الإنسان أن يتصل بالقلوب أو الأدمغة البشرية الأخرى(١).

ولعله يستطيع أن يؤثر على أدمغة الحيوانات، وما الحسد إلا واحد من إشعاعات القلب إلى الآخرين والتأثير فيهم والتحكم بهم من بعد وذلك من بعث إشعاعات أو انبعاثات كهربائية أو كهرومغناطيسية أو غيرها ـ لم تكتشف بعد ـ إلى الفضاء الخارجي، وبأطوال معينة وبحسب نوع الشخص وترددات قلبه أو دماغه، وحيث إن القلب قادر على التحكم بالإشعاعات المنبعثة منه إلى الآخرين، فإنه قادر على التحكم بأي شخص كان، اللهم إلا إذا كان ذلك الشخص صاحب قوة إشعاعية أو مناعة إشعاعية لا تخترق من قبل الأشعة التي تبعثها القلوب للسيطرة عليها، وهنا تتصارع الإرادات، فكلما كانت إرادة أحدهما أقوى كانت هي المسيطرة على الأخرى، أو كانت عصية عليها من الدخول إليها والتأثير عليها، ومن الجدير بالذكر، أن الحاسد لا يكون إلا مبصراً، فلا يمكن للأعمى أن يحسد، وهذا قد يجرنا إلى أن للعين دخل في توجيه الأشعة وتحديد شدتها ونوعها، وهذا خارج نوعاً ما عن موضوع بحثنا.

ولذا تجد بعض الناس له القدرة على جذب قلوب الآخرين إليه من غير أن يتكلم، أو من غير أن يقوم بأي عمل، سوى أنه مركز على شيء واحد، فتجده هادئاً مستقراً ولكنه من الداخل يغلي ويفور في تفكيره وبعثه للأشعة، مما يمكنه من السيطرة على الآخرين، هذه العملية لا بدّ أن تسبقها الفراسة، فالتفرس إذن، الكشف عن هوية

---

(1) www.kaheel17.com.The Scientifc Role of the Heart in Learning and Performance.

الإنسان وتحليلها ثم تعيين العلاج أو السم المناسب، أي تحديد نوع الأشعة التي يتأثر بها و شدة الإشعاع، وبعد ذلك الطريقة التي تبعث بها الأشعة. ولكن الإنسان يختلف من فرد إلى آخر، ومرد هذا الاختلاف إلى العامل الوراثي أولاً وإلى التعامل العملي ثانياً وإلى التعامل العقلي والتفكيري ثالثاً سواء مع الآخرين أو مع النفس، إضافة إلى الاختلاف في الأبراج الفلكية المؤثرة على النفس وسلوكها رابعاً، ثم الوقاية من أثر هذه الأبراج باستخدام الموروث الديني كالدعاء والتصدق والصلاة وغيرها من الأفعال والأقوال، المسماة بالأحراز خامساً.

من خلال دراسة استقرائية وجدت أن الأشخاص الذين يؤثرون على الناس هم واحد من اثنين:

القسم الأول: العلماء

وهؤلاء على مستويات مختلفة من الشدة والضعف، إما على مستو عال من العلمية، أو على مستوٍ وسط أو على مستوٍ واط، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين أيضاً، فهم إما من علماء الدين الهادين المهدين، أو من علماء الطبيعة الذين لهم اتصال بالطبيعة من خلال تخصصهم بها، فهذان الصنفان لهم تأثير على المقابل، وكلاهما، لو كان له الاطلاع على أثر النفس في النفوس وطرق التأثير كان أكثر تأثيراً في الآخرين، ويختلف التأثير والأثر باختلاف المؤثر والمتأثر، فكلما كانت قدرة المؤثر النفسية عالية وقدرة المتأثر قليلة كان الأثر أكبر وأوسع وأشمل، والعكس بالعكس، فالتلازم طردياً مع قدرة المؤثر وعكسياً مع قدرة المتأثر ومقاومته لفعله.

القسم الثاني: الأراذل

هذا القسم من التافهين من الناس في علومهم، البعيدين عن الله تعالى، ولكن لهم نشاط اجتماعي فعّال، وأمثال هؤلاء كثير، كالمنافقين والنفعيين والدجالين والكذابين والسحرة والمشعبذين والمتسولين والسماسرة، ولا فرق في التصنيف في هؤلاء عن القسم السابق، فما انطبق هناك ينطبق هنا، وكلاهما له استخدامات من المفردات

اللفظية الخاصة بكل صنف، فلا ألفاظ العلماء هناك تنطبق هنا، ولا ألفاظ التافهين تنطبق هناك، بل العكس يحصل، فلو استخدم العالم مفردة التافة لما حصل التأثير ولو استخدم التافه مفردة العالم لما حصل التأثير. إلا أن هناك اختلافاً بسيطاً بينهما، وهو أن التافه يستخدم بعض مفردات العلماء في غير محلها ولكن بأسلوب يتماشا مع تفاهته فيحسبه الظمآن ماء، ولو كان الكلام مع العلماء لما استطاع أن يؤثر فيهم، بل يتراجع فيستخدم الحيلة العرفية، كالمزحة أو الضحكة أو ما شاكل ذلك للتخلص من فشله، وهذا أيضاً بحدٍّ ذاته نوع من التأثير على الآخرين بحيث لا يعرفون بضعفه وفشله، بل يتصوره البعض قوة.

فهذان الشخصان هما المؤثران على شخصية الآخر، أما الشخص الخامل علمياً أو اجتماعياً فهو الذي يكون الفريسة السهلة لهذين الشخصين.

ما هو أثر كهربائية القلب على أعضاء الجسم؟ مثلاً، ماهو تأثيرها على أشعة ألفا التي يبعثها الدماغ، وما هو دور الموجات الكهرومغناطيسية القلبية على تلك الأشعة؟

هذه الأسئلة يجيب عليها of Math Heart Institut [معهد رياضيات القلب] قائلاً:

إن دقات القلب تؤثر على (أشعة ألفا) التي يبثها الدماغ، وكلما كان دقات القلب أكثر كلما كانت أكثر تأثيراً، ولكن يبدو أن المعهد لم يأخذ بعين الاعتبار التركيز الفكري التعملي للقلب، فليس كلما زادت نبضات القلب زادت معها أشعة ألفا، بل في الأغلب أن الدماغ يقل نشاطه عند الخوف، مع أن القلب زادت نبضاته، ولذلك نجد أن الدم يصل إلى الجسم أكثر مما يصل إلى الرأس والدماغ بعد ذلك، وهذا هو الذي يجعل الخائف أصفر الوجه، نعم تزداد أشعة ألفا الدماغية بزيادة نبضات القلب الخاصة في تنشيط الدماغ لغرض ما، كالتفكير في مسألة هامة أو التأثير على الآخرين. لقد قدم معهد رياضيات القلب معلومات عن تأثير الأشخاص على بعضهم من خلال اللمس أو التحدث معهم، ولكن المعهد ترك السبب المؤثر في القلب في تأثيره على الآخرين، ولو كانت النتائج التي قدمها المعهد جارية على كل إنسان لأصبح كل إنسان له القدرة في التأثير على الآخرين، وهذا لم يحصل في الواقع مطلقاً، وإنما كما ذكرت، فإن

الشخص هو الذي يحدد ما يريد أن يلهمه أو يوصله إلى الآخرين، وكذلك من يريد أن تصله هذه الانبعاثات أو الإشعاعات من الآخرين.

إن تأثير القلب كما ذكرت على الآخرين لابدّ أن يكون من خلال دراسة شخصية المراد التخاطب معه أو التأثير عليه، وهذا لا يكون إلا من خلال بعث أشعة من القلب إلى القلب خاصة، تقوم بدراسة الشخص دراسة كهرومغناطيسية أو كهربائية أو الأشعة تحت الحمراء أو دراسة خاصة ثم بعد ذلك يتم تحليل شخصيته ثم يتم إرسال الأشعة إليه حتى يكون الشعاع مؤثراً فيه.

إن حديث النبي الأكرمﷺ ***«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»***[١]، يبين لنا أن النبيﷺ خاصة كانت له وقفات مختلفة من فرد إلى فرد، ومن حالة إلى أخرى، فكان كلام النبي مؤثراً فيهم، ***قال: أبوجعفر عليه السلام: أما إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا و رغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شيء؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا، ثم يستغفروا الله فيغفر*** [الله] ***لهم، إن المؤمن مفتّن توّاب***[٢]، وهذا يؤكد أن المقابلة معهم أو تخصيصهم هو الذي يؤثر، طبعاً لا ننسى الاستعداد القبلي للآخرين في قبول أو استقبال تأثير الآخرين، سواء عن طريق الأشعة الكهرومغناطيسية ـ التخاطر ـ أو من خلال التخاطب، أو من خلال النية

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول/ لابن شعبة الحراني ص ٣٧، بحار الأنوار ج١ باب فضل العلم وذم الجهل ح٧.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب في تنقل أحوال القلب ح١.

التي يكون عليها الإنسان وما يضمر في نفسه في تقبل الكلام أو العمل، وكذلك تعوّد الإنسان على العمل الصالح أو الطالح، وكذلك العامل الوراثي والعلاقات الاجتماعية.

إن عمل التخاطر من بُعد أو التأثير المتبادل بين القلوب أو معرفة نوايا الناس يتم عملياً كما يحصل الآن في إرسال أو استلام المعلومات عن طريق البلوتوث الذي يحصل في أجهزة الهاتف النقال أو الحاسوب والذي من خلالهما تنقل المعلومات. هنا نحتاج إلى معرفة التردد الخاص بكل إنسان، ونقصد بالتردد تردد القلب، ويحدث هذا تارة بالمعرفة المسبقة، كما هو عليه المعصوم عليه السلام في حديث النبي ﷺ في أعلاه، أو من خلال التجربة أخرى، أو العفوية ثالثة، وهذا ما يحدث لكافة الناس ولكنه بنسب متفاوتة من غير أن يعلم به.

كيفية عمل حجرات القلب Heart,s Chambers Method

القلب مكوّن من أربع حجرات، حجرتين في اليمين وحجرتين في اليسار. أي أن كل حجرتين متصلتان عبر الصمام، والواحدة منهما فوق الأخرى. وقبل كل شيء، دعونا نتابع كيف تعمل حجرات القلب على إتمام عملية استقبال الدم ثم ضخه، كي نتعرف علي الأعمال التي تقوم بها الحجرات والوظائف الخاصة بكل حجرة من هذه الحجرات.

ترتيب عمل الحجرات العضلية القلبية خلال كل نبضة قلبية هو كما يلي:

- **أذين أيمن**، ويقوم حال استرخاء عضلته باستقبال واستيعاب الدم القادم من الجسم بعد استخلاص الأوكسجين منه وتحميله بثاني أوكسيد الكاربون، ثم يقوم بالانقباض كي يدفع الدم إلى البطين الأيمن. وفيما بين هاتين الحجرتين يقع الصمام الثلاثي، وهو صمام يسمح للدم بالمرور من الأذين الأيمن إلى البطين الأيمن.

- **بطين أيمن**، ويقوم حال استرخاء عضلته باستقبال واستيعاب الدم القادم من الأذين الأيمن، ثم يقوم بالانقباض ما يدفع الدم للخروج منه عبر الصمام الرئوي، للجريان في الشريان الرئوي، ومن ثمّ يصل الدم إلى الرئة كي يتخلص من ثاني

أوكسيد الكاربون، ويتزود بالأوكسجين. ويعمل الصمام الثلاثي حال سلامته من أية اضطرابات وظيفية، بمنع الدم الموجود في البطين الأيمن من الرجوع مرة ثانية إلى الأذين الأيمن حال انقباض البطين الأيمن، كما يعمل الصمام الرئوي على فسح المجال لمرور الدم من البطين الأيمن إلى الشريان الرئوي حال ضخ الدم، ويمنع الدم الذي تم ضخه إلى الشريان الرئوي من العودة إلى البطين الأيمن حال الفراغ من الانقباض وضخ الدم.

ـ **أذين أيسر**، يعود الدم من الرئتين، بعد تنقيته، إلى الأذين الأيسر، وعلى الأذين الأيسر أن يستوعب كمية الدم القادمة إليه من الرئتين، ثم يدفع بالدم إلى البطين الأيسر عبر الصمام المايترالي.

ـ **بطين أيسر**، يقوم حال استرخاء عضلته باستقبال الدم القادم إليه من الأذين الأيسر، ثم عند انقباض البطين الأيسر يندفع الدم إلى الشريان الأبهر عبر الصمام الأورطي، ويعمل الصمام المايترالي، حال سلامته من أية اضطرابات وظيفية، على منع الدم الموجود في البطين الأيسر من الدخول مرة ثانية إلى الأذين الأيسر حال انقباض البطين الأيسر، ويعمل الصمام الأورطي على فسح المجال لمرور الدم من البطين الأيسر إلى الشريان الأبهر حال ضخ الدم، ويمنع الدم الذي تم ضخه للتو إلى الشريان الأبهر من العودة إلى البطين الأيسر حال الفراغ من الانقباض وضخ الدم.

ـ **انقباض وارتخاء متناغم**: أحد أسرار سلامة القلب وكفائته وقدرته على العمل، هو أن يكون هناك تناغم وانسجام في ما بين انقباض وانبساط الحجرات خلال النبضة القلبية الواحدة، أي أن يكون، أولاً: انقباض حجرتي الأذينين، ثانياً انقباض حجرتي البطينين، ويستمر العمل متعاقباً في كل نبضة بهذه الطريقة المتناغمة، وهذا النظام يتطلب انقباض الأذينين سوياً، بعد استيعابهما للدم القادم إليهما، من الجسم إلى الأذين الأيمن، و من الرئتين إلى الأذين الأيسر. وحال انقباض الأذينين يجب أن يكون البطينان مرتخيين ومنبسطين، كي يتمكنا من استيعاب الدم القادم إليهما من الأذينين. وما يُثير ويُحفز عضلة القلب على البدء بعملية الانقباض هو وصول تيار كهربائي إليها،

وزوال تيار الكهرباء، يُؤدي إلى ارتخاء العضلة بعد انقباضها، ولكي يتم انقباض حجرات القلب بالتعاقب، يجب أن يصل التيار الكهربائي إلى الأذينين أولاً، وأن تتم إعاقة استمرار تدفق التيار الكهربائي من الوصول إلى البطينين لفترة وجيزة من الوقت، وخلال هذه الفترة الوجيزة يُتم الأذينان استيعاب التيار الكهربائي في كافة أرجائهما، ويتم انقباضهما لضخ الدم إلى حجرتي البطينين وهما مسترخيتان منبسطتان. ثم بعد الانتهاء من انقباض الأذينين، يُمكن للتيار الكهربائي أن يسري في أرجاء البطينين، ويحفزهما على الانقباض وإتمام ذلك لضخ الدم إلى خارج القلب، أي إلى الرئتين وإلى بقية الجسم. ثم تمر فترة أخرى من الهدوء القلبي، وتسترخي كافة حجرات القلب للراحة واستجماع القوى وإعادة تكوين مخازنَ لوقود الطاقة الحركية. والأهم من هذا كله، كي تتمكن كمية الدم التي تم ضخها للتو في الشرايين الكبيرة من الجريان والوصول إلى الأعضاء المختلفة.

وبهذا تنتهي النبضة الواحدة، وبعدها تأتي موجة جديدة من التيار الكهربائي لقيام حجرات القلب الأربع بنبضة جديدة من ضخ الدم. وهكذا طوال حياة الإنسان.

مصدر التيار الكهربائي وحركته في حجرات القلب Electricirt Sours & it,s Movment in Heart,s Chambers

ولإتمام ما تقدم من حركات الانقباض والانبساط للحجرات القلبية، وبالطريقة المتناغمة المتقدمة العرض، يجب أن يكون هناك مصدر واحد للتيار الكهربائي، منه يبدأ سريان التيار الكهربائي الآمر للأذينين بالانقباض. وكونه مصدراً واحداً ومصدراً كافياً لبدء سريان التيار الكهربائي في القلب، فهو الأساس في كل التناغم والكفاءة في عمل القلب، والأساس الآخر لإتمام عمل حجرات القلب بالطريقة المتناغمة كما تقدم، هو أن يسري التيار الكهربائي وفق الطريق الطبيعي لذلك، أي وفق تمديدات خطوط (أسلاك) توصيل التيار الكهربائي الموجودة ضمن نظام تمديدات الكهرباء القلبية. وقصة طريق سريان [وكيفية سريان] التيار الكهربائي في حجرات القلب في الحالات الطبيعية، هي كالتالي: تبدأ عقدة مكونة من تجمع لخلايا قلبية، عالية

الحساسية في تراكيبها وخصائصها وعملها وعالية أيضاً في تحملها للمسؤولية في إصدار تيار كهربائي جديد، وكثير من الأطباء والمراجع الطبية، ترى أن هذه العقدة من الخلايا هي أساس وسر عمل القلب بطريقة طبيعية، وبالتالي هي مكْمن سر الحياة المادية للجسم كله، وهذه العقدة تُدعى (العقدة الأذينية ـ الجيبية)، وتُوجد ضمن الجدار العضلي للأذين الأيمن، ومنها يبدأ التيار الكهربائي، ثم ينتشر في حجرات القلب وفق طريق محدد، والطريق هو: سريان الكهرباء من (العقدة الأذينية ـ الجيبية) في الأذين الأيمن، ثم في الأذين الأيسر، وهنا يكون الأذينان جاهزين للانقباض، يصل التيار الكهربائي إلى المنطقة التي تفصل ما بين الأذينين والبطينين لكي لا تسري الكهرباء إلى البطينين بسرعة، وذلك لإعطاء فرصة من الوقت كي تنتشر الكهرباء في كامل الأذينين ووقت كاف لإتمامهما عملية الانقباض في الأذينين معاً، فهناك عقدة مهمتها إبطاء وإعاقة مرور التيار الكهربائي لبرهة قصيرة من الوقت، وهذه العقدة تُدعى (العقدة الأذينية البطينية). وما يُمكّن هذه العقدة من إبطاء سريان الكهرباء من خلالها، هو أنها ذات تركيب تشريحي فريد، وتحديداً تُوجد في تلك العقدة أنسجة ليفية وغيرها، قادرة على مقاومة مرور التيار الكهربائي، ولو شبهنا الأمر بما يعلمه الجميع عن الكهرباء وقابليتها في السريان في المواد المختلفة، فنجد أن أسلاك النحاس مثلاً مُوّصلاً جيداً للكهرباء، ولذا تُستخدم في الأسلاك الكهربائية المنزلية وغيرها، بينما هناك أسلاك مصنوعة من مواد أخرى، لها قابلية على مقاومة سرعة مرور التيار الكهربائي فيها، مثل الأسلاك المُستخدمة في مصابيح الإضاءة (التنكستن) أو في المدفأة الكهربائية، ثم بعد فراغ الأذينين من الانقباض، يكون التيار الكهربائي قد تجاوز عقبة (العقدة الأذينية ـ البطينية)، ومن ثم يسري ويجري التيار الكهربائي في كامل عضلتي البطينين بسرعة فائقة، وضمن توصيلات كهربائية واضحة تشريحياً ووظيفياً. وحينها فقط يتهيأ البطينان للانقباض، ثم ينقبضان بالفعل ليضخا الدم الذي وصل إليهما نتيجة انقباض الأذينين، ومن ثم يجري الدم في الشرايين الخارجة من القلب[١].

---

(1) aawast.com/ detaaels. Asp28/9/2008.

إن تناغم سريان التيار الكهربائي بين الأذينين والبطينين يساعد على عمل القلب بشكل عام، كذلك التناغم بين القلوب الروحية الأربعة في استقبال وإصدار الأوامر العقلية من الجسم إلى القلب ومن القلب إلى الجسم، وهذا التناغم الذي يكون عليه قلب المعصومعليه السلام في حالة من الكمال والتمام، حتى أنهعليه السلام لا يفكر بالمعصية مطلقاً، فضلاً عن فعلها.

إن ما نجده عند غير المعصومعليه السلام من ارتباك في اتخاذ القرارات الصعبة، منشأه هذا الاختلاف، وإن كان صغيراً، وما نجده من تخبط في إصدار الأوامر، أو تخبط في الأخلاق والعقيدة، أيضاً منشأه هذا الاختلاف في عدم توافق القلوب الروحية الأربعة على عقيدة واحدة تدين للقلب الأول وتنصاع إليه انصياع العبد لسيده و انصياع المؤمن للمعصومعليه السلام ، فنحن لا نسأل المعصومعليه السلام لماذا كذا وليس كذا؟ولماذا هذا وليس ذاك؟

إن تعويد القلوب على التناغم والتنسيق يحتاج إلى عمل شاق وصعب خاصة في مرحلة الشباب، والأصعب منه بعد تخطي الأربعين من العمر، ولذلك فنحن بحاجة إلى مؤسسات تربوية ضخمة ومعمقة في المناهج التربوية تتكون من خمس مراتب، هي:

المرتبة الأولى: وهذه المرتبة هي الأساس، وهي مرتبة الطفولة، وسواء كان الطفل في بيته أو في المؤسسة، يعطى الطفل التعليمات الخاصة بمرحلته والتي تناسب استيعابه على أن تكون كل فترة مهيِّئة (بالكسر) لمرحلة أخرى، وفي المرحلة الأخيرة يهيئ الطفل للمرتبة القادمة وهي مرتبة الصبا.

المرتبة الثانية: مرتبة الصبا، وهذه المرتبة تأتي بالدرجة الثانية بعد مرتبة الطفولة، ويمكن أن تعوض مرحلة الطفولة بهذه المرحلة، لعدم تصلب القلب على القيم والأفكار المنحرفة عن جادة الحق، وهذه المرتبة على مراحل تتناسب مع عمر الصبي وقدراته واستيعابه، وكما في المرتبة السابقة يهيئ الصبي للمرحلة القادمة وهي مرحلة المراهقة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المراهقة، وهذه المرتبة أسهل من المرتبتين السابقتين لمن أخذ كامل مراحل المرتبتين، وأصعب المراحل لمن لم يأخذ المرتبتين السابقتين، وتقل الصعوبة بقدر تخطي بعض المرتبتين السابقتين وبقدر الاستفادة من تلكما المرتبتين، وكما في المرتبة السابقة فإنه يتم تهيئة المراهق لفترة الشباب.

المرتبة الرابعة: مرتبة الشباب، وهي فترة تطبيق العلوم الأخلاقية والعقائدية التي تعلمها المراهق في المراحل الثلاث السابقة، وهي فترة النشاط والقوة والعمل والإبداع، على أن يراعى فيها قدرة المراهق للوصول إلى هذه المرتبة، كما أن هذه المرتبة والتي قبلها قد تطول أكثر من المقرر لها بحسب البرامج والمناهج المقررة من قبل المؤسسة، وكما بينت فإن هذه المرتبة في المرحلة الأخيرة تهيئ للمرتبة القادمة وهي مرتبة الرجولة.

المرتبة الخامسة: وهي مرتبة الرجولة، وهي أسهل المراتب على الإطلاق لمن أخذ المراتب الأربعة، وتختلف الصعوبة فيها باختلاف الاستفادة من المراتب السابقة، وأما لمن لم يأخذ المراتب السابقة فقد يكون قد خرج عن التطويع والترويض، وخاصة بعد الأربعين، إلا من رحم ربي.

إن البرامج التي تضعها المؤسسة التربوية والتي تناسب كل مرحلة، يشترك فيها علماء الدين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الطب لغرض وضع برامج كل مرحلة من مراحل المراتب الخمس، على أن توضع برامج استثنائية وكالآتي:

الأطفال المبدعون:

تخصص برامج للأطفال المبدعين، بحيث تلغى فيه بعض برامج مراحل كل مرتبة، أو قد تلغى مرتبة بكاملها وذلك حسب قدرة الطفل واستيعابه.

كبار السن:

القسم الأول: كبار السن الذين ليس لديهم استعداد للتعلم، فتوضع لهم برامج خاصة بهم.

القسم الثاني: كبار السن الذين لهم استعداد في مراحل المراتب كلها أو بعضها.

اضطرابات كهرباء القلب Unstability Heart,s Electriecity

حينما نفهم ونُدرك مخطط سريان الكهرباء في القلب، والطريق الذي يسلكه التيار الكهربائي في أرجاء القلب المختلفة، والتبعات الحركية لانقباض الحجرات القلبية بفعل التيار الكهربائي، والتأثيرات المحتملة في كهربائية القلب لعدد من الاضطرابات أو التغيرات أو الأمراض التي تعتري أعضاء شتى في الجسم، نُدرك أن الإشكاليات الصحية في أمراض كهرباء القلب يُمكن أن تبدأ من عدة أماكن محتملة، كما نُدرك أن تبعات وتداعيات البعض منها يختلف عن تبعات وتداعيات البعض الآخر، وبالإضافة إلى هذين الأمرين، نُدرك أن الأعراض المرضيّة تختلف فيما بين الذين لديهم اضطرابات في كهرباء القلب، ونُدرك كذلك أن مدى الحاجة إلى المعالجة الطبية ووسائل تلك المعالجة قد تختلف.

وتتعدد الأماكن المحتملة لحصول اضطرابات مرضيّة في نظام كهرباء القلب، وهي قد تكون نتيجة لظهور مصادر أخرى منافسة لـ (العقدة الأذينية ـ الجيبية) في البدء بسريان التيار الكهربائي في حجرات القلب، وهو ما يحدث إما نتيجة لضعف عمل المصدر الطبيعي، أي العقدة الأذينية ـ الجيبية، أو لعشوائيةٍ في انضباط إحدى خلايا القلب، أو مجموعة متفاوتة العدد من خلايا القلب في إصدار تيارات كهربائية لا علاقة لها بالنظام الطبيعي الذي يسير عليه القلب، أي نشوء (أعمال شغب) في إصدار الكهرباء داخل القلب، وما يُسهل نشوء تلك المصادر المشاغبة، هو اضطرابات هرمونية في الجسم، كزيادة هرمون الغدة الدرقية، أو وجود مواد مُثيرة للحساسية في كهرباء القلب، كالكافيين، أو اضطرابات في بنية عضلات حجرات القلب، كالتليف أو ترسبات الكالسيوم، أو اضطرابات في تزويد عضلة القلب بالدم المُحمّل بالأوكسجين، نتيجة أمراض الشرايين التاجية. أو غيرها من الأسباب.

إن وجود مصادر أخرى لإطلاق التيار الكهربائي في القلب، قد تنتج عنه إما

اضطرابات في عمل القلب، أو أن القلب والجسم يتمكنان من التكيف مع تلك الاضطرابات والتغلب على تأثيراتها بما يضمن سلامة القلب والجسم، أي أن منها ما يحتاج إلى معالجة، ومنها ما يحتاج إلى مراقبة فقط، ومنها غير ضارة، كما قد تنشأ عدة أنواع من اضطرابات كهرباء القلب نتيجة خلل ما في سهولة مرور التيار الكهربائي خلال التمديدات الطبيعية لـ (أسلاك) مرور التيار الكهربائي الموجودة طبيعياً فيما بين المصدر الطبيعي للتيار الكهربائي وبين حجرات القلب، أو نتيجة لجريان التيار الكهربائي خلال (أسلاك) غير طبيعية، وهي موجودة بصفة غير طبيعية لدى بعض المرضى. وهناك تفرعات أخرى للآليات التي بسببها تحصل الأنواع الأخرى من اضطرابات النظام الطبيعي لكهربائية القلب، لا فائدة من الاسترسال في عرضها[1].

إن هذه الاضطربات التي تؤثر على عمل القلب المادي، تؤثر بالتالي على عمل القلب الروحي، فتختلف وظائف القلوب بين الاستقبال والإصدار للأوامر، وهذا ما يربك عمل القلوب الروحية إرباكاً كبيراً يؤدي إلى تشتت عمل القلوب وتداخل في المسؤوليات بين الأذينين من جهة والبطينين من جهة أخرى، أو قد يكون التداخل أكبر كما يكون بين الأذين والبطين الذي بجهته، وأما المشكلة الأكبر فهي تدخل القلوب الثلاثة بعمل القلب الأول، وقدرتها على التأثير عليه وتغيير عقيدة الإنسان بعد ذلك، وكما يقول التقرير بأن جهات أخرى تصدر التيار الكهربائي وهو ليس من مسؤوليتها مما يعرقل أو يشوش عمل القلب، وهذا عينه الذي يجري في القلوب الروحية الأربعة عندما يصدر قلب من القلوب أمراً ليس من واجبه، أو أن يتسيد القلب الثاني على القلوب بدلاً عن القلب الأول، فهنا يتحول القلب الأول إلى قلب منكوس أو قلب نفاق وإيمان أو قلب مطبوع بحسب مضمون الرواية السابقة، ويتخلى عن تجرده وأزهريته، فيكون في يد الشيطان كيفما شاء وجهه، بعد ما كان بين أصبعين من أصابع الرحمن كما ستقرأ.

---

(1) aawast.com/ detaaels. Asp28/9/2008.

فحوصات كهربائية القلب Heart,s Electriecity Check

يقول الباحث: *لأننا نتحدث عن مصدر للتيار الكهربائي، وعن مرور تيار كهربائي خلال تمديدات من الأسلاك الطبيعية، وعن تفاعلات حركية بالانقباض والانبساط لحجرات القلب بفعل وصول الكهرباء إليها، فإننا نحتاج إلى وسائل تشخيصية قادرة على رصد الكهرباء بالدرجة الأولى، وهي ما تشمل (رسم مخطط كهربائية القلب)، ورصد نبضات القلب خلال الأربع والعشرين ساعة، أو ما يُسمى بـ (جهاز الهولتر)، ودراسة كهربائية القلب خلال القسطرة القلبية، أو ما تُسمى (دراسة الكهرباء الفسيولوجية) للقلب، وغيرها من الفحوصات الأعمق. ثم بعد هذا نحتاج إلى وسائل تشخيصية ترصد حركة الحجرات ونتيجة هذه الحركات الانقباضية والانبساطية في ضخ الكمية اللازمة من الدم في كل نبضة ينبض بها القلب، وهي ما تشمل قياس النبض وقياس ضغط الدم واختبار الطاولة المائلة واختبار جهد القلب ودراسة القلب التلفزيونية بالأشعة فوق الصوتية، وغيرها. هذا دون الحديث عن فحوصات الدم وغيره التي قد يطلبها الطبيب أثناء محاولاته معرفة حقيقة أي اضطراب في عمل نظام كهربائية القلب، مثل تحليل الدم للهيموغلوبين والمعادن والأملاح والدهون والسكر والهرمونات وغيرها من التحاليل*[1].

التعليق: وهذا هو الذي نحتاجه في كشف شخصية المرض روحياً، المعبر عنه المريض نفسياً، فنتعرف على أسباب اختلال حركته في المجتمع وأثر الإغتراب الفكري والاجتماعي والاقتصادي والجنسي على روح الإنسان، فكما احتجنا لفحوصات الضغط وقياس النبض والطاولة المائلة وفحوصات الدم، نحتاج هنا هذه الفحوصات، إلا أنها فحوصات روحية. فأما قياس الضغط الروحي فهو ضغط المجتمع عليه من العوز المادي والجنسي، وأما قياس النبض فهو حركة القلب عقائدياً وفكرياً في المجتمع ومدى نشاطه العقلي والفكري، وأما فحوصات الدم فمعرفة الغذاء

---

(1) aawast.com/ detaaels. Asp28/9/2008.

المناسب لدمه المادي المؤثر على دمه الروحي، وهو الأكل الحلال من الحرام، ولعل هناك من الفحوصات المختبرية العقلية التي لم أتوصل إليها لتعقد العلم ولعدم التطرق إليه سابقاً، ولأن البحث بحاجة إلى الكمال والتمام، وهذا ما أرجوه من العلماء، وخاصة علماء المسلمين، لأن المجال مفتوحاً لهم لما لهم من خزين لا ينضب من المعلومات التي تركها لنا النبي الأكرمﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأطباء المسلمين.

٦ ـ الجهاز العصبي للقلب Heart,s Nerve System

بدأت الأبحاث المتأخرة تتناول النظام العصبي للقلب بشكل يختلف عما كان عليه سابقاً، فيقول الدكتور (آرمر) Armour: *إن للقلب نظاماً خاصاً به في معالجة المعلومات القادمة إليه من مختلف أعضاء الجسم، ولذلك فإن نجاح زرع القلب يعتمد على النظام العصبي للقلب المزروع وقدرته على التأقلم مع جسم المريض*[١].

لقد تمكن العلماء من كشف تأثير القلب على القلوب المجاورة، ويرسل القلب إليها موجات كهرومغناطيسة ليؤثر عليها، وهذا ما سمعنا به سابقاً في التخاطر (التليباث) عن بعد، المسمى بعلم (الباراسيكولوجي). *إن المجال الكهربائي للقلب قوي جداً ويؤثر على من حولنا من الناس، ما يمكّنه من الاتصال قلبياً، كما أن القلب يؤثر على أدمغة الآخرين، فالتيار الكهربائي للقلب أقوى بـ(٥٠ ـ ١٠٠) مرة من التيار الكهربائي للدماغ، وأن المجال المغناطيسي للقلب أقوى بـ (٥٠٠٠) مرة من المجال المغناطيسي للدماغ*[٢].

إن التعمق في هذه الأبحاث مكن العلماء من التوصل إلى اكتشاف أن النظام الكهربائي للإنسان يختلف من مجموعة إلى أخرى، كما هو الاختلاف في فصائل الدم، ولعل تشابه فصائل الدم لا يعني تطابق النظام العصبي، وذلك لاختلاف النظام

---

(1) Science of the heart, Institute of heartMath.

(2) Science of the heart, Institute of heartMath.

الكهربائي وشدته وضعفه، وبالتالي اختلاف الموجات الكهرومغناطيسية للقلب مما يؤدي إلى عدم تطابق التطلعات والأفكار، وقد يكون الاختلاف في الأبراج أحد عوامل الاختلاف في الطاقة، ونوع الدم والنظام العصبي للقلب، وأقصد في الأبراج، الزمن الذي ولد فيه الإنسان وبحسب التقويمين الشمسي والقمري، لأنهما يؤثران معاً في شخصية الإنسان، وأن الولادة كانت في أية ساعة لاقتران البرج مثلاً بالعقرب أو غيره من الاقترانات.

فنحن بحاجة ماسة لدراسة النظام العصبي دراسة جديدة تتوافق مع المكتشفات الأخيرة ومتصلة بالعلوم القديمة المتعلقة بالأبراج والوراثة والمجتمع والنسب، حتى نتعرف أكثر على حقيقة الإنسان، ذلك الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الأكبر.

إنني أعتقد أن في القلب نظامين عصبيين، الأول: ما هو متعارف من الأنظمة العصبية المتكونة من أعصاب خاصة بالقلب، والآخر هو النظام العصبي المنقول من خلال الدم، وهو الجهاز العصبي الروحي وسنمر عليه في أبحاث الدم، وعليه فإن القلب فيه أقسام معقدة من العقول المادية والروحية، التي تحلل كل رسالة قادمة من أنحاء الجسم عن طريق الدم، ويكون التحليل إما بالخلايا العصبية داخل القلب أو في الأذينين بطريقة لا أعرف كنهها وطبيعتها تشريحياً وعضوياً، ولكن أحتمل أن الاختلاف في نوع الغذاء المحمول أو نوع مخلفات الجسم أو الفعاليات التي يقوم بها كل عضو من أعضاء جسم الإنسان، هي التي تعطي المعلومة في كشف أسرار واحتياج الجسم إلى الغذاء أو الأوامر التي ينبغي للقلب أن يقوم بها، إضافة إلى الظروف التي يعيشها الفرد وما يحيط به من مقدمات عائلية ووراثية يحملها الإنسان في جيناته التي تنقل له الصفات الروحية كما ستقرأها في عمل الجينات الروحية ومجتمعة، ثم بعد ذلك كيفية الاستفادة من المخلفات التي يحملها الدم إلى القلب سواء في الدورة الدموية الروحية الكبرى أو الدورة الدموية الروحية الصغرى، أو في الدورتين الكبرى والصغرى الماديتين.

إن الوصول إلى النظام العصبي الحسي من خلال الدم (الجهاز العصبي الروحي)

لا من خلال الأعصاب والمجسات الحسيّة، قد يفك بعض شفرة القلب، وأقول بعض لا الكل، لأن القلب عرش الرحمن، ولأن معرفة القلب تعني معرفة الله تعالى، *(فمن عرف نفسه عرف ربه)*(١)، وهذا محال في المعرفة التامة، بل على مستوى الإنسان، أي إنسان وإن كان معصوماً، لأن معرفة النفس معرفة الله تعالى وهي ممتنعة، نعم معرفة النفس بالقدر الذي أراد الله تعالى من معرفتها فإنها ممكنة للمعصوم عليه السلام، بل هي حاصلة، وهي كمعرفة المعصوم بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾(٢)، والمعصوم عليه السلام قد عرف الله تعالى حق معرفته، ومعنى قدره حق قدره، هو القدر الذي عليه خَلْقُ المحدود، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، أي على ما أعطاه الله من قدرة محدودة بحدود المادة وبحدود الروح أو العقل أو النفس، عبر عنها بما شئت، إلا أن يكون التعبير أحياناً بحاجة إلى تشخيص وتدقيق وتأمل، فالإنسان قادر على معرفته تعالى بهذا القدر المحدود.

إن العلماء يقولون: إن الآخرة باطن الدنيا، فهي الملكوت والدنيا هي المُلك، وبتعبير آخر فالآخرة هي الغيب والدنيا هي الشهادة، وهذا بالنسبة إلى المخلوق لا إلى الخالق، فلا غيب عند الله تعالى، فكل شيء حاضر عنده، وأما قولنا عالم الغيب والشهادة فبالقياس إلينا لا إليه، وعليه فإن الدنيا غيب الآخرة التي ستنكشف إلينا في تلك النشأة، وعليه فإن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٣) يدل على أن أعضاء الإنسان لها القدرة على الكلام والنطق، بل لها الأستقلالية في التعقل والتفكّر، إلا أنها منقادة إلى القلب، وهذا يعني أنها يمكن أن تفلت من طاعته، فتخونَ الإنسانَ عينُه وتخونه يدُه وتخونه رجلُه ويخونه لسانُه وهكذا يخونه دماغه الذي هو بمقام الأمين العام لفعاليات القلب والمؤتمن على بعض أسراره، وقد يخونه صدره من خلال وسوسة الشيطان ويعين الصدرُ القلبَ على الانحراف فيكون الرجوع صعباً، ويحتاج الإنسان إلى عملية شاقة، قد تفقده الكثير من

---

(١) اكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة رقم ٣٢١.

(٢) الأنعام/ ٩١.

(٣) يس/ ٦٥.

وقته وجسمه وصحته، حتى يعود قلبه إلى السيطرة على أعضاء جسمه، وبالذات الصدر والدماغ، ولو لم يستطع فقد أحاطت به أعماله ووصل قلبه إلى الحدّ الذي يختم عليه، وهو مصداق قوله تعالى في الآيتين: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١)، إن التعبير بالإحاطة، أقصى غايات الدقة والتعبير عن حقيقة الغلاف الذي يغلف الإنسان غلافاً يحيط به من كل الجهات، وهذه الجهات هي جهات القلب، ثم اقرأ الآية التالية، و ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٢)، فبعد الاحاطة واكتمال مصير الإنسان الذي رسمه بنفسه ختم كتابه، فجاء الختم على القلوب، وأما ذكر الأيدي والأرجل الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(٣) فمن باب المثال لا من باب الحصر، أي أن كل جزء من أجزاء الإنسان متكلم، فالإحاطة هنا إحاطة بالقلب، بل كل الجسم لأنه المسيطر على جميع فعاليات الجسم، كما قرأت معنا حديثه ﷺ: ***(إن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)***(٤). وسنمر على واجب القلب الروحي عند تناولنا لموضوع الجهاز الحسيّ الدمي أو الروحي. إذن لو لم تكن للأرجل والأيدي بل جميع الموجودات القدرة على الكلام، كيف سبح الحصى في يد الرسول ﷺ؟ وكيف استمع إلى الضبية؟ وكيف استمع إلى البعير؟ وكيف جعل المنبر يحن إليه؟ وغيرها من المعاجز التي كانت في زمنه.

٧ ـ القلب وحياة الأعضاء المادية

The Heart & Material Organs Live,s

إن القلب هو العضو الوحيد الذي ترتبط به حياة الأعضاء المادية، وليس الدماغ محلاً للحياة، مع أن الحياة لم تعرّف لحدّ الآن، ولكن من خلال آثارها، فالموت

---

(١) البقرة/ ٨١. (٢) البقرة/ ٧. (٣) يس/ ٦٥.

(٤) صحيح البخاري ج١ كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ح٥٢، وكذلك السلسلة الصحيحة للألباني ج٦ باب٢٧٠٨، ح٤٦٥٦ مع اختلاف طفيف في اللفظ.

السريري لجميع أعضاء، الجسم وتوقف فعاليات الجسم تماماً، وبقاء القلب ينبض وكأنه لم يحدث شيء للإنسان، يدل بشكل قاطع على أن حياة الأعضاء المادية من القلب، وأن توقف الأعضاء عن العمل لا يعني أنها ماتت موتاً تاماً، بل بعضها قد مات، وهو المتعلق بالسمع والنطق والبصر والتحسس والشم والتذكر، وهناك نوع من الحياة بقي في الجسم، وإلا لو شملها الموت المعروف لتفسخت، كما يتفسخ جسم الإنسان بعد موته موتاً تاماً، وهذا يدل على أن القلب والدم لهما الأهمية العظمى في بقاء الحياة إن لم تكن الوحيدة وأن الدم يأخذ الحياة من القلب، فالقلب مركز الحياة ومنشأها وبقاؤها واستمرارها.

إن عودة الحياة إلى بقية أعضاء جسم الإنسان بعد الموت السريري الذي قد يصل إلى أشهر أو حتى إلى سنة، يدل على أن التحكم في القلب وليس في الدماغ، وأن إعادة الدماغ إلى العمل يتم من خلال القلب وليس العكس، نعم قد تكون عودة بقية أعضاء الجسم من خلال الدماغ، ولكن هذا لا يتم إلا بعد عودة الدماغ للحياة بقوة القلب وأمره، وهذا يدلل على مركزية القلب ومحوريته، وأنه العضو الوحيد للحياة.

ولو سألنا ما الذي أعاد الحياة إلى الجسم بعد هذا الموت؟ هل هو من الدماغ الميت أم هو من القلب الحي حياة تامة؟ أم من خارج الجسم؟ ويبقى السؤال من الألغاز المستحيلة الإجابة عليها، إلا أن يكون الجواب: أن القلب هو الذي أعاد الحياة، ويبقى الإشكال قائماً، أمن نفسه أعاد الحياة؟ أم من غيره؟ وإذا كان من نفسه، فما هي الظروف التي استجدت حتى أعطى القلب أوامره لعودة الحياة إلى الجسم؟ وإذا كان من غيره فلا بدّ أن يأتي الأمر للقلب لأنه العضو الوحيد الباقي على قيد الحياة بمعناها المادي، لا أن يأتي للدماغ فضلاً عن غيره.

إن الماديين الذين لا يعتقدون بالروح نحتج عليهم بالحياة المادية فقط، وأن وجودها في القلب وليس في الدماغ كما هو شائع يثبت صحة ادعائنا، وأما الذين يعتقدون بالروح، فنقول لهم إن الحياة الروحية والحياة المادية كلاهما في القلب، فإذا كانت الآيات التي ذكرت القلب وخصته بالحياة والتعقل والتفقه والسمع والأبصار كانت

تعني الأمور الروحية، فالعقل في القلب، وأما الحياة المادية ففي القلب أيضاً، فالموت السريري وعودة الحياة يعني أن الحياة في القلب وأن السيطرة والتحكم والإمرة له وليس للدماغ.

٨ ـ القلب والروح The Heart & Spirit

بعد أن عرفنا موقع الحياة وجهلنا معناها والتي لم تُعرف لحدّ الآن بشكل من الأشكال إلا من خلال آثارها كالنمو والفساد والتحسس والشعور وغيرها، لابدّ أن نجد العلاقة بين الحياة والروح، ومن هي القائدة ومن هي المنقادة؟

اقرأ معنا قول الإمام عليّ عليه السلام وسنقرأه لاحقاً وهو: ***(لقد علق بنياط الإنسان مضغة هي أعجب ما فيه وذلك القلب، وله أضداد من مواد الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده بالرضا نسي التحفظ، وإن غاله الخوف شغله الحذر، وإن اتّسع له الأمن استلبته الغرة، وإن أصابته مصيبة مسة الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عظته الفاقة شغله البلاء، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسدة)***[(١)]، فقوله «أعجب ما في الإنسان قلبه»، أوضح تعبير على عظمة القلب قياساً إلى غيره من أعضاء الجسم ومنها الدماغ، وهذا التعجب يبينه الإمام عندما يذكر ما فيه من الملكات التي يفتقر إليها أي عضو من أعضاء الإنسان من الحكمة وأضدادها، ولو لم يكن إلا هذا الصفة ـ الحكمة ـ لكفى القلب ذلك لأن من أُتي الحكمة فقد أُتي خيراً كثيراً وهو قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[(٢)]، هذه الحكمة تحتاج إلى أمرين مهمين وهما الحياة المادية والروح. الحياة شيء مجهول وموجود في كل مخلوق،

---

(١) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف اللام حكمة١٤٣.

(٢) البقرة/ ٢٦٩.

حتى ما يسمى بالجماد ففيه حياة بقدره، وهذا الموجود مكلف بقدر هذه الحياة: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[(١)] فهذه الموجودات تسبح الله وتصلي، وإذا أشكلت علينا بـ (مَنْ) للعاقل فقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[(٢)]، و(ما) لغير العاقل، فهذا التسبيح إما أن يكون بالتسخير وإما أن يكون بالإرادة، ولكن النتيجة منهما أن هناك تعقل للعمل، كما نتعقل نحن بني الإنسان عمل بعض أعضاء جسمنا كالهضم مع أننا ليس لدينا إرادة في إيجاده، أو فرز العصارات الداخلية في جسمنا بغير علمنا، ولكن بمعرفتنا لها.

إن هذا العمل لا يتم إلا من خلال الحياة، فكل جسم حي مهما صغر أو كبر عقل أم لم يعقل لحياته أو عمله، ففيه حياة، إلا أن هذه الحياة تزداد أو تقل بحسب القابل لها، فهي كالماء النازل من السماء فتسيل أودية بقدرها قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[(٣)]، فهذه الحياة هي التي تكون لها القابلية على استضافة الروح، ولا يمكن للروح أن تحل بجسم حياته قليلة الشدة، ولذلك لا نجد روحاً في الحجر ونجدها في الحيوان الراقي كالبقر والإبل وغيرها، وهكذا كلما ارتفعت الحياة وسمت وشمخت كلما زادت وسمت الروح التي فيها أو التي تحل فيها، فالعلاقة بين الحياة والروح علاقة طردية، والحياة والروح مثل مجموعة أضواء من نوع واحد ولكنها تختلف بالشدة، وكالوجود الصادق على كل موجود لكنه يختلف بالشدة والضعف، وعليه فالحياة لها ثلاث مراتب هي:

المرتبة الأولى: التسخير، وهذه موجود في جميع موجودات عالم الإمكان.

المرتبة الثانية: الغريزة، وهذه موجود في الحيوان ومنها الإنسان وقد تكون في

---

(١) النور/ ٤١.
(٢) الجمعة/ ١.
(٣) الرعد/ ١٧.

النبات، كما في الحديث: *قال النبى صلى الله عليه وآله في النخلة: (استوصوا بعمتكم خيراً)*(١).

المرتبة الثالثة: وهي الإرادة، وهذه موجود في الإنسان فقط، وهي ذات مراتب باختلاف القابل لها، وهذه الإرادة لها شحنتان وهما الإيجابية والسلبية، وبتعبير إلهي، رحمانية وشيطانية.

وهناك من يعتقد بمرتبة رابعة وهي مرتبة العقل وهي في حقيقتها تعود إلى المرتبة الثالثة وهي مرتبة الإرادة، وهذه موجود في الملائكة والمعصومين عليهم السلام وهي أيضاً لها مراتب مختلفة باختلاف القابل لها.

أكدت الأبحاث العلمية أن شدة التيار الكهربائي في القلب أكبر ٥٠ مرة من شدة التيار الكهربائي للدماغ، وأن شدة الشعاع الكهرومغناطيسي للقلب أكبر ٥٠٠٠ مرة منها في الدماغ، وعليه أعتقد أن علاقة الروح بالحياة في الإنسان أو في الحيوان الراقي تعتمد على شدة التيار الكهربائي والشعاع الكهرومغناطيسي، وأن الروح لا تحل في الحياة الفاقدة إلى نسبة متدنية محددة من هذه الحياة ومن شدة التيار الكهربائي والشعاع الكهرومغناطيسي، فكلما كانت شدة التيار الكهربائي والكهرومغناطيسي عالية كانت الروح عالية بهذا القدر، وكانت لها القدرة في التأثير على الآخرية بصورة أشد، فشرط تحقق الروح العالية كأرواح المعصومين عليهم السلام هو وجود الحياة الكاملة، وشدة التيار الكهربائي والكهرومغناطيسي، وهذا هو حال العلماء صعوداً إلى الأنبياء والأوصياء، فهؤلاء لهم من القدرات ما يؤثّرون على من يقابلهم تأثيراً شديداً وذلك بسبب شدة الحياة أولاً فيتبعها شدة التيار الكهربائي والتيار الكهرومغناطيسي فتتبعهم شدة الروح، ولهذا أعتقد جازماً أن العقل في القلب من هذه المقاربة العلمية.

أما موت الإنسان أو الحيوان ذي الروح، فهو دنو الحياة إلى مرتبة التسخير

---

(١) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق ج٤ باب ميراث الخنثى ح٣.

وخلوها من مرتبتي الإرادة والغريزة تماماً فيعود الإنسان إلى أصله الذي خلق منه وهو التراب والماء كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[(١)]، فيصبح رميماً، وأما العود في الآخرة فيعود الإنسان إلى عالم الذر أو عالم العقل بجسد أخروي مناسب لتلك النشأة، وهي حياة خالية من الغفلة والسهو والتكليف فيملك كل تلك الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِىَ ٱلۡحَيَوَانُ ۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[(٢)] فتكون الروح في الآخرة هي الحياة والحياة هي الروح، ففريق في الجنة وفريق في النار، والحياة هناك إما أشد النعيم الأبدي الذي لا زوال له ولا اضمحلال ولم يسمع به ولا يخطر على بال أحد، أو العذاب الذي لا ينتهي وذلك لشدة الروح، نستجير بالله منه، متشفعين بمحمد وآل محمد ﷺ، والفارق بين جسد أهل الجنة من جسد أهل النار، أن جسد الجنة خالد لا يتغير، وأما جسد النار يتغير وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾[(٣)] ولكن مع بقاء الروح على حالها وشدتها، ولكونها في أعلى درجات الشدة والتعقل فالتحسس في أعلى درجاته، ولذلك لا عذاب أشد من عذاب الآخرة ولا نار أحر من نارها، ولكون الروح والعقل محلهما القلب كانت النار الأخروية تطلع على الأفئدة قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾[(٤)].

إن طريق هذا العلم طويل وشاق وعسير، وخاصة على باحث مثلي، ليس له من القابليات والمؤونة على الخوض في مثل هذا البحر المتلاطم الأمواج الغامض بكل جوانبه، إضافة إلى انعدام البحوث في هذا المجال وفقدان الأجهزة الطبية وفقدان علم الفسلجة الروحية، لأن أصل التفكير بهذا الموضوع غير موجود، ولعل هذا البحث يفتح أبواب الخوض في هذا العلم.

---

(١) السجدة/ ٧.
(٢) العنكبوت/ ٦٤.
(٣) النساء/ ٥٦.
(٤) الهمزة/ ٦ ـ ٧.

٩ ـ تغذية القلب Heart,s Feeding

أ ـ التغذية الروحية Spiritual Feeding

١ ـ الغذاء المادي الذي يساعد على عمل القلب الروحي:

أولاً: بشكل عام كثرة الطعام تؤثر على عمل القلب، فهي تؤدي إلى قساوته، وهذه من أمراض القلب الروحية، فإن القساوة هي الخلُق السيىء مع الناس والتعامل اللاإنساني ونبذ الرحمة والعطف وهو مرض روحي يدركه العقل وتشمئز منه النفوس، وليس للأبدان اشمئزاز منه، قال رسول الله ﷺ: ***(لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلوب تموت كالزرع إذا أكثر عليه الماء)***[1]. وقال ﷺ: ***(من قل طعامه صح بدنه وصفا قلبه، ومن كثر طعامه سقم بدنه وقسا قلبه)***[2].

ثانياً: تأثير الأكل الحلال والأكل الحرام.

للأكل الحلال والأكل الحرام تأثير مباشر على قلب الإنسان، فقد وصفهم القرآن بأنهم أكالون للسحت قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ ... ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾[3]، أي المال الحرام، وقال الإمام عليّ عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: ***(إن اللسان ينزح من القلب، [والقلب] يقوم بالغذاء، فانظر فيما تغذي به قلبك وجسمك، فإن لم يكن ذلك حلالاً لم يقبل الله تسبيحك ولا شكرك)***[4].

وقال الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف عندما وجه خطابه إلى عسكر عمر سعد ابن أبي وقاص ناصحاً لهم: ***(قد انخزلت عطياتكم من الحرام، ومُلئت بطونكم من***

---

(١) الشفاء في الغذاء في طب النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام/ السيد حسين نجيب محمد ص٢٣٢.

(٢) الشفاء في الغذاء في طب النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام/ السيد حسين نجيب محمد ص٢٣٦.

(٣) المائدة/ ٤١ ـ ٤٢.

(٤) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الهمزة حكمة رقم ٢٨٥٢، وفي كتاب الشفاء في الغذاء يبوح بدلاً من ينزح ص٧٠.

الحرام، فطبع الله على قلوبكم)[١].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[٢].

إن القرآن لم يحدد أولاً طبيعة هذا الطعام، كما أنه لم يحدد أثر الطعام، أهو على الإنسان روحياً أم جسدياً؟ ولترك القيد فلا قيد، أي أن الطعام منه ما له تأثير على الروح (أو القلب) ومنه ما له تأثير على الجسد، ومنه ما يؤثر على الاثنين معاً وكلاً منهما يؤثر بالآخر، لأن العقل السليم في الجسم السليم، وبتعبير آخر القلب السليم في الجسم السليم، لذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

طبعاً لا أريد أن استعرض أحاديث النبي ﷺ وأقوال الأئمة عليهم السلام فإنها أكبر من يسعها هذا المختصر أولاً ولأن الكتاب ليس لغرض الطب والتغذية المادية، إنما شواهد الأحاديث والأقوال لصدق المدعى وصحة الاستنتاج.

إن كثرة الطعام وقلته لها التأثير المادي الأول في ذكاء الإنسان وفطنته وقدرته على التعقل والإيمان والتفكر، فزيادة الأكل تذهب بالفطنة، وقلته تصفي فكره، قال الإمام علي عليه السلام: *(البطنة تذهب بالفطنة)*[٤] وقال: *(من قل أكله صفا فكره)*[٥]، وأن النبي الأكرم ﷺ يصف المعدة ببيت الداء، ويعتبرها شر وعاء، قال ﷺ: ***(المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء..)***[٦]، وقال: ***(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بدّ فعالاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه)***[٧].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام/ للخوارزمي ج٢ ص٩.
(٢) عبس/ ٢٤.
(٣) الشعراء/ ٨٩.
(٤) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص ٣٤.
(٥) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص ٣٤.
(٦) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص٩٥.
(٧) الشفاء في الغذاء السيد حسين نجيب محمد ص ٢١٨.

بعض أنواع الطعام

ـ **العسل**: قال النبي الأكرم ﷺ: ***(من شرب العسل في كل شهر مرة عوفي من سبع وسبعين داء)***[1].

ـ **السفرجل**: قال الإمام عليّ عليه السلام: ***(أكل السفرجل قوة للقلب الضعيف وهو يطيب المعدة ويذكي الفؤاد ويشجع الجبان ويحسن الولد)***[2].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: ***(العسل شفاء من كل داء ولا داء فيه، يقل البلغم ويجلو القلب)***[3].

ـ **الخلّ**: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ***(الخلّ يشدّ العقل)***[4]، ويشد العقل، يعني يقوي أو يشد القلب، لأن العقل في القلب.

ـ **العدس**: عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ***(عليكم بالعدس، فإنه يرق القلب ويكثر الدمعة...)***[5].

التغذية الروحية، إما أن تكون فعلاً أو قولاً أو تفكّراً، فالفعل كالصلاة والصيام والجهاد، والقول كالدعاء والمناجاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما التفكر كالتفكر في خلق الله تعالى أو التفكر في أسباب العبادة أو التفكر في هموم الناس وأولهم المسلمين وأسبق منهم المؤمنين.

التغذية الروحية عبارة عن تقوية النفس في مواجهة متطلبات وحاجات الجسم وملذاته، كالأكل والشرب والجنس والجاه والمنصب، وهذا هو المبدأ الأول، والمبدأ الثاني ترك الكذب والخيانة والعجب والرياء والنفاق، وهو المبدأ الأخلاقي الأول المسمى بالتخلي، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ***(الله الله عباد الله أن ترتدوا رداء الكبر***

---

(١) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص٤٧٤.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الهمزة حكمة ٢٥٠٤.

(٣) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص٤٧٤.

(٤) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص ٤٨٣.

(٥) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص ٥٢٩.

فإن الكبر مصيدة إبليس العظمى التي يساور القلوب مساورة السموم القاتلة)[١]، ثم بعد ذلك تغذية النفس بالغذاء الروحي أو النفسي الحسن، وهو المبدأ الاخلاقي الثاني وهو التحلي بالقيم والأخلاق الحسنة، كالكرم والشكر والتوكل على الله تعالى والصبر والصدق والمروءة والأمانة وغيرها من تلك القيم والأخلاق، ثم بعد ذلك الوصول إلى التلبس بالقيم السابقة حتى تكون هي هو وهو هي، وهو المبدأ الأخلاقي الثالث المسمى بعلم الأخلاق بالاتحاد وبالعرفان التجلي، لأن أسماء الله تعالى وصفاته تتجلى في عبده، وأصدق هذه الأمثلة هم المعصومين من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ثم الأولياء ثم العلماء بظلهم.

إن الأغذية الروحية كثيرة المصاديق ويكفي هذا المؤنة كتاب إقبال الأعمال لابن طاووس والمصباح للكفعمي ومفاتيح الجنان.

قال الإمام عليّ عليه السلام: ***(أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله)***[٢]، وقال عليه السلام: ***(السجود النفساني فراغ القلب من الفانيات والإقبال بكنه الهمة على الباقيات وقطع الكبر والحمية وقطع العلائق الدنيوية والتحلي بالأخلاق النبوية)***[٣].

٢ ـ الغذاء الروحي الذي يساعد على عمل القلب الروحي

أما هذه الأغذية فهي:

أ ـ قراءة القرآن، أو الكتب الخاصة بأصحاب الشرائع السماوية سواء المحرفة أو غير المحرفة، كالإنجيل والتوراة والزبور والگنزاربا أو أصحاب الديانات وإن كانت وضعية، كالبوذية والهندوسية وغيرها من الديانات الأخرى، وإن كان تأثيرها قليلاً لاعتماده على الجانب النفسي فقط وفقدان الأثر الوضعي (التكويني) لهذه الكتب، مع أنها باطلة عندنا، ولذا فإن أثرها نفسي فقط، لاعتقاد المعتقد بصحتها.

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة/ ٣٤٤٣.
(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة/ ٨٥٩.
(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الهمزة حكمة ٢١٥٩.

ب ـ الأخلاق الحميدة كافة ومنها: ـ ١ ـ الكرم ٢ ـ العفة ٣ ـ الأمانة ٤ ـ الصدق ٥ ـ الإخلاص ٦ ـ الإيثار ٧ ـ التضحية ٨ ـ مساعدة الآخرين ٩ ـ الحرص ١٠ ـ الشجاعة ١١ ـ التواضع ١٢ ـ الحلم ١٣ ـ الصبر.

ولكن قبل التحلي بالأخلاق الحميدة لا بدّ من التخلي من الأخلاق الرذيلة، أو قل ترك أضداد الأخلاق الحميدة الآتية، وإن كان التخلق بها لنفسها أو لعمل إنساني، ولكن مع القربة أشد وأقوى.

ج ـ قراءة الأدعية الخاصة بكل مناسبة، سواء المتعلقة بالزمان أو المتعلقة بالمكان أو المتعلقة بهما مجتمعين.

د ـ الزهد بين النفس وربها، وإشعار القلب بالزهد، وهو: أن لا يتملكني الشيء، بل أنا المالك له، فمتى شئت أكلت أو شربت أو لبست أو نمت ومتى شئت جعت أو نزعت أو نهضت.

هـ ـ الذكر: وهو من أكثر الأغذية الروحية للقلب، لأنه يجعل الإنسان على اتصال دائم مع الله تعالى، فلا يظلم ولا يفسد ولا يحيف ولا يكفر ولا يخطأ متعمداً، لأنه نور يقذف في القلب، فلا يكون مظلماً بعد، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ***(استديموا الذكر فإنه ينير القلب وهو أفضل العبادة)***[1].

و ـ الرحمة: إن إشعار القلب بالرحمة، وتذكر رحمة الله تعالى عليك يجعلك واسع الصدر متسامحاً عفوّاً، لا تأخذ وإن أخذ منك، بل تعطي من أخذ منك حقك، لا عن ضعف بل عن قوة، قال الإمام عليّ عليه السلام: ***(اشعر قلبك رحمة لجميع الناس والإحسان إليهم ولا تنلهم حيفاً ولا تكن عليهم سيفاً)***[2].

ب ـ التغذية المادية Material Feeding

ولنعد إلى التغذية المادية، ونقصد بالتغذية المادية الطعام الذي يساعد على عمل

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة ٣٢٠.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة ١٨٤.

القلب عملاً مادياً باعتباره عضو دفع الدم إلى أعضاء الجسم، وأن هذا الغذاء المادي له فائدة مادية، أي عملية، على عمل القلب مادياً، أي القدرة على العمل بصورة منتظمة وبقوة تتناسب مع حجم الجسم وأعماله الجسدية، إضافة إلى عمله في تغذية الدماغ، فإن هذا العمل يعد من الأعمال المادية أيضاً وليس من الأعمال الروحية، فإن التفكير بالدماغ (المخ) ليس من الأعمال الروحية ولا من الأعمال العقلية البحتة، بل هو عمل من نتائج الطعام المادي، وأن التفكير الدماغي، وبالتحديد التفكير المخي هو عمل مادي لأنه يعتمد على الأشعة التي يبعثها الدماغ أو المخ تحديداً وعلى كمية الغذاء المادي الذي يصل إلى الدماغ من خلال الدم وكذلك كمية الأوكسجين الواصل إلى الدماغ.

يحتاج القلب المادي إلى الغذاء المادي المكون من اللحوم والفواكه والخضر والنشويات والسكريات وغيرها من الأغذية بحسب اختلاف الظرف والعمر والعمل وسلامة وسقم القلب، كما أن أغذية القلب الروحية كثيرة، منها أغذية روحية بحتة، ومنها أغذية مادية لها مدخلية وتأثير على القلب الروحي.

الأغذية المادية مرة أخرى وبشكل مفصل قليلاً فنقول:

إن هذه التغذية لا تهمنا في هذا البحث، لأن البحث ليس بحثاً مادياً، بل هو بحث روحي، عقلي تسنده الأبحاث العلمية المادية، وأما الجانب المادي فبقدر تأثيره على عمل القلب روحياً، وبعبارة علمية مدى تأثيره على القلب عقلياً، لأن البحث عن علاقة العقل بالقلب و بالدماغ، لأننا نعتقد من خلال البحث المؤيد بالأدلة من القرآن والسنة النبوية وأقوال أهل البيت عليهم السلام، وبالأدلة العلمية والأدلة العقلية، أن العقل في القلب لا في الدماغ أو تحديداً في المخ.

تناولنا في موضوع الدم في الفصل الثاني الأغذية التي تؤثر على عمل الإنسان وذلك من خلال الاختلاف في فصيلة الدم، والكلام نفس الكلام عن علاقة الغذاء المادي بالقلب وتأثيره على عمل القلب روحياً، فراجع أغذية الدم في الفصل الثاني من هذا الباب.

١٠ ـ القلب والأخلاق The Heart & Manners

هذا البحث لا يعتمد الأسلوب التجريبي وإنما يعتمد الروايات والتفسير الاجتماعي للأخلاق، لأن الأخلاق لا تخضع للتجارب المختبرية، وإنما تخضع للتجارب الاجتماعية، وهي التحليل النفسي والاجتماعي للظواهر التي تحدث في المجتمع، وتغير عادات وطبائع المجتمعات منفردة أو مجتمعة، وظهور قيم وأخلاق جديدة لم تكن من قبل.

نحن نعتقد كما يعتقد غيرنا من علماء الأخلاق أو علماء الاجتماع أن الفرد الذي يعيش مع قوم ولفترة زادت أو قلت يتأثر بأخلاقهم وتصرفاتهم، ويسلك سلوكهم وتتغير نظرته للحياة أو القيم والأخلاق بحسب ذلك المجتمع الذي يعيش فيه.

قبل الخوض في هذا الموضوع نسأل أهل العلوم المادية، الذين لا يعتقدون أن وراء هذا الجسد المادي أمر آخر، ماورائي روحي نفسي، سمه بما شئت، فنقول:

إذا كانت المادة عند الإنسان واحدة وهي اللحم والعظم والدم والماء وغيرها من مكونات جسم الإنسان، فمن أين نتجت الأخلاق والتي هي ليست بمادة، ولا من نتاج المادة؟ لأنه لوكانت من نتاج المادة لكانت النتيجة واحدة، وهي أن يصطبغ الناس جميعاً بخلق واحد، أو بأخلاق متعددة ثابتة، فكل الشعوب كريمة وشجاعة وعفيفة وذكية ومؤمنة، وغيرها من الصفات الأخلاقية، ولا صار هنا الشجاع وهناك الجبان، ولا صار هنا الشريف وهناك الوضيع، ولا صار هنا المؤمن وهناك الكافر، مع أن هذا الاختلاف يشمل صنفاً من الناس يحملون فصيلة دم واحدة ونوع العظم ونوع اللحم واحد، فمن الذي أكسب هؤلاء الناس صفة أخلاقية واحدة، وكيف يكون نتاج المادة الواحدة مختلفاً عنها، بحيث يكون الناتج لا مادي، نعم اختلاف الظروف المادية يؤدي إلى اختلاف النتائج المادية، ولكن كيف تكون النتائج في غير حدود المادة، أي الأخلاق والعادات والعقائد؟ فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا

بِأَنفُسِهِمْ﴾(١) دليل على أن التغيير في النفس لا في المادة، فحال الإنسان مادياً يتغير بتغير النفس تغيراً سريعاً، نعم يمكن تغير النفس بتغير المادة ولكنه يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن، أي تغيراً بطيئاً حتى يتحول هذا الأثر المادي إلى أثر روحي (نفسي، عقلي).

أقول: إن تغير النفس الذي يستلزم تغير المادة ولكن هذا التغير لا يمكن ملاحظته إلا بعد فترة طويلة، والحقيقة أن هذا التغير المادي تغير آني لا يتأخر، لأن اكتمال العلة يستوجب خروج المعلول إلى الوجود، ولكن الأجهزة العلمية المعاصرة لا يمكنها كشف هذا التغير، لأنها تبحث في حدود المادة فقط، كما قال العالم الأمريكي البروفيسور أرثر كابلان (Arthr Caplan) رئيس قسم الأخلاق الطبية في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قال: *«إن العلماء لم يعطوا اهتماماً لهذه الظاهرة، بل إننا لم ندرس علاقة العاطفة والنفس بأعضاء الجسم، بل نتعامل مع الجسم وكأنه مجرد آلة»*(٢) ولو قدر للإنسان أن يخترع أجهزة تبحث عن خفايا النفس أو خفايا العقل لتمكن من كشف أمراض العقل وتبعاً له أمراض النفس، أي الأمراض الروحية (العقلية، النفسية).

إن قدرة الإنسان على المحافظة على قيمه وأخلاقه على وفق عقيدته وعدم تأثرها بالآخرين، هو المعيار الوحيد في معرفة قوة هذه الشخصية، والأقوى منها هي تلك الشخصية التي تستطيع أن تغير بعقيدة المجتمع بمفردها، وهذا هو السبب الذي جعل الكتّاب الذين كتبوا عن أعظم مائة شخصية في التأريخ أن يضعوا النبي الأكرمﷺ في مقدمة هؤلاء جميعاً *«إن اختياري محمداً[ع]، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش، القرّاء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح [ع] في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى [ع] في اليهودية، ولكن محمداً [ص] هو*

---

(١) الرعد/ ١٢.

(2) Science of heart, Institute of HeartMath.

الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وحّد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها»[١]. كذلك شخصيات كان لها دور كبير في تغيير مسيرة العالم، بغض النظر عن إيجابيته أو سلبيته، منهم بوذا الذي رسم له ديناً خاصاً وأتبعه الملايين ومنهم زرادشت وهتلر وآينشتاين وغيرهم إن تأثير وتأثر الإنسان بالقيم والعقائد السائدة في المجتمع يتم بطريقين:

الطريق الأول: المخطط له، وهذا ينقسم إلى قسمين، **الأول**: وهو التخطيط الإيجابي، وهو من واجب القائم بهذا العمل، بل إن أصل وجوده في المجتمع لهذا الغرض المهم، وهو أن يخبر المجتمع وأن يقوده للتخلق بالأخلاق الحسنة التي يريدها الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢]، وهذا الدور واضح من مسؤولية الأنبياء والمرسلين والأوصياء ومن بعدهم العلماء ورجال الدين وعلماء الأخلاق، ولما كانت الرسل حجج خارجية كان لابدّ من وجود حجج داخلية في الإنسان، وإلا لا يمكن أن يقيم الله تعالى على الناس حجته الخارجية مع عدم القدرة على التعامل معها، أي وجود الحجة الداخلية، ولوجودهما فلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والداخلية هي التي يسميها القرآن الفطرة، قال الإمام الصادق عليه السلام: ***يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ، وأما الباطنة فالعقول***.[٣].

والقسم الثاني: ما عليه الآن المجتمع الغربي ولحقه المجتمع الشرقي والمجتمع

---

(١) الخالدون مائة/ مايكل هارت ترجمة أنيس منصور.

(٢) النساء/ ١٦٥.

(٣) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح١٢.

العربي والمجتمع الإسلامي من نشر لأفلام الجنس المبتذلة والخلاعة والسلب والنهب والغش والخداع وكل ما يتصل بالأخلاق الرذيلة التي حاربها الأنبياء والمرسلون والأوصياء والعلماء عامة.

والطريق الثاني: العمل من غير التخطيط له، أي العفوي، وهو ما يقوم به عامة الناس، سواء كان العمل إيجابياً أو سلبياً.

عمل الجينات الروحية Spiritual Gens Function

إن هذا البحث يعتمد على فكرة أن الإنسان مكون من جنيتي المادة والروح، وأن كل عضو بل كل جزء من جسم الإنسان يحتوي على الجنيتين، فما نراه ظاهراً فهو من عالم المادة والخلق، أو عبر عنه بعالم الملك أو عالم الشهادة، أما الجنية الأخرى فهي جنية الروح أو الأمر أو الملكوت أو الغيب، فكل هذه التسميات تصح عليها.

إن عالم الملكوت ليس فقط في السماء، وإنما في الأرض كذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾[1] فكل عضو ظاهره ملكي وأما باطنه ملكوتي وإن كان في الأرض، بل أن الحياة الدنيا فيها الملك والملكوت، قال تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾[2].

إني أعتقد أن أخلاق الناس التي تنتشر في الفضاء الخارجي والتي يتنفسها الإنسان والأخلاق المذابة في الشراب والطعام التي يتناولها الإنسان ـ كما ستراه في الدورة الدموية الروحية ـ تؤثر في خلايا الإنسان ما تجعله يكتسب قيماً أخلاقية تترسب في خلايا جسمه، وكذلك الخلايا التي تنقل الصفات الوراثية (الجينات) وبشكل يجعل الإنسان حاملاً لهذه الصفات ثم يُوَرّثها لأبناؤه. بل أعتقد أن هذه الأخلاق تنعكس على شخصيته الحاضرة فتكسبها تلك الأخلاق والقيم، إن سلبية فسلبية وإن إيجابية فإيجابية.

---

(١) الأنعام/ ٧٥.
(٢) الروم/ ٦ ـ ٧.

أما طريقة ترسب هذه القيم والأفكار والأخلاق في الجينات فيتم بثلاثة مستويات أحتملها، واحتمالها ليس من الوهم بل من بعض المكتشفات العلمية ومن خلال الروايات، وقد يتم اكتشاف أغلبها لاحقاً.

أنقل لك عزيزي القارئ ما يقوله العالم بيتر دادامو عن أصحاب الفصيلة (٥):

إن شخصية أصحاب هذه الفصيلة: كل شخص من فئة (٥) يملك في جيناته ذكريات القوة والقدرة على التحمل والاعتماد على النفس والإقدام والحدس والتفائل الفطري[١].

لم يقل لنا بيتر دادامو لماذا فقط أصحاب هذه الفئة يملكون في جيناتهم ذكريات القوة والقدرة، والاعتماد على النفس، ولماذا الحدس وهو من الأمور الأخلاقية التي ليس لها جين يحملها كما يقول أصحاب الوراثة المادية.

إن الجين يحمل في داخلة كل ما يتعلق بالإنسان من مادة وروح، وإليك المستويات:

المستوى الأول: أعتقد أن الجينات المسؤولة عن صفة معينة يبقى قسم منها غير مسؤول عن شيء أي أن فيها القابلية على التأثر واكتساب صفات أخرى ليس لها علاقة بالعوامل الوراثية المادية، من لون بشرة ولون عين وكيفية شعر وغيرها من الصفات الوراثية المادية، إنما هي قابلية الجينات على استقبال صفات روحية أي أخلاقية وقيمية وعقائدية، وأن هذه الصفات مثلها مثل الصفات المادية تنتقل إلى الأبناء والأحفاد، ومنها ما هو متنحي ومنها ما هو سائد، وأن هذا المتنحي قد يتحول بمرور الزمن إلى متسيد ويتحول المتسيد إلى المتنحي.

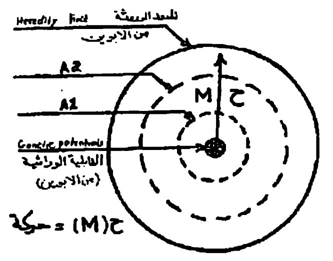
يقول الأستاذ المساعد الدكتور وليد خضير المراني في كتابه المدخل إلى الوراثة:

من الممكن تصوير العلاقة بين الوراثة والمحيط إذا مثلنا (للوراثة) بمحيط يحدد مستقبل الفرد الفعلي والفيزياوي والمظهري، كما في الشكل في أدناه، فلو افترضنا بأن محيط

---

(١) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص١٠٨.

الدائرة الكبرى يمثل الحدود الموروثة التي لا يمكن أن يتعداها الفرد والنقطة الوسطية للقابلية الوراثية أو الموروثة، فإن دور البيئة والمحيط يأتي بإعطاء المجال للقابلية الوراثية الكامنة المحددة بالجينات أن تصل إلى غاية الحدود الموروثة[1].



شكل رقم (٢) العلاقة بين الوراثة والمحيط

إنني أعتقد أن عمل الجين كعمل الرام (RAM)[2] قراءة وتسجيل الذاكرة، فالجين يقوم بقراءة ما يواجه الإنسان من ظروف بيئية سواء كانت مادية أو اجتماعية ـ أخلاقية وعقائدية ـ ثم يقوم بتسجيلها فتكون جزءاً من كيانه، وهذا ما نسميه بالصفات المكتسبة، والشواهد المادية كثيرة وواقعة تحت التجربة المختبرية، وأما الشواهد الاجتماعية فكثيرة أيضاً وواقعة تحت المشاهدة الحياتية اليومية لتصرفات الأبناء المشابهة لتصرفات الآباء. إن كل رام له حجم ثابت في مستوى استيعابه، فلو لم يكن ممتلئاً كان بإمكانه أن يستوعب معلومات جديدة، وهذا هو الذي نسميه بالصفات المكتسبة.

انظر عزيزي القارئ إلى الشكل التالي الذي يمثل العوامل الوراثية الروحية (القيم والأخلاق)، تجد أن الرسم الأيمن رقم (١) يمثل العوامل المكتسبة، وهي تمثل الزيادة على ما موجود في العوامل الوراثية (الجينات) كما يشير إليه السهم ح (M) الذي يعني

---

(١) المدخل الى الوراثة/ وليد خضير المراني ص٢٢ عن كتاب المدخل الى الوراثة د. س فالكونر(ملاحظة: الشكل في الكتاب فقط الدائرة الخارجية وهي الصفات الموروثة والمركز وهو القابلية الوراثية والدائرة المنقطة، وأنا أضفت إليه العبارات من الأبوين وتسمية المدارات وأضفت إليه مداراً واحداً).

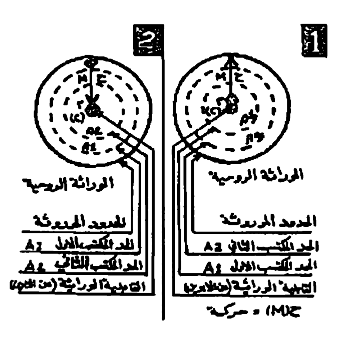
(٢) مختصر RAM (Read And whrite Memory)

اتجاه الحركة، فتجد أن القيم والأخلاق التي عليها الجنين حين الولادة يمكن أن يكتسب غيرها، فيزداد شيئاً فشيئاً كما هو واضح في الرسم، فينتقل إلى A1 ثم إلى A2 وهكذا حتى يصل إلى مستويات عالية ليس لها حدود إلا حدود المخلوق نفسه على ما أراده الله له.

وبالمقابل فالشكل رقم (٢) يمثل العوامل الوراثية المفقودة في مسيرة الإنسان، فينتقل من المستوى العالي إلى مستوى A1 ثم إلى المستوى A2كما يشير السهم ح (M)، فيصل الإنسان إلى أدنى ما يمكن أن يصل إليه حتى يكون كالأنعام، بل أضل سبيلاً.

في الشكل رقم (١) يمثل الحالة الطبيعية لعملية اكتساب الصفات الوراثية، فالمركز يمثل حاله حين الولادة، فينتقل من المركز إلى المستوى الأول ثم إلى المستوى الثاني ثم إلى المستوى المعبر عنه بالمحيط الخارجي. أما الرسم رقم(٢) فيمثل الحالة المعكوسة، فلو ولد الإنسان بمستوٍ راق كما هو في محيط الدائرة ثم انتقل إلى المستوى الأول الأدنى ثم إلى المستوى الثاني ثم إلى المركز، فهو كالأنعام بل أضل سبيلاً، وكلاهما بفعل الإنسان نفسه.

المستوى الثاني: في هذا المستوى هناك من الجينات التي لا تحمل أية صفة وراثية، بل هي حرة تتأثر بالطبيعة والتغيرات البيئية والقيم والعقائد والأخلاق والأفكار، وهذه الجينات أعتقد أنها لم تكتشف لحد الآن وظيفتها الروحية بل حتى المادية، وأن اكتشافها يحتاج إلى أجهزة من نوع خاص، ليس كهذه الأجهزة المتداولة بين العلماء، إنما هي أجهزة تعمل من خلال تأثير القيم والعقائد على الفعل المادي للإنسان ونتائج تلك التأثيرات.



شكل رقم (٣) مخطط عمل الجينات الروحية

يقول أحد الباحثين في علم الوراثة: *إن هناك ما يقرب من أربعة إلى ثمانية عوامل*

وراثية غير طبيعية بالرغم من عدم تأثيرها[١].

ويقول آخر تحت عنوان المتتابعات الغير وظيفية:

الجينات الكاذبة والمتتابعات الأخرى المتكررة وكذلك المتتابعات الغير متكررة والغير موظفة توظيفاً معلوماً لنا، كل هذه المتتابعات تشترك في خاصية واحدة وهي عدم قيامها بوظيفة معينة محددة معلومة لنا حتى الآن، أي أنها مادة وراثية بدون وظيفة، وهي ما أطلق عليه Non functionale DNA، وهي أسماء تعني متتابعات من القواعد النتروجينية، نقصد جينات أو أجزاء من المادة الوراثية لا تشارك بشيء في وظائف الخلية، فإذا ما غابت أو فقدت لسبب أو لآخر فإن الخلية تستطيع أن تكمل حياتها بطريقة طبيعية تماماً[٢].

إن الأستاذ لو رجع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٣]، لما قال هذا الرأي الذي ينم عن عدم اهتمام بالقرآن الكريم، ولو اكتفى بأن العلماء لم يصلوا لعملها لكان أصوب من قوله لو غابت أو فقدت لأكملت الخلية عملها بصورة طبيعية تماماً، والأصوب منه، أن يقول: إن الخلية لو فقدت هذه الجينات لكان ما يحدث في الإنسان كما يحدث عند زيادة الجينات، كما هو في المنغولي.

والكلام نفس الكلام هنا كمشابهة بين الرام والجين، وهذه الجينات لها القدرة على التكيف على أية صفة مادية أو روحية، بل هي أفضل من الجينات ذات الوظيفة لسعتها الكاملة وعدم استعمالها لوظيفة ما.

إن قدرة القلب على التحكم بهذه الصفات تمكّن الإنسان من الرقي إلى أعلى المستويات العقلية والبدنية، فالجسم السليم في القلب (العقل) السليم من هذا الباب، وهذا هو الذي يجعل الإنسان مخيراً في تغيير عقيدة نحو الله تعالى ومتسارعاً في المسير

---

(١) النفس والجسد/ أنس شكشك ص٢٣.

(٢) علم الوراثة/ أ. د عبد السميع مصطفى الباب الثاني طبيعة وبناء المادة الوراثية ص٨٩، إصدار عام ٢٠١٠م.

(٣) القمر/ ٤٩.

إليه تعالى خلافاً لأبويه أو مورثه للصفات الأخلاقية والعقائدية، بل إن واجب هذه الجينات لهذا الغرض بالأساس لأن الصفات الوراثية المادية شبه كاملة بالفعل، أما الصفات الوراثية الروحية فمنها ما هي كاملة بالفعل ومنها كاملة بالقوة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[1].

المستوى الثالث: في هذه المستوى نعود إلى الجينات المادية ولكن بوظيفة روحية، أي عقلية. تقوم الجينات المختصة مثلاً بالعين أو بأي صفة من الصفات ـ سواء اللون أو الحجم أو درجة البصر ـ بحمل الصفات الوراثية الروحية للعين، والتي تحمل معها الصفة الأخلاقية من غض البصر وعدمه من الحسد وعدمه أو ضعفه، وهكذا بالنسبة للسان في اللفظ البذئ واللفظ الحسن أو الفم في أكل الحلال أو أكل الحرام، فتحمل هذه الأعضاء معها أخلاق العين واللسان والفم وهكذا بقية الأعضاء لبقية الصفات الوراثية الروحية.

إن ما قيل من أن الطبع يغلب التطبع، أنا أقول العكس، إن التطبع يغلب الطبع، وهذه هي الرياضة الروحية التي من خلالها يتحول الفاسق إلى مؤمن وبالعكس.

فعن الإمام الصادق عليه السلام في مسألة الطينة وكيف خلق أصحاب مذهب أهل البيت عليهم السلام من فاضل طينتهم قال: ***رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا***[2]، فالطينة هنا تعبير عن الوراثة الروحية، ولذلك كان بإمكان الإنسان أن يغير مساره الذي خلق عليه لغرض وضع التكليف موضعه.

إن مهمة القلب التغلب على الطبيعة التي ورثها الأبناء من الآباء، وهذا هو الذي نعبر عنه بالنفسين النفس الأمارة والنفس اللوامة، فما عليه الإنسان من طبائع بسبب

---

(١) التين/ ٤ ـ ٨.

(٢) شجرة طوبى/ محمد مهدي الحائري ج١ ص٦.

العوامل الوراثية الروحية من قيم فاسدة أو ضعف القيم تقومه النفس اللوامة، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام *إنما هي نفسي أروضها*[(١)]، مع أن أمير المؤمنين ليس له نفس ناقصة فضلاً عن فسادها.

إن الإنسان لا يستطيع إن يغير من الطبيعة المادية لجسمه الموروثة في الجينات الوراثية المادية إلا الشيء القليل ومن خلال الممارسة الإيجابية أو السلبية، ولكنه يستطيع أن يغير من شدة وضعف الصفات الوراثية الروحية، وهذا هو الفرق بين المادة والروح، فالروح جوهر له القدرة على تخطي المكان والزمان، وهذا لا يمكن في عالم المادة المحكومة بقوانين المكان والزمان المحدودة التي لا يمكن مخالفتها.

إن العلماء اكتشفوا أن للجينات بصمة خاصة لكل فرد، ويمكن على أساسها معرفة الحقائق السابقة من جرائم قتل واغتصاب وتزوير، بل كافة الجرائم، وذلك استناداً إلى معرفة الحامض النووي DNA)، (AND الذي يتركه المجرم في موقع الجريمة، وقد تم كشف الكثير من الجرائم في أمريكا وبريطانيا، لجرائم وقعت قبل سنين، ففي عام ١٩٨٨ تم الحكم بالإعدام على «راندل جونز» لاغتصابه امرأة ومن ثم قتلها من ولاية فلوريدا.

ولذلك فهناك الكثير من الدعوات القضائية لتطوير هذا العلم قضائياً، لأن نسبة النجاح فيه ٩٦٪ مما يشجع على اتخاذه أحد وسائل كشف الجريمة.

إن العلماء يقولون إن احتمال تشابه اثنين في بصمة الجينات الوراثية يصل إلى ١/ ٣٠٠مليون، وأنا أقول ليس هناك تشابه مطلقاً، ولكن الأجهزة المصنعة لم تصل إلى حدّ تقني عال يمكنها من الفرز بين بصمات الجينات المختلفة عند الناس[(٢)].

إن الإنسان إنسان بروحه لا بجسده، وأن الجسد لا يعيق الروح إلى الحدّ الذي يمنعها من أداء عقيدها، نعم قد يقلل شيئاً يسيراً من ذلك، وهذا لايؤثر نوعاً ما على

---

(١) نهج البلاغة كتاب رقم ٤٥ لواليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري/ تحقيق صبحي الصالح.

(٢) فصائل الدم/ د. غسان جعفر ص٢٤٣ بتصرف.

عمل القلب في تغيير النفس، بل تغيير أوضاع المادة أو شيء من المادة يكون من خلال تغيير النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١).

من الأحاديث

١ ـ *عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيبا فقال: أيهاالناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء*(٢).

٢ ـ *تخيروا للرضاع كما تخيرون للنكاح، فإن الرضاع يغير الطباع*(٣).

الروايات في هذا الباب

١ ـ *عن ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن الأزدي عن سيف بن عميرة عن الصادق عليه السلام قال: إن لولد الزنى علامات: أحدها بغضنا أهل البيت وثانيها: أن يحن إلى الحرام الذي خلق منه، وثالثها: الاستخفاف بالدين، ورابعها: سوء المحضر للناس ولا يسئ محضر إخوانه إلا من ولد على غير فراش أبيه أو من حملت به أمه في حيضها*(٤).

٢ ـ *عن عبد الرحمان بن محمد الحجال (٣) عن أبي عبد الله المدائني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا بردعلى قلب أحدكم حبنا فليحمد الله على أولى النعم، قلت: على فطرة الإسلام؟ قال: لا، ولكن على طيب المولد، إنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته ولا يبغضنا إلا الملزق الذي تأتي به أمه من رجل آخر فتلزمه زوجها فيطلع على عوراتهم ويرثهم أموالهم فلا يحبنا ذلك أبداً، ولا يحبنا إلا من كان صفوة من أي الجبل كان*(٥).

---

(١) الرعد/ ١٢.

(٢) الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٥ باب اختيار الزوجة ح ٤.

(٣) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين محمد نجيب ص٧٦.

(٤) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٢٧ ٥ باب أن حبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة وبغضهم. ح٢١.

(٥) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٢٧ ٥ باب أن حبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة وبغضهم. ح٢٢.

٣ ـ عن أبي عن حمزة بن عبد الله عن إسحاق بن عمار عمن ذكره عن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من وجد منكم برد حبنا على قلبه فليحمد الله على أولى النعم، قلت: وما أولى النعم؟ قال: طيب الولادة[١].

نستخلص من هذه الروايات الثلاث ما يلي

الرواية الأولى:

لو رجعنا إلى عملية تخصيب البيضة بالحيمن، ليس هناك أدنى اختلاف بين الحيمن الذي يقذفه الرجل قبل عقد الزواج أو بعده، فلو واقع رجل امرأة قبل عقد النكاح بدقيقة انطبق على هذه العملية اسم الزنى، ومن نتائجه ما ورد في الحديث.

السؤال: ما الذي فعله لفظ المرأة (زوجتك نفسي) إيجاباً ورد الرجل عليها (قبلت) قبولاً؟ وهل أن مجرد اللفظ غير في تركيب الحيمن أو في تركيب البيضة أو كليهما أو غيّر عملية الإخصاب، حتى يكون خلاف من خُلُق ابن الزنى وهو الحنين إلى الزنى، أو بغض أهل البيت عليهم السلام؟ ولماذا يكون سوء الخُلُق عنده عند حضورة لمشاجرة أو كلام حاد بين اثنين أو قبيلتين؟

الروايتان الأولى والثانية:

ما الذي يفعله طيب المولد حتى يكون حب أهل البيت عليهم السلام في قلوبهم، ثم إن هذا الحديث يخص القلب بالحب ولم يقل في غيره، وذكرت أن الحب من واجب العقل إلا أنه عقل عاطفي يعتمد على مقدمات نفسية وليست موضوعية في أغلب الأحيان.

إن ترسب القيم والعقائد والأفكار في قلب الإنسان ثم تحولها في خُلقه لاحقاً يدل على أن هذه القيم أصبحت من أجزاء خَلْقه وخُلُقه، وإلا كيف تتحكم فيه هذه القيم والعقائد وهي كلامية؟

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٢٧ ٥ باب أن حبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة وبغضهم. ح٢٣.

إن وراثة القيم والأخلاق الرذيلة لا يعني أن الإنسان ختم عليه، وأنه لن يتغير، فلو كان كذلك لكان ظلماً من الله، تعالى الله عنه علواً كبيراً، وإنما جعل التغيير بيد الإنسان، وله القدرة على ذلك، والتحكم في مستقبله وعقيدته وأخلاقه، ولكنه سيعاني في مكابدة نفسه، وسيلاقي المشقة الشديدة، وهذا هو التكليف الذي شرف الله به الإنسان.

إن هذه القيم ينقلها الدم إلى جميع أجزاء الجسم فتترسب في الجينات الحرة، كما في المستوى الثاني، أو في الجينات بشكل عام كما في المستوى الأول الذين ذكرتهما.

تذييل

لقد اكتشف العلماء قسماً كبيراً من العوامل الوراثة المادية (الجينات) للإنسان وبقي هناك الكثير لم يكتشف، كما أنه لم تحل لحد الآن بعض ألغاز الطفرات الوراثية وتنحي بعض الصفات وتسيد الأخرى وغيرها من الحالات التي ما زالت مجهولة.

إني أعتقد جازماً أن هناك علم الصفات الوراثية الروحية، وهو العلم الذي لم يرد حتى في كتب القواميس فضلاً عن العلوم الدراسية.

إن الإنسان مخلوق ذو جنيتين وهما جنبة المادة وجنية الروح، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(١)، وهذا يعني أن الإنسان لابد أن يعرف بجنيتيه، وإلا لو عرف نصفه لاستحال معرفة الإنسان على حقيقته.

إن من أسباب تأخر الإنسان في العلوم الروحية هي النظرية الحسية التجريبية، التي لا ترى العلم إلا من خلال التجربة، ولا تقيم وزناً للأثر الروحي مع أنها تعيشه كل يوم بل كل ثانية من عمر الإنسان.

إنني أعتقد أن من أهم مصادر علم العوامل الوراثية الروحية هي الكتب السماوية وأهمها وأعظمها بل أخصها كتاب الله الخالد القرآن الكريم الذي لم يحرف مطلقاً،

---

(١) الأعراف/ ٥٤.

وسنة نبيه ﷺ وأقوال أهل البيت عليهم السلام، وكذلك كتب التوراة والزبور لما فيها من بقايا وصايا وتعاليم الأنبياء موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام وكذلك كتب الأناجيل الخمسة التي فيها بقايا تعاليم السيد المسيح عليه السلام.

ومنها الكتب التأريخية التي تدرس التأريخ لا على أساس الحوادث وزمنها، بل أثر تلك الحوادث على الشعوب والقبائل.

ومنها علوم النفس بكل أنواعه وتقسيماتها، كعلم النفس التربوي، وعلم النفس التجاري، وعلم النفس الصناعي وعلم النفس القيادي، وعلم النفس الحربي.

ومنها علوم الطب الجسمي المادي التي تدرس الآثار النفسية والروحية على الإنسان بعد إجراء العمليات الجراحية ومقارنة الفروقات قبل وبعد العملية الجراحية.

ومنها علوم فروقات الجنسين الذكر والأنثى، كما هو معروف لدى الجميع من اختلاف جسم الرجل عن المرأة وأثره في العوامل النفسية.

وهناك من العلوم الأخرى التي لا استطيع أن أشخصها الآن لقلة المؤونة وضيق الوقت، كما أنه لا يمكن الإحاطة بعلوم شتّى مختلفة المصادر والوسائل والغايات، وهذا الأمر متروك لأصحاب الاختصاصات المختلفة لأنه عمل عظيم وجبار ولا يستطيع عالم بمفرده أن يحيط به، فضلاً عني وأنا في قاعدة الهرم العلمي، وما سطرته في كتابي أعتقد أنه بداية الطريق لخوض غمار هذا البحر الغامض الذي لم يبدأ به العلماء إلى الآن، وهو في بداية بزوغه.

إن هذا العلم الذي أكتب فيه سيجسد ببحث في كتاب بعد الانتهاء من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، وسترى عزيزي القارئ أن الإنسان إنسان بروحه لا بجسده الذي يفنى مع طول الزمن الذي يعيشه الإنسان، ويتغير هذا الجسد على أقل تقدير كل سبع أو عشر سنوات، فلماذا يتمسك الإنسان بقوله أنا إذا كان التغير إلى هذا الحدّ الذي لم يعد فيه فلان أنه نفس فلان بعد عشر سنوات؟ ولماذا يحاسب على جرم ارتكبه قبل ثلاثين سنة مع أنه تغير كله حتى دماغه؟

أشكل أحد الأخوة بنفس الإشكال الذي أشكلناه على نظرية العقل في الدماغ وقال: أنتم تقولون إن الدماغ يتغير فلا يمكن أن يكون محلاً للعقل، وأنا أسأل هل أن القلب يتبدل أو لا يتبدل؟ قلت: يتبدل، قال: فكيف يقول أنا رغم تغير قلبه؟ قلت: إن القلب المادي هو الذي يتغير، أما القلب الروحي لا يتبدل، لأن الروح خالدة، وأن الروح لا تشيخ ولا تكبر، وكذلك العقل لا يشيخ ولا يكبر، كما ستقرأه في آخر الكتاب.

إن قدرة العقل على تذكر الماضي الطفولي، بل العيش في نفس تلك الظروف على كبر سن الشخص المتذكر يدل على أن العقل لا يتغير ولا يتبدل وله القدرة على التعامل مع أي سنّ وأي مستوى فكري بحسب الحالة التي يريدها العقل.

أسئلة بحاجة إلى فك رموزها تجده عزيزي القارئ في كتاب علم الوراثة الروحية إن شاء الله تعالى.

١١ ـ حواس القلب Heart,s Sense

يتمتع القلب بقدرة عالية على التحسس بما يحيط به، فالقلب يبصر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس، بل القلب له القدرة على معرفة الأوزان والأطوال والمسافات ويميز المرتفعات عن الأعماق، والشواهد كثيرة على ذلك، فتجد الذي يفقد حسّاً يعوض عنها بقوة حاسة أخرى، فالأعمى له القدرة على معرفة طريقه، ويعرف الألوان عن طريق اللمس.

إن كل عضو من أعضاء الإنسان معجون بالروح، وهذه الثنائية لا تنفك عن الإنسان، فاليد فيها الروح والعين فيها الروح والرجل فيها الروح، وأما القلب فهو الذي يخرج الروح من بين حجراته، وأن هذا الجوهر اللطيف السيال، أو الجوهر البخاري يخرج من القلب ويعود إليه، فإذا كان الأنف يشم بمجساته الشمية من خلال التفاعل الكيمياوي، والعين ترى بشبكيتها وارتسام الصورة عليها والأذن تسمع بعظامها وطبلتها

واليد تتحسس بخلاياها، وهكذا جميع الحواس فإنها كلها تنقل ذلك الإحساس عن طريق أعصابها إلى الدماغ، والدماغ يسمع ويرى ويشم ويذوق ويتحسس، ولكن عمله هذا عمل مادي، عمل كعمل الآلة، ليس فيه روح يرقى إلى تحليل كل هذه الحواس، نعم هو حي ولكنه روحه ضعيف، فلا يمكنه أن يحلل.

إن التخاطر وقراءة أفكار الآخرين والتفرس والتنويم المغناطيسي بحاجة إلى أشياء أبعد من المادة، أي إلى ما وراء المادة، وليس هناك سوى القلب كما مر عليك وسيمر في الأبواب اللاحقة.

إن إرسال القلب للأشعة الكهرومغناطيسية بقدر (٥٠٠٠) مرة بقدر أشعة الدماغ، وتيار كهربائي بقدر (٥٠) مرة بقدر كهربائية القلب، لهو قادر على أن يرسل هذه المجالات إلى أبعد نقطة شاء، فيرسل ليرى ويرسل ليسمع ويرسل ليشم وليذوق وليتحسس وغيرها من الحواس الخمس أو أكثر من الخمس كما ذكرت.

لقد ثبت علمياً أن جميع الحواس تنتهي إلى الكهرباء من خلال الأعصاب الناقلة، فإذا كان القلب له من الكهرباء (٥٠) مرة كان أقدر أن يشخص الصوت والصورة وغيرها من تشخيص الدماغ.

إنني أعتقد أن القلب يرسل الأشعة إلى أي مكان يريد ليتعرف على محيطه، ولكن الإنسان هو الذي طمس هذه الحاسة العظيمة، فصمها وأعماها، ولذلك نجد أن الأنبياء والأوصياء لهم من كل حاسة أكملها، وقصة الإمام الباقر عليه السلام ***ومنها: ما روي عن أبي الصباح الكناني قال: صرت يوما إلى باب أبي جعفر الباقر عليهما السلام، فقرعت الباب، فخرجت إلي وصيفة ناهد، فضربت بيدي إلى رأس ثديها وقلت لها: قولي لمولاك: إني بالباب. فصاح من آخر الدار: أدخل، لا أم لك. فدخلت، وقلت: يا مولاي والله ما قصدت ريبة، فقال: صدقت لئن ظننتم أن هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم، إذن لافرق بيننا وبينكم! فإياك أن تعاود لمثلها***[1].

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٤٦ باب تاريخ الإمام الباقرح٤٠.

إن قدرة الإنسان على تمييز الكبير من الصغير لو كان بالدماغ لرأى الكبير صغيراً والصغير كبيراً، لأن الإنسان إذا شاهد جسماً قريباً بحجم معين وكان خلفه جسم بعيداً بحجم أربعة أضعاف الجسم القريب، سيرى أن الجسم القريب أكبر من الجسم البعيد، ولكنه يدرك أن البعيد أكبر من القريب، والسؤال هنا كيف حول الجسم الصغير إلى جسم كبير وبالعكس، إذا كانت الرؤية مادية بحتة؟ والجواب أن الرؤية في العقل وهو في القلب.

١٢ ـ بصمة القلب Heartprint

ما هي بصمة القلب؟ وهل أن لكل قلب بصمة؟ أم أن جميع القلوب تشترك ببصمة واحدة؟

مجموع هذه الأسئلة نجيب عليها بجواب واحد، لأن القلب عرش الرحمن، ولأن الله تعالى مطلق فعرشه مطلق، فالبصمات بعدد الخلق البشري على أقل تقدير لأن موضوعنا الإنسان وليس الحيوان والنبات. إن الله تعالى يفيض على المخلوقات بقدرها، فلكل قلب بصمة خاصة به، كما أن للعين بصمة وللأصابع بصمة، والبصمة ـ كما هي عادة البحث ـ بصمتان: البصمة الروحية والبصمة المادية، فأما البصمة المادية فهي التيار الكهربائي والمجال المغناطيسي ويتبعهما المجال الكهرومغناطيسي، فكما أن لكل شيء نبضة أو موجة فكذلك القلب له موجة، ونحن إذا تتبعنا الألوان وجدنا أن لكل لون موجة ولكل صوت موجة، ومعنى هذا أن عدد الموجات الصوتية غير محدد، لأن درجات الصوت لا يمكن تحديدها، فلو فرضنا أن موجة صوت مقدارها ١٠٠ ذبذبة/ ثانية، فهل هناك مانع من أن تكون هناك موجة قياسها ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١، ذبذبة/ ثانية؟ قطعاً لا، ليس من مانع في ذلك، ومن هذا الاختلاف ينشأ لكل فرد صوت خاص به، وينشأ لكل جسم لون خاص به وينشأ لكل قلب تردد خاص به، هذا على مستوى التردد المادي.

أما على مستوى التردد الروحي فلا بدّ أن يكون الاختلاف أكبر لكبر الروح

وعظمته، فالروح أكبر من يحاط به، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١]، كم عظيمة هذه الآية، وبحدود اطلاعي لم أجد في التفاسير ما يشير إلى أن لكل روح شكل خاص به، والآية جاءت بنحو الموجبة الكلية، لا يشت منها أحد، فلكل شخص شكل هو يصنعه، لأن معنى الآية «كل فرد يعمل على شاكلته»، وهذه الشاكلة من صنع الإنسان نفسه، وذلك من خلال عمله، من غير اشتراك بينه وبين الآخرين بنحو الإنطباق التام، نعم هناك اشتراك في بعض الأشياء، وهذه هي بصمة الروح، وهذه هي الشاكلة التي تشكلت بالعمل، فخرج عن كون الإنسان مجبوراً على فعله، ومثل الشاكلة مثل ما يشتهي الإنسان نوعاً من الطعام، مع أن الطعام بين يديه متعدد الأنواع والكميات.

وليت الراغب الأصفهاني موجوداً ليذكر لنا المكتشفات الحديثة التي لم تكن في زمانه حتى يقول إن الختم على القلب ليس ختماً حقيقياً بل هو كناية عن علم الملائكة كما قال في مفرداته قال: *واستعارة القساوة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة/ ١٣]، قال الجبائي: يجعل الله ختماً على قلوب الكفار، ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم، وليس ذلك بشيء، فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها أصحاب التشريح، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال. قال بعضهم: خَتْمُهُ شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس/ ٦٥] أي: نمنعهم من الكلام*[٢].

الراغب بتصوره القديم عن الختم هو الذي دعاه أن يصرح بهذا الرأي، وإلا لو كان معنا الآن وشاهد ما خفي عليه وعلى أهل زمانه لغير الكثير من معاني مفرداته،

---

(١) الإسراء/ ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني حرف الخاء ص ٢٧٤.

ولأصاب الكثير من المعاني التي تكون أحياناً بعيدة عن الحقيقة التي أرادها الله تعالى من قوله في كتابه الخالد.

إني أعتقد أن الختم ختم مادي تكون بنتيجة التمادي بفعل المنكر، وهذا هو الشاكلة التي ذكرتها قبل قليل، وهي الشكل النهائي للإنسان الذي يوصله إلى جهنم، فقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١]، فالختم من جراء عملهم.

إن قول الإمام الصادق عليه السلام: *والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق*[٢] وذلك بعد أن بيّن علاقة الفطرة قال: والطرق، فهو عليه السلام يبين هذه الحقيقة التي لم يتطرق إليها أحد إلى الآن، مع أنها واضحة لا تحتاج إلى بيان، فالطرق كثيرة بعدد الأنفاس.

تعالوا معي أيها الأخوة لنتعرف على الأنفاس ما هي:

النَّفَسُ: *الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر، وهو كالغذاء للنَّفْس*[٣]. وهذا هو الذي قلته في الفصل الثاني من هذا الباب في الدورة الدموية الروحية أو العقلية، فالهواء (النَّفَس)يحمل معه القيم والأفكار إلى النَّفْس (الروح).

إن أعظم الخلق عند الله تعالى هم الأنبياء والأوصياء، وبشكل عام المعصومين، فهؤلاء بالرغم من عصمتهم وانقيادهم التام وطاعتهم المخلصة التامة لله تعالى، إلا أنهم يختلفون في مراتبهم، فهم أنفاس متعددة، وليسوا نفساً واحدة، وهذا ما يؤكد استقلالية كل فرد، أي أن شاكلية كل فرد خاصة به.

إنني أعتقد بضرورة تقسيم الناس إلى اثنتي عشرة مرتبة، أي اثنتي عشرة شاكلة، مع المحافظة على أن لكل إنسان شاكلة خاصة به، فنجعل لكل شاكلة أو مرتبة حدود

---

(١) آل عمران/ ١١٧.
(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٦٤ باب فطرة الله سبحانه وصبغته ح٦.
(٣) مفردات ألفاظ القران/ الراغب الأصفهاني ص٨١٨.

معينة من التردد معتمدين على اختلافهم فيما يلي:

١ ـ يوم الميلاد بحسب السنة القمرية.

٢ ـ يوم الميلاد بحسب السنة الشمسية.

٣ ـ ساعة الولادة، على أن اليوم (٢٤) ساعة فأرقام الساعات يبدأ بالرقم (١) وينتهي بالرقم (٢٤) لا بالتقسيم إلى (١٢) ساعة لليل و(١٢) للنهار.

٤ ـ فصيلة الدم.

٥ ـ شدة المجال الكهرومغناطيسي.

إني أعتقد أن الرقم (١٢) له مدخلية في حياة الإنسان، فالأشهر القمرية والأشهر الشمسية اثنا عشر وعدد نقباء بني إسرائيل اثنا عشر وعدد حواري عيسى عليه السلام اثنا عشر وخلفاء الرسول اثنا عشر كما عند العامة، ***عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه و سلم فسمعته يقول (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة) قال ثم تكلم بكلام خفي علي قال فقلت لأبي ما قال؟ قال (كلهم من قريش)***[1]، واثنا عشر إماماً كما عند الشيعة الإمامية، وقد مر عليك التطرق إلى الأبراج في موضوع كهربائية القلب.

النقاط الخمس في أعلاه هي الدلائل الظاهرية والتي يسهل معرفتها وتشكل ٥٠٪ من شخصية الإنسان، أو قل من قلبه، وتبقى الـ٥٠٪ الأخرى وهذه تؤخذ من دراسة العوامل الوراثية الروحية الموجودة في الجينات[2]، فإن البصمة الروحية للإنسان تنتقل إليه بالعوامل الوراثية، مع قدرة الإنسان على تغييرها.

إن بصمة القلب من أهم البصمات التي تجب دراستها من الناحيتين المادية والروحية، وعلى أقل تقدير لنحدد البصمة المادية للقلب من خلال النقاط الخمس في أعلاه، لأن سلامة القلب المادي باب لسلامة القلب الروحي، وأن عدم معرفتنا بالبصمة الروحية أو عدم اعتقادنا بها الآن لا يمنع من كشف البصمة المادية.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب الناس تبع قريش ح٥ (٤٧٢٦).

(٢) وهذا ما سنقوم بطرحة ككتاب مستقل وانظر موضوع الجينات الروحية التي تناولناها في هذا الفصل.

إنني أعتقد أنه لا يختلف عاقلان من أن القلب أهم من العين وأهم من الإصبع، فما دام للعين بصمة وللإصبع بصمة، فكيف لا يكون للقلب بصمة؟

قرأت معنا عزيزي القارئ في موضوع الجينات الروحية من أن لكل فرد بصمة خاصة من الجينات تميزه عن غيره، فنقول إذا كانت الروح أعظم من المادة وهي المسيرة لها، وأن الروح محلها القلب، وأن العقل محله القلب فكيف لا تكون له بصمة خاصة به، هذه البصمة هي التي عبر عنها الإمام الصادقعليه السلام *«والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»*[1].

سيأتي اليوم الذي يتبين فيه أن القلب شيء عظيم بعظمة عرش الله تعالى، وأن الذي يدنس قلبه فقد دنس عرش الله تعالى، لأن القلب عرش الرحمن كما في الحديث، وأما المحافظة عليه كما أراده الله تعالى فهو الذي سيفد على الله تعالى بقلب سليم.

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٦٤ باب فطرة الله سبحانه وصبغته ح٦.

الفصل الثاني
الدم

ماهو الدم؟ Blood

لنتعرف على هذا السائل المهم في جسم الإنسان.

الدم هو سائل الحياة، وهو سائل أحمر اللون لزج القوام، يجري في الأوعية الدموية.

يحمل الدم الغذاء والأوكسجين والمواد الكيمياوية الضرورية لعمل الأنسجة والأعضاء وعوامل مقاومة الأمراض، كذلك ينقل غاز ثاني أوكسيد الكربون من أجزاء الجسم المختلفة إلى الرئتين للتخلص منه، وينقل الدم أيضاً نفايات الجسم بعيداً عن الأنسجة ويساعد في المحافظة على تنظيم درجة حرارة الجسم[١].

والدم هو سائل النمو الذي يحمل الغذاء من الجهاز الهضمي والهورمونات من الغدد الصماء إلى سائر أجزاء الجسم. والدم كذلك هو سائل الصحة، حيث يحمل الأجسام المضادة والمواد المناعية ضد الجراثيم والفيروسات إلى كافة أجزاء الجسم.

سنقف على حقيقة الدم وأنه ليس فقط لهذه الواجبات والأعمال، وهي أعمال ليس فيها روح أو عقل، بل إن له واجبات روحية، وأعني عقلية، وهذا ليس من الروايات فقط وإنما من خلال البحث العلمي في الدول الغربية، وليس غريباً أن تهتم المؤسسات العلمية والأطباء بموضوع الدم وأهميته.

---

(١) فصائل الدم/ د. غسان جعفر بتصرف ص٧.

يقول الدكتور بيتر دادامو: *ليس الطعام الذي تأكلونه العامل الوحيد الذي يمنحكم الصحة، بل ثمة عامل آخر هو طريقة استخدام جسمكم للعناصر الغذائية لخيره وضرره. وهنا يتدخل الضغط النفسي. . . .ثم يقول: نحن نعلم مدى تأثير الفكر على الجسم والعكس بالعكس. وما زال العلم يحاول الآن دراسة مدى التفاعل ما بين العقل والجسم*(١).

لقد أحسن دادامو باستخدام مفردة (العقل) ولم يقل الدماغ، ولعله قاصد لما قال، على ما نحن عليه من أن العقل في القلب. ثم يقول دادامو ما يؤكد النظرية التي أدعيها، بل القانون الذي سيسود العلم والأبحاث العلمية عما قريب إن شاء الله تعالى، فيقول:

الدم هو الحياة. هو القوة الأولية الكامنة وراء سر الولادة وعظمتها وعذاب المرض، والحروب، والموت العنيف.

في الماضي قامت حضارات كاملة على روابط الدم. والقبائل والممالك تعتمد على تلك الروابط. نحن لا وجود لنا من دون الدم بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ واقعية وأبعاد رمزية.

الدم مادة سحرية. . . الدم مادة روحية. . . الدم مادة كيميائية قديمة. كان الدم عبر التاريخ البشري رمزاً دينياً وثقافياً هاماً.

أوَلم تكن الشعوب القديمة تخلط الدماء وتشربها تعبيراً عن الوحدة والولاء؟

أوَلم يكن الصيادون في العهود الغابرة يقيمون طقوساً لتهدئة أرواح الحيوانات التي قتلوها عبر رفع دم تلك الحيوانات وسكبها على وجوههم وأجسادهم؟

أوَلم تُرسم على أبواب أكواخ يهود مصر الفرعونية المستعبدين علامات بدم الحَمل لكي يمر فوقهم ملاك الموت؟ أو لا يحكى أن موسى [ع] حوّل مياه مصر إلى دماء لمحاولة تحرير شعبه؟(٢).

---

(١) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص٥٠ ـ ٥٣ (Eat Right for your Type)

(٢) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص١٤.

وصف دقيق عميق شامل لحقيقة الدم، لكنه لم يعمل به كما ينبغي العمل بموجبه، بل أصبح الدم مادة ذات وظيفة مادية بحتة وليس وراء هذا الكيان المادي كيان روحي، كما سترى، وكما ستجده في بحث عرفاني عن الدم.

١ ـ خلق الدم: Blood Creation

تعرفنا في خلق القلب، على أن القلب يعمل في الأسابيع الثلاثة الأولى لخلق الإنسان، ويبدأ عمله منذ ذلك الوقت، أي يضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم، وهذا يعني أن الدم مخلوق قبل القلب، وإلا ماذا يضخ القلب؟ وما هو عمله؟ حيث لا عقل مفكر ولا إبداع في التفكير ولا تكليف، فمن هنا نثبت أن خلق الدم قبل القلب، وذلك لأن الكائن الحي ـ وهو العلقة ـ لا يحتاج إلى قلب يضخ الدم، وإنما الاتصال مع الرحم يكفي ذلك، ويسدّ حاجة الجسيم الجنيني (العلقة ثم المضغة) لهذه الكمية من الدم وبهذا الضغط المنخفض تماماً.

إن دم الجنين يتكون من دم الأم، وذلك من خلال امتصاص العلقة للدم من جدار الرحم، بعد أن تمد البيضة المخصبة (zygote) الزغابات إلى جدار الرحم، وهنا فائدتان لهذه الزغابات، الأولى لتثبيت العلقة في جدار الرحم، والثانية لغرض امتصاص الدم من الرحم والاتصال بجدار الرحم لتكوين الحبل السري.

إن فصيلة دم الجنين ليس بالضرورة أن تشابه فصيلة دم أمه، وهذا بحدّ ذاته يحتاج إلى تأمل، كيف يتغير دم الجنين؟ وكيف يكون للعوامل الوراثية الدخل في ذلك؟ سؤال مهم جداً، فلو كان التصرف من العلقة في فصيلة الدم فهذا يحتاج إلى مفكر، وإن لم يكن المفكر ـ وهو العلقة ـ ولا العوامل الوراثية، فإن الخالق له اليد في هذا التغير، وأما الطريقة فتحتاج إلى إثبات علمي. وسنتطرق إلى وظيفة الدم الأول، دم الجنين قبل خلق القلب، أي الأسابيع الثلاثة الأولى من تكون البيضة المخصبة، ووظيفة الدم الثاني، دم الجنين بعد خلق القلب.

٢ ـ أجزاء الدم Blood Parts

أ ـ البلازما Plasma ويدعى أيضاً مصل الدم

وهوسائل بروتيني أصفر اللون يتكون من الماء بصفة أساسية تسبح فيه خلايا الدم الحية. يشكل البلازما أكثر من نصف حجم الدم بحدود ٥٥٪.

مكونات البلازما:

١ ـ نسبة مكونات الماء في البلازما٩٠٪.

٢ ـ المواد اللازمة لحفظ الحياة، كالأملاح الضرورية مثل الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم وأملاح عضوية.

٣ ـ البروتينات وأهمها الألبومين والغلوبولين والفيبرينوجين والأمينوغلوبين وعوامل التجلط.

٤ ـ المواد الغذائية الممتصة من الأمعاء وأهمها الغلوكوز والأحماض الأمينية والدهنية.

٥ ـ الهرمونات التي تفرزها الغدد الصماء (الصم).

ب ـ الكريات الحمراء R.B.C (Red blood cells)

وهي أكثر الخلايا الدموية عدداً وتشكل ما يقرب من نصف حجم الدم باختلاف حجم البلازما، وهي عبارة عن أقراص مقعرة الوجهين (السطحين) لها جدار رقيق ونواة.

تحتوي الكريات الحمراء على مادة الهيموغلوبين (الخضاب الأحمر أو اليحمور) والذي يتحد مع الأوكسجين ويكون أوكسيد الهيموغلوبين الذي ينقل إلى كافة أعضاء الجسم، وكذلك نقل ثاني أوكسيد الكربون من الجسم إلى الرئتين لطرحه خارج الجسم.

عدد كريات الدم الحمراء في المليمتر المكعب الواحد (٥) ملايين كرية في الذكور و(٤,٥) مليون عند الإناث.

عمر الكرية الواحدة ١٢٠ يوماً.

ج ـ الكريات البيضاء W.B.C (White blood cells)

هذه الخلايا ليس لها لون، وإنما تعكس الضوء فتبدو بيضاء اللون، ولها جدار ونواة ويتراوح عددها (٤٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠) كرية في المليمتر المكعب الواحد. يبلغ عمرها (٣ ـ ١٠) أيام.

واجب هذه الكريات الدفاع عن الجسم ضد الميكروبات (البكتريا) والفيروسات التي تدخل له، فهي تقوم بمهاجمة وابتلاع الجراثيم التي تهاجم الجسم.

د ـ الصفائح الدموية :(Platelets)

وهي أجسام صغيرة جداً بيضوية الشكل وليس لها نواة ويبلغ عددها حوالي (١٥٠،٠٠٠ ـ ٥٠٠,٠٠٠) صفيحة في المليمتر المكعب الواحد، وظيفتها الأساسية تخثير الدم لمنع النزف والتئام الجروح.

والصفائح أجسام غير ملونة ولها أشكال مختلفة ولها جدار لاصق. إن نقص هذه الصفائح يؤدي إلى النزف في حالة حدوث أي جرح بسيط، كما أن زيادتها يؤدي إلى حدوث جلطات داخل الجسم.

يتم إنتاج معظم الكريات في مخ العظم.

٣ ـ فصائل الدم: Blood Groups

فصائل الدم الأساسية أربع وهي:

O , AB ,B , A

إن التقسيم القديم لطبيعة الإنسان، والذي يقسمه إلى أربعة أقسام، وهي بحسب العناصر الأربعة التي كانت مشهورة ومعروفة لدى الأطباء والحكماء وهي: الماء والهواء والتراب والنار، أو الرطوبة والبرودة واليبوسة والحرارة على التوالي، وعليه

فالتقسيم النفسي والاخلاقي بحسب هذه العناصر هو: البلغمي والصفراوي والسوداوي والناري، أما اليوم فالتقسيم بحسب صنف الدم المذكور في أول الموضوع وهو (O, A, B, AB)، وهذا التقسيم قد حدد شخصية الإنسان وطبيعة تصرفاته وعلاقاته ودرجة ذكائه والعمل المناسب له، وذلك من خلال استفتاءات وبيانات معتمدة على أسئلة لأصحاب هذه الأصناف، كل بحسب صنفه، وأعطت نتائج أقرب إلى الثابتة منها إلى المتغيرة، وهذا يؤكد قولنا بأن الدم له مدخلية في التفكير، وأن الدم قد لا يتفق مع القلب في تنفيذ الأوامر، وقد يغش الدم القلب في أحيان كثيرة، وذلك عن طريق نقل الأخبار الكاذبة للقلب، باعتبار أن الدم ينقل أخبار أعضاء الجسم إلى القلب وأخبار الخارج ليتخذ القرار المناسب، فالتشخيص الخاطئ يعطي نتائج خاطئة بالتاكيد.

لقد أولى اليابانيون اهتماماً فائقاً بفصائل الدم وصلت بهم إلى جعلها الجانب الأساس وقد يكون الوحيد في رسم شخصية الإنسان، وهناك منظمة تعنى بهذا الأمر وهي (ABO)، ومن أكثر المهتمين بهذه الفكرة (توشيتاكا نومي)، كتب بمساعدة (ألكسندر بيشر) كتاباً بعنوان (You are Blood type) وفيه أورد أنواع الشخصيات وارتباطها بفئات الدم(١)، وعلى الرغم من أنني لا أتفق كل الاتفاق وكذلك الدكتور بيتر دادامو مع هذا التشخيص، ولكن لا يخلو هذا الاعتقاد من صحة، لأن الدم بوابة الطريق إلى القلب وهو الحامل الوحيد للغذاء المادي كما أنه الحامل الوحيد لآثار المحيط الخارجي المتمثل بالهواء من القيم والأفكار كما سترى في البحث.

إن القلب الرحماني يتعارض عقائدياً مع الدم الشيطاني، ولما كان الإنسان يولد على الفطرة، أي أنه رحماني الخَلْق والخُلُق، موحد بالفطرة، فهنا قد يتعارض القلب مع الدم أو يتفق معه، وأن الدم إما أن يكون منقاداً للقلب وعلى الفطرة، أو أنه ينقلب على عقبيه، ومرد هذا الإنقلاب إلى الطعام وتقلب الأيام والاحوال.

تناولنا في موضوع القلب نوع الغذاء الذي يساعد على التقوى والوقاية في القلب

---

(١) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص٥٦.

من جهتي الروح والجسد، أعني القلب الروحي والقلب العضوي وأثر كل واحد منها في الآخر، فالقلب العضوي يؤثر في عمل القلب الروحي وبالعكس مع اختلاف شدة التأثير.

هنا نفس الموضوع والفكرة عين الفكرة، في الدم العضوي والدم الروحي، لأن الدم من توابع القلب، ولما كان القلب قلبين قلب روحي وقلب عضوي فالدم دمان، روحي وعضوي.

سأتناول هنا موضوع الغذاء المادي فقط على الدم العضوي، أي المادي، وسترى عزيزي القارئ أن لكل صنف من صنوف الدم أو فصيلة من فصائل الدم غذاءه الخاص به، وهذه المعلومات من مصادر العلوم المادية الطبية البحتة، ومن خلال تجارب متعددة.

حدد الدكتور (بيتر دادامو) ميزات وخواص أصحاب فصائل الدم على النحو التالي:[١].

فصيلة الدم :O

ما هي خواص هذه المجموعة:

١ ـ تستطيع أن تأكل اللحوم.

٢ ـ الجهاز الهضمي قوي.

٣ ـ جهاز المناعة مفرط النشاط.

٤ ـ لا يقبل التكيف البيئي والغذائي.

٥ ـ يتخلص من الضغط النفسي عبر ممارسة الرياضة وبشكل مكثف.

٦ ـ يحتاج إلى أيض (استقلاب)[٢] فعّال لكي يبقى نحيفاً ونشيطاً.

---

(١) جميع هذه الأبحاث مأخوذة من كتابي ٤ فئات دم/ بيتر دادامو وفصائل الدم/ د. غسان جعفر.

(٢) الأيض: العود إلى الشيء وصيرورة الشيء غيره وتحويله من حاله، والرجوع الى القاموس المحيط/ =

إن شخصية أصحاب هذه الفصيلة كما يقول بيتر دادامو: كل شخص من فئةO يملك في جيناته ذكريات القوة والقدرة على التحمل والاعتماد على النفس والإقدام والحدس والتفائل الفطري(١).

إنني وإن لم أتفق مع هذا التشخيص، باعتبار أن الذكريات من الواقع الذي يلي وجود الجينات، وهو من ثمرات العمل ونتائجه، إلا أنني أتفق على أن الناس متساوون في الخلق لكنهم غير متطابقين، فهذا ذو حدس عال ولكنه لا يملك الجرأة وذاك بعكسه وهكذا، إلا أن المعدل العام لهم التساوي، وطبعاً هذا مضافاً إليه الاستعداد القبلي ـ كما ندعيه ـ في عالم الذر الذي سبق الحياة الدنيا، وهو ليس من شأن الكتاب، وأن هذا الكلام ينطبق على جميع شخصيات الفئات الأخرى، فلا نعيد.

فصيلة الدم A:

أبرز مميزات وخصائص أصحاب هذه الفصيله.

١ ـ يحصد ما يزرعه.

٢ ـ جهاز هضمي حساس.

٣ ـ جهاز مناعي متساهل.

٤ ـ يتكيف جيداً مع العادات الغذائية الخاصة به والأحوال البيئية التي تناسبه.

٥ ـ يتحمل الضغط النفسي بشكل أفضل إذا اعتمد وسائل فعّالة للاسترخاء.

٦ ـ يحتاج طعاماً نباتياً ليبقى نحيفاً قادراً على الإنتاج.

شخصيات هذه الفئة كما يقول بيتر: *يخفي هؤلاء قلقهم وضيقهم الشديد لأن هذا ما يفعله المرء عندما يحاول أن ينسجم مع الآخرين. إنما توخوا الحذر عندما ينفجر صاحب هذه الفئة! أما علاج هذا الضغط النفسي الداخلي الكبير فهو، كما ذكرنا*

= الفيروزآبادي باب الضاد فصل الهمزة ص٦٨٤ وأيضاً منه: أي المعاودة.

(١) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص١٠٨.

سابقاً، تمارين اليوغا والتاي تشي المهدئة التي تساعد على التأمل والاسترخاء[١].

فصيلة الدم B

مميزات أصحاب هذه الفصيلة:

١ ـ شخص متوازن.

٢ ـ يمتلك جهازاً مناعياً قوياً.

٣ ـ خياراته الغذائية هي الأكثر مرونة.

٤ ـ قادر على استهلاك الحليب ومشتقاته.

٥ ـ الأعمال الإبداعية هي رد فعله على الضغوط النفسية.

شخصيات هذه الفئة الأوائل اضطروا إلى أن يكونوا مرنين ومبدعين لكي يستطيعوا البقاء والاستمرار في مواجهة الأراضي الجديدة والمناخات التي يعتادوا عليها واختلاط الأعراق[٢].

فصيلة الدم AB

أهم مميزات وخصائص هذه الفصيلة:

تعتبر هذه الفصيلة الفئة اللغز، وهي مزيج من الفصيلتين A , B وأهم ما يميز هذه الفصيلة هو:

١ ـ جهاز هضمي حساس.

٢ ـ جهاز مناعي ضعيف.

٣ ـ لغز في مسيرة التطور.

٤ ـ المقدرة على التكيف والتأقلم جيداً مع الظروف الغذائية والبيئية المتغيرة.

---

(١).٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص١٦٣.

(٢) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص٢١٠.

٥ ـ يتخلص من الضغوط النفسية بمساعدة الرياضة الروحية والتمارين الرياضية والنشاط الإبداعي(١).

من الطبيعي إذاً أن يكون أصحاب الفئة محبوبين وشعبيين. فمن السهل أن نحب الأشخاص الذين يستقبلوننا بالترحيب، ولا يحقدون علينا عندما نخيّب آمالهم، ولا يتلفظون إلا بكلمة مناسبة ودبلوماسية في كافة الظروف(٢).

٤ ـ وظيفة الدم Blood,s Function

لقد سمى العرب الدم بسائل الحياة، ولعل هذه التسمية أهم وأعظم أسماء الدم، ولا أدري هل أن الذي سماه نبي أم إمام أم هو من الله تعالى، لأن التسمية تحمل في طياتها علماً مسبقاً عن وظيفة الدم، ودوره في حياة الإنسان، ولأن التعبير بسائل الحياة غاية في الدقة، فالدم ينقل المشاعر والأحاسيس والمعلومات من وإلى القلب، يقول الدكتور غسان جعفر في كتابه فصائل الدم في مقدمة الكتاب «*الدم سائل الحياة... ولكل شخص ـ منذ بداية الخليقة ـ فصيلة دم خاصة به يرثها جينياً من والديه*».

إن وظيفة الدم الأساسية المعروفة لدى عامة الناس ـ بل لدى العلماء أيضاً ـ هي نقل الغذاء إلى كافة أجزاء الجسم وكذلك نقل غاز الأوكسجين الذي يفجر الطاقة الحركية والنمو، وكذلك نقل ثاني أوكسيد الكاربون إلى الرئتين لطرحه خارج الجسم.

هذه وظيفته كجزء غير عاقل ولا شاعر ولا مفكر، وأنا لا أتناول هذا الموضوع، باعتباره ليس من اختصاص الكاتب ولا الكتاب.

وأما وظيفته كمفكر وعاقل وشاعر، فإن الكتاب يركز عليها، ويجعل جميع أفكار هذا الكتاب عن الدم من هذه الوظيفة لا من غيرها، نعم نأخذ ما ينفعنا من وظيفته المادية وما له مساس بموضوع القلب والعقل والتفكر ودور الدم في ذلك.

---

(١) كتاب فصائل الدم، الغذاء المناسب لها/ د. غسان جعفر ص١٠٤ ـ ١٧٠ بتصرف.

(٢) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص٢٦٧.

إن الدم ينقل جميع أحاسيس القلب ومعتقداته وأفكاره وأوامره، إلى جميع أجزاء الجسم، بحيث لا يبقى جزء ولو يسير لا يمر به الدم، فلا يبقى جزء إلا وفي عنقه بيعة للقلب وانقياد إليه، إلا إذا حام الشيطان حول القلب، وجعل أعلاه أسفله فأصبح منكوساً، فان الدم يفلت من قبضة القلب، بل تفلت جميع الأعضاء من قبضته ويتحول الإنسان إلى شيطان يمشي على الأرض، فهذا الذي يسميه القرآن الكريم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[١]، وعليه فإن الدم الشاعر المفكر تفكيراً فطرياً منسجماً مع العقيدة الحقة، هو الدم المرتبط بالقلب الفطري أيضاً، وإلا لو خالف القلب الفطرة فلا فائدة من الدم لوحده، لأنه سيكون من جنود القلب المنحرف عن الفطرة، وهنا يحدث الصراع بين القلب المنحرف والعقل المودوع في الدماغ بأمر من القلب والذي يهدي إلى الرشد، إلا أن أعمال الإنسان منقادة إلى قلبه لا إلى دماغه، مع أنه علمياً يعتقد بفساد عمله، إلا أنه لا يؤمن ويكون مصداق قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢]، ومثله مثل العالم الذي يعلم أن الميت ـ كجسم الإنسان ـ خشبة لا تضر ولا تنفع ولا تعتدي ولا تسرق ولا تقتل، ولكنه لا يمكن أن ينام معه في قبره أو في كفنه أو حتى في غرفته وليس معه أحد، وهذا ما سنوضحه في موضوع القلب والدماغ مفصلاً إن شاء الله تعالى.

لو تتبعنا أحاديث النبي الأكرمﷺ وأقوال أهل البيتعليهم السلام لوجدنا أن الدم يشارك القلب في التفكير، وأنه يساهم في التلبس بالأفكار الشيطانية، ويكفينا الحديث الصريح عن الدم وأثره في حياة الإنسان الإيمانية، ومن بعدها حياة الإنسان كلها، لأن انحراف العقيدة يؤدي إلى انحرافات عديدة بل انحراف في جميع حركة الإنسان، مع ربه مع أهله مع أصدقائه في عمله مع نفسه، قالﷺ: *(إن الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم)*[٣] وهذا يبين لنا أن الشيطان، وهو تعبير حقيقي من جهة ومجازي من جهة

---

(١) الفرقان/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) النمل/ ١٤.

(٣) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص٩٦، فصل في الخواطر النفسانية والوساوس.

أخرى، يحوم حول القلب كما في الحديث، *(لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت)*(١)، وذلك من خلال دخوله إلى الدم وتحين الفرصة للدخول إلى الصدر ثم الدخول إلى القلب، فهو تعبير حقيقي، كما في قول أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: *(اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له إشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه)*(٢) فإذا دخل إلى الصدر أصبح قريباً من القلب، وهذا يعني أن الدم بوابة القلب، بل إن الدم هو عين القلب فكراً ونقلاً لهذه الأفكار والمعتقدات، وأما مجازي فهو كل فكر شيطاني إنسي أو جني وسواء كان من الإنسان نفسه أو من غيره، فإنه يفعل فعل الشيطان الحقيقي في تأثيره على الإنسان فعلاً وقولاً، ولكن حتى هذا المجازي هو حقيقي من حيثية الدخول للقلب لا من حيثية الدخول المادي.

أنا أعتقد أن الصدر غير القلب، وأن الشيطان لا يدخل القلب مباشرة، بل يحوم حوله، أي في الصدر، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: *(إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس، وإن نسي الله التقم قلبه)*(٣)، ويبدأ بالوسوسة حول القلب حتى تصل ذبذبات الوسوسة إلى القلب، فإن كان القلب قوياً، فلا يتأثر به، وإن كان ضعيفاً، دخله فأمرضه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: *«لما نزلت هذه الآية* ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾(٤) ***صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك فقال: لست لها فقال الوسواس الخناس أنا لها، قال بماذا؟ قال أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار فقال: أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة»***(٥)، وقد مر علينا قول الإمام الرضا عليه السلام من

---

(١) مقامات القلب ص٣٢/ للفيض الكاشاني.

(٢) نهج البلاغة خطبة/ ٧/ تحقيق صبحي الصالح.

(٣) مقامات القلب/ للفيض الكاشاني ص٦٤.

(٤) آل عمران/ ١٣٥.

(٥) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٧٠ ح٤٨ باب الذنوب وآثارها والنهي عن استصغارها.

أن الصدر حجاب القلب، والحجاب كالحاجب الذي يقف على باب الملك، ولذلك فنحن نقرأ قوله تعالى ونستعين به للتعوذ من وساوس الشيطان: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾(١).

وهنا بودي أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى مسألة مهمة، بل هي من دقائق الأمور التي يجب على القيادات الدينية و السياسية و الاجتماعية أن تلتفت إليها، ألا وهي مسألة البطانة، التي تؤثر على قرارات القيادات كبيرها وصغيرها عالمها وجاهلها، وقد حذر القرآن الكريم من هذه البطانات، كما حذر منها أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾(٢)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ***(إنّ شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً و من شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة فإنّهم أعوان الأثمة و إخوان الظّلمة، و أنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم و نفاذهم، و ليس عليه مثل آصارهم و أوزارهم ممّن لم يعاون ظالماً على ظلمه و لا آثماً على إثمه. أولئك أخفّ عليك مؤونة، و أحسن لك معونة)***(٣).

أعود إلى الموضوع الذي قطعناه، فلا يذهب البعض إلى أن تبديل الدم يؤثر على العقيدة والفكر وقابلية الإنسان على التفكير والإبداع كلياً، نعم قد يؤثر لفترة ما، لكنه سرعان ما يتأقلم، بل ينصاع إلى إرادة القلب، لأن القلب هو الإمام القائد والموجه للإنسان والحامل والراعي والمتبني لمعتقده ولفكره.

أن العلقة لا تحتاج إلى القلب، لأنها في أول الحياة الخالية من التفكير المعقد، أو

---

(١) سورة الناس/ ١ ـ ٥.

(٢) آل عمران/ ١١٨، ١١٩.

(٣) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح كتاب ٥٣ من عهده للأشتر النخعي.

حالات التعمق والإبداع الفكري، بل هو مجرد استقبال الفكر النباتي والحيواني المتمثل بالنمو وامتصاص الغذاء من رحم الأم، لكنها لا تستغني عن الدم، لأنه ينقل إليها ما تحتاجه عن طريق الحبل السري، وهذا الاسم أيضاً لعله من تسمية المعصومعليه السلام، فإن أسرار الأم تصل إلى جنينها من غير أن تصل إلى بقية أعضاء الجسم، ولا أن يعلم بها، بل لعل التسمية أيضاً من أسرار العلقة، فما تأخذه العلقة من الرحم كان قبل الدخول إلى العلقة شيء وبعد الدخول شيء آخر، وإلا كيف يتغير صنف الدم تبعاً لعامل الوراثة؟ فهذا من أسرار العلقة التي لا يعلم بها إلا الله تعالى، نعم إن صنف الدم من اختصاص العوامل الوراثية (الجينات)، لكن، من الذي يغير صنف دم الجنين الممتص من الأم عن طريق الرحم إلى صنف دم الجنين تبعاً للجينات؟ وما هي كيفية التغيير؟

تبين لنا أن الدم له أهمية كبيرة في حياة الإنسان، ولعلنا نوفق في تشخيص مرض انعدام المناعة (الايدز) ـ الحاصل من الممارسات اللاأخلاقية واللاشرعية ـ في أثر تلويث الدم تلويثاً روحياً وعقائدياً بسبب التلوث المادي بهذا المرض وغيره من الأمراض. ولنا وقفة مع أمراض الدم.

إن مرض الدم يؤثر على وظيفته، فيؤثر على فعاليات الجسم المادية والروحية، وعلى ضوء هذه النتائج ـ الافتراضية بحثنا الحقيقة واقعاً ـ المستندة إلى الآيات والأحاديث وأقوال أهل البيتعليهم السلام، نعتقد أن الدم الذاهب إلى الرأس غير الدم الذاهب إلى الرئتين، ولعل ضغط الدم يختلف من عضو إلى آخر فقد يكون مرتفعاً في القلب منخفضاً في الدماغ، مرتفعاً في الكبد منخفضاً في المعدة وذلك باختلاف الوظيفة الخاصة به في ذلك العضو والموقع، بل لعله يختلف من حالة إلى أخرى في نفس العضو فقد يكون مرتفعاً في الحالة الطبيعية منخفضاً في حالة التوتر والشد العصبي، أو في حالة الخجل والخوف وغيرها من متغيرات حالات الإنسان، وبشكل عام أغلب ظني أن الضغط يتناسب تناسباً عكسياً مع شدة الحالة، فكلما كان الإنسان في حالة توتر كان الضغط منخفضاً، وعلى العكس من ذلك يكون في الحالة الطبيعية مرتفعاً، وأن السبب في ذلك، حتى يبقى الإنسان بمعدل ثابت للطاقة، وحتى لو زاد قليلاً فلا يؤثر

عليه، سواء في جسمه أو في تفكيره، وبالتالي على قلبه، لأن الزيادة والنقيصة بنسب قليلة لا تؤثر ذلك التأثير، كما هو متعارف في الصناعات وغيرها من الحسابات، فإنهم يعطون نسبة ٥٪ أو ١٠٪ زيادةً أو نقصاناً، فإن التوتر يزيد في طاقة الإنسان سواء الحركية كسعرات حرارية أو الغضب المعبر عنه بالحرارة النفسية، فلو زاد ضغط الدم مع وجود كميات كبيرة منه يؤدي إلى أمراض أخرى، علماء الطب والفسيولوجيون أدرى بها مني ومن غيرهم.

ولكن من يدري لعل الزيادة القليلة حتى لو كانت بنسبة ١٪ تؤثر على فعاليات الإنسان وفكره، فنحن بحاجة إلى أجهزة حساسة تسجل فرق ضغط دم الإنسان إلى هذا الحدّ، لأنه قد يكون من باب اللحظة الحرجة التي تتغير فيها الصفات بزيادة أو نقيصة طفيفة.

أما لزوجته، فنفس الكلام هناك يكون هنا، ففي الحالات التي يكون فيها الخوف أو التوتر العصبي أو الخجل أو في المواقف الصعبة فإن الدم تقل لزوجته، لأن الجسم بحاجة إلى كميات كبيرة من الدم، فلو كانت لزوجته عالية لصعب وصول كميات كبيرة إلى العضو المراد إنقاذه وإيصال الدم إليه، ولأن الدم يحمل الغذاء سواء المادي أو الروحي وأن العضو بحاجة ماسة إليه، فلزوجته تمنع من وصوله وبالسرعة المطلوبة وبالوقت المحدد والمطلوب.

وننقل الكلام إلى كثافته، والرأي نفس الرأي والأسباب نفس الأسباب، فلا بدّ من أن تكون كثافته قليلة، لأن الكثافة تشترك مع اللزوجة في علة صعوبة وصول الدم إلى العضو المطلوب إنقاذه وسعفه في الحالات التي يستوجب وصول الدم بالسرعة والكمية المطلوبتين.

والخلاصة، إني أظن أن الدم كلما كان قليل الضغط واللزوجة والكثافة كان قادراً على حمل كميات كبيرة من الغذائين المادي والروحي.

هذا الكلام فيما لو كان الإنسان على الفطرة، أما لو تلوثت الفطرة وتغير وضع

الإنسان عنها، فلا بدّ أن تتغير نسبة تأثير العلاقة العكسية، فتكون العلاقة طردياً بحسب الحالة، فكلما زاد توتر أعصاب الإنسان زاد ضغطه، والعكس بالعكس، وهذه الحالة كما ذكرتها بعكس الحالة الطبيعية للفطرة.

من هنا يتبين أهمية هذا البحث في المحافظة على الفطرة، وإبقائها لغرض الوقوف بوجه متغيرات الحياة، ولذلك لا تجد معصوماً عليه السلام فقد حياته من شدة المواقف التي يتعرض لها، أو يفقد بصيرته، أو تصيبه الجلطة القلبية أو الدماغية، أو السكتة القلبية، نعم قد يفقد بصره وبزمن طويل كما حصل لنبيه يعقوب عليه السلام، ولكنه يبقى محافظاً على كمال عقله الذي كان عليه، بل يزداد عنده، وعلى العكس منه من عوام الناس الذي يصاب بالجلطة والسكتة القلبيتين وارتفاع ضغطه لأدنى مشكلة تصيبه، أو يصاب بالسكري بأدنى هزة نفسية، ولذلك أجزم أن المعصوم عليه السلام لا يصاب بمرض السكري لأنه مرض يصيب القلب الضعيف أو الذي له تعلق بالدنيا وإن كان قليلاً، بل العكس هو الصحيح فكلما تعرض المعصوم عليه السلام إلى شدة كلما قوي قلبه، نعم قد يضعف جسده، لأن النفوس الكبار تتعب الأجسام كما ستقرأ شعر المتنبي.

أما وظائف الدم فهي:

أ ـ عملية التنفس: Respiration

١ ـ عملية التنفس الروحي Respiration Spiritual

إن عملية التنفس الروحي، المتمثلة بأخذ الهواء محملاً بالأفكار والقيم الصالحة والطالحة وطرح فضلات الصدر وأعضاء الجسم الروحية، تختلف عن عملية التنفس العضوية المادية، فأخذ الأوكسجين في الشهيق وإرساله إلى كافة أعضاء الجسم عن طريق القلب في الدورة الدموية الكبرى هو من التنفس المادي.

إن عملية التنفس الروحي، هي إيصال المعلومات القلبية إلى كافة أعضاء الجسم، وتغذية الجسم بالفكر الذي يعتمده القلب، أي الإنسان، لأن الإنسان هو القلب، فالدورة الدموية الروحية هي إيصال التنفس الروحي إلى الجسم، وبتعبير آخر أن يكون

الدم على اتصال تام مع المحيط الخارجي، ليتسنى له الاتفاق مع القلب في تنفيذ أوامره، فإن الدم إذا لم يمكن له التعرف على عقيدة القلب والاتفاق والتوافق معها، سيحصل التعارض والتضاد بين ما يريده القلب وما يريده الدم.

إن الهواء الداخل إلى الرئتين والمذاب بالدم بطريقة أكسدة الهيموغلوبين ينقل بين طياته أخبار المحيط الخارجي، وهذه الأخبار هي عقائد الناس وأفكارهم وتطلعاتهم، وعلى الدم أن يعرف الصالح من الطالح من الأخبار، فلا يحمل الأخبار المفسدة للعقيدة، وهذا الكلام لو أن الرئتين كانتا فاسدتين، أما لو كانتا صالحتين لخففتا عن الدم وعن القلب أيضاً، ولذلك لو أن الإنسان عنده التوافق الجسدي الكلي ما بين القلب إلى الرئتين إلى الدم إلى بقية الأعضاء سيكون هذا الإنسان هو المعصوم عليه السلام، وأقصد بهذه الأعضاء الأعضاء الروحية وليست المادية، لأن الجوارح (العضوية) تبع الجوانح (الروحية)، فلا يد تخون ولا رجل تخون ولا عين تخون، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي المسمى بحديث قرب النوافل *(قال الله عزّ وجلّ: من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي، وما تقرب إليّ عبد بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته)*[1]، فالدم له القدرة على أن يحمل العقيدة التي يريدها القلب، أما إذا كان الدم لا يبالي، فلا ينتقي الأفكار والعقائد والقيم الحسنة أو الجيدة أو التي تلائم القلب، وإنما يحمل كل القيم والأفكار ويلقي بها إلى القلب ويتحمل القلب تبعات هذه الأفكار والقيم فيكل أو يتعب في التخلص منها.

فالنفس ذات العقيدة السليمة، تنقي الدم من الأفكار والقيم السقيمة، وتنقل العقائد والقيم والأفكار السليمة إلى كافة أعضاء الجسم، ولكن هذا لا يعني أن القلب يكون قادراً على تنقية الأفكار تنقية تامة، فبطول الزمن تفلت الكثير من الأفكار والقيم

---

(١) الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب من آذى المسلمين واحتقرهم ح ٧.

السيئة، وهذا ما يؤدي بالقلب إلى التراجع والتخلي عن بعض القيم والعقائد الحقة، فيتراجع عن بعضها وبحسب التغير والتبدل والحاجة إلى بعضها، ويأتي العوز المادي والحاجة والشيطان وضعف العقيدة، فيساهمون في التراجع شيئاً فشيئاً وهو المسمى بسوء العاقبة.

إن أهمية الدم تكمن في أنه المغذي للقلب، والقلب هو المغذي للجسم، فإذا فسد الدم فسد القلب، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، كما نقلت لك عزيزي القارئ حديث رسول الله ﷺ إذ قال: *(إنَّ في الإنسان مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)*[(١)]، من هنا كان الأكل مقدمة للدم والدم مقدمة للقلب.

أنقل إليك عزيزي القارئ كلام العارف بالله السيد عبدالأعلى الموسوي السبزواري (رض) في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن، قال:

(وقد دلت الأدلة العقلية والنقلية على أن المأكولات لها الدخل الكبير في إصلاح أو إفساد النفوس، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أنَّ القلب في الإنسان هو المركز وله السيطرة على الحواس التي تسترشد منه، ولا ريب أن الذي يغذي القلب هو الدم وهو خلاصة ما يأكله الإنسان وعصارة ما يطعمه، فإذا فسد هذا الطعام مادياً ومعنوياً فإنه يفسد الدم فيكون الغذاء الذي يغذي القلب منه فاسداً فيفسد بالآخرة، فيكون الأكل من المقدمات التربوية في تهذيب القلب ولعله إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[(٢)]، [(٣)]، وقد نقل عن أبي قراط قال: *ليكن دواؤكم طعامكم وطعامكم دواءكم*[(٤)].

يقول الكسيس كاريل: *نحن نعلم أن أمراض المعدة والأمعاء والكبد كم تؤثر في*

---

(١) صحيح البخاري ج١ كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ح٥٢، وكذلك السلسلة الصحيحة للألباني ج٦ باب٢٧٠٨، ح٤٦٥٦ مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٢) عبس/ ٢٤.

(٣) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص٥٦ نقلاً عن مواهب الرحمن ص٦٣٨.

(٤) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية م بيتر دادامو ص ٣٧٣.

شخصية المصابين، فإن أعضاء الجسم ترشَح من نفسها بعض المواد إلى الدم لا شك أنها تؤثر في النشاطات النفسية والمعنوية للإنسان(١).

إن عملية التفسير الروحي تنطبق فيها التجربة التي قام بها العالم الياباني ماسارو أيموتو على الماء، حيث إن الكلمات التي كانت تلقى على الماء أثرت فيه وحولته إلى ماء نظيف بعد أن كان آسناً. إن هذه الكلمات ذابت في الماء وحولته إلى مركب جديد غير المركب السابق، أي عادت به إلى أصله الذي أنزله الله من السماء فسالت أودية بقدرها، وإليك العملية التي قام بها العالم الياباني وسنشير إليها في علاج أمراض القلب:

قام العالم الياباني «ماسارو ايموتو» بتجربة على الماء، حيث أخذ بإطلاق الكلام على الماء، ثم فحصه بعد أن مست موجات الصوت الماء، فوجد أن ذرات الماء انتظمت انتظاماً دقيقاً، وأعاد التجربة مرات عديدة، فتوصل إلى أن الماء إذا ألقيت عليه كلمات رقيقة وجميلة، كالحب والسلام والمودة والشكر، انتظمت بلوراته بشكل واضح وجميل، وقد أطلق العالم إيموتو على هذه الظاهرة اسم هادو "hado". فيقول في كتابه الصادر عام ١٩٩٩ «رسائل إلى الماء» *(هادو تنشئ كلمات. هذه الكلمات هي اهتزازات الطبيعة فإن كانت كلمات جميلة ستنشئ طبيعة جميلة وإن كانت قبيحة ستنشئ كلمات قبيحة، هذه هي جذور الكون)*. ولم يكتف إيموتو بل أقام تجربة أكبر من هذه التجربة. *ففي ٢٥ يوليو ١٩٩٩ ذهب الدكتور إيموتو مع ٣٥٠ شخصاً إلى إحدى البحيرات الأكثر تلوثاً في اليابان وهي بحيرة بيوا biwa* وقاموا بأخذ عينة من الماء وتصوير ذراته وبعد ذلك أخذوا يتلون صلواتهم الخاصة وإرسال كلمات الحب والسلام الجميلة للماء مع شروق الشمس وأخذوا عينة من الماء لفحص ذراته، فإذا بها تصبح أكثر وضوحاً بعدما كانت مشوهة معدومة الملامح وبعد سنة اختفت الرائحة الفاسدة وانخفض مستوى الطحلبيات في الماء بشكل ملحوظ(٢).

---

(١) الإنسان ذلك المجهول/ الكسيس كاريل ص ١٥٤.

(٢) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد٥٧٠.

إذا كان هذا في كلام البشر، فكيف إذا كان الكلام كلام الله تعالى، أو كلام المعصوم عليه السلام، فكيف سيكون التأثير؟ فلا غرابة، في قول الإمام الصادق عليه السلام، قال: *لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ماكان عجباً*[(١)]، لأن كلام بوذا أو كلمات الحب والود والسلام فعلت فعلة لم يكن لأحد أن يتوقعها، فكيف إذا كان الفكر والعقيدة كلها من السلام واسمها الإسلام، وهو السلم والسلام والأمن والأمان قولاً وفعلاً؟

إن هذه التجربة لو جربت على دم الإنسان، فيصور وتسجل صورته وانتظامها، ثم نلقي عليه كلاماً بذيئاً فاحشاً أو عنيفاً أو قاسياً ويصور دمه ودرجة انتظامه، ثم نلقي عليه كلاماً حسناً عفيفاً رقيقاً حنوناً ثم نصور دمه، ونرى ما هو الاختلاف، أليس هذا باب من أبواب علاج الأمراض بغير دواء؟ لماذا توقف إيموتو عن إجراء هذه التجربة على الإنسان؟ أليس العلم كله من أجل خدمة الإنسان؟

من هنا يتبن لنا دور الدم في إحياء الإنسان، ولذلك لم يخطئ العرب حين سموا الدم بسائل الحياة أو ماء الحياة.

إن المادة والطاقة كما يقول العلماء لا تفنيان، وأن احداهما تتحول إلى الأخرى، وهذا يعني أن الصور كطاقة والأصوات كطاقة لا تنتفيان، وهما باقيتان في محيط جو الأرض، ويمكن استخلاصهما لو تمكن الإنسان من اختراع جهاز ذي دقة عالية في الكشف والتمييز بين ترددات الموجات الضوئية أو الصوتية، وهذه الصور والأصوات هي صور وأفعال الناس وأقوالهم، فهي التي تحمل القيم والأفكار والعقائد والوقائع والحوادث كلها من غير استثناء، وهذا ما يجعل الهواء حاملاً لها وناقلاً لها إلى الرئتين ثم إلى الدم ثم القلب.

إن هذه العقائد والأفكار كلها تنتقل كمواد مذابة في الدم، إذابة مادية وروحية وليس مادية فقط، ولا يمكن كشفها بالمختبر المادي، نعم يمكن كشفها بالمختبر

---

(١) مكارم الأخلاق الطبرسي الباب/ ١١ الفصل/ ٢ الاستشفاء بالقرآن ح ٨.

الروحي المادي، أو المختبر الروحي فقط لعلو شأن الروح على المادة، وأن واحداً من هذه المختبرات هو القلب، بل هو أعظمها عند غير المعصوم، أما المعصوم فله من القدرة على كشف حقائق الناس لو أراد، والوصول إلى نواياهم، كما ذكرت هذا في هذا الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

إيضاح والتفات

يعتقد أصحاب مذهب أهل البيت أن الإمام المهدي (عج) سيكشف أكاذيب الكذابين وجرائمهم، وظلم الظالمين وبغيهم بالحجة الدامغة، التي لا ترد ولا تعارض، وهذا لا يكون إلا من خلال الأدلة العلمية والتجريبية الواقعية، التي يذعن لها كل ذي عقل ولب، عندها تنكشف مظلومية أهل البيت، وأعتقد أن ذلك يتم من خلال صنع أجهزة متطورة جداً بالقياس إلى أجهزتنا الآن، وهذا ما عجز عنه العلماء لحد الآن لصعوبة صنع جهاز بهذه الدقة، وهذه الأجهزة هي التي تقوم بالكشف عن الأصوات والصور التي مرت في التاريخ وتسجيلها وإعادة عرضها بشكل لا يقبل الاعتراض والشك، لأن الصور والأصوات طاقة موجودة لا تفنى، ولكن يمكن نقلها من شكل إلى آخر كما يجري الآن. كما أن قدرة الإنسان في الاطلاع على الغيب غير المختص بالله لا يكون إلا للمعصوم وذلك من خلال إيصال القلوب إلى حالة من الصفاء ترتسم فيها حقائق الناس الروحية الحالية والسابقة ما يمكن المعصوم من كشف الحقائق للآخرين كشفاً يلامس قلوبهم فلا يمكنهم الرفض.

٢ ـ عملية التنفس العضوي (المادي) Material Respiration

أما هذه العملية فليست من مختصات الكتاب، وهذه العملية إجمالاً، هي تأكسد الدم عن طريق الهيموغلوبين ونقل هذا الغاز (O2) إلى كافة أعضاء الجسم وذلك عن طرق الدورة الدموية الكبرى التي سنمر عليها.

وأما تأثيرها على الإنسان فإن الخبث المادي يؤدي إلى خبث روحي عقلي، فهناك

---

(١) التوبة/ ١٠٥.

ملازمة بين الخبثين مع فرق التأثير، لأن الخبث الروحي يؤثر تأثيراً مادياً شديداً لو صاحبته النية الخبيثة، وأما الخبث المادي فتأثيره واحد بغض النظر عن النية وعدمها فضلاً عن شدتها. نعم لو كان الخبث المادي بشرط نية لأجل الخبث الروحي فهنا يكون التأثير شديداً في الناحيتين المادية والروحية.

ب ـ تغذية الجسم Body Feeding.

١ ـ التغذية الروحية / ٢ ـ التغذية المادية

١ ـ التغذية الروحية: Spiritual Feeding

لم أجد نصاً صريحاً على نوع الغذاء الخاص بالدم، وإنما هناك الأغذية الخاصة بالقلب، وهناك الأغذية العامة التي تذكر للحفظ والذاكرة، وليس هناك ذكر مخصوص كالدعاء والقراءة أو العمل العبادي الذي يغذي الدم، سوى النص الذي ذكرته عن السيد عبدالأعلى السبزواري (قدس سره) من أن الدم مقدمة للقلب، وعليه فإن الأغذية الروحية للقلب هي التي يكون لها الأثر الروحي على الدم فضلاً عن الأغذية المادية التي سنذكرها.

إن الدم هو الواسطة ما بين القلب والرئتين، وهو العضو الناقل للهواء والأفكار والقيم والعقائد الخارجية الداخلة إلى الرئتين ومنه إلى القلب عن طريق الدورة الدموية الصغرى، ومن القلب إلى بقية أجزاء الجسم عن طريق الدورة الدموية الكبرى، وهذا الواجب من أعقد الواجبات بعد واجب القلب، وأن هذا الدم لو تمرد على القلب فسيحل بالإنسان الانحراف والتمرد على القيم والعقيدة التي يعتقدها القلب، لأن نقل الأفكار المكذوبة والموهومة والفاسدة تعمل عملها في القلب بطريقين: الأول أنها تأثر به والثاني أنه سيتصرف وفق الأفكار القادمة له من الخارج، فإذا كانت كاذبة كانت نتائج قرارات القلب كاذبة ومخطورة، من هنا كانت عبارات السيد عبدالأعلى السبزواري (قدس سره) في أن الدم مقدمة للقلب وأن الغذاء مقدمة للدم، فلينظر الإنسان الى طعامه.

٢ ـ **الأغذية المادية** Material Food

تختلف الأغذية المادية للدم باختلاف فصائل الدم، فلكل فصيلة دم غذائها الخاص بها، وتشترك في كثير من أنواع الأغذية، وهذا ما يؤكد اشتراك أغلب الناس بالعقائد والتفكير والتوجه، وهو ملموس لدينا، وليس غريباً علينا، بل الطبيعة الواقعية تقول هذا، مع ما للإنسان الفرد من خصوصيات لا يشاركه معها أحد، ومن هذا المشترك ظهرت الدراسات الاجتماعية التي تخاطب المجتمع كأمة أو كمجموعة لها أسلوبها الخاص بها، ومنها ما هو مشترك بين جميع الناس، وهناك دليل آخر على هذا المدعى وهو قبول مختلف الدماء لفصيلة O وكون إحدى الفصائل مشتركة وهي AB، إضافة إلى الأبحاث العلمية التي أثبتت هذا الاختلاف في الغذاء.

ج ـ إخراج الفضلات. Remaining Outside

١ ـ الفضلات الروحية.

ذكرت في وظيفة الدم أنه ينقل الأفكار والعقائد من خارج الجسم إلى داخله عن طريق التنفس وبالذات في عملية الشهيق، وأما في عملية الزفير فإن القلب أو الروح يطرح الفضلات الروحية من القيم والأفكار والعقائد التي دخلت دون علم القلب أو بتواطئ من الرئتين أو من الدم أو كليهما.

إن عملية طرح الفضلات الروحية ليس بالأمر الهين، أو أنه يتم كما تتم عملية طرح ثاني أوكسيد الكاربون، كلا، فإن عملية طرح الفضلات المادية سهلة وهي عملية كيميائية ميكانيكية ولا تحتاج إلى فكر ومعاناة وتخطيط، أما طرح القيم والعقائد والأخلاق فتحتاج إلى موافقات عديدة، خاصة إذا كان القلب قوياً جداً أو كان به بعض الضعف، لأن ذلك يتطلب موافقة القلب وأن أي عقيدة تدخل أو تخرج لا تكون إلا بعلمه، ولو غفل القلب وخانت العين أو الأذن أو اللسان، أو خان الدم، فإن ذلك يعرّض هذا العضو إلى العقوبة في حال علم القلب بذلك، وعليه فليس من السهل على الإنسان أن يتخلص من عقيدته حتى وإن كانت فاسدة.

٢ ـ **الفضلات العضوية (المادية).**

طرح الفضلات المادية ليس لنا فيه حديث إلا بقدر تأثير الفضلات على عمل القلب المادي الذي يؤدي إلى خلل في عمل القلب الروحي، فإن عمل القلب المادي يؤثر سلباً أو إيجاباً على عمل القلب الروحي، لأنهما في مكان واحد، بل إن خلل القلب المادي أكثر تاثيراً على القلب الروحي من بقية أعضاء جسم الإنسان، وأما تأثير القلب الروحي على القلب المادي، تأثير عظيم يؤدي إلى موته، كما حصل لهمام حين عرف أنه ليس فيه من صفات المتقين[١].

د ـ المناعة Prevantion

نقصد بالمناعة قدرة الدم على الدفاع عن الإنسان عقلاً وجسداً، فأما العقل، وهو المهم والأساس في الإنسان، فيكون من خلال المناعة المادية والمناعة الروحية، فللجسد المناعة المادية فقط، لأن الدم يحافظ على الجسد من البكتريا والجراثيم والفيروسات التي تدخل إليه، وعليه فالمناعة مناعتان وهما:

١ ـ **المناعة الروحية**. Spiritual Prevantion

هذه المناعة هي قدرة الإنسان على مواجهة العدو الخارجي فقط، وأما العدو الداخلي وهو النفس، فمن مختصات القلب فقط إضافة إلى العدو الخارجي، وقدرة الدم على تطبيق أوامر القلب سلباً أو إيجاباً هي التي تقرر وجود المناعة من عدمها، فإن الدم مأمور بأن لا ينقل من الخارج الأفكار الهدامة إلى داخل الجسد، وأن يخبر القلب بأن العدو يتربص به الدوائر خارج القلب، سواء خارج الجسد كلياً أو خارج القلب فقط، أي أن العدو متواجد في الرئتين.

إن الأمراض الروحية للقلوب، من الحقد والكفر والغش والخديعة والخيانة والكذب والغضب والهوى وطول الأمل وحب الدنيا، وغيرها من الأمراض، تحتاج

(١) راجع نهج البلاغة خطبة ١٩٣ صفات المتقين/ تحقيق صبحي الصالح.

إلى أمرين: الأمر الأول المناعة الوقائية، وهي المناعة التي يغذيها القلب للدم والتي تجعله ممتنعاً على قبول هذه الأمراض وعدم السماح لها بالدخول إلى القلب مع الهواء المستنشق، ولكن لو دخلت هذه الأمراض عنوة على الدم لأنه ضعيف، أو لأنها قوية جداً، فيكون واجبه الإخبار عنها في أول شهيق يصل إلى القلب لغرض جعل القلب محتاطاً منها، والأمر الثاني: الهجوم على العدو، لأن في الحديث: أن الشياطين يحومون حول قلب المؤمن، وهذا يجعل القلب في المرحلة الأولى حذراً منها وفي المرحلة الثانية الهجوم عليها، وهذا العمل تماماً يشبه عمل الدم في المناعة المادية التي سنمر عليها باختصار.

إن التوافق بين القلب والدم وإمرة القلب لأعضاء الجسد كله، هي التي تمكن القلب من الوقاية من الأمراض المحتملة الإصابة بها، وتجعل عمل الجسد كله من أجل الإنسان، وأن يبقى إنساناً وعلى فطرة التوحيد والعمل على تنميتها.

٢ ـ المناعة العضوية (المادية). Material Prevantion

وأما المناعة المادية فهي من مختصات الدم المادي، وبالتحديد الكريات البيضاء.

إن الكريات البيضاء مكونة من أنواع مختلفة باختلاف الوظيفة فمنها مثلاً (الماكروفاج Macrophag) وهي التي تقوم بمهاجمة الجراثيم وابتلاعها. ومنها الكريات اللمفاوية التي تقوم بإنتاج الأجسام المضادة لمحاربة الجراثيم الغازية.

لقد بين العلم الحديث أن لكل فئة منظومة مناعية تختلف عن غيرها من الفئات الأخرى، وهذا ما يدفع الإنسان لأن يكتشف نفسه من خلال فئة دمه ونوع الغذاء المناسب له.

إن اختلاف المناعة المادية يستوجب اختلاف المناعة الروحية، وهذا واضح في حديث الرسول الأعظم ﷺ حيث يقول: ***عن عمربن محمد، عن علي بن مهرويه، عن داود بن سليمان عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عزوجل: يا بني آدم كلكم ضال إلا من***

هديت، وكلكم عائل إلا من أغنيت، وكلكم هالك إلا من أنجيت، فاسألوني أكفكم وأهدكم سبيل رشدكم، إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفاقة، ولو أغنيته لافسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة، ولو أمرضته لافسده ذلك، وإن من عبادي لمن يجتهد في عبادتي وقيام الليل لي فالقي عليه النعاس نظراً مني له، فيرقد حتى يصبح ويقوم حين يقوم وهو ماقت لنفسه، زار عليها، ولو خليت بينه وبين مايريد لدخله العجب بعمله، ثم كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه، فيظن أنه قد فاق العابدين، وجاز باجتهاده حدّ المقصرين فيتباعد بذلك مني، وهو يظن أنه يتقرب إليّ، ألا فلا يتكل العاملون على أعمالهم، وإن حسنت، ولا ييئس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وإن كثرت، لكن برحمتي فليثقوا، ولفضلي فليرجوا، وإلى حسن نظري فليطمئنوا، وذلك أني أدبر عبادي بما يصلحهم، وأنا بهم لطيف خبير. (١) والتقريب في هذا الحديث هو أن بعض الناس لا يصلحه إلا اللحوم وهي ضارة لغيره، ومنهم لا يصلحه إلا النشويات، وهي ضارة لغيره، وهكذا بقية الأطعمة باختلاف الفصائل، والحديث في روعته لم يتكلم عن الإصلاح المادي فقط أو الإصلاح الروحي فقط بل شملهما معاً بدلالة ذكر الصحة والإعلال والفاقة من جهة وهي مادية، وذكر العبادة وهي روحية.

هـ ـ توازن الماء. Water Balance

وهذه الوظيفة وظيفة مادية بحتة، يتم فيها تنظيم كمية الماء في جسم الإنسان، عن طريق حفظ نسب الشرب والطرح عن طريق التبول والتعرق.

و ـ تنظيم حرارة الجسم. Body Temperature Plannig

يمتص الدم الحرارة الداخلية للجسم ويقوم بطرحها خارج الجسم.

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٦٨ باب التوكل والتفويض والرضا والتسليم ح٣١.

ز ـ عملية التمثيل الغذائي.

يحمل الدم الهرمونات وبعض المواد الهامة اللازمة لتنظيم عملية التمثيل الغذائي في الجسم

ح ـ حفظ الضغط الأسموزي.

يتم حفظ الضغط الأسموزي للدم وسائل الأنسجة بفضل بروتينات البلازما، وهذا الضغط ضروري لحفظ حجم الدم وتكوين سائل الأنسجة والبول.

وظيفة الدم الأول:

يعمل الدم الأول ـ الممتص من جدار الرحم وهو المسؤول الأول عن نمو وتطور النطفة إلى أن تصبح علقة ثم مضغة ثم جنيناً ـ عملاً فكرياً شاعراً، وهذا يعني أنه: إما أن يكون عن طريق العقل المودوع في الدم الأول، أي أن الدم الأول كما قلتُ: شاعرٌ ومفكرٌ ويتغير بتغير الحاجة والظروف المتغيرة، وهذا يحتاج إلى إثبات علمي، وأعتقده من أصعب العلوم التجريبية الآن، بل لم يفكر به أحد على حدّ علمي إلى الآن، لأن الدم أصلاً ليس بمفكر ولا له دخل في عملية التفكير والتحسس العملي في نظر علماء الطبيعة وعلى الخصوص علماء الطب، فكيف يكون لهم البحث عن شيء لم يوجد بعد عندهم؟ نعم لو حدث ما يثير عقولهم من حادثة غريبة أو اختبار غريب أو جديد، عند ذلك يمكن أن يفكروا في البحث والتقصي والاختبار.

وأما عن طريق الغريزة التي يودعها الله تعالى في العلقة، وهذه أيضاً بحاجة إلى إثبات علمي، أما على مستوى النظر الرياضي الاستقرائي البحت، بعد إسقاط الاحتمالات واحداً بعد الآخر، أو عن طريق الإثبات التجريبي، أو أن العلم قد قال كلمته فيه.

يبقى هذا الدم (الدم الأول) مع الإنسان إلى أن يخلق الله القلب بعد ٢١ يوماً من تكون الجنين، أي اتصال الحيمن بالبويضة وتكوين البيضة المخصبة، وبعد خلق القلب يأخذ الدم وظيفة أخرى سنمر عليها في موضوع وظيفة الدم. ولكن يبقى شيء واحد لم

أتحقق منه، وهو متى يصبح دم الجنين موافقاً للعوامل الوراثية، أي يتغير عما كان عليه حين امتصاصه من جدار الرحم؟ وهذا لا يؤثر كثيراً على البحث، بل قد لا يكون له تأثير يذكر وقد يكون تأثيره كبيراً جداً كاعتباره إنساناً كامل يستحق كامل الدية.

الدم الثاني:

وهذا الدم هو الذي يضخه القلب إلى جميع أجزاء الجسم (الجنين) ويبقى مع الإنسان إلى موته على فرض أنه يتغير بعد تكون القلب موافقاً للجينات الوراثية، ولا نعني ببقائه أنه لا يتغير كمادة وإنما نقصد لا تتغير فصيلته.

يتكون الدم من الكريات الحمراء والكريات البيضاء والأقراص الدموية والأجسام المضادة والبلازما، ولكل جزء من هذه الأجزاء وظائف خاصة به وزيادة ونقصان هذه الأجزاء يؤثر على عمل الدم وبالتالي يؤثر على عمل القلب.

٥ ـ الجهاز الحسيّ الروحي للدم

Blood Spiritual Sensey System Of

لقد استطاع الإنسان أن يكتشف الجهاز العصبي العضوي، وهو عبارة عن الاتصال ما بين الدماغ وأعضاء الجسم، فالمخ للأعمال الإرادية والمخيخ للأعمال اللاإرادية والنخاع المستطيل لباقي التحسس، وهو مرتبط بالنخاع الشوكي، والسبب في ذلك، أن الأعمال التي يقوم بها الدماغ أعمال مادية، كالتنفس والهضم والأكل والإفرازات العصارية وغيرها من الأعمال وأن المسؤول عنها هو الدماغ وهو عضو مادي، أما الجهاز الحسيّ الدمّي أو الروحي فلأنه مرتبط بالعقل الروحي أو بالقلب الروحي فلا يمكن لنا أن نتعرف عليه إلا من خلال آثاره، مثله مثل الشعور بالخوف أو الفرح لا نفرق بينهما رغم اختلافهما.

إن معرفة الجهاز الحسيّ الروحي لا يمكن أن تكون معرفة تامة، لأن معرفته يعني معرفة الروح، ومعرفة الروح يعني معرفة الله تعالى، وهذا الذي ذكرته، أن: (من عرف

نفسه فقد عرف ربه)[١]، ولما كانت معرفة الرب ممتنعة مطلقاً، كانت معرفة الروح بشكلها التام مستحيلةً أيضاً، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]، أما المعرفة الإجمالية فهذا هو المطلوب، كمعرفتنا بالله تعالى، فإنها معرفة إجمالية لا تفصيلية، نعم يمكن أن نعرف صفاته و أسماءه ومخلوقاته، وبتعبير كلامي معرفة العلة من خلال المعلول، وهو البرهان الإني، ولهذا قال الإمام الرضا‹عليه السلام›: *(قدرته نافذة فليس يحتاج إلى أن يسمي نفسه، ولكن اختار لنفسه أسماء لغيره، يدعونه بها، لأنه إذا لم يدعَ باسمه لم يعرف)*[٣] مع أن الإمام‹عليه السلام› ـ أي إمام ـ معرفته لله تعالى بالبرهان اللّمي، أي معرفة وجود المعلول لوجود العلة، أي بالعلة يعرف وجود المعلول، ويسمى برهان الصديقين.

إن معرفة الجهاز الحسيّ الدمّي سيفتح أمام الإنسان آفاقاً رحبة في سبر أغوار هذا المخلوق العظيم الذي انطوى فيه العالم الأكبر، فنحن بحاجة إلى تحليل جديد للدم، يتوافق مع شدة التيار الكهربائي للقلب والدم أيضاً، واكتشاف الموجات الخارجة من القلب إلى أعضاء الجسم وإلى غيره من القلوب.

إن الدم الخارج من القلب غير الدم الداخل إليه، وليس القياس على الدم الحامل للأوكسجين أو الحامل لثاني أوكسيد الكاربون، بل العبرة الخروج والدخول من وإلى القلب، فهي التي تحدد قيمة وأهمية الدم.

إن التجربة التي أجراها العالم الياباني إيموتو في عام ١٩٩٥ والتي سماها (هادو) والتي مرت علينا، تبين أن للكلام طاقة، بحسب الكلام، فالجيد طاقة إيجابية والسيء طاقة سلبية، ولما كان القلب عرش الرحمن فالطاقة التي فيه طاقة عالية إيجابية، فالدم الخارج من القلب له طاقة إيجابية عالية، ونحن بحاجة إلى دراسة الدم من هذه الناحية،

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة ٣٢١.
(٢) الإسراء/ ٨٥.
(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٤ باب العلم وكيفية الآيات الواردة فيه ح٢٦ ص٣١٦.

ونحتاج إلى تحاليل جديدة من هذه الناحية أيضاً. أما إذا كان القلب عرش الإنسان فهو على ما عليه الإنسان من إخلاص النية وعدمها، وبشكل عام على طريقة نية العمل، فإن كانت للإنسانية فهي إيجابية، وإن كانت فردية أنانية فهي سلبية.

إن الجهاز الحسيّ الدمّي ينقل الأفكار والأحاسيس والمشاعر الروحية إلى جميع أجزاء الجسم، وأن الاختلاف بين عضو وآخر هو الذي يحدد نوع الغذاء، ونوع الموجة الخارجة من القلب إلى هذا العضو أو ذاك، مع أن الدم يحمل جميع هذه الموجات والأغذية في مكان واحد منه، ولكنها لا تختلط مع بعضها، وللعضو المعين القدرة على أخذ ما يحتاجه من الغذاء والموجة الخاصة به، وأشبّه هذه العملية بكرات متعددة الأقطار توضع في غربال تختلف مشبكاته المربعة الأقطار، ومن مواصفات هذا الغربال أن الكرة لا تدخل إلى المربع الخاص بها إلا أن تكون المسافة ما بين أضلاع المربع ومحيط الكرة قلية جداً إلى حدّ تكاد تكون المسافة معدومة لوجود متحسس للمسافة بين الكرة وأضلاع المشبك، فلا الكرة الكبيرة تعبر لكبر قطرها من المربع الصغير ولا الكرة الصغيرة تعبر من المربع الكبير، لكبر المسافة ما بين محيط الكرة الصغيرة وأضلاع المربع الكبير، وهكذا يأخذ كل عضو غذاءه المطلوب وموجته المطلوبة.

أما توضيح فكرة استحالة معرفة الجهاز الحسّي الدمّي (الروحي)، فعلى مستوى الفكر العلمي المادي، نقول: إن الإنسان لحدّ الآن لم يتوصل إلى معرفة الفرق بين مشاعر الخوف والحزن والفرح على المستوى المادي، مع أنه يعتقد بها، فلو قال إن الخوف نتاج حركة المادة، أقول إن المادة واحدة فكيف تنتج أشياء مختلفة؟ بل على مستوى الشعور الواحد هناك اختلاف، فالخوف من الفشل ليس كالخوف من الحيوان المفترس، والخوف من المعلوم ليس كالخوف من المجهول، وهكذا بالنسبة إلى الخجل واليأس والحزن والفرح وغيرها من المشاعر. أما على مستوى الإنسان المؤمن بالوحي، فنقول: إن الإنسان المؤمن يؤمن بوجود الوحي، ولكنه لم يره ولم يسمعه،

إلا أنه يرى ويسمع النبيﷺ أو الأنبياءعليهم السلام حين التبليغ، فعدم معرفة الجهاز العصبي الدمّي كعدم معرفتنا بالوحي، ومعرفتنا بالجهاز الحسيّ العصبي كمعرفتنا بالتبليغ الرسالي، فلا نرى الوحي لكنا نؤمن به وكذلك نرى آثار ذلك من خلال إخبار الرسولﷺ به، فكذلك لا نرى ولن نرى ونكتشف الجهاز الحسيّ الدمّي اكتشافاً مادياً ولا اكتشافاً روحياً أو قلبياً كلياً، بل اكتشافاً قلبياً إجمالياً، إلا أن يتحول الإنسان بطاعته لله تعالى إلى ملاك أو أرقى من الملاك كالمعصومعليه السلام .

إن عدم معرفة الجهاز الحسيّ الدمي لا يعني عدم وجوده، فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، وعدم تلمس الشيء لا يعني انعدامه، فالوجود والعدم لا يرتبط دائماً بالمادة والماديات، فهناك الموجودات المجردة، كالملائكة والروح والعقل وغيرها، مع إيماننا بها واعتقادنا بأن لها من القدرة ما تفوق القدرة المادية، بل مرد القوة المادية إلى القوة الروحية.

فالصلاة والصيام والتفكّر والتعقل، أعمال مختلفة تحتاج إلى جسد يقوى عليها، فإذا كثر الصيام والصلاة وتعمق الفكر والتفكر والتعقل بمستوى يرقى إلى أسمى وأعلى من الجسد، كلَّ الجسد عن مجاراة النفس (الروح)، وبالتالي من معرفة الروح.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مراها الأجسام(١)

٦ ـ الدورة الدموية المادية Blood Circulation Material

أ ـ الدورة الدموية الصغرى Small Blood Circulation

يبدأ الدم في هذه الدورة من البطين الأيمن عبر الشريان الرئوي (Pulmonary Artery) إلى الرئتين محملاً بثاني أوكسيد الكربون CO_2، حيث يتفرع إلى فرعين،

---

(١) ديوان المتنبي/ شرحه وضبطه وقدم له علي العسيلي ص٢٠٨.

ويدخل كل فرع إلى رئة، ثم يعود من الرئتين إلى القلب ويدخله عن طريق أربعة أوردة ثم إلى الأذين الأيسر محملاً بالأوكسجين O2 لغرض حرق الغذاء وتكوين الطاقة التي يحتاجها الجسم في الدورة الدموية الكبرى.

إن الدم الذاهب إلى الرئتين يرمز له باللون الأزرق، لكونه محملاً بثاني أوكسيد الكربون، وهذه العملية هي التي نطلق عليها عملية الزفير، حيث يتخلص الجسم من غاز ثاني أوكسيد الكربون المحمول من جميع أجزاء الجسم ما عدا حويصلات الرئتين.

تختلف الدورة الدموية الصغرى عن الدورة الدموية الكبرى في واجب الشرايين والأوردة، فعندما تقوم الشرايين في الصغرى بنقل ثاني أوكسيد الكربون إلى الرئتين، وتنقل الأوردة الأوكسجين، تقوم الشرايين في الكبرى بنقل الأوكسجين إلى أنحاء الجسم، بينما تنقل الأوردة ثاني أوكسيد الكربون للتخلص منه عن طريق الرئتين.

إن الدم الذاهب إلى الرئتين، يختلف في واجبه عن الدم الذاهب إلى بقية أعضاء الجسم، ولعل هذا الاختلاف بسبب اختلاف وظيفة العضو، فواجب الرئتين ليس كواجب أعضاء الجسم، من حيث الأداء الفكري أو العقلي، وإنما الحذر من الارتباط بالشيطنة، لأن الصدر موضع الوسوسة والشك والريب، فإن الشيطان يحوم حوله، ولذلك تطلب دماً يختلف عن دم بقية أعضاء الجسم، أي لابدّ وأن يكون الدم قادراً على عدم السماح للشيطان من دخول القلب والسيطرة عليه، ولكن الغفلة والشعبذة والهوى ينسي الإنسان، فيدخل الشيطان إلى صدره، ومن ثم إلى قلبه، قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١)﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[1].

---

(١) سورة الناس/ ١ ـ ٥.

إن المرحلة الأولى لشياطين الجن والإنس وبخاصة شياطين الجن، هي التقرب من القلب والاطلاع على أحواله، ونقاط قوته وضعفه، بعد ذلك يهيىء أسباب وعوامل الدخول إلى القلب، لأن: *(القلب عرش الرحمن)*[١]، ولا يمكن لأحد أن يدخله إلا إذا غاب الحارس الأمين عنه، وسنتعرف على فوائد الذكر للقلب، الذي يجعله دائماً في حضرة الله تعالى، فلا ينسى ولا يغفل، وهذا هو السبب في عدم ذنب المعصوم عليه السلام وخطئه، أو أن ينسى أو يغفل أو يسهو.

إن المحافظة على الرئتين، إضافة إلى كونه عاملاً صحياً بدنياً، فهو أيضاً عاملاً صحياً روحياً، كونه يجعل الرئتين في أتم حالات الاستعداد لمنع وساوس الشيطان، لأنهما ـ أي الرئتين ـ سالمتان من كل عيب يقلل من قدرتهما العملية المناط عليهما فعله، وذلك اتباعاً للقول «العقل السليم في الجسم السليم»، أي القلب السليم في الجسم السليم، فكلما كان الجسم معافاً كان قادراً على أداء واجباته بأتم صورة وحال.

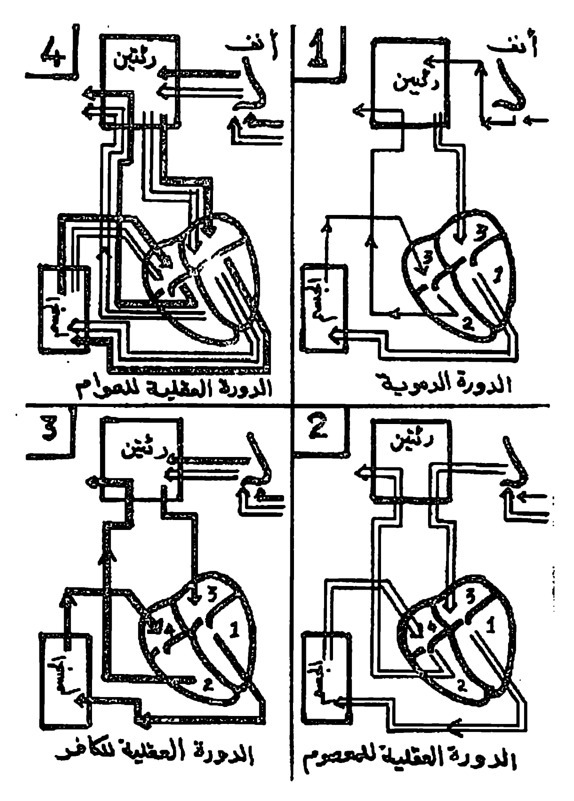
ب ـ الدورة الدموية الكبرى Great Blood Circulation

تبدأ الدورة الدموية الكبرى من البطين الأيسر إلى جميع أعضاء الجسم عبر الشريان الأبهر المسمى بالوتين، وهو الذي أشار إليه القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[٢]، أن هذا الشريان هو المموّل الرئيسي للجسم بالدم المحمل بالأوكسجين والمواد الغذائية، فقطعه يعني قطع كافة امدادات الغذاء والهواء. إن دخول الدم إلى الرئتين ورجوعه محملاً بالأوكسجين إلى الأذين الأيسر، هي التي نطلق عليها بعملية الشهيق، وبذلك تكون عملية التنفس في الزفير والشهيق عبر الرئتين، ومن هنا كانتا في غاية الأهمية للإنسان، وعليه أن يحافظ عليهما من كل داء، سواء من الداء المادي أو الداء الروحي.

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة/ صدر المتألهين الشيرازي ج٩ ص٢٩٠.

(٢) الحاقة/ ٤٦.



شكل رقم (٤) مخطط الدورة الدموية المادية

(١) والدورة الدموية الروحية كما يلي (٢) للمعصوم و(٣) للكافر و(٤) للعوام

الرسم في الشكل رقم (١) يبين عملية الشهيق المادي، التي يتم فيها أكسدة الدم بالأوكسجين في الرئتين ثم يذهب إلى الجسم، ثم يعود محملاً بثاني أوكسيد الكاربون، ثم يعود إلى الأذين الأيمن، ثم إلى البطين الأيمن ثم إلى الرئتين ومنها إلى خارج الجسم.

الدورة الدموية العقلية (الروحية) Spiritual (mentality) Blood Circulation

الدورة الدموية العقلية (الروحية) للإنسان تختلف باختلاف الأفراد، فالدورة الدموية للمعصوم عليه السلام تختلف عن الدورة الدموية للكافر، لأن بينهما اختلاف كلي فما يدخل المعصوم هو الخير وما يخرج منه هو الخير أيضاً، وأما الكافر فيدخله شر

ويخرج منه شر، وأما اختلافها عن عوام المؤمنين فاختلاف جزئي، لأن العامي يشترك مع المعصوم﵇ في دخول الخير وخروجه كما هو مبين في الرسم الأسفل رقم (٢) الذي يوضح دخول الهواء إلى الأنف فيمرر فقط الأفكار الصالحة والتي هي من الله تعالى ومن الصالحين، وليس بما هو موجود في الهواء والمحيط الخارجي وهي المبينة بالخط المزدوج، ونشاهد أن أنف المعصوم﵇ لا يُدخِل أية أفكار شيطانية أو منحرفة مطلقاً، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2]، لأن المعصوم﵇ أعظم وأقوى من غيره فضلاً عن الكافر، ثم إلى الرئتين، ثم إلى الأذين الأيسر، ثم إلى البطين الأيسر، ثم إلى الجسم، ثم إلى الأذين الأيمن، ثم إلى البطين الأيمن، ثم إلى الرئتين، ثم إلى المحيط الخارجي، وما يلفظه الإمام كله خير، فيدخله خير محض ويخرج منه خير محض، فلا شر في ساحته﵇ مطلقاً.

أما الشكل رقم (٣) فيمثل الدورة الدموية العقلية عند الكافر، فيدخل الصالح والطالح إلى أنفه، فيتحول الصالح إلى طالح في رئتيه، لأنهما موطن الوسواس الخناس، ثم يخرج كله طالح من رئتيه إلى قلبه، ثم إلى جسمه، ثم إلى قلبه، ثم إلى الرئتين، ثم يخرج طالحاً، إلا اليسير الذي يكاد أن لا يرى، كما هو إبليس (لعنه الله) في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، فهو يعترف بأن الله رب العالمين، وكذلك قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[4].

هذا هو القلب المنكوس، فبدل أن يتخلص القلب من قذارات وأدران المحيطين الخارجي والداخلي، يقوم هو والرئتين بتحويل كل ما يدخله إلى قذارة، فيصبح

---

(١) يوسف/ ٢٤.
(٢) ص/ ٨٢ ـ ٨٣.
(٣) الحشر/ ١٦.
(٤) الحجر/ ٤٠.

مصداقاً لحديثه ﷺ: (. . *كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً*)[١].

أما الشكل رقم (٤) فيمثل عوام الناس، أي، لا هو بالمعصوم ولا هو بالكافر، وإنما الحالة الوسطية بينهما، وهذا الإنسان يختلف من شخص إلى آخر، والرسم يبين أن النسبة في الصالح والطالح واحدة، أي متساوية، ولكنها في الحقيقة مختلفة، فإن بعض الناس يكون أقرب إلى المعصوم عليه السلام، وبعضهم بعيد عنه، فهي مختلفة باختلاف أعمال الناس.

في هذه المجموعة يبقى الإنسان وعمله وإخلاصه وحبه لعمل الخير والتخلق بالأخلاق الحميدة. في هذه المجموعة ولوجود الذنوب تظهر النكت السوداء في القلب أو في الرئتين فيتخلص منها المؤمن بالعمل الصالح والندم على ما فعل، ولكن لو أصر على فعل الذنوب وعلى ترك الاستغفار والتوبة تكبر هذه النكت حتى يصبح كالكافر في دورته الدموية العقلية، وبذلك يتحول إلى كافر بامتياز.

دقق معي أخي القارئ في هذا الحديث: ***عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: التثاؤب من الشيطان والعطسة من الله عزّ وجلّ***[٢]، فهل هناك أوضح من هذا الحديث الذي يصف عملية الشهيق من خلال الفم بأنها من الشيطان، وهناك من الأحاديث التي تأمر الإنسان بسدّ الفم عند التثاؤب، كإطباق الشفتين أو وضع اليد على الفم، لخطورة هذه العملية روحياً ومادياً على الإنسان، وهذا ما يؤكد رأينا في التنفس الروحي وآثاره الروحية والمادية معاً.

إن وضع اليد على الفم عند التثاؤب يشبه وضع اليد على الأنف عند شم الروائح النتنة أو شم الغازات السامة أو المخدشة لبطانة الأنف، وذلك لغرض الوقاية منها، وهنا الوقاية من أثر الشيطان الروحي والمادي. إن الجميل والدقيق في قوله عليه السلام أنه

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج ٩٧ أبواب الأمر بالمعروف باب ١ ح٨٢.
(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب العشرة باب العطاس والتسميت ح٥.

قال: من الشيطان ولم يقل من إبليس، لأن الشيطان يشمل كل ما هو مضر، سواء شياطين الجن أو شياطين الأنس، أو أي مخلوق مضر، كالجراثيم.

إن هذه العملية تشبه عملية التخلص من ثاني أوكسيد الكاربون في عملية الزفير المبينة بالرسم الأعلى في الرقم (١).

إن وجود الصمامات التي توجد بين كل أذين وبطين، تحول دون رجوع الدم بحالة عكسية، أي من البطين إلى الأذين، والسبب في ذلك أن واجب البطين عكس واجب الأذين، فلو رجع الدم لانعكست العملية، ولانعكست معها وظائف الأعضاء، ولأدّى إلى الخلل في جسم الإنسان، وبشكل خاص على عملية التفكير، وذلك لأن الدم الذي سيصل إلى الدماغ يمنعه من أداء واجبه كأمين عام لأفعال القلب، وكذلك تنعكس عملية الشهيق والزفير، فيسمم جسم الإنسان، أو على أقل تقدير تنتفي فائدة الدم، لعدم حمله للأوكسجين إلى أعضاء الجسم، وعدم حمل الغذاء المادي إليه، وهذا يؤدي إلى خلل كبير في عملية التفكير الدماغي، وهذا ينعكس على تفكير القلب الروحي وبانعكاس الأغذية، تنعكس الأعمال، وهذا بالذات هو الذي نسميه بالقلب المنكوس، أي القلب المعكوس العمل، وبذلك يكون معكوس الفائدة، فيعطي الدم المحمل بالغذاء المادي الخاص بالدماغ وبقية الجسم إلى الرئتين وبالعكس، وبهذا الانعكاس تنعكس وظائف الأعضاء، ولكون الأعضاء مهيأة على وظائف معينة، ولها غذاؤها الخاص بها الملائم لعملها، لذلك ستعاني هذه الأعضاء من اختلاف الغذاء، مما يؤدي إلى الخلل الكبير في وظائفها، ويظهر ذلك جلياً على آرائه العقائدية أكبر من غيرها، من هنا يوصي النبيﷺ وأهل بيته‌عليهم‌السلام بتناول الغذاء المعين في أوقات معينة، وبكميات معينة.

إن البطينين أو الأذينين لا يتصلان مطلقاً فيما بينهما، فلا البطين الأيمن يتصل بالبطين الأيسر ولا البطين الأيسر يتصل بالبطين الأيمن، وكذلك الأذين الأيسر لا يتصل بالأذين الأيمن ولا الأذين الأيمن يتصل بالأذين الأيسر.

ج ـ الدورة الدموية البابية Portal Circulation

هذه الدورة لا تعتبر دورة مستقلة بنفسها، وإنما هي جزء من الدورة الدموية الكبرى، وهذه الدورة هي انتقال الدم من الأمعاء والمعدة إلى الكبد، وهذه العملية لنقل الغذاء والتخلص من فضلات الجسم، كاليوريا وتأمين نسبة السكر في الجسم وتكوين الصفراء.

إن تسمية الدورة الدموية المغذية للجسم بالدورة الدموية الكبرى تسمية صحيحة، لأنها أخذت في حسابها كمية الدم المنقولة إلى الجسم، ولأنها كمية أكبر من الدم المنقول إلى الرئتين، تم تسميتها بالكبرى. وأما الدورة الدموية الصغرى فسميت لنفس السبب، وهو قلة كمية الدم المنقول فيها إلى الرئتين.

إن الأهمية التي تعتبر في كثير من الأمور ليست الكمية، وإلا لكان الفيل أعظم من الإنسان، وإنما الكبر والصغر بأهمية الشيء وقدرته على التأثير والتغيير، والقيادة والآمرية ونحو ذلك، فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: ***عِظَم الجسد وطوله لا ينفع إذا كان القلب خاوياً***[1].

إن أهمية الدورة الدموية الذاهبة إلى الرئتين ليست أهم من الدورة الذاهبة إلى بقية أعضاء الجسم وبالخصوص الرأس الذي له خصوصية بالنسبة إلى القلب، فهو الأمين العام للقلب، وهو الوكيل الأقدم، وهو الراعي الأول لتطبيق أغلب أوامر القلب، ومفوض من القلب في الإبداع والتصرف المنفصل عن القلب، ولكن إلى مدى محدود وليس له مطلق التصرف، وسنمر عليه في موضوع العلاقة بين القلب والدماغ، مع أن الدم أيضاً له مشاعر وأن الجسم أيضاً له مشاعر، لكنها تختلف باختلاف الأعضاء، فليس القلب كاليد وليست اليد كالشعر وهكذا، فإن الاختلاف في الوظيفة يستوجب الاختلاف في نوع الغذاء وقدرته وقابليته على تحمل العلوم والمعلومات لاسيما التوحيد والإيمان والعقيدة بشكل عام.

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف العين حكمة ٣١٧.

إن الأعضاء باختلافها واختلاف وظائفها يؤدي إلى اختلاف غذائها، وأقول مرة أخرى: إن الغذاء قد لا يختلف وأن الدم يحمل جميع أنواع الأغذية إلا أن كل عضو يأخذ حاجته منه التي تناسبه وذلك بحسب الدم الناقل أو بحسب العضو المستفيد، وهذا يدفعنا لنتصور أن الدم أيضاً يختلف من عضو إلى عضو، لأن مهام الدم المغذي للرئتين غير مهام الدم المغذي لبقية أعضاء الجسم. وكما أسلفت بالتدخل الرباني في الإنسان، فقد يكون أيضاً الدم من أقسام الجسم التي ترتبط بالله تعالى من خلال مشاعر وعقول تجعل الدم يتصرف كموجود عاقل فينتقي من الغذاء ما يناسب العضو المغذى بهذا الدم ويطرح بقية الأغذية، كما في رواية: أن الإيمان مبثوث لجميع الجوارح.

وسنمر على واجب الدم في هذه الدورة بشكل مفصل.

إن الدورة الدموية الكبرى (كما يسمونها) هي تعبير عن الروح النباتي والروح الحيواني، فهي النمو والأكل والشرب والتوالد والسبعية وغيرها، ولكنها في نفس الوقت هي الناقل الأعظم للغذاءين الروحي والمادي، بل إن الإنسان بمقدار قدرة هذه الدورة على نقل الغذاء الروحي إلى جميع أجزاء الجسم بما فيها خلايا القلب وخلايا الرئتين، يكون إنساناً، فهي الناقل الأول للعقيدة والأفكار والقيم والأخلاق التي يعتقدها القلب الروحي المرتبط بالله تعالى أو بالشيطان، وكلما كان القلب قوياً في نقل هذه الطاقة كان أقرب إلى العقيدة التي يعتقد.

وأما الدورة الدموية الصغرى فهي قوة الإنسان في مواجهة الشيطان، فهي محل الفكر والعقل والعلم التكليفي قبال الشياطين، سواء شياطين الجن أو الأنس، لأن متعلقها الرئتين، وأن الدم محصور بين القلب والرئتين وهو القيادة الكبرى المتمثلة بالصدر، أي التصدر، وبتعبير آخر التعرف على المطلوب وإصدار الأوامر القلبية لمواجهة الشياطين التي تستفيد من محل الرئتين في كونها الحاضن لمواطن واستقرار الشياطين والوسوسة على القلوب لحرفها، فلا بدّ للدم أن يحمل إليها أهم غذاء ينتجه الجسم وهو ثاني أوكسيد الكاربون الذي يقوم بمقاومة الشياطين الذين يحومون حول القلب، كما قرأنا حديثهﷺ، وأن هذا الغذاء له مداد إلهي، فكأن هناك غذاء مادياً له تأثير

ج ـ الدورة الدموية البابية Portal Circulation

هذه الدورة لا تعتبر دورة مستقلة بنفسها، وإنما هي جزء من الدورة الدموية الكبرى، وهذه الدورة هي انتقال الدم من الأمعاء والمعدة إلى الكبد، وهذه العملية لنقل الغذاء والتخلص من فضلات الجسم، كاليوريا وتأمين نسبة السكر في الجسم وتكوين الصفراء.

إن تسمية الدورة الدموية المغذية للجسم بالدورة الدموية الكبرى تسمية صحيحة، لأنها أخذت في حسابها كمية الدم المنقولة إلى الجسم، ولأنها كمية أكبر من الدم المنقول إلى الرئتين، تم تسميتها بالكبرى. وأما الدورة الدموية الصغرى فسميت لنفس السبب، وهو قلة كمية الدم المنقول فيها إلى الرئتين.

إن الأهمية التي تعتبر في كثير من الأمور ليست الكمية، وإلا لكان الفيل أعظم من الإنسان، وإنما الكبر والصغر بأهمية الشيء وقدرته على التأثير والتغيير، والقيادة والآمرية ونحو ذلك، فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: ***عِظَم الجسد وطوله لا ينفع إذا كان القلب خاوياً***[1].

إن أهمية الدورة الدموية الذاهبة إلى الرئتين ليست أهم من الدورة الذاهبة إلى بقية أعضاء الجسم وبالخصوص الرأس الذي له خصوصية بالنسبة إلى القلب، فهو الأمين العام للقلب، وهو الوكيل الأقدم، وهو الراعي الأول لتطبيق أغلب أوامر القلب، ومفوض من القلب في الإبداع والتصرف المنفصل عن القلب، ولكن إلى مدى محدود وليس له مطلق التصرف، وسنمر عليه في موضوع العلاقة بين القلب والدماغ، مع أن الدم أيضاً له مشاعر وأن الجسم أيضاً له مشاعر، لكنها تختلف باختلاف الأعضاء، فليس القلب كاليد وليست اليد كالشعر وهكذا، فإن الاختلاف في الوظيفة يستوجب الاختلاف في نوع الغذاء وقدرته وقابليته على تحمل العلوم والمعلومات لاسيما التوحيد والإيمان والعقيدة بشكل عام.

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف العين حكمة ٣١٧.

إن الأعضاء باختلافها واختلاف وظائفها يؤدي إلى اختلاف غذائها، وأقول مرة أخرى: إن الغذاء قد لا يختلف وأن الدم يحمل جميع أنواع الأغذية إلا أن كل عضو يأخذ حاجته منه التي تناسبه وذلك بحسب الدم الناقل أو بحسب العضو المستفيد، وهذا يدفعنا لنتصور أن الدم أيضاً يختلف من عضو إلى عضو، لأن مهام الدم المغذي للرئتين غير مهام الدم المغذي لبقية أعضاء الجسم. وكما أسلفت بالتدخل الرباني في الإنسان، فقد يكون أيضاً الدم من أقسام الجسم التي ترتبط بالله تعالى من خلال مشاعر وعقول تجعل الدم يتصرف كموجود عاقل فينتقي من الغذاء ما يناسب العضو المغذى بهذا الدم ويطرح بقية الأغذية، كما في رواية: أن الإيمان مبثوث لجميع الجوارح.

وسنمر على واجب الدم في هذه الدورة بشكل مفصل.

إن الدورة الدموية الكبرى (كما يسمونها) هي تعبير عن الروح النباتي والروح الحيواني، فهي النمو والأكل والشرب والتوالد والسبعية وغيرها، ولكنها في نفس الوقت هي الناقل الأعظم للغذاءين الروحي والمادي، بل إن الإنسان بمقدار قدرة هذه الدورة على نقل الغذاء الروحي إلى جميع أجزاء الجسم بما فيها خلايا القلب وخلايا الرئتين، يكون إنساناً، فهي الناقل الأول للعقيدة والأفكار والقيم والأخلاق التي يعتقدها القلب الروحي المرتبط بالله تعالى أو بالشيطان، وكلما كان القلب قوياً في نقل هذه الطاقة كان أقرب إلى العقيدة التي يعتقد.

وأما الدورة الدموية الصغرى فهي قوة الإنسان في مواجهة الشيطان، فهي محل الفكر والعقل والعلم التكليفي قبال الشياطين، سواء شياطين الجن أو الأنس، لأن متعلقها الرئتين، وأن الدم محصور بين القلب والرئتين وهو القيادة الكبرى المتمثلة بالصدر، أي التصدر، وبتعبير آخر التعرف على المطلوب وإصدار الأوامر القلبية لمواجهة الشياطين التي تستفيد من محل الرئتين في كونها الحاضن لمواطن واستقرار الشياطين والوسوسة على القلوب لحرفها، فلا بدّ للدم أن يحمل إليها أهم غذاء ينتجه الجسم وهو ثاني أوكسيد الكاربون الذي يقوم بمقاومة الشياطين الذين يحومون حول القلب، كما قرأنا حديثه ﷺ، وأن هذا الغذاء له مداد إلهي، فكأن هناك غذاء مادياً له تأثير

على العمل والفكر والإيمان وأن هناك غذاء روحياً يساعد على ذلك بل لعله الأهم من الغذاء المادي، وأن يكون خالياً من الفضلات وأدران الجسم وقذارة الأكل والشرب وكل ما يشوبه، وعليه فلا بدّ من العزل بين دم الجسم في الدورة الدموية الكبرى والدم في الدورة الدموية الصغرى، لأهمية خلو الدم من فضلات الجسم التي تحمل معها الأفكار المادية والجسدية وحاجة الجسم إلى مثيلاتها، وسنتعرف على أهمية البسملة على الأكل والتحمد بعده على الأكل والأثر الإيجابي للكلام الحسن على تركيبة الطعام والشراب وسنفرق بين الماء الحي والماء الميت وكيفية إحياء الأموات من الطعام والشراب.

إن الدورة الدموية الصغرى (كما يسمونها) هي قوة الإنسان كما أعتقد وهي التي تعبر عن العقل والتفكير والإدراك في مواجهة الشيطان كواجب رئيسي، فهي الإنسان المرتبط بالله تعالى من جهة التخلي، لا من جهة التحلي، أي الروح الكلية الإلهية والروح الملكوتية، ولذلك حق لها أن تسمى بالصغرى، فإذا انقلب الإنسان انقلبت هاتان الدورتان الواحدة مكان الأخرى.

٧ ـ تغذية الدم Blood Feeding

أ ـ التغذية الروحية Spirital Feeding

إن التغذية الروحية للدم لا تختلف كثيراً عن التغذية الروحية للقلب، بل قد تطابقها إلا فيما يتعلق بالقوة والشجاعة، فراجع الفصل الأول من هذا الباب ثامناً.

ب ـ التغذية المادية Material Feeding

إن اختلاف فصائل الدم استوجب اختلاف الغذاء الخاص لكل فصيلة، وهذا ما يؤكد خصوصية كل إنسان، لأن الناس من حيث فصائل الدم ثمانية أصناف، لأن الأصناف الأربعة منها ما هو موجب ومنها ما هو سالب، واختلاف التغذية يستلزم اختلاف القدرات المادية والعقلية، وهذا الاختلاف بحاجة إلى توازن، والتوازن هو نوع الغذاء الخاص بكل فصيلة من فصائل الدم، فلو كثّر صاحب الفصيلة + Oمن طعام

صاحب الفصيلة ـ O لأثر على صحته ولجلب لنفسه الأمراض ولجعل نفسه عرضة للإصابة بالمرض، في حين أن تناول الطعام الخاص بكل وجبة يعتبر وقاية أساسية للإنسان تغنيه عن تناول الأدوية، مع أن مؤلف الكتاب لم يذكر الطعام الخاص للفصائل المتشابهة الفصيلة المختلفة بالشحنة، بل قال طعام أصحاب الفصيلة O مثلاً، بالفصيلة الكبرى ولم يقل O+، لأنه يبدو أن العلم لم يتوصل إلى اختلاف الطعام باختلاف شحنة الفصيلة.

أما الدكتور بيتر دادامو فيقول: لا بدّ أنكم تتساءلون عن التحديات الأخرى لفئة الدم، كعامل الرّيصيّ(+) والسلبي (ـ) أو عن الفئة المفرزة وغير المفرزة. فعندما يسمي الناس فئات دمهم يقولون A+ أو O+ . . . إن تلك الفروقات أو التفرعات في الدم تلعب دوراً بسيطاً يكاد يخلو من الأهمية، في الواقع، إن ٩٠٪ من العوامل تعود إلى فئة الدم الأساسية أي O و A و B وAB [(١)].

هذا الكلام الآن، وإلا لو اكتشف العلم مستقبلاً ـ وسيكتشف إن شاء الله تعالى ـ الفروقات لصار هذا العلم من العلوم التي عفى عليها الدهر وشرب، وأن العلم سيكتشف هذه الفروقات التي يقول عنها دادامو طفيفة تكاد تخلو من الأهمية كما قالوا في الجينات التي لا تحمل صفات وراثية وليست لها فائدة، أنها من الأهمية بمكان ما لو تم الأخذ بها بحسب (+) أو (ـ) لاختلفت الوصفات الطبية والعلاجية والنفسية والجسدية باختلافها.

والآن إليك الأغذية الخاصة بكل فصيلة من فصائل الدم:

فصيلة: O

أولاً: الأغذية التي تساعد على زيادة الوزن:

* غلوتين القمح: يؤثر في فعالية الإنسولين ويبطئ عملية الأيض (الاستقلاب) metabolisme.

---

(١) ٤ فئات دم ٤ أنظمة غذائية/ بيتر دادامو ص٣١.

* الذرة: نفس العمل أعلاه.

* الفاصوليا الحمراء: تعيق حركة الوحدات الحرارية.

* الفاصوليا البيضاء ذات الحجم الكبير: نفس العمل أعلاه.

* العدس: يمنع أيض العناصر الغذائية بشكل صحيح.

* الملفوف والقنبيط وملفوف بروكسل: تمنع إفراز الغدة الدرقية.

* أوراق الخردل: تكبح عمل الغدة الدرقية.

ثانياً: الأغذية التي تساهم في خسارة الوزن:

* عشب البحر البني: غني باليود ويزيد في إفراز الهرمونات الدرقية.

* ثمار البحر: نفس العمل أعلاه.

* الملح المدعم باليود: نفس العمل أعلاه.

* الكبد: مصدر لفيتامين B ويزيد في فعالية عملية الأيض.

* اللحوم الحمراء، الكرنب، السبانخ: نفس العمل أعلاه.

فصيلة الدم: A

أولاً: الأغذية التي تساهم في زيادة الوزن:

* اللحوم: لا يتم هضمها كما يجب أن تخزن كدهون.

* الحليب ومشتقاته: يعيق أيض العناصر الغذائية ويزيد الإفرازات المخاطية.

* الفاصوليا الحمراء: تعيق عملية الأيض وتعيق إفراز الأنزيمات الهضمية.

* القمح: بإفراط يخفض فعالية الإنسولين ويضعف عملية حرق السعرات الحرارية.

ثانياً: الأغذية التي تساهم في نقصان الوزن:

* الزيوت النباتية: تساعد على هضم الطعام جيداً، وتمنع احتباس الماء في الجسم.

* المأكولات المصنوعة من فول الصويا: تساعد في هضم الطعام جيداً، ويتم تحويلها إلى عناصر غذائية يستفيد منها الجسم بسرعة، وتنشط الوظائف المناعية.

* الخضار: تساعد على حصول أيض فعّال وتسهل عملية المرور المعوي.

* الأناناس: يساعد على حرق الوحدات الحرارية ويسهل حركة المرور المعوي.

فصيلة الدم: B

أولاً: الأغذية التي تساعد على زيادة الوزن:

* القمح: يبطئ عملية الأيض، ويحرق ويخفض فعالية الأنسولين، ويؤدي إلى خزن الغذاء في الجسم على هيئة دهنيات لا كطاقة حرارية.

* السمسم: يقلل فعالية الأيض ويقود إلى هبوط معدل السكر في الدم.

* الحنطة السوداء: تعيق الهضم، تخفف فعالية الأيض، وتؤدي إلى انخفاض معدل السكر في الدم.

* الذرة: تخفف عمل الأنسولين، تقلل مستوى السكر في الدم، وتبطئ عملية الأيض.

* العدس: يقلل من فعالية الأيض، ويخفض مستوى السكر في الدم، ويعيق عملية امتصاص العناصر الغذائية في الجسم.

* الفول السوداني: يخفف فعالية الأيض، ويقلل كمية السكر في الدم، ويعيق وظيفة الكبد

فصيلة الدم: AB

أولاً: الأغذية التي تساعد على زيادة الوزن:

* البزور: تسبب انخفاضاً حاداً في معدل السكر في الدم.

* الذرة: تضعف فعالية الأنسولين.

* الحنطة السوداء: تؤدي إلى هبوط حاد في مستوى السكر في الدم، وتمنع حرق

الوحدات الحرارية بفعالية، وتضعف فعالية هرمون الأنسولين.

* اللحوم الحمراء: لا يتم هضمها جيداً، تتراكم على هيئة دهنيات، وتقود إلى تسمم الأمعاء.

* الفاصوليا الخضراء: تخفف فعالية هرمون الإنسولين، وتقلل بشكل حاد في معدل السكر في الدم، وتبطئ عملية الأيض.

* الفاصوليا الحمراء: نفس العمل أعلاه.

ثانياً: الأغذية التي تساعد على نقصان الوزن:

* الخضار الخضراء: تزيد في فعالية الأيض.

* جبنة الصويا: نفس العمل أعلاه.

* الأجبان والألبان: نفس العمل أعلاه.

* الأناناس: يسهل عملية الهضم وينشط عمل الأمعاء.

* الثمار البحرية: تحسن عملية إفراز هرمون الأنسولين.

* عشب البحر البني: نفس العمل أعلاه[١].

بحث عرفاني عن دم الشهيد Awareness Search Of Martyr Blood

قبل الكلام عن أمراض الدم لنتحدث قليلاً عن دور دم الشهيد في إحياء الأموات من النفوس، وكيف يحيي دم الشهيد النفوس؟

إن حركة الشهيد نحو الشهادة واسترخاص دمه إلى الحدّ الذي يراق، يجعل الآخرين لا يهابون الموت، وبتعبير آخر، أن الشهيد يقتل الموت في النفوس، أو قل في القلوب، فقتل الموت يعني إحياء النفوس، لأن الموت والحياة نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، سواء للفرد أو للمجتمع. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ

(١) فصائل الدم/ د. غسان جعفر ص١٦٠.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1]، فهذا القصاص هو الذي يمنع الآخرين من قتل الحياة، فكذلك الشهادة تمنع القلوب من الموت.

إن الموت من أجل العقيدة، وإن كانت العقيدة فاسدة بالنظر الإلهي كالشيوعية والإلحاد والبوذية والهندوسية وكل دين أرضي من وضع الإنسان، تعني أن الذي يقدم على الموت يشعر بأن أصحاب عقيدته يذكرونه بعد مماته، وهذا يجعله يشعر بالحياة بعد الممات على الرغم من أن عقيدته لا تعترف بالحياة بعد الممات، إنما هي حياتنا الدنيا نموت ولا شيء بعد الموت، فكيف إذا كانت العقيدة ترى أن الحياة الدنيا ظاهر الحياة الأخرى، أي الآخرة؟ وتعتقد أن الحياة ما هي إلا الحياة الأخروية، وهذا الحياة الدنيوية ممر لها، فالشهيد أعطى كل ما يملك، وهو الدم، لأن الدم هنا عبارة عن الحياة، وأن الدم كما هو معروف سائل الحياة، فالذي يهب السائل فقد وهب الحياة كلها، فاستحق الحياة كلها، فيخلد إلى قيام يوم الدين.

مثلما أن الدم يخيف منظره الطفل والجبان، مثلما يولد في النفوس العزيمة على قتل الخوف والتلذذ بالموت لأنه طريقه إلى الله تعالى أو إلى بقاء العقيدة، والخلود بعد الموت، كما تجد صاحب العقيدة الفاسدة يضحي من أجلها، لأنه يعلم أن الدم وحده الذي يستطيع أن يفجر الثورات، ويستثير النفوس الضعيفة، ويلهمها الشوق إلى البقاء مع أنه لا يعتقد به، وأما صاحب العقيدة الصالحة للدنيا والآخرة فيرى في الموت سعادة وانتصاراً على الموت وعلى السيف الذي يقتل به.

من هنا كان للدم دور مهم في النكوس والتخاذل والتثاقل إلى الأرض، أو العكس السمو والرقي والانطلاق نحو المطلق الذي بيده ملكوت كل شيء، وأن دمه هو الذي ينير الدرب للآخرين حتى يلتحقوا بدرب الشهداء من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

وهذا هو السبب الذي يجعلنا نردد هذا الشعار في شأن عاشوراء (كيف انتصر الدم

---

(١) البقرة/ ١٧٩.

على السيف)، لأن الدم قيم وعقائد، ترتبط بأصحاب العقيدة، ونحن ما زلنا نقول: إن الأمة الفلانية يربطها التأريخ والوطن واللغة والدم، ولعل الدم أهم الروابط التي تربط أبناء المجتمع الواحد، نعم تنتصر الدماء على السيوف، لأن السيف لا روح فيه، ولا شعور، والنصر لا يكون إلا وإن يكون معه لذة الفوز والإنتصار، والشعور بنشوة النصر والفوز، وهذا لا يكون إلا بانتصار الدم على السيف.

٨ ـ أمراض الدم Blood Disease

سنمر على أمراض الدم المختلفة وآثارها على الإنسان، كما نمر على نقصان أو زيادة مكونات الدم واحدة واحدة.

أ ـ الأمراض الروحية Spiritual Disease

نفس الكلام في الغذاء الروحي هنا في المرض الروحي للدم أيضاً، فأمراض القلب الروحية هي أمراض الدم الروحية، لأن الاختلاف بين القلب والدم اختلاف طفيف من حيث التأثر والتأثير، والفارق هو أن الأوامر للقلب والتنفيذ للدم وبقية الأعضاء، فما يؤثر على القلب يؤثر على الدم، وهناك تبادل في نقل المرض الواحد للآخر، فقد يؤثر القلب في الدم وقد يؤثر الدم في القلب، فالأمراض واحدة، حتى ضغط الدم.

ب ـ الأمراض المادية Material Disease

١ ـ فقر الدم Anemia

فقر الدم (الأنيميا)، عبارة عن حالة مرضية تتسم بانخفاض عدد الكريات الحمراء ونقصان مقدار الهيموغلوبين (اليحمور، خضاب الدم) في الملمتر المكعب من الدم، بالإضافة إلى قلة الهيماتوكريت وتركيز اليحمور.

هناك العشرات من أنواع فقر الدم ولا يهمنا هنا فقر الدم المادي، ولكن نقص أحد مكونات الدم يؤدي إلى ضعف الجسد، وبالتالي ضعف أدائه العملي العبادي، أي

الحركة المادية التي تكون باباً للعمل الروحي، لأن أول العمل الروحي عمل مادي ويستمر معه إلى النهاية، نعم العبادة مع النية، وهي روحية، إلا أن هذه النية تحتاج إلى العمل المادي، فتخلفه ـ أي العمل المادي ـ يؤثر على العمل الروحي.

إن فقر الدم يعني ضعف قدرة الدم على التعامل مع المحيط الخارجي، وهذا يعني فقدان الكثير من المعلومات التي يحتاجها القلب ليرتب عليها الآثار في اتخاذ القرارات خاصة ما يتعلق بالعقيدة.

إن فقر الدم يؤثر في التخلص من العقائد الفاسدة التي تدخل إلى القلب عن طريق الرئتين من خلال الدم، كما أن الذنوب التي يريد القلب التخلص منها تبقى في جدار أو داخل القلب أو أن تكون محيطة بالقلب مما يؤثر على عمل القلب.

٢ ـ اللوكيميا (سرطان الدم) Leukemia

مرض ابيضاض الدم، وذلك لكثرة عدد الكريات البيضاء في الجسم عن العدد المحدد. إن زيادة عدد الكريات يعني شل الدم عن القيام بوظيفته لكثر الجنود الذين لا يحتاجهم الجسم، وهذا نضير كثرة الدبابات في طريق تقدم جيش المشاة، أو العكس كثرة عدد جيش المشاة في طريق الآليات للوصول إلى الهدف العسكري المخطط له.

إن المثال السابق قد يؤدي إلى قتل العديد من أفراد الجيش، وهذا هو الذي يحصل في هذا المرض، فإن الإنسان يبقى ينتج هذه الخلايا حتى ينخر عظمه ويتحول إلى أنبوب خاوي لا يستطيع أن ينتج بقية الكريات.

كذلك فإن كثرة عدد الكريات البيضاء يؤدي إلى أن تأكل هذه الخلايا حتى البكريا النافعة أو ربما تؤدي إلى أكل الكريات الحمراء.

٣ ـ ضغط الدم Blood Pressure

وهذا المرض الذي أصبح حالة طبيعية من حالات أغلب الناس والمجتمعات.

وهو عبارة عن مرض مستقل، ذي خاصية رئيسية، وهي زيادة ضغط الدم الشرياني ويسمى ارتفاع الضغط الأولي.

إن ضغط الدم الطبيعي هو:

الانقباضي = ١٢٠ ملم زئبق

الانبساطي = ٨٠ ملم زئبق

إن أهم أسباب زيادة ضغط الدم الشرياني هو التوتر النفسي، والذي أصبح من ملازمات العصر، وهو المعبر عنه بمفهوم الاغتراب، الذي وصفه الإمام عليّ عليه السلام في قوله: *(الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة)*[١].

إن ارتفاع ضغط الدم يعني عدم استقرار الإنسان، وعليه فتكون قراراته غير تامة وغير مستوية، وهي أقرب إلى التخبط والهلوسة وفقدان السيطرة على تصرفاته.

ذكرت سابقاً أن ضغط الدم لا بدّ وأن يكون عكسياً مع الحالات المفاجأة للإنسان، فمع وجود الفطرة وسلامتها إذا تعرض الإنسان إلى هزة عنيفة أو توتر عصبي ينخفض ضغط دمه، وهذا يساعد على عدم التوتر، وبالتالي استقرار حالته، أما وبعد تلويث الفطرة عن فاطرها فالأمر قد انعكس، فالتوتر النفسي يزيد من حالة التعرض لارتفاع ضغط الدم، وبذلك تقل كثافته ولزوجته، أما في الحالة على الفطرة يقل ضغطه فتزداد كثافته ولزوجته، حتى لا يتعرض للانهيار.

٤ ـ الأيدز (فقدان المناعة): AIDS

من أخطر الأمراض، بل لعله أخطر حتى من السرطان، لأنه يجعل الإنسان عرضة لأتفه الأمراض، فلا يستطيع أن يقاوم الرشح.

الأيدز مرض فقد المناعة البشرية المكتسبة، وينجم عن عوز في المناعة الخلوية، ويسببه فيروس نقص المناعة البشري (HIV).

إن فقد المناعة المادية يؤدي إلى فقد المناعة الروحية، هذا إذا عرفنا أن من أسبابه الجماع المحرم، وهذا ما هو عليه العالم الغربي، من الإباحية الجنسية التي نهى عنها

(١) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح باب المختار من حكم أمير المؤمنين حكمة ٥٦.

الله تعالى في جميع الكتب السماوية، وستقرأ في باب القلب في الأثر الديني ما جاء في الإنجيل، أن الذي ينظر إلى المرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه، فكيف بالذي يزني حقيقة، في قلبه وفعله وقوله، وهو الفحش في القول.

تعالوا إلى حديث من لا ينطق عن الهوى ماذا يقول عن الأمراض التي لم تكن موجودة من قبل وتوافقه مع قوله تعالى، قالﷺ:

(خمس إن أدركتموهن فتعوذوا بالله منهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين(أي القحط) *وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم وأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله [عز وجل] إلا جعل الله عزّ وجلّ بأسهم بينهم)*(١).

إن ظهور الأمراض العصرية التي لم تكن من قبل ما هي إلا مصداق قول النبي الأكرمﷺ، وهذا الحديث الشريف هو مصداق قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٢).

٥ ـ أمراض أخرى:

وهناك أمراض عديدة أعرضنا عنها، لأن الكتاب ليس من كتب الطب والعلاجات الطبية الطبيعية، بل هو للقلب الروحي، والدم الروحي.

٩ ـ التبرع بالدم Volunteer Blood

إن الدم كما هو معروف ينقسم إلى أربع فصائل، وإذا أضفنا إليها اختلاف الشحنات ستكون ثمان فصائل، وإذا فرقنا بين دم الرجل عن دم المرأة صارت الفصائل

---

(١) الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح١.

(٢) الروم/ ٤١.

ست عشرة فصيلة، ثمان للرجال وثمان للنساء، والسبب في هذا هو أن دم المرأة يحتوي على هرمونات تخص الأنوثة، ودم الرجل يحتوي هرمونات تخص الذكورة، وكذلك اختلاف عدد الكريات الحمراء من الرجل إلى المرأة، وإذا أضفنا إليها اختلاف المؤمن عن الكافر صارت اثنتان وثلاثون فصيلة، فلو أعطينا دم الرجل للمرأة واختلط بدمها صار الدم ذا صفتين مختلفتين، صفة أنوثة وصفة ذكورة، وهذا له نتائج عكسية على المرأة، خاصة تلك التي تخرج من عملية ولادة، أي أنها سيكون عندها ميل للرجولة ما يبعدها عن العناية بطفلها، ويزيح شيئاً من أمومتها، ويجعلها تتعامل بقوة إزاء طفلها، ونفس الشيء بالنسبة إلى الرجل، فيتخلق الرجل بأخلاق المرأة، وهكذا دم المؤمن إلى دم الكافر وبالعكس، وهذا كمن يطلب من الرئتين أن تقوم مقام القلب والقلب مقام المعدة، وهذا له أثر كبير على سلوكية المجتمع بشكل عام، وهذا واحد من أسباب تغير قيم المجتمع، فساهمت ما يسمى بالحضارة في مسخ شخصية المرأة قبل شخصية الرجل، وادعت أنها تريد مساواة المرأة بالرجل، وهذا مسخ آخر لشخصية المرأة، وهو مسخ للمجتمع كله، وكان بسببه أن انتشرت الأمراض والأوبئة التي لم تكن في أسلافنا، كما قرأت الآية والحديث الشريف قبل قليل، وعليه فإن التبرع بالدم يحتاج إلى إعادة ترتيب، فلا يتم خزن الدم على نوع الفصائل فقط وإنما يتم على أساس جنس المتبرع أولاً وفصيلة الدم ثانياً، وهناك تصنيف آخر لا يقل أهمية عن هذا التصنيف، وهو وضع المتبرع وشخصيته، وعليه أعتقد أن التبرع بالدم لابدّ أن يكون بالشكل التالي:

١ ـ تحديد جنس المتبرع ذكر أم أنثى.

٢ ـ تحديد فصيلة دمه وشحنته.

٣ ـ تحديد سلوك المتبرع مسالم أم مجرم.

٤ ـ تحديد عمر المتبرع.

٥ ـ تحديد نسب المتبرع وسلوكه عائلياً.

٦ ـ تحديد نسب المتبرع من الأمراض المزمنة.

٧ ـ تحديد صفة المتبرع من الإيمان والكفر.

إن المرأة الحامل تحمل هرمون أنوثي والرجل يحمل هرمون ذكوري، كما أن المرأة المتزوجة تحمل بصمة خاصة من زوجها وذلك من خلال المواقعة، وهذا البصمة تبقى مع المرأة لثلاثة قروء (حيض) أو تقريباً لمدة ثلاثة أشهر، وهذه الفترة هي فترة العدة الرجعية للمطلقة، لذا فإن تبرع المرأة المتزوجة بالدم يؤثر على تصرفات الإنسان، أما على المرأة المتزوجة فيجعل عندها هورمونين، وأما على غير المتزوجة فيحملها هرمون ليست في حاجته، وأما على الرجل فيولد التخنث لديه.

لقد أثبت عالم الأجنة اليهودي روبرت غيلهم بعد تجارب عديدة في أبحاث بصمة الرجل على نساء مسلمات من أصل أفريقي في أمريكا، أن المرأة المسلمة المتزوجة تحمل بصمة ذكورية واحدة، وأما غير المتزوجة فلا تحمل أي بصمة ذكورية، وهذا أن المرأة غير المسلمة، المتزوجة وغير المتزوجة والتي تمارس الزنى تحمل أكثر من بصمة تختفي بعد ثلاثة أشهر من المواقعة[١].

كما أعتقد أن الشيء نفسه يحدث للرجل المتزوج من غير المتزوج وذلك اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، وهذا يعني أن الرحمة متبادلة بني الرجل والمرأة، وأن العلم سيكتشف ذلك لاحقاً.

وهنا لا ننسى البصمة الخاصة لكل قلب كما بينت في النقاط الخمس في الفصل الأول، لأن الدم من توابع القلب، ولأن الأمراض مشتركة بين القلب والدم، وأن الغذاء مشترك بينهما كذلك.

وقد تكون هناك من الضوابط التي لم ألتفت إليها، التي يحددها أصحاب

---

(١) مجلة الأمين، العدد ١٣ . .Info@alameen-iq.com

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

الإختصاص عبر تجارب مختبرية واجتماعية ونفسية، مثلاً، ماعلاقة هذا الدم كفصيلة بالقلب أو بالرئتين أو مع أعضاء أخرى، وهكذا فإن هذا الإنسان العظيم الذي انطوى فيه العالم الأكبر بحاجة إلى دراسة جديدة وجادة ومن جميع الجهات، نفسياً وأخلاقياً واجتماعياً ونسبياً، قلباً ودماً وكهربائية ومجالاً مغناطيسياً، وتجعل على شكل هوية شخصية تكتب على شكل رموز يتم كشفها عن طريق الأجهزة الخاصة بهذا التحليل والكشف، ولذلك لغرض التعامل مع الإنسان تعاملاً أقرب إلى التمام منه إلى النقص، وكذلك لغرض الحفاظ على مروءة الناس وأسرارهم، ومنعاً من رد الفعل المعاكس الذي يسبب انتفاضة على الواقع مما يزيد في إجرام المجرم وانحرافه.

الباب الثاني

القلب والدماغ في النصوص الدينية والبحث العلمي

١ ـ العلاقة بين القلب والدماغ

٢ ـ كيفية حصول العلم في القلب

٣ ـ الدماغ والجهاز الحسيّ العصبي

٤ ـ الدماغ والتفكّر

٥ ـ القلب والتفكّر

٦ ـ الدماغ والإيمان

٧ ـ القلب والإيمان

٨ ـ موقع القلب وموقع الدماغ

٩ ـ القلب والدماغ والحفظ

١ ـ العلاقة بين القلب والدماغ
Relation between Heart & Brain

القلب والدماغ، عضوان مهمان في الإنسان، أيهما القائد وأيهما المنقاد؟ وما هي الأدلة على ذلك، وما هو الجواب بعد هذا الفترة الطويلة من الأبحاث العلمية المعمقة والمركزة ومن كبار العلماء والمراكز العلمية؟ الجواب: أثبتت لديهم تقدم الدماغ على القلب وانقياد القلب للدماغ، لكنهم أيضاً قالوا: إن القلب يستلم إيعازاته من نفسه وليس من الدماغ، وأدل دليل على هذا، أن القلب المنزوع من الجسم والميت سريرياً، يبقى ينبض ويضخ الدم عبر الشرايين، فمن أين يأخذ الإيعاز لهذا النبض؟ وهل هو من خلال الاستمرارية في العمل؟ الإجابة: كلا، لأن الاستمرار لا يمكن أن يكون لأيام أو لأشهر، وإذا كانت الاستمرارية هي السبب، فهل أن القلب فيه ذاكرة لهذه الإيعازات؟ وهل أن هذه الذاكرة عاقلة أو شاعرة أو غريزية أو فطرية، أم ماذا؟ أسئلة لم تجد الجواب الشافي، بل لم تجد الجواب أصلاً.

من المسلمات أن القلب هو الذي يزود الدماغ بالغذاء عن طريق الدم، وهو الذي يزوده بالأوكسجبن من خلال الدم أيضاً، فإذا كان القلب هو الممول للدماغ مع أن الدماغ لم يسيطر على حركة القلب ـ كما قرأت في موضوع حركة القلب ـ ولم يمول القلب بشيء فماهي قيادة الدماغ للقلب؟ هل هو عن طريق الجهاز الحسيّ العصبي فقط؟ أم أن هناك وسائل أخرى يقوم بها الدماغ في أوامره إلى القلب؟ بل يبدو لأول وهلة أن القلب هو القائد، أو على أقل تقدير أن القلب غير منقاد للدماغ، فمن أين يأخذ الإيعازات، وكيف يمكن للقلب أن يواجه المتغيرات التي تواجه الإنسان من

خوف وغضب وخجل وحياء والتي نشعر بها أن القلب يأخذ بزيادة في النبض، وأن الإنسان يصاب بالجلطة، أو التوقف المفاجئ للقلب بسبب أمر طارئ، والجلطة والسكتة الدماغيتين بسبب الدم، الذي أعتقد أنه من توابع القلب.

قبل أن أدخل في هذا الموضوع المعقد والذي هو صلب البحث، أبين العلاقة بين القلب والدماغ وأبدأه بمثال، مع أن البعض يعيب البدأ بالمثال قبل المقال، ولكن أحياناً يكون المثال لتقريب الفكرة أولاً فيكون الدخول في البحث سهلاً وممهداً له.

ما هي العلاقة بين جهاز الحاسوب (الكومبيوتر) ومخترعه؟ الجواب سهل، الإنسان المخترع هو الذي يغذي جهاز الحاسوب بالمعلومات، والجهاز مع عدم عطله يستجيب للطلب، والسؤال هنا، لو مات المخترع فهل سيبقى الجهاز محافظاً على ما تم خزنه فيه أم يفقد تلك المعلومات؟ الجواب سيحافظ على تلك المعلومات وسيستجيب لأي طلب مخزون فيه من غير تردد. هذه العلاقة هي عين العلاقة بين القلب والدماغ، مع اختلاف طفيف، لكنه عظيم، وهو أن الدماغ له القدرة على الإبداع والتطوير الواسعين واللذين لايخرجان عن رغبة القلب وإرادته، وهو مخول من قبل القلب، والسبب في ذلك هو أن الدماغ حي وشاعر ومتفكّر، بل هو أكثر أعضاء جسم الإنسان تفكيراً بعد القلب، ويأتي بعده الدم وتأتي بعده الرئتان ثم الكبد ثم المعدة، فأنا أعتقد كما ذكرت بأن جميع جسم الإنسان عاقل مفكر، فكيف بالدماغ المخول تخويلاً كبيراً من القلب.

يقول الكسيس كاريل: *.. ويبدو أن الخلايا تتذكر وحدتها الأصلية حتى عندما تصبح عناصر جمهرة لا عدد لها.. إنها تعرف، من تلقاء نفسها، الوظائف المطلوب تأديتها في الجسم كوحدة. فلو أننا زرعنا خلايا أبثيلية عدة أشهر، بعيدة عن الحيوان الذي تنتسب إليه، فإنها تنظم نفسها تنظيماً يشبه الفسيفساء كما لو كانت ستحمي سطحاً تاماً*[(١)].

---

(١) الإنسان ذلك المجهول/ الكسيس كاريل الفصل الثالث ص١٢٧.

إن ما يفكر به القلب يحوله على الدماغ، بل إن كثيراً من القضايا لا تمر أصلاً بالقلب لعدم أهميتها، والدماغ بخلقته مجبول على التفكير بها بل التفكر أحياناً ـ لأنه من مختصات القلب ـ وإعطاء القرارات بها، مع قدرة القلب على التحكم بها، فمثلهما كمثل الرئيس والوزير، فما يقوم به الوزير مع عدم علم الرئيس به، لا يخرج من حكم الرئيس وسيطرته وقدرته، فلو أصدر الوزير قراراً يتعارض مع سياسة الدولة وسياسة الرئيس، لنقض الرئيس ذلك القرار وأبطله، وعليه فإن القرارات المهمة كالاعتقاد والإيمان وما يخص ذات الإنسان وتوجهه كإنسان تصدر بقرار من القلب، ولا دخل للدماغ بها إلا من باب الحفظ والخزن وأرشفتها والعود إليها عند الحاجة، فلو احتاج القلب إلى معلومة مهمة لكنها لا تخص العقيدة يرجع القلب إلى الدماغ لتزويده بها، فمثله مثل موظف سجلات الأرشيف، لا يعرف من الأوامر الإدارية إلا مكانها وجهة الحاجة إليها.

وهنا قد يشكل علينا أحد في أن سجلات الأرشيف لا تتغير، مع أن الدماغ يتغير، فيكون تغيراً للأرشيف مع الموظف، والجواب هو أن القلب يقوم بعملية زق الدماغ بمعلوماته التي يريدها ثابتة في الدماغ كلما تغير أو طرأ على الدماغ تغير أو خلل، اللهم إلا إذا كان التغير في الدماغ تغيراً مفاجئاً كبيراً لا يمكن معالجته، فهنا ينقطع الاتصال بين القلب والدماغ، إلا في حالات نادرة يعود القلب في السيطرة على الدماغ وإعادة أرشفته، كما يحدث لأصحاب الموت السريري، ولكن يبقى الإشكال قائماً، كيف يستطيع الدماغ أن يحتفظ بهذه المعلومات وهي من حيث العدد ملايين المعلومات أو قل مليارات، فكل صوت مادي معلومة وكل صورة مادية معلومة، وهناك من الأصوات القلبية فقط، أي الشعورية أو الخيالية، وهناك الصور القلبية أيضاً التي ترسل إلى الدماغ، كيف يستطيع الدماغ حفظ هذه المعلومات وهو مقسم كما يقول علماء الفسلجة إلى أقسام متعددة، للبصر وللشم وللسمع وللذوق وللحس، ومنها للتأريخ ومنها للرياضيات ومنها للذاكرة القصيرة ومنها للذاكرة الطويلة وعشرات الأقسام ومنها للذاكرة، فكيف يستطيع هذا القسم الصغير أن يختزن هذه المعلومات؟

إن مثل هذه المعلومات الكثيرة لو كتبت على الورق لملأت أطناناً من الورق، ولكن لو خزنت في رام (Ram) صغير لا تتجاوز مساحته أربعة سنتمترات مربعة لاحتواها ومثلها مرات عديدة، هذا المثال ما بين الأوراق والرام هو عينه بين الدماغ والقلب، فالقلب لجنبته الروحية قادر على خزن هذه المعلومات، بل له القدرة على خزن أضعاف أضعاف هذه المعلومات، فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «*قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا لي أخي فأرسلوا إلى عليّ عليه السلام فدخل فوليا وجوههما إلى الحائط وردا عليهما ثوباً فأسر إليه والناس محتوشون وراء الباب فخرج عليّ عليه السلام فقال له رجل من الناس: أسر إليك نبي الله شيئاً؟ قال: نعم أسر إليّ ألف باب في كل باب ألف باب. قال: وعيته؟ قال: نعم وعقلته*»[1]، فلو لم يكن للقلب هذه القدرة لما بادر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي ليعلمه ولما استطاع الإمام عليه السلام أن يعي هذه العلوم الجمة ويعقلها، وهو الذي يقول: «*آه آه إن ههنا علماً جماً لو أصبت له حملة وأشار بيده إلى صدره*»[2].

إن الأشخاص الذين يصابون بالجنون الإدواري، أي يكون هناك وقت محدد أو غير محدد، يفقد فيه الشخص قدرته على التعقل، يسقط عنه التكليف الشرعي وقت جنونه، فلو كان العقل في الدماغ، وعمل الدماغ عمل مادي كهربائي أعصابي، فكيف يعود الدماغ ليعمل مرة أخرى؟ وهذا نفس السؤال الذي طرحناه في الموت السريري، فلو لم يكن غير الدماغ هو المتعقل للأشياء، لما عاد الدماغ للسيطرة على أفعال الشخص بعد انتهاء فترة الجنون الإدواري.

من هنا يتبين لنا لماذا خص الله تعالى التعقل في القلوب التي في الصدور: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[3] حتى لا يتصور البعض أن القلوب هنا كناية عن معنى العقل،

---

(١) الخصال/ الشيخ الصدوق باب الواحد الى المائة ح٢٣.

(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٧٥ باب ما جمع من جوامع الكلم ح٤.

(٣) الحج/ ٤٦.

وهنا قيدان: القيد الأول ظاهر الآية، وهي لفظ القلوب، والثاني: التي في الصدور، وهكذا لماذا قال النبي الأكرمﷺ: *(إن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله)*[١]، كان يكفي النبيﷺ أن يقول في الإنسان قلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، لماذا قال مضغة، ولماذا قال الإمام عليّ عليه السلام: *(إن الله وهب لي قلباً عقولاً)*[٢]، وقال عليه السلام: *«لقد علق بنياط الإنسان مضغة هي أعجب ما فيه وذلك القلب»*[٣] فلو لم يكن القلب غير العقل ولا محلاً للعقل لما جعل العقل صفة للقلب، بل لقال: لأن الله وهب لي عقلاً كبيراً ثاقباً عليماً، وغيرها من الكلمات المعبرة عن العلم والتعلم والتفكر، ولو لم يكن نفس هذا القلب لما قال علقت بنياط، والنياط هي المعاليق، والدماغ غير معلق، لأنه محفوظ بقحفة الرأس (الجمجمة). إن الدماغ بمنزلة الأمين العام على أفعال القلب، وأن القلب لا يضع سره إلا في الدماغ لحاجته إليها في قابل الأيام، فإن القلب إذا تعرض إلى هزة عنيفة أو ضربة مؤلمة تفقده التصرف في الاعتقاد والتفكر والسيطرة على أعضاء الجسم، هذه الحالات تؤدي إلى أن يفقد الإنسان شخصيته، فلا بدّ من أمين عام على أفعاله واعتقاداته، ولو مؤقتاً، وليس أفضل من الدماغ أمين، ومن هنا لا بدّ للإنسان من أن يزيد من التفكّر في اعتقاده ويشحذ هممه فيه وأن يدرب دماغه على ذلك التفكر والتفكير ليكون النائب الأمين والمثالي للقلب عند غيابه، قال النبي الأكرمﷺ: *(عليكم بالأترج فإنه ينير القلب، يزيد في الدماغ)*[٤]، فالدماغ لا يحتاج إلى النور، لأنه لا يكشف الحقيقة، أو أنه يفتش عنها، بل هو يتلقى من القلب النير الأزهر الأوامر التي تكشف له طريقة التعامل معها فيما بعد، وأما الدماغ فنحتاج إلى سعته، أي الزيادة في خزن المعلومات، التي غذّاه بها القلب أو أوضحها له أهميتها وموقعها وساعة احتياجها

---

(١) صحيح البخاري ج١ كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ح٥٢، وكذلك السلسلة الصحيحة للألباني ج٦ باب٢٧٠٨ح٤٦٥٦ مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة ٢٠٤٢.

(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف اللام حكمة ١٤٣.

(٤) الشفاء في الغذاء في طب النبي والأئمة/ السيد حسين نجيب محمد ص٤٠.

وكل ما يتعلق بها، والزيادة والسعة هنا للماديات، إلا ما يتعلق بالتقلب عنها مستقبلاً، فإنه من واجب القلب ومن مختصاته ولا ينازعه عضو عليها، ولا يمكن لعضو أن يبت بها، ومن هنا كان الحديث الشريف للنبي الأكرمﷺ: *(تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة)*[1] لأن الإنسان عليه أن يحتاط لنفسه حتى لا يفقد إنسانيته واعتقاداته بمجرد ضربة عابرة، وهذا ما نشاهده في من استبدل قلبه، فإنه يسلك سلوكاً مغايراً لما كان عليه في السابق، نعم أنا أقول: إن من استبدل قلبه فإنه لا يعود إلى ما كان عليه بل يتغير خاصة بعد العملية مباشرة وفي الأيام الأولى والأشهر الأولى، إلا أنه بعد إعادة التفكر والعود إلى الماضي وما أودع الله الدماغ من قابلية على الخزن والذاكرة فإنه يستطيع أن يعود إلى ما كان عليه بنسبة، هذا إذا عرفنا أن القلب سمي قلب لأنه يتقلب ولـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[2]، فإذا أراد الإنسان العود إلى ما كان عليه، فإن الدماغ والصدر والمخزون الفكري والتأريخي فيهما وما درب القلب أعضاء جسمه على عقيدته ومن ورائهم الله تعالى، تكون عوامل أساسية في عود الإنسان إلى ما كان عليه، باعتبار أن الإنسان ابتغى الوسيلة إلى الله تعالى، وذلك قبل أن يدخل في المشكل وبعد أن دخله.

من هنا كان للذكر دوره في صقل شخصية الإنسان لسببين: أولهما: أن الذكر يعني التذكر والتذكر يعني أن حالة من العلم حصلت ثم حصل بعدها النسيان، وبعد ذلك يحاول الإنسان أن يتذكر، أي يعيد ما فقد من علم، وهذا بحدّ ذاته منقبة، وحالة صحية، لأنها تعيد الإنسان إلى أصله، وإلى فطرته. وأما الثاني: فالذكر بمعنى البقاء على الانتباه وعدم الغفلة والنسيان، والبقاء على التواصل والاتصال مع الله تعالى، وبمختلف الطرق، كالصلاة والصيام والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن والحج والزيارة وإصلاح ذات البين، وتفقد الأرحام، وتفقد الجار، وعيادة المريض، وإغاثة الملهوف

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول/ العلامة المجلسي ج٩ ح٢٥ وجاء في التربية الروحية/ السيد كمال الحيدري ص٢١٠ فصل التذكر بلفظ سبعين بدلاً من ستين.

(٢) الأنفال/ ٢٤.

والمحتاج، والعمل اليومي كالزراعة والتجارة والصناعة والعمل الاجتماعي كالنصيحة والإرشاد والصدق وغيرها من الأفعال والأقوال.

إن العلاقة بين القلب والدماغ علاقة حميمة ووطيدة بحيث لا يستطيع القلب من أداء واجباته وفعالياته إلا من خلال الدماغ، وأن القلب لا يقوم بواجبه ما لم يكن الدماغ سليماً، لذلك قال النبي الأكرمﷺ: ***روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر بمجنون، فقال: ما له؟فقيل: إنه مجنون فقال: بل هو مصاب، إنما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة***[١]، وهذا يدل على أن الإصابة هي التي منعت القلب من التحكم في الجوارح، وما هو بمجنون، لأن المجنون من يفضل ويؤثر الدنيا على الآخرة. هذا النص من أوضح النصوص على أن الدماغ من توابع القلب، وأن قلبه سليم ولكن دماغه سقيم، لايستطيع أن ينفذ ما يطلب منه القلب لمرضه، إلا أن القلب يمكنه القيام كمضخة للدم بغير الدماغ ولا يمكن للدماغ أن يقوم بعمله بغير القلب، وهذا واضح في الميت سريرياً. فالدماغ للقلب كالمنبه والمذكر للإنسان من السهو والغفلة والنسيان، ولو أصيب الدماغ ينشل عمل القلب، لأن الدماغ هو المنفذ لأوامر القلب أولاً، ولأن الدماغ هو المذكر لفعل القلب ثانياً، ولذلك نرى أن الإنسان الذي يصاب برأسه يفقد القدرة على التفكير والتعلم، بل يفقد القدرة على أن يكون عاقلاً، ويسمى مجنوناً أو مخبولاً، مع أن قلبه سليم، إضافة إلى أن الحواس من عمل الدماغ المرتبط بالقلب، وأن هذه الحواس الخمس والدماغ من ورائها هي القيادات العليا للقلب، ومن دون هذه القيادات لا يستطيع القلب أن يصدر الأوامر، *ومن فقد حساً فقد علماً*[٢]، ولما كانت الحواس جلها في الرأس، فإن شلل الدماغ يشل عمل القلب، ولذلك قال النبي الأكرمﷺ في حق الإمام عليّعليه السلام: ***(علي مني بمنزلة رأسي من بدني)***[٣] ولم يقل بمنزلة قلبي من بدني، لأنه لو قال ذلك لأصبح النبيﷺ في حاجة الإمام عليّعليه السلام

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج١ كتاب العقل والعلم والجهل باب ٤ علامات العقل وجنوده ح٢١.

(٢) تجريد المنطق/ الشيخ نصير الدين الطوسي ج١ باب العلل الأربع ص١٤.

(٣) الأمالي/ الشيخ الشيخ الطوسي حديث ٧٣٢.

لسدّ النقص، والعكس هو الصحيح، ولكن النبيﷺ في حاجة الإمام عليّعليه السلام لإتمام نعمة الله تعالى على الناس عامة، والمؤمنين خاصة، وهنا يكون الرأس بمنزلة المنفذ لأوامر القلب، فكان القلب هو النبيﷺ والرأس هو الإمامعليه السلام.

جاء في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي ينقل عن الشيخ الرئيس علي ابن سينا رأيه فيقول: *وقد رجح الشيخ أبو علي بن سينا كون الإدراك للقلب بمعنى أن دخالة الدماغ فيه الآلة فللقلب الإدراك وللدماغ الوساطة*(١).

قال آية الله حسن زاده الآملي:

على أن حس القلب نفسه ـ وخصوصاً اللمس ـ أعظم من حس الدماغ نفسه، ولذلك أوجاعه لا تحتمل، وعلى أنه ليس بممتنع في القوى أن تصير أقوى وأشد في غير مبادئها لمصادفة مواد تجعلها بتلك الحال. ويشبه أن تكون قوة أطراف الأوتار أشد من قوة أوائلها التي تلي العصب.

فالقلب مبدأ أول تفيض منه إلى الدماغ قوى: فبعضها تتم أفعالها في الدماغ وأجزائه كالتخيل والتصور وغير ذلك. وبعضها تفيض من الدماغ إلى أعضاء خارجة عنه كما تفيض إلى الحدقة وإلى العضل المحركة، وتفيض من القلب إلى الكبد(٢).

وهذا القول ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾(٣).

وهذا تمام ما نعتقده في واجب الدماغ ودوره في عملية التفكير أو التعقل فمثله مثل أي عضو آخر مع فارق القدرة على الإبداع عن غيره من الأعضاء.

قال أبو حامد الغزالي: *أعني المدرك من الإنسان في القلب الذي هو وسط مملكته*

---

(١) الميزان في تفسير القرآن/ السيد الطباطبائي تفسير آية ٢٢٥ من سورة البقرة.

(٢) النفس من كتاب الشفاء/ تحقيق آية الله حسن زاده الآملي الفصل الثامن في بيان الآلات التي للنفس ص٣٦١.

(٣) الهمزة/ ٥ ـ ٧.

كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريدة إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلي به ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موفقاً سعيداً شاكراً نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولاً شقياً كافراً بنعمة الله تعالى مضيعاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك(١).

أنقل إليك عزيزي القارئ ما يقوله أحد العلمانيين العراقيين، وهو ذو سمعة عالية بين أصحاب الشهادات العلمية الأكاديمية، وصاحب أبحاث متعددة في مجال علم النفس والتربية واللغة وغيرها من العلوم، وهو الدكتور نوري جعفر، والذي وجدته في أحد مؤلفاته، وهو كتيب صغير ضمن الموسوعة الصغيرة تحت عنوان «الحب بين القلب والدماغ». قال:

«ترتبط وظائف القلب السيكولوجية أوثق الارتباط بالمشاعر والانفعالات أو العواطف. والمشاعر والانفعالات أو العواطف هي ـ في جوهرها بعد التحليل الدقيق ـ الجوانب الذاتية [الشخصية] الطارئة أو العارضة التي ترافق حياة الإنسان دائماً وأبداً

---

(١) إحياء علوم الدين/ لأبي حامد الغزالي ج٣ ص١٠.

وتعبر عن نفسها في المواقف التي يتخذها الشخص أزاء الظواهر والأحداث المختلفة التي يواجهها في البيئة المحيطة الطبيعية والاجتماعية. وهي تنقسم ـ على وجه العموم ـ إلى مجموعتين كبيرتين متميزتين من ناحية آثارهما في الشخص. هما المشاعر الإيجابية Asthenic [السارة] من جهة والمشاعر السلبية Sthenic المحزنة من جهة أخرى. والمشاعر ـ بجانبيها السلبي والإيجابي ـ تكون مصحوبة دائماً بتبدلات جسمية ملحوظة. أبرزها: ـ في حالة المشاعر الإيجابية ـ قلة الإدرار وتناقص كمية الفوسفات وكلوريد الصوديوم في الجسم. والمشاعر الإيجابية تؤدي ـ عند استمرارها ـ إلى السمنة وتنشط الدماغ وإلى زيادة طاقة الجسم على بذل الجهد المطلوب. ويحصل العكس في حالة المشاعر السلبية حيث يفقد الذهن نشاطه ويتعرض الجسم إلى الهزل ويفقد المرء ثقته بنفسه وتطغى علية حالة القلق والتخاذل والاستخذاء المصحوب أحياناً بالذعر. كما تزداد كمية الإدرار تزداد أيضاً كمية كلوريد الصوديوم والفوسفات في الدم. ويفقد الدماغ قدرته على مواصلة العمل وتشتت الانتباه.

لا شك في أن المشاعر [الانفعالات: ـ العواطف] هي محرك السلوك [ودوافعه السيكولوجية الأساس التي تتوقف عليها حياة الإنسان الفكرية التي يمارسها الدماغ [..] والجانب الإنفعالي ـ في حياة الإنسان العقلية ـ يعبر عن نفسه كما ذكرنا في المواقف التي يتخذها الشخص إزاء العوامل البيئية المحيطة.. ثم يقول.. تبدو علاقة المشاعر والانفعالات أو العواطف بالفكر أو التفكير [..] أهم مفارقات الانفعالات نفسها والتفكير ذاته على حدّ سواء. فالتفكير لا يحدث إلا إذا سبقته حالة انفعالية ـ حادة على الأعم الأغلب وآنية فورية ـ ولكن الفكر لا ينجز مهمته على الوجة الأكمل»[١].

ثم يقول عن وظائف الدماغ السيكولوجية:

«نقصد بوظائف الدماغ السيكولوجية: الذاكرة والانتباه والخيال أو الفكر

---

(١) الحب بين القلب والدماغ/ د. نوري جعفر الفصل الثاني وظائف القلب السيكولوجية ص٤١.

والتفكير. والوظائف السيكولوجية هذه مترابطة متلاحمة فيما بينها من الناحية العملية ومتبادلة الأثر أيضاً»[١].

ومن الجمع بين القولين، يتبين لنا أن العواطف والانفعالات هي الأساس في الانتباه والذاكرة والخيال والفكر والتفكر ـ كما يقول ـ، ولما كانت العواطف والانفعالات في القلب، والذاكرة والخيال والتفكر والفكر في الدماغ، فيكون القلب هو القائد للدماغ، لا استقلال في التعقل ولا مشاركة مع القلب، وعليه فالعقل في القلب.

ولكنا نجد رأياً آخراً للدكتور نوري جعفر يخالف قوله هذا في كتاب آخر، فيقول في كتابه مجالات التربية الخاصة:

«فإن علم الأمراض العقلية Psychiatry وعلم الاضطرابات العصبية Nesuopathology هما علمان متكاملان في الأساس وأن السلوك هو الذي يحدد عمق ودرجة التخلف العقلي»[٢] ويقول في صفحة أخرى: *«والمخ الذي هو الأساس الفسلجي للقدرات العقلية»*[٣].

إن هذه الآراء المختلفة المتعارضة مع بعضها جاءت بسبب عدم وجود رؤية فلسفية ثابتة من قبل الدكتور نوري جعفر، وبتعبير قلبي، أن قلبه متقلب، فهو تارة ماركسي ولكنه يفسر التأريخ بنظرة نفسية تاريخية أدبية، وأخرى ديني كما قرأت معنا موقفه من القلب، رغم أنه لم يصرح به، ولكن يكفينا رأيه في فسلجة القلب.

عزيزي القارئ، هل مرت بك لحظة رأيت شيئاً يمر أمامك كحادثة أو موقف مررت به سابقاً؟ نعم كلنا يذكر هذا ويشعر به، ولكنه لا يعلم لماذا حدث هذا؟ وما هو التفسير؟ هل كان لنا الكشف والشهود، حتى قرأنا المستقبل؟ وكيف اتفق ما نتخيله مع

---

(١) الحب بين القلب والدماغ/ د. نوري جعفر الفصل الثاني وظائف القلب السيكولوجية ص ٤٨.

(٢) مجالات التربية الروحية/ د. نوري جعفر علي د. عبدالرزاق فاضل القيسي ص٣٤.

(٣) مجالات التربية الروحية/ د. نوري جعفر علي د. عبدالرزاق فاضل القيسي ص ٤٩.

الواقع؟ أسئلة وحالات كثيرة بعدد أنفاس الخلائق لم تجد الجواب الشافي لها، بل لم تجد الجواب أصلاً.

لنرى ماذا يقول علماء الفسلجة عن هذه الظاهرة؟ والتي هي حقاً ظاهرة تستحق الوقوف عندها ودراستها.

قالوا: إن مخ الإنسان مكوّن من نصفين متقدم ومتأخر، فإذا وصلت المعلومة للنصف المتأخر ثم إلى النصف المتقدم تصور الإنسان أنه قد شاهد هذه الحالة سابقاً، مع أن الفرق بين خزن هذه المعلومة في النصف المتأخر ووصولها إلى النصف المتقدم يعد بأجزاء الثانية، ولكن لكونه جديد على هذا النصف يتصور أنه حالة سابقة. وقالوا: إن الذاكرة تنقسم إلى قسمين: الذاكرة القصيرة (Short memory) والذاكرة الطويلة (Long memory) فيصادف أحياناً أن ترسل الأعصاب المعلومة إلى الذاكرة الطويلة فيتصور الإنسان أنه شاهد هذا الموقف سابقاً[(١)].

أعتقد أن التسمية بالطويلة والقصيرة غير موفقة، والصحيح الذاكرة العميقة (Deep Memory) والذاكرة السطحية (Surface Memory).

يعنون بالذاكرة القصيرة القريبة الحدوث والذاكرة الطويلة البعيدة الحدوث، ويقولون إن الخطأ الذي يحدث بسبب نقل المعلومات إلى غير جهتها المطلوبة هو السبب، والحقيقة خلاف ذلك، فالمخ قد يستقبل استقبالين في وقت واحد في الذاكرة القصيرة والآخر في الذاكرة الطويلة، ولكن الصورة واحدة والمصور واحد والمحلل واحد، فلا تكون الصورة صورتين قديمة وحديثة، هذا إذا عرفنا أن الوقت بأجزاء الثانية، فلا يمكن أن نتصور هذه التحليل، لأن لكل صورة زمن خاص بها باعتبار أنها حدث، ولا يمكن أن يكون حدثان بزمن واحد، وإذا كانت هناك مجموعة أفعال تحدث في زمن واحد فهي حدث واحد من حيث الزمان، فكيف يتصور أن هذا الحدث قد شاهده أو مر به سابقاً؟ والتفسير الصحيح أن الذي شاهد الموقف أولاً هو

---

(١) الباراسيكلوجي/ شاكر رشيد العايدي ص٧ ـ ٨ بتصرف.

القلب، لأن العين ترسم الصورة المادية وترسلها إلى الدماغ، أما القلب فيستلم الصورة قبل الدماغ، فإذا أرسل القلب الصورة إلى الدماغ وهي عملية نادرة جداً لخزنها، وإذا صادف أن الإنسان كان منشغلاً بموضوع هام أو أنه لم يكن ملتفتاً إلى وضعه وحالته التي هو فيها الآن فيتصور الدماغ أنه قد استلم الصورة مرتين، فيتصور الدماغ أن هذه الحالة مرت عليه سابقاً، والحقيقة هي: نعم مرت عليه سابقاً ولكنها جاءت من القلب، ولكون القلب كان منشغلاً، كان الزمن غير محدد فيتصور الدماغ أنه شاهد هذه الصورة (الحدث) سابقاً.

وهناك صورة أخرى يرسمها القلب، ولكنها صورة تخيلية فقط، ليس لها من الواقع المتحقق شيء، وإنما هي من ارتباط القلب بالقلوب الأخرى وحدوث حالة التخاطر بين هذه القلوب أو ارتباط القلب بعالم الغيب، فيرسل تلك الصورة إلى الدماغ، ثم يتحقق ما تنبأ به القلب فيتصور الدماغ أنه شاهد هذه الصورة سابقاً.

فمنها ما هو تخيل فقط وهو الحالة الأولى ومنها ما هو قراءة للمستقبل، فإذا تمكن الإنسان من دراسة حالته ومعرفة خفايا هذه الحالات تمكن من الإخبار عن قضايا مستقبلية، وبغض النظر عن ارتباطه بالله أو ارتباطه بالشيطان، وهذا ما نلاحظه عند العارفين من العلماء وعند الفاسقين، للدلالة على أنه ليس للجانب الديني الأثر الوحيد على القلب، بل القلب له وظائفه الخاصة به، سواء كان قلب مسلم أو غيره، معتقداً بالله تعالى أو لم يكن، وما يلاحظه ويتوقعه غير المؤمن دليل على أن القلب هو محل الإدراك والتفكر.

٢ ـ كيفية حصول العلم في القلب

The Obtain science Method in The Heart

أقول: إن القلب هو الذي يحفز الدماغ على الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق الحواس الخمس ـ أو لعلها تكون أكثر مستقبلاً ـ، حيث يتم هذا الاتصال عن طريق الدم، السفير الروحي للقلب إلى كافة أعضاء الجسم وما يحيط به، فيرسل القلب أوامره التي تلقاها أو أوجدها إلى الدماغ وبقية أعضاء الجسم، ولكني أخص الدماغ هنا لأن الاعتقاد السائد بأنه محل التفكّر والتعقل فنقول:

يحصل العلم في القلب بأحد طريقين:

الأول: عن طريق الله تعالى، وهذا لا يمكن أن يثبت تجريبياً، لأن الله تعالى ليس محلاً للحوادث ولا هو من الماديات، وإنما يكون بالقذف في القلب، وهو يشبه تماماً الإيحاء إلى الأنبياء من غير وساطة الملائكة، وإثبات هذا فقط بالأحاديث النبوية والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، كما في حديثه صلى الله عليه وآله: ***القلب عرش الرحمن***[1]، وعن طريق تغيير الرأي ونقض الهمم وفسخ العزائم كما قال الإمام عليّ عليه السلام: ***عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ونقض الهمم***[2]، وهذا الطريق ليس فيه خطأ على الإطلاق، وهو ما كان عليه الأنبياء والأوصياء أو من يختارهم الله تعالى كما في أم موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة/ صدر المتألهين الشيرازي ج٩ ص٢٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ج١٩ كلمة ٢٤٧.

﴿ٱلْيَمِّ﴾[١]، وهذا يعني أن أم موسى عليه السلام قد أوحي إليها، وهذا الوحي لم يكن على شكل ملك بل إلقاء في القلب، ولو لم يكن القلب فيه جنبة التجرد لما كان محلاً لاستقبال وحي الله تعالى، وهذه هي جهة التشابه بين العرش والقلب، فما يجري في العرش من إلقاء الإيحاء إلى الملائكة لتجردهم يجري في القلوب لوجود جنبة التجرد.

وأما العرفاء فهم ما كانوا ليكونوا كالأنبياء، ولكنهم لهم من العلم الشهودي، إلا أنه ليس العلم المطلق أو الكامل كما هو عليه المعصوم عليه السلام، ولذلك ما وجدنا أحداً يقول كما قال الإمام عليّ عليه السلام: ***سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا***[٢]، فهو علم لدني، وكل إنسان له القدرة على أن يصل إلى مستوى تلقي العلم اللدني بنسبة صغرت أم كبرت.

إن الحصول على هذا العلم يتم بواسطة تصفية القلب وإخلاص النية لنفس العلم، أي أن الإنسان تارة يكون خلوصه لله تعالى، وهو المطلب الأعظم لأنه يتضمن الإخلاص التام، قال الإمام الصادق عليه السلام: ***إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو***[٣]. وتارة يكون لنفس العلم أو للإنسانية فقط وليس لله فيه تقرباً أو دخلاً، فهذا أيضاً من العمل الخالص ولكن نسبته أقل من الأول، ولكن صاحبه يوفق، وهذا ما عليه كثير من العلماء الملحدين، لأن عملهم من أجل خدمة الإنسانية، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[٤]، صحيح أن سياق الدعاء في الآية بلسان المؤمنين ولكن الجواب بلسان العموم من جهة العمل والثواب لا

---

(١) القصص/ ٧.

(٢) نهج البلاغة خطبة ٩٣/ صبحي الصالح.

(٣) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب ذم الدنيا والزهد فيها ح١٠.

(٤) آل عمران/ ١٩٥.

من جهة الجنة والنار لأنها أصلاً لا تشمل الكافرين، فالمورد لا يخصص الوارد، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(١).

إن هذا الطريق إلى العلم هو الطريق إلى الكليات التي تنفتح من خلال العمل والإخلاص على الجزئيات أكثر فأكثر، وهذا يتطلب من الإنسان شحذ الهمم وزيادة العمل كمّاً ونوعاً بقيد الإخلاص كما قلت، وتدريب الحواس الخمس ـ أو الأكثر ـ على تلقي العلوم النافعة والإكثار منها ومن العبادة العملية.

إن هذا الطريق غير منحصر بالمؤمنين فقط، نعم تمامه وكماله منحصر بهم، وأن الله لا يضيع عمل عامل منكم.

قد يشكل على هذا البحث في كيفية تلقي القلب الأوامر من الله تعالى وليس بين الله تعالى والقلب مسانخة؟ فنقول: إن القلب فيه جنبتان كما هو الرسول ﷺ، جنبة المادة وجنبة التجرد، فبالتجرد يتلقى العلوم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٢).

إن تسمية القلب أو توصيفه بعرش الرحمن يدل على أن القلب فيه هذه الجنبة القادرة على تلقي الوحي، وحديث النبي ﷺ ليس جزافاً ولا هو ـ كما يقول بعضهم: إن كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام أهل البيت عليهم السلام ـ كلام مجازي، هؤلاء لا يعلمون أن القرآن قوله فصل وليس بالهزل، وكلامه بيان وتبيان لكل شيء، فالمجاز من جهة اللفظ لا من جهة المعنى، ومن جهة اللغة لا من جهة التحقق، فإن الأشياء متحققة قبل المعنى، والمعنى متحقق قبل اللفظ، فما نراه مجازاً فبحسب الذوق اللغوي ليس إلا. أما الكناية والاستعارة، فهي حقيقة أيضاً لأن الكناية تعبير عن تحقق شيء ولو من جهة واحدة، وأما الاستعارة، فهي كالكناية ولكنها أبلغ.

إن وصف القلب بعرش الرحمن وصف حقيقي لا مجازي، لا من الناحية اللغوية ولا من أصل الواقع، المجهول عند غير أهله، وإلا فهناك قول آخر عن الإمام

---

(١) الشورى/ ٢٠. (٢) الأنفال/ ٢٩.

الصادق عليه السلام: *أن القلب حرم الله فلا تسكن في حرم الله غير الله*[(١)].

الطريق الثاني: هذا الطريق يشترك فيه كل الناس، ولا فرق بين مؤمن وغيره وصغير وكبير، لأنه من البديهي، وهذه البداهة في خلق الإنسان كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٢)]، وهذه البديهة هي: (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان) فهي أم البديهيات كلها، حتى بداهة العلة والمعلول والكل والجزء فإنها ترجع إلى هذه البديهة، وهذه البديهة في خلق الإنسان، ولا تتبدل مطلقاً، حتى الذي نراه لا يؤمن ظاهراً فهو في داخله مؤمن.

ما قلته في الطريق الأول أقوله هنا من أن الفطرة طريق إلى الكليات وأما الجزئيات فهي بحاجة إلى الكسب والعمل ولا يشت إنسان عن هذا أبداً، وما الصلاة والصيام والجهاد وكل الأوامر التشريعية إلا لغرض الانتقال من الكليات إلى هذه الجزئيات.

---

(١) معرفة النفس/ حسن موسى الصفار ص٥٣. (٢) الروم/ ٣٠.

٣ ـ الدماغ والجهاز العصبي

The Brain & Nervous System

لا نريد أن نخوض في هذا الموضوع لأنه ليس من مختصات الكتاب وليس لي علم تام به، وإنما أنقله من الكتب المختصة بهذا العلم، وذلك لمعرفة وظيفة الدماغ ومقارنتها بوظيفة القلب لمعرفة العلاقة بينهما.

فالدماغ هو المسيطر على الجهاز العصبي الحسيّ، وكل عضو من أعضاء الجسم يرتبط بالدماغ، إما بالمخ وهو محل الأعمال الإرادية أو بالمخيخ وهو محل الأفعال اللاإرادية، أو عن طريق النخاع المستطيل المرتبط بالنخاع الشوكي ومنه إلى سائر الجسم.

إن فعل الدماغ عموماً فعل مادي يستند إلى المعلومات الواصلة إليه عن طريق الخلايا الحسيّة المنتشرة في جميع أجزاء الجسم، ويقوم بالإجابة عليها إجابة مادية أيضاً، وليس عمل الدماغ عملاً روحياً، وأن عدم وجود المادة المنتقلة منه إلى الجسم ومن الجسم إليه لا يعني أن عمله عمل روحي أو تفكيري محض، بل هو انعكاس للمادة، وعمله بفعل الكهرباء التي لا ترى وهي من المادة، بل حتى الشعور اللاإرادي فهو من نتاج المادة ومن آثارها، بعكس الإيمان الذي يكون من نور القلب وهذا النور هو النور الذي يقذفه الله في قلب من يشاء.

وعليه فليس للدماغ أثر في الفكر الروحي ولا أثر للجهاز الحسي في الفكر. نعم هو أحد أدوات آلة الفكر والتفكر كما قلت، وأعني القلب.

الماديون لا يختلفون معنا من أن عمل الدماغ عمل مادي بحت، بل هو المتبنى الوحيد عندهم لأن ليس بعد المادة شيء ورائي، وإنما هناك شيء غير المادة وهو شكل من أشكال المادة، وهو الطاقة، وقانون حفظ الطاقة لا يمكن تجاوزه، فتحول المادة إلى طاقة يعني العكس تحول الطاقة إلى مادة، وأن عمل الدماغ بالطاقة الكهربائية. فالعقل عبارة عن طاقة دماغية أو نشاط مادي بتحول الطاقة الكهربائية إلى إيعازات تتحول إلى أوامر منها حركية كحركة اليدين ومنها غير حركية كالرؤية والشم.

لا أريد أن أخوض أكثر، ولكن تحول الطاقة من شكل إلى شكل عملية مفروغ منها، فهل يمكن أن نحول العقل باعتباره طاقة إلى طاقة أخرى أو لا يمكن؟ سيقولون هو الآن يتحول إلى طاقة أخرى، بدليل أن اليد تتحرك، وهي طاقة حركية، أقول: وهل يمكن أن نحول الخيال وهو طاقة عقلية إلى شكل آخر من أشكال الطاقة؟ أو هل يمكن أن نفرق بين طاقة الخوف وطاقة الخجل، أو بين ظاهرتين نفسيتين مختلفتين كالشجاعة والجبن، فهما عمل من العقل، وهما نتاج طاقة كهربائية واحدة، فكيف كان نتاجهما مختلف؟ إذا قالوا بالشدة والضعف، قلت كذلك الشجاعة والجبن شديدان وضعيفان، بسبب شدة أو ضعف التيار الكهربائي وليس اختلاف التيار.

من هنا حتى لو سلمنا لهم بأن العقل في الدماغ وليس في القلب فهو غير مادي، لأن نتاج المادة الواحدة واحد في ظل نفس الظروف فأربع ذرات من الهيدروجين مع ذرتين من الأوكسجين تولد لنا جزيئتين من الماء تحت ظروف حرارة وضغط معينة، ولا يمكن أن يتولد غير الماء.

٤ ـ الدماغ والتفكر

The Brain & Thinking about

الدماغ لغة:

دَمَغَ: قهره، ودمغ الحق الباطل: أبطله وسحقه، وأدمغه إلى كذا: أحرجه إليه(١).

الدماغ اصطلاحاً:

العضو الموجود في قحفة الرأس والذي يتصل بالعينين والأنف والفم والأذنين، ويرتبط بباقي الجسم عن طريق النخاع المستطيل والحبل الشوكي.

المخ لغة: Cerebrum

خالص كل شيء(٢).

المخ اصطلاحاً:

وهو الجزء الأمامي من الدماغ والمسؤول عن الأعمال الإرادية.

من تعريف الدماغ لغة واصطلاحاً نعرف أنه ليس له القدرة على التفكر وليس من مختصاته حتى أقل تقدير، بل إنه الواسطة في تحقيق أغراض الإنسان، أي أنه الأداة

---

(١) المنجد في اللغة - ترتيب معروف - باب الدال ص٢٢٦.

(٢) المنجد في اللغة - ترتيب معروف - باب الميم ص٧٥٠.

التنفيذية للإنسان، وهذا يعني أنه يحتاج إلى الأداة التشريعية التي تدير الأفعال والأقوال، بل هي التي تنشأ القرار وتتابع تطبيقه من خلال أدواتها ألا وهو الدماغ الذي يعد أكبر وأوعى هذه الأدوات.

وكذلك من تعريف المخ لغة واصطلاحاً نعرف أن المخ ليس هو المنشئ للأفكار أو هو المتبني لها لاسيما العقيدة بالذات، وإنما هو خالص العمل، والفكر واحد من أهم أدوات العقل وليس هو العقل، ولما لم يكن للمخ القدرة على التفكّر، وخاصة التفكّر الروحي أو ما يتعلق بالغيب أو بالعقيدة، صار المخ ليس محلاً للعقل، وإنما هو من أدوات التذكر ليس إلا، ولا يمكن أن تكون له الاستقلالية في التفكّر، نعم له الاستقلالية في التذكر وإعادة المعلومات وتبويبها كما ذكرت، ولكن بأمر سابق من القلب في تخويله للقيام بهذا العمل وقت حاجته.

إن قول النبي الأكرمﷺ: *(الدعاء مخ العبادة ولا يهلك مع الدعاء أحد)*(١) يوضح أن العبادة هي إدراك العقل لحسن العمل وطاعة المعبود، وليس هي العقل، بدليل أن من العبادة أفعال الصلاة الحركية، ومنها أفعال الحج الحركية، أي البدنية، وعليه فالمخ لب وجوهر هذه الأفعال وليس هو العقل. ولما كان المخ لب الدماغ وجوهرته الثمينة، والدماغ أصل تنفيذ الأوامر العقلية (القلبية) صار المخ لب الدماغ وصار الدعاء مخ العبادة ولبها.

إن الله تعالى لم يقل إن الله يحول بين المرء ومخه، لأن المخ ليس محلاً للتبدل والتحول، والسبب هو أن التحول والتبدل والتقلب من مختصات المختار والمريد، وأما الدماغ فليس له الاختيار أو الإرادة، وإنما هو منقاد للقلب، ومثل القلب والمخ إلى أمر الله تعالى كمثل الإنسان والمَلَك، فالأول وهو الإنسان يختار وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٢) وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٩٠ ابواب الدعاء باب فضله والحث عليه حديث ٣٧.

(٢) الإنسان/ ٣.

شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[١]، وأما الثاني أي المَلَك فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢].

سيمر علينا في الباب الثالث أن التفكر من مختصات القلب، وليس للمخ، القدرة على التفكر، وإنما له القدرة على التفكير والتذكر، وكذلك بعض الأفعال الإرادية كالسمع والبصر والذوق والشم والتكلم، إلا أنه محكوم بموافقة القلب، على الرغم من أن له صلاحيات واسعة في هذا المجال.

وبالإجمال فالدماغ ومنه المخ يفكر تفكيراً مادياً، وأعني بالتفكير المادي هو حاجة الدماغ إلى الغذاء المادي كي يستطيع أن يفكر، كحل مسائل الرياضيات أو تذكر الوقائع التاريخية أو تمييز الروائح وما شاكل هذا التفكير، في حين أن القلب لا يحتاج إلى الغذاء المادي بل العكس هو الصحيح كلما فرغت البطن كلما صفا القلب وأزهر، قال النبي الكريم ﷺ: ***إن الشيطان ليجري في ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع***[٣]، هنا نحن بحاجة إلى وقفة طويلة مع هذا الحديث، بل كل حديث له ﷺ وأهل بيت النبوة عليهم السلام، فهم معدن العلم وأصله وفرعه، لكن الكتاب لغرض إثبات الشواهد فقط، وهذا يعني أن القلب قادر على معرفة الفكر والقيام بعملية التفكر والتفكير الروحيين والإلهيين، وهذا ما يقوم به العلماء لو أشكل عليهم مشكل فيصوموا ليفرغ وعاؤهم وتقل الريح الذاهبة إلى القلب والتي تعكر صفاءه.

ولا تقول حصل التعارض بين الجوع والشبع، فللقلب الجوع وللدماغ الشبع، فكيف يوفق بينهما؟ الإجابة على هذا التساؤل بسيط، وهو أن لاترهق الجسد بالجوع إلى حدّ الهلاك والضعف وأن لا تتخم الجسد بالطعام، وإنما حالة الوسط هي الصحيحة، والبسملة والشكر عوامل مساعدة أساسية وتجويد المضغ وأكل الطازج، كلها عوامل تساعد على الاثنين.

---

(١) الكهف/ ٢٩.

(٢) التحريم/ ٦.

(٣) مقامات القلب/ الفيض الكاشاني ص٦٥ عن مسند أحمد ج٣ ص١٥٦.

٥ ـ القلب والتفكر
The Heart & Thinking about

أقول: إن القلب محل استقبال الفكر وإيجاد التفكّر والعقيدة، وما التفكّر إلا المحافظة على الفطرة والعقيدة وتنميتهما، ولكن بالتفكير يزداد الإنسان علماً، ويفتح أمامه الآفاق الرحبة للمحافظة على الفطرة وتنميتها، ولذلك فإن هذا الموضوع متداخل مع موضوع القلب والعقل، لأن التفكير والتفكر بحاجة إلى عقل يعقل ما يرى ويسمع ويشعر وما له علاقة بالملكوت، ولما كان محل العقل في القلب كما سنبينه في الباب الثالث، فإن التفكر لا يكون إلا بالقلب حصراً وبشكل خاص ما يتعلق بالعقيدة وما يرفدها ويساعد على تقويتها وتجذيرها، ونقلت لك الحديث الشريف: *(تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة)*[١] لأن التفكر عملية استمرار وبقاء على العقيدة أولاً وتنميتها بما يعادل عبادة ستين عاماً ثانياً، ولما كان التفكر في القلب فهو بعكس الدماغ فيحتاج إلى الجوع، لأن القلب في حال الجوع أقدر على التفكر من القلب في الشبع، ومن المفهوم المخالف لهذا النص فإن الشبع يزيد الإنسان بلادة وغباء، ولذلك تجد العلماء إذا أشكلت عليهم مسألة صاموا يوماً أو يومين لأجل أن يخلو الجوف من الأبخرة التي تنتقل عن طريق الدم إلى القلب فتعطل عمله كما قلت قبل قليل، ومن المؤسف أن الأولين كانوا يتصورون أن الأبخرة تصعد إلى الدماغ فتعطل عمله، مع أن الدماغ لا يتصل إلا بالدم والعين والأنف والفم والأذن، وهذه الأدوات، سوى الدم، تتصل به

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول/ العلامة محمد باقر المجلسي ج٩ ح٢٥.

عن طريق الأعصاب، فليس لها أن تنقل الأبخرة إليه، وأما انتقال الأبخرة إلى الدماغ عن طريق الدم، فهي الغازات المذابة فيه أو التي تتفاعل مع مكونات الدم بطريقة وبأخرى، وطريق الدم من وإلى القلب.

قال الإمام الصادقعليه السلام: *السعتر والملح يطردان الرّياح من الفؤاد ويفتحان السدد، ويحرقان البلغم*(١).

ستجد عزيزي القارئ أن التذكر يحتاج إلى المادة أي الغذاء المادي وأما التفكر فلا يحتاج إلى المادة بل يحتاج إلى الغذاء الروحي ومنه الجوع.

إن المتتبع لسيرة العلماء يجد أنهم كانوا في الأعم الأغلب فقراء، وأن لم يكونوا من الفقراء فهم من الزهاد، وشعارهم «إذا أردت الوصول إلى الله تعالى أو التقرب منه فما عليك إلا بثلاث، قلة الطعام وقلة النوم وقلة الكلام» وهذا يكشف لنا أن الجوع هو الأصل لدى الإنسان وليس الشبع، وما أصاب الناس من سوء إلا بسبب الشبع والتخمة، بحيث تحول الإنسان إلى حيوان.

مر عليك عزيزي القارئ في الباب الأول في تغذية القلب الروحية والمادية أثر الغذاء بشقيه على القلب وعمله.

---

(١) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ٤٢.

٦ ـ الدماغ والإيمان
The Brian &The Faith

أعتقد أن الموضوع قد تكشف من خلال أبحاث القلب والتفكّر والدماغ والتفكر، فالدماغ ليس محلاً للتفكر فلا يكون محلاً للإيمان مطلقاً، ولذلك لم ترد آية ولم يرد أي حديث أو رواية في أن الدماغ محل الإيمان، فالآيات تذكر القلوب المطمئنة، والقلوب الزائغة والقلوب السليمة والقلوب المريضة وستجد هذه الآيات في الباب الرابع، كما ستجد القلوب في القرآن الكريم وتصنيفها.

إن الدماغ يساعد القلب في بعض الحالات على زيادة الإيمان وليس على إيجاده، وذلك من خلال العلاقات المادية والعلمية سواء في علوم الطبيعة أو غيرها كالرياضيات مثلاً أو علوم المنطق التي تساعد في إيجاد مصاديق الأفكار التي يطرحها القلب، أي التي يطرحها أو يثيرها العقل، ولذلك قلت: إن الدماغ من أدوات القلب المهمة، بل سترى أنه الأمين العام للقلب وهو مستودع أسراره، وبتعبير عصري الدماغ أرشيف القلب، بل في بعض الأحيان يساعد القلب على اتخاذ القرارات المهمة على مستوى العقيدة، ولكنه يبقى في مستوى المستشار، مع ما في هذا المثال مسامحة، فإن الدماغ له القدرة على رفد القلب بالعلم العملي المستفاد من التجارب السابقة، كما أنه له القدرة على الإبداع ومساعدة القلب في ذلك، وهذا بخلافه في المعصوم عليه السلام فهو مستغن تماماً عن علم الناس كلهم أجمعين، لأن ما عنده من العلم يفوق ما عند جميع البشرية من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، ولذلك نجد أن الإمام عليّ عليه السلام يقول لابن

عباس: *(لك أن تشير عليّ و أرى، فإن عصيتك فأطعني)*،[1]، وهذا يعني أن الإمام في غير حاجة ابن عباس، ولكن من باب تقريب المسلمين إليه، لما له من مهابة، ولما له من أثر في النفوس.

(١) نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين حكمة ٣٢١ ص٨٠٠/ تحقيق صبحي الصالح.

٧ ـ القلب والإيمان

The Heart & The Faith

الكلام كل الكلام هنا، فالقلب مركز الإيمان، ومن لا قلب له لا إيمان له، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ***إن محل الإيمان الجنان وسبيله اللسان***[١] وقال أيضاً: ***الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان***[٢]، فلا بدّ أن يكون القلب سليماً حتى يكون أهلاً للإيمان، وأن يكون باقياً على الفطرة.

ولما كان القلب محل التقلب والتبدل، كان على الإنسان أن يطلب له طرائف الحكم، كما يقول الإمام عليّ عليه السلام، ***إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم***[٣]، فليس من باب المصادفة والمجاز أن يكون المقصود من القلب في جميع الآيات وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأقوال أهل البيت عليهم السلام هو العقل الذي لم يحدد مكانه، مع أنهم ذكروا بعض الأحيان الدماغ فلو كان المقصود من القلب الدماغ لكان العكس هو الصحيح، ثم إن قوله تعالى الآية محل البحث[٤] قد حددت المكان الذي يتواجد فيه القلب، فقالت التي في الصدور، ولو كان القصد «أن العقل في الدماغ» لقالت التي في الرؤوس، ولما قال الإمام عليّ عليه السلام: ***لقد علق بنياط هذا الإنسان مضغة***

---

(١) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الألف حكمة ١٢٤٧.

(٢) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الهمزة حكمة ٢٩٢٩.

(٣) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الألف حكمة ١٣٢٤.

(٤) الحج/ ٤٦.

هي أعجب ما فيه وذلك القلب . .[١].

إن العمليات الجراحية التي أجريت لتبديل القلب، قد بينت أن أكثرهم غيّر عقيدته وطباعه وأخلاقه وأفكاره، وذلك تبعاً لما كان عليه صاحب القلب المتبرع[٢]، وإليك واحدة من هذه القصص وسوف نتناول قصص هذا الموضوع في باب خاص به:

القصة: انتحر أحد الأشخاص الملحدين والذي كان سيء الخلق بذيء اللسان بوضع مسدس في رأسه، وقبل موته أعطي قلبه لشخص آخر، وبعد العملية تحول هذا الإنسان الآخر الوديع المؤمن إلى ملحد وبذيء اللسان، على خلاف ما كان عليه قبل العملية، ويشاء القلب أن يتزوج هذا الشخص من نفس زوجة المنتحر، ثم تأتي العجيبة الثانية، وهي انتحاره بنفس الطريقة التي انتحر بها زوجها الأول المأخوذ قلبه، وما جرى ليس غريباً، بل طبيعي، لأن عملية التفكر والعقيدة في القلب وليس في الدماغ.

إن قوله تعالى الآية محل البحث: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٣]، فإذا عرفنا أن التكليف منوط بوجود العقل وأن العقاب والثواب كله على درجة عقل الإنسان كما عن الإمام الصادق عليه السلام قال: *(العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)*[٤]، وأن العقل كما يقول تعالى في القلب، الآية في أعلاه، فإن العقاب والثواب على درجة قوة القلب ورسوخه وتحوله إلى الاستقرار بعد أن كان كثير التقلب.

---

(١) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف اللام حكمة ١٤٣.

(٢) بتصرف : .www. Kaheel7.com

(٣) الحج/ ٤٦.

(٤) الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح٣.

٨ ـ موقع القلب وموقع الدماغ
Heart Subject & Brain Subject

يقع القلب في صندوق كبير، ويحيط بهذا الصندوق جدار واقٍ له من الصدمات، كما أنه يقع بين عظمين قويين وهما العمود الفقري وعظم القفص، ولا يلتصق به شيء، فهو مستقل استقلالاً شبه تام إلا من خلال هذه النياط وهي أغشية البريتون التي تجعله معلقاً في الصدر.

إن هذه الاستقلالية في المكان وعدم التجاور تجعل القلب بعيداً عن تأثير الجوارح الأخرى، كما تجعله في مأمن من أمراضها وسلوكها، إضافة إلى أن بُعد القلب عن جدار الصدر يجعله بعيداً عن المؤثرات الإشعاعية الخارجية، من الحسد والتخاطر والكشف عنه، إلا أن تكون بإرادته.

أما الدماغ فمحاط بقحفة قوية أيضاً ولكنها قريبة من الجدار الخارجي لها، ولهذا يمكن الوصول إلى الدماغ بأدنى إشعاع مما يجعله عرضة لسرقة المعلومات منه، وهذا الذي يحصل للأشخاص الذين يضعف عندهم القلب ويكون إله هواه، فيتحكم به هذا وذاك، وتتقلبه الأهواء والرغبات، ويكون ريشة في مهب الريح، ما يجعله عرضة للإصابة بالجلطة القلبية وأمراض السكري والضغط وغيرها من الأمراض التي تحدث بسبب هزة وإن لم تكن عنيفة.

إن وجود العضوين في صندوقين يؤكد ما ذهبنا إليه من أن القلب والدماغ عضوان مهمان، وكذلك الرئتين، ولكنهما أقرب إلى جدار الصدر مما يجعلهما أقرب إلى التأثر بالمحيط الخارجي من القلب.

إن الناس الذين يستخدمون الحسد أو التأثير على تفكير الآخرين من خلال التوصل إلى أدمغتهم، وما يجري بالتنويم المغناطيسي دليل على أن الدماغ عرضة للتأثر بأفكار الآخرين ودخول الأشعة والمجال الكهرومغناطيسي وسرعة تأثرهم.

٩ ـ القلب والدماغ والحفظ (الذاكرة)
The Heart & Brain at Memorize

اكتشف العلماء أن بعض خلايا الدماغ (المخ) تقوم بعملية حفظ المعلومات وتخزينها وإعادتها عند الحاجة إليها، وأجروا بعض التجارب على اكتشاف تلك الأماكن في الدماغ وتحديد وظائف بعض الخلايا، ولكنهم في نفس الوقت وصلت أبحاثهم إلى أن جميع جسم الإنسان يتغير أكثر من مرة خلال حياته، وهذا التغير يشمل الدماغ أيضاً، فالمادة الدماغية اليوم ليست هي المادة الدماغية قبل عشرين عاماً، وعليه سنوجه الأسئلة التالية ونجيب عليها:

السؤال الأول: إذا تغير في الدماغ الموضع الخاص بمعرفة نفس الشخص صاحب الدماغ، فهل سينسى الشخص اسمه وتاريخ حياته؟

الجواب من وجهة النظر المادية:

كلا سوف لن ينسى والسبب، لأن الخلية التي ماتت وحلت محلها خلية أخرى تحمل نفس صفات الخلية السابقة ومنها اسم وتاريخ الشخص.

أقول إذا كان كذلك فلا بدّ أن تكون الخلية اللاحقة كالخلية السابقة في كل شيء، فإن قلتم نعم ـ وهو خلاف الواقع ـ زال تغير الإنسان من الشباب إلى الشيخوخة، وأن قلتم كلا اختلفت الخلية اللاحقة عن الخلية السابقة، وبمرور الزمن وتغيرُ الخليةِ ذاتِ نفس العمل في الذاكرة، تنتهي الذكرى والحادثة المحفوظة، وهذا خلاف الواقع، فهناك من الأحداث لا تتغير مطلقاً وتبقى محفوظة إلى موت الإنسان، فأين حفظت هذه المعلومة؟

السؤال الثاني: لماذا يقول الشخص منذ صغره إلى موته أنا؟ فهل هذه الأنا وهو طفل نفس الأنا وهو رجل وهو شيخ طاعن في السن أو لا؟

الجواب عند الماديين:

نعم يقول أنا، لأنه يتكلم عن نفسه، رغم تغير جميع خلاياه بما فيها الدماغ كله، وأكثر من مرة، أقول نفس الإشكال السابق، كيف يقول أنا وقد تغير كله ولم يكن هو؟

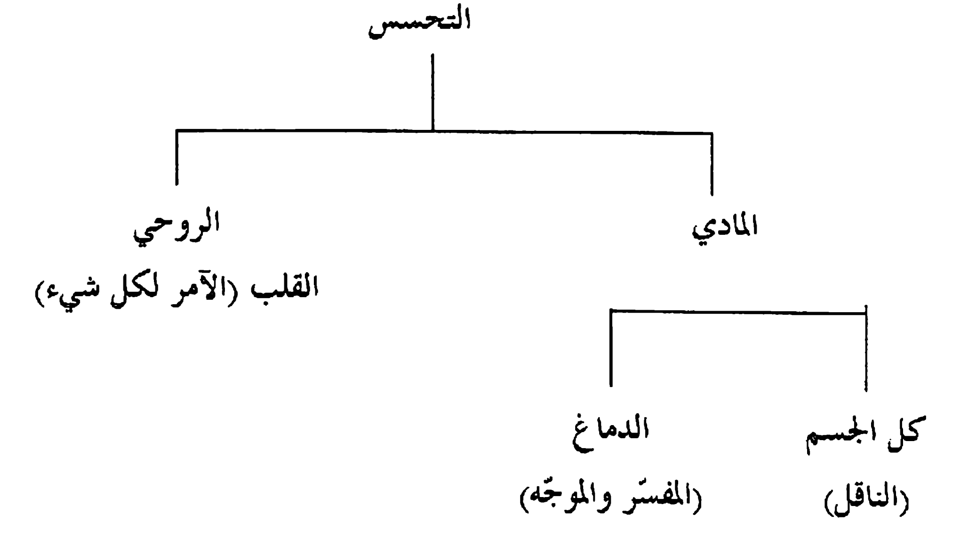
أما إذا كان الحفظ والذاكرة في القلب، وهو الحامل للروح والعقل أو محل الروح والعقل، فليس هناك أدنى التباس أو خلل في التحليل، لأن الروح والعقل جواهر لا تتبدل ولا تتغير ولا يطرأ عليها الفناء بتغير الأجسام والأبدان، وأن القائل أنا، الروح وليس الجسم، والقلب وليس الدماغ، وأن القلب يؤثر بالدماغ أكثر بكثير من تأثير الدماغ بالقلب، لعله بنسبة اختلاف شدة التيار الكهربائي في القلب إلى شدة التيار الكهربائي في الدماغ وهو (١/ ٥٠) أو بشدة اختلاف المجال الكهرومغناطيسي وهو (١/ ٥٠٠٠)، وأن القلب إذا أراد استخراج حادثة قبل مائة عام بعث بها إلى الدماغ ليسلك بها إلى الأعصاب ثم إلى اللسان حتى ينطق بها الإنسان فيتصور البعض أن الدماغ هو الذي أخرج هذه الكلمات وهذه الذكريات من أرشيفه.

الخلاصة:

ونخلص إلى النتيجة التالية، وهي: إن الجهاز العصبي عبارة عن ثلاثة أجهزة، **الأول**: الجهاز الموجود في كل خلية من خلايا الجسم بما فيها القلب والدماغ، **والثاني**: الجهاز الموجود في الدماغ، **والثالث**: الجهاز الموجود في القلب، فأما الجهازان الأول والثاني فهما الذان يتحسسان كل متغير في المحيطين الداخلي والخارجي لهما، والجهاز الثاني هو المفسر لتحسس الجهاز الأول ومصدر الأوامر العصبية في الاستجابة والرد على هذا التحسس، وهما تحسس مادي بحت، يعتمد على الحركة والحرارة والكهرباء.

أما الشعور بالخجل والخوف والفرح والسعادة فهي من مختصات الجهاز الثالث،

وهو الجهاز الموجود في القلب، فهو التحسس الروحي، وهو حقيقة التحسس، ولا يمكن أن يغفل هذا التحسس، أو أن يخطأ، حتى لو ظهر خلاف ذلك في التحسس المادي، سواء من قبل كل الجسم أو من تفسير الدماغ لهذا التحسس، ولا خلاف في أن تحسس الدماغ موجود، وهو المقدمة لتحسس القلب الروحي، ولكن هذه المقدمة ليست هي العلة في التحسس الروحي، وإنما في العمل الطبيعي لجسم الإنسان أن تنقل الأخبار الخارجية والداخلية للقلب من خلال الجسم وتفسير الدماغ، لغرض تفرغ القلب لأهميته في حياة الإنسان ووجوده، وأما نتائج الحس الروحي فتظهر من خلال الدماغ إلى بقية الأعضاء، باعتبار أن الدماغ أمير التحسس المادي، وأما القلب فهو أمير البدن كما قرأت معنا الروايات. وأما لو حدث خلل لأي عضو من أعضاء الحس فإن التحسس ينتقل عبر القلب بدون واسطة، ونشبه هذه العلاقة بين التحسس المادي والروحي، كالاتصال السلكي بين جسمين مع قدرة أحدهما على الاتصال بدون استخدام السلك، كما يجري في التخاطر عن بعد، ولكن لو عطل وانقطع السلك سلك العضو الأقوى طريق التخاطر والتحسس بغير وسيط مادي، فالقلب له القدرة على التحسس الروحي، وهو أقوى بكثير من التحسس المادي، وذلك لأن لا معوق في طريقه سوى الروح، والروح أقوى من الجسد. وهذا تقسيم للتحسس:



لنرى ما توصل إليه العلماء:

تبين للعلماء أيضاً أن الذاكرة ليست موجودة فقط في الجلد، إنما جميع خلايا الجسم تختزن الذاكرة والمعلومات. ولذلك يقول العلماء اليوم: إن تاريخ كل منا مكتوب داخل كل خلية من خلايا جسدنا، فنحن عندما نقوم بأي تصرف، فإن خلايا العين مثلاً والخلايا المتصلة معها إلى الدماغ جميعها تمر المعلومات عبرها، وعملية مرور المعلومات التي نشاهدها من العين إلى الدماغ هذه (ملايين الخلايا)، تمر عبرها المعلومات وتختزن في سجلات دقيقة وبرامج أودعها الله تبارك وتعالى في داخل كل خلية. كذلك كل صوت نسمعه أو نتكلم به، فإن هذه الترددات الصوتية تنتقل عبر الأذن إلى الدماغ وطيلة هذه الرحلة من الأذن إلى الدماغ هنالك أيضاً بلايين الخلايا تمر عليها وتختزن في داخلها. إذاً نستطيع أن نستنتج أن خلايا السمع تختزن المعلومات، وخلايا البصر تختزن المعلومات[1].

إن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] دليل على وعي الجوارح لمعنى الشهادة حين حدوث العمل، وإلا لو لم يكن واعياً للحدث كيف يشهد؟ فضلاً عن مشاهدته له، وذكر المصاديق في الآية من باب المثال لا الحصر، لأن الملاك واحد، وهو الحياة، ولأن الإيمان مبثوث لجميع الجوارح كما في الحديث.

وهنا قول آخر لأحد العلماء:

الدكتور (جاك كوبلاند) أشرف على أكثر من ٧٠٠ حالة زراعة قلب فماذا وجد هذا الطبيب؟ الذي وجده أن هؤلاء المرضى يحدث دائماً مع كل تغيير للقلب تغييرات عميقة في شخصيتهم ولذلك قال أنا لا أستبعد أن يكون هنالك شيء ما في هذا القلب نجهله تماماً. وهنالك الكثير من الأطباء الذين يؤكدون هذه الحقيقة اليوم ولكن ليس

---

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٨/ ويكيبيديا.

(٢) النور/ ٢٤.

لديهم دليل مادي ملموس على ذلك سوى الظواهر التي يشاهدونها أمامهم[١].

إن هذا العدد الكبير ليس من باب المصادفة ولا من باب العشوائية في حياة الناس أن تتغير أخلاقهم وتصرفاتهم وقيمهم وعقائدهم بهذه السرعة، ومباشرة بعد إجراء العملية، ثم التغير بحسب طبيعة صاحب القلب المتبرع.

---

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٨/ ويكيبيديا.

الباب الثالث

العقل في النصوص الدينية والبحث العلمي

١ ـ معنى العقل

٢ ـ القلب والعقل

٣ ـ الدماغ والعقل

٤ ـ دور العقل

٥ ـ القلب والدماغ والحفظ

مقدمة

العلاقة بين الدماغ والعقل ليست علاقة مباشرة، فليس الدماغ هو المتعقل للأمر، بل القلب هو الذي يملي على الدماغ، وبشكل دقيق على المخ وليس كل الدماغ، لأن وظيفة المخ الأفعال الإرادية وبها تعقل الأشياء.

إن العقل المقصود هنا في الدماغ ليس هو العقل الاصطلاحي، وإنما هو التفكر الثاني والتذكر الأول، فالتفكر من واجبات القلب وليس للمخ دخل فيه، وما يمليه القلب على المخ هو الذي يستعين به المخ لإجراء عملية التفكر والتفكير المستندة إلى توجيهات القلب، إلا أن هذه التوجيهات تكون أحياناً مفصلة وليس للمخ التصرف بها، أو التغيير أو التبديل أو الإضافة أو النقيصة، ومنها ما للمخ الصلاحية في التصرف الآني المخول من قبل القلب، ولأن العقل المرتبط بالعقيدة في القلب فلا دخل للمخ فيها، وليس له أدنى تصرف أو تعقل، نعم هو يعلم بعد ذلك هذه العقيدة ويفهمها، إلا أنه لا يتدخل ولا يبدي رأياً مهما كان صغيراً أو كبيراً، لأن العقيدة إما مع الله أو مع الشيطان، وأما المخ فأعماله وأفكاره وتفكّره كلها تستند إلى أنشطة مادية بحتة يكون من نتائجها التفكير أو التذكر الماديين.

إن التفكّر خاص بالقلب، نعم هناك نوع من التفكير في جميع أجزاء الجسم، إلا أنه من المحدود أولاً ومن إملاءات القلب ثانياً، اللهم إلا إذا عصت الجوارح القلب حينها يكون تفكيرها وتصرفها بعيداً عن إرادة القلب وتوجهاته وتوجيهاته، وهي النفس الأمارة، وأما الحالة التي يمر بها الإنسان فيجد نفسه نادماً على فعلة فعلها، فهي المعبر عنها بالنفس اللوامة، أي الرادعة للنفس الأمارة، فالنفس الأمارة من الشيطان، وأما النفس

اللوامة فمن الرحمان، وهنا يحصل النزاع والقتال ما بين جنود العقل وجنود الجهل.

وأما التذكر فجلّه للمخ، وذلك لأن المخ أرشيف القلب، وأنه الأمين العام للقلب، كما أنه مستودع أسرار القلب وأعماله وعقيدته، فلو تأثر القلب أو استبدل يقوم المخ بإعادة المعلومات التي كان عليها الإنسان قبل تأثير أو تبديل قلبه، من عقيدة وأخلاق، فلو كان القلب الجديد كبيراً وقوياً لاستطاع أن يغير من شخصية هذا الإنسان حتى يصبح غيره وليس هو.

إن الإنسان يعلم أنه تبدل، ولكنه لا يعرف لماذا تبدل، ولو رجع إلى صاحب القلب المتبرع لوجده هو السبب، ولعرف أن ما به من قيم وأخلاق وتصرف تعود إلى صاحب القلب المتبرع، وسيمر علينا في موضوع المستبدلة قلوبهم وأحوالهم وطريقة تعاملهم عما كانوا عليه قبل وبعد عملية تبديل القلب.

١ ـ معنى العقل Mind

معنى العقل لغة:

العقل: *يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه* [عليه السلام]

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

وأصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، . . . ومنه قيل للحصن: معقل[١].

معنى العقل اصطلاحاً:

وأما اصطلاحاً فهو القوة التي عليها يكون الحساب والعقاب، وبها يكون

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني ص٥٧٨.

التكليف، وهي التي قال عنها الإمام الصادق عليه السلام: *(العقل ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان)*[١].

إن التكليف يدور مدار العقل شدة وضعفاً، فعن الإمام الباقر قال: *إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدرما آتاهم من العقول في الدنيا*[٢].

إن هذا الإتيان من الله تعالى ليس جزافياً، وليس هو من الله منعزلاً عن فعل العبد، بل هو من فعل العبد، فكلما أقبل العبد على الله تعالى أقبل الله عليه، فمن تقدم إليه شبراً تقدم إليه ذراعاً كما في الحديث، قال صلى الله عليه وآله: *إن الله تعالى يقول من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً و من تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً و من أتاني مشياً أتيته هرولة)*[٣].

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح٣.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح٧.

(٣) عوالي اللآلي/ ابن ابي جمهور الأحسائي ج١ ص ٢٤ ح٨١.

٢ ـ القلب والعقل

The Heart & Mind

الآيات التي أشارت إلى أن العقل في القلب

سنشير إلى آيتين فقط من الآيات التي ذكرت أن العقل في القلب وإلا فهي كثيرة.

الأولى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[(١)].

وهي الآية محل البحث. ومن بدائع القرآن الكريم أنه ذكر آية أخرى تؤكد حلول العقل الذي عليه التكليف في القلب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[(٢)].

الآية الثانية: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[(٣)] والآية هنا في معرض بيان موقع العقل، قال الطبرسي: *«و قلوبهم شتّى» أي مختلفة متفرقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم، وقيل إنه عنى بذلك قلوب المنافقين وأهل الكتاب، عن مجاهد ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الرشد مما فيه الغي، وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى،*

---

(١) الحج/ ٤٦.

(٢) الأعراف/ ١٧٩.

(٣) الحشر/ ١٤.

لاختلاف دواعيهم و أهوائهم وداعي الحق واحد، وهو العقل الذي يدعو إلى طاعة الله و الإحسان في الفعل(١).

قول الإمام عليّ عليه السلام

إن الله وهب لي قلباً عقولاً . .(٢).

بعد أن صدرنا هذا الموضوع بثلاث آيات وقول للإمام عليّ عليه السلام نذكر قولاً آخراً لأمير المؤمنين عليه السلام في العلاقة بين القلب والعقل، فيقول سلام الله عليه: ***(إن بدن الإنسان بمنزلة مدينة كبيرة لها حصن منيع هو القلب، بل هو العالم الصغير من جهة والعالم الكبير من جهة أخرى، والله سبحانه هو سلطان القلب ومدبره، بل القلب عرشه، حصنه بالعقل والملائكة، ونوره بالأنوار الملكوتية، واستخدمه القوى الظاهرة والباطنة والجوارح والأعضاء الكثيرة، ولهذا الحصن أعداء كثيرة، من النفس الأمارة، والشياطين الغدارة، وأصناف الشهوات النفسانية، والشبهات الشيطانية، فإذا مال العبد بتأييده سبحانه إلى عالم الملكوت، وصفي قلبه بالطاعات والرياضات عن شوك الشكوك والشبهات، وقذارة الميل إلى الشهوات، استولى عليه حبه تعالى، ومنعه عن حب غيره، فصارت القوى والمشاعر وجميع الآلات البدنية مطيعة للحق، منقادة له، ولا يأتي شيء منها بما ينافي رضاه، وإذا غلبت عليه الشقوة، وسقط في مهاوي الطبيعة، استولى الشيطان على قلبه، وجعله مستقر ملكه ونفرت عنه الملائكة، وأحاطت به الشياطين، وصارت أعماله كلها للدنيا، وإراداته كلها للهوى، فيدعي أنه يعبد الله، وقد نسي الرحمان، وهو يعبد النفس والشيطان. فظهر أنه لا يجتمع حب الله وحب الدنيا، ومتابعة الله ومتابعة الهوي في قلب واحد، وليس للإنسان قلبان حتى يحب بأحدهما الرب تعالى ويقصده بأعماله، ويحب بالآخر الدنيا وشهواتها، ويقصدها في***

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن/ الطبرسي تفسير آية ١٤ سورة الحشر.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة ٢٠٤٢.

أفعاله كما قال سبحانه): ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾[١]، [٢].

لما كان القلب أمير الجوارح كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام، فلا بدّ وأن يكون العقل فيه، لأنه أمير الجوارح ولا تأخذ الجوارح إلا منه، وليس لها التدبر إلا به وعليه، والآيات والأحاديث والروايات التي وصفت القلب كلها تدل على أنه هو المركز المسيطر على فعاليات الجسد كله، إلا ما شذ منه، وسنمر عليه ونذكر أسبابه.

إليك عزيزي القارئ مقطعاً من رسالة الأهليلجة التي كتبها الإمام الصادق عليه السلام إلى المفضل بن عمر: (... *فلم تزد العين والأذن وسائر الحواس على أن دلت القلب أن لها صانعاً، وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه، فيعرف أن الريح لم تتحرك من تلقائها، ولم تقلع الشجرة وتدع أخرى إلى جنبها، ولم تصب أرضاً وتنصرف عن أخرى فلما تفكر القلب في أمر الريح علم أن لها محركاً هو الذي يسوقها)*[٣].

والرواية لا تحتاج إلى تعليق لانها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فقوله عليه السلام: إن القلب يفكر بالعقل الذي فيه، يدل على أن العقل في القلب.

إن المهمة الأساس للقلب هي المحافظة على الفطرة أولاً وتنميتها ثانياً وحمايتها ثالثاً والتفكّر رابعاً، هذه هي وظائف القلب الأساس، وله وظائف أخرى يشترك مع باقي أجزاء الجسد، ومنها الحفظ والتذكر والنسيان والأمل والرغبة والرهبة والحب والبغض والشك وغيرها من الوظائف الأخرى.

أما الفطرة فهي اللبنة الأساس في حركة الإنسان إلى الله تعالى، وهي الحبل الممدود بينه وبين الله تعالى والذي لا ينقطع أبداً حتى مع المكابدة والمعاناة وكثرة السلوك المنحرف وتجذير هذا السلوك والإعانة عليه من الآخرين ممزوجاً بحلاوة المعصية المالية والجنسية والسلطوية، هذه هي الأمور التي تهدم فطرة الإنسان وتحرفها

---

(١) الأحزاب/ ٤.

(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٧٢ باب ذي اللسانين وذي الوجهين ح ١٤.

(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٥٨ باب ٤٣ حقيقة النفس ح٤٥.

أو تمزقها بل تؤدي إلى إتلافها عندها يصل الإنسان إلى مستوى الختم والطبع على قلبه، ومع ذلك يبقى قليل دفيناً من الفطرة في ثنايا قلبه، ولكنها بحاجة إلى واعز وواخز قوي جداً حتى يستطيع أن ينبض مرة أخرى بالعقيدة الفطرية، فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «*لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ*»[١] وهذا يشبه القلب الصنوبري المادي الذي يوشك على التوقف أو يتوقف لثوان فيوخز بصدمة كهربائية تحفزه للعمل مرة أخرى، وأن موت القلب الصنوبري يعني موت القلب الروحي، وليس العكس بل قد يكون موت القلب الروحي حياة قوية للقلب المادي الصنوبري، لأنه سوف يتفرغ لأعمال الجسد فقط، وهي الملذات التي تنعشه النعشة الدنيوية فيزداد بعداً عن الآخرة، وبالتالي بعداً عن الله تعالى.

إن العقل المعني في القلب الروحي، هو القدرة على البقاء على الفطرة في المرحلة الأولى، وأما المرحلة الثانية فهي المكملة للمرحلة الأولى، وهي تنمية هذه العقيدة بعد الاتصال بالعالم الخارجي والتعرف على القيم والأفكار الجديدة والعقائد الموافقة والمخالفة للفطرة، وهي العقل الفاعل والفعّال، أي القلب الفاعل والفعال، وهذا هو دور القلب العاقل، الذي يرتبط بالله تعالى من خلال سلك الفطرة الذي لم ينقطع، فيفيض الله عليه وينوره، وهذا النور يساعد في فتح آفاق المعرفة التوحيدية، فضلاً عن تثبيت الفطرة أكثر فأكثر، ويأتي دور القلب كعاقل في التمييز بين الصالح والطالح من العقائد والأخلاق والأفكار والقيم.

إن عملية تنمية الفطرة يأتي منسجماً مع ما عليه الإنسان في الخَلْق، لأن الفطرة هي موافقة الخَلْق، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وحيث إن الأساس موجود، فلا يتعب القلب في تنمية الفطرة، أما لو خالط الفطرة شوب العقائد

(١) نهج البلاغة خطبة ٤٩/ تحقيق صبحي الصالح. (٢) الروم/ ٣٠.

الفاسدة، فهنا تكون المعاناة والمكابدة في إصلاح ما أفسده الدهر، والمعاناة كبيرة وشاقة قد لا يتوصل معها إلى إعادة كل الفطرة والإستفادة منها لغرض العبور إلى مرحلة أخرى.

هنا ينشأ للإنسان قلب جديد في قلبه الروحي، هذا القلب يدفع به للانحراف عن الطريق، وكلما كانت الظروف الداخلية والخارجية مؤاتية للانحراف، كلما زادت معاناة القلب، وكلما غلب على أمره الذي كان عليه، وهنا يأتي دور المربي، من العائلة والمدرسة والمسجد والمعمل والشارع، ونفس الإنسان في أسلوب المشارطة والمراقبة والمحاسبة، فإما أن يزيد الطين بلة أو أن ينشف الطين ويساعد على تصلبه ومقاومته للانحراف.

فعلى مبنى هذا البحث، فإن مرتكزات العقل متعددة، ومن هذه المرتكزات القلب، وهو العنصر الأساس في العقل، فإن القلب إذا استقر ثبت العقل واستقر.

ذكرت تعريف العقل في موضوع العقل، وقلت هو ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان، وهو القول المروي عن صادق أهل البيت عليهم السلام.

أنا أعتقد أن محل العقل في هذا القلب الصنوبري، لأنه محل وجود القلب الروحي الذي يدير الجسد كله، وأن الإنسان إنسان بهذا القلب، وليس لجسده القدرة على التحكم به إلا بالقدر الذي قدر له أن يقوم به من واجبات تتلاءم والجوارح كما أسلفنا.

إن ارتباط القلب بالله تعالى يجعله مركز التفكر والتعقل والعقيدة من بعد ذلك، ولذلك جاء في الحديث: *(تفكر ساعة خير من عبادة ستين عاماً)*(١) لأن العبادة كحركة جسدية سهلة حتى على الحيوان، فمن منا لا يستطيع أن يقوم ويقعد ويركع ويسجد؟ وبالخصوص إذا كان صاحب جسد قوي وسليم ومعافى، فالعبرة بالروح لا بالجسد المعبر عنه أحياناً بالقلب، لأن القلب مركز العقل فيعبر عنها بمركز الروح أيضاً، كما قلت بأن الروح جوهر سيال يخرج من تجويف القلب وينتشر في أجزاء الجسم.

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول/ العلامة محمد باقر المجلسي ج٩ح٢٥.

إن تعقل الأشياء يحتاج إلى عضو له ارتباط بالعالم الخارجي للإنسان ـ أي محيطه ـ وله ارتباط بالعالم الداخلي للإنسان ـ أي جسده ـ، وله ارتباط بعالم الغيب المشهود تفصيلاً بصفاته وأسمائه والمشهود إجمالاً بذاته وكنهه، لأن ربط العالم الداخلي بالخارجي وربطهما بالغيب واستخلاص النتيجة هو الإنسان نفسه، ولما كان القلب مرتبطاً بالعالم الداخلي والخارجي للإنسان من خلال سفيره، وهو الدم، في الدورة الدموية والتنفس ولمعرفته بخفايا الجسم الإيجابية والسلبية، فقوة الجسد معلومة لدى القلب، وقدراته معلومة للقلب، وغذاؤه المادي وغذاؤه والروحي معلومان للقلب، وأما سقمه ومرضه وضعفه وإصاباته فهي كلها معلومة للقلب أيضاً، فصار القلب قادراً على أن يوفق بين قدراته الروحية التي سنعبر عنها فيما بعد بالعقلية وقدراته الجسدية والتي نعبر عنها بالمادية لأنه الحلقة الرابطة بينهما، بل هو المسيطر عليهما معاً وفي نفس الوقت هو المتصل بالله تعالى.

إن النفحات الربانية الرحمانية الداخلة للقلب تترشح إلى الجسد من خلال الدم، وكذلك النفثات الشيطانية القادمة من الرئتين عن طريق التنفس وعن طريق الطعام، وما يجري في العالم الخارجي تترشح إلى الجسد من خلال الدم، وهكذا يكون القلب ما بين النفحات والنفثات، وكلما عود نفسه على النفحات الرحمانية ونبذ النفثات الشيطانية، كلما تأصلت وتجذرت عنده ملكة حب الخير، بما تشمل هذه الكلمة من حب الله (عز وجل) وحب النبي ﷺ وحب أهل بيته عليهم السلام وحب الأنبياء عليهم السلام والأولياء وحب أهله وبر والديه وحب خيار الصحابة المنتجبين (رض) وحب العفة والكرم والشجاعة والتضحية والإيثار والصدق والأمانة، وحب كل ما يتعلق بالأخلاق الحميدة وبغض ونبذ الأخلاق والشخصيات والعقائد الذميمة.

إن قول الإمام علي عليه السلام: ***(إن الله وهب لي قلباً عقولاً ولساناً قؤولاً)***[1] يدل وبشكل قاطع على أن العقل في القلب، لأن الإمام في مقام التبيين عن كل شيء، لأن

---

(١) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الميم حكمة ٢٠٤٢.

مقامه مقام النبي ﷺ إلا النبوة، ولما كان من مقامات النبي الأكرم ﷺ البيان والتبيين كما قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١]، فيكون من مقامات الإمام البيان والتبيين أيضاً، فقوله عليه السلام: *قلباً عقولاً*.. واضح وصريح في أن التعقل في القلب، ولما كان التعقل يعني العقل، فالعقل في القلب.

قلت في مقدمة هذه البحث القلب والعقل: إن استقرار القلب يعني استقرار وثبات العقل، الآن كيف نستدل على ثبوت العقل واستقراره باستقرار القلب؟

سؤال وجيه وصعب في نفس الوقت، وليس من السهل الإجابة عليه، بل لعله من أعقد الأسئلة على الإطلاق، بل إن البحث يدور مدار هذا الموضوع وجوداً وعدماً، لأن العقل ليس محلاً للتجارب كما هو القلب الصنوبري، بل إن العقل في القلب الروحي إنتاجاً أو حلولاً مجرداً عن المادة والماديات، إلا من خلال آثاره الظاهرة أو التي تظهر من خلال المادة، وأما بقية العناصر الأخرى فهي التي سميناها بالمرتكزات العقلية، فهي من المتممات الثانوية للعقل.

لنتعرف على أقوال أهل البيت عليهم السلام في العقل حتى نعرف هل أن هذا الإنسان عاقل أم غير عاقل؟

العقل: عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «***العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان***»[٢]، كما ذكرت في التعريف، وفي حوار للإمام الصادق عليه السلام مع هشام بن الحكم قال عليه السلام: «***يا هشام... إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً..***»[٣]. ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان بن عفان لما أرادوه للبيعة، قال: «***دعوني والتمسوا غيري، فانا مستقبلون أمراً له***

---

(١) النحل/ ٤٤.
(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح٣.
(٣) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح١٢.

وجوه وألوان، *لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول*»[١]، هنا الإمام قدم القلب ./.على العقل، فقوله «*لا تقوم له القلوب*» أي لا تصبر عليه، فإذا لم تصبر تزلزلت وتغيرت عقيدتها ـ أي أنها متقلبة المزاج والعقيدة، وهذا يعني عدم استقرارها، فكان من نتائجها، أنَّ العقول لا تثبت على شيء، أي أنها تتخبط في اتخاذ الرأي السديد، لأن القلوب متقلبة تارة هنا وتارة هناك، فيظهر لنا تأثير القلوب على العقول، وأن منبع العقل أكثره في القلب إن لم يكن كله.

هنا بودي أن أوضح الفرق بين العقل والعقول، فكلما قال المتكلم العقل فيقصد به المخلوق الأول، وهو خلق كبير واسع كثير الخير بسيط في وجوده، لا ينضب مهما أخذ منه، وهو فيض ونعمة يشترك فيها جميع الناس، ويختلفون بحجم وكمية المأخوذ منه، فالله تعالى لا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً. وأما إذا قال العقول فيقصد نتاج عمل القلب الظاهري أو نتاج الشيطنة والمكيدة، وذلك بحسب القلب، فإن كان رحمانياً فهو يستقي من العقل الأول، وإن كان القلب شيطانياً فيستقي من الجهل، ومن مصاديق الجهل إبليس.

قد يرد علينا إشكال من خلال الرواية في اكتمال عقول الناس عندما يضع الإمام المهدي (عج) يده على رؤوسهم[٢]، وبغض النظر عن سندها، وحتى لو كانت اليد بمعنى التأييد والتسديد والإحاطة بهم، فإن الإمام لا يضع يده على صدورهم أو على قلوبهم، فكيف يُرد هذا الإشكال.

الإشكال جميل ويستحق الرد، إلا أن هذا يتطلب معرفة العقل أولاً، وعن العقل الذي تتحدث عنه الرواية ثانياً. فنقول:

العقل في الاصطلاح هو القدرة التي تتحكم في علم وعمل الإنسان، وهي التي

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم (٩٢)/ تحقيق صبحي الصالح.

(٢) الرواية: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم» بحار الأنوار ج٥٢ باب سيرته وأخلاقه وعدد أصحابه... ح٧١.

بها يعبد الرحمان وتكتسب الجنان، هذا هو العقل الذي يتناوله الكتاب، لا كل العقل الموجود في كل أجزاء جسم الإنسان الذي نعتقد به نحن.

نقلت في الفصل الأول في موضوع القلب الروحي الرواية عن الكافي الشريف والتي مفادها أن الإيمان مبثوث لجميع الجوارح، ولما كان لا إيمان من غير عقل، فلكل عضو عقل، وهذا هو العقل الجزئي، وقلت: إن لكل جزء من جسم الإنسان عقل بقَدَرِه، والرواية التي نحن بصددها تتحدث عن هذا العقل، أي أن العقل يكتمل في جميع أجزاء الجسم، أي العقل الكلي، ولما كان وقوف الإنسان بشكل طبيعي على قدميه ورأسه في الأعلى فيضع الإمام يده على الرأس ليصل الفيض إلى جميع أجزاء الجسم، فإن الوضع لو كان بمعنى وضع اليد الجارحة نفسها فلا إشكال فيه. وأما لو قلنا بأن القصد من اليد ـ كما هو واضح من الرواية ـ التأييد والتسديد والفيض الرباني عن طريق الإمام فالمعنى نفس المعنى من فوقية الرأس الجارحة على بقية جوارح الجسد.

لو رجعنا إلى الأحاديث والروايات عن أهل البيت عليهم السلام الواردة في القلب ودوره في العقيدة، وعلاقته بالله تعالى، كـ *(قلب المؤمن عرش الرحمن)*[١]، وفي الحديث القدسي *(لم يسعني سمائي ولا إرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن)*[٢]، عرفنا أن العقيدة في القلب، ولما كانت معرفة الله تعالى من أعظم المعارف بل هي المعرفة الأساس لبقية المعارف وغيرها زخرف أو فضل، علمنا أن القلب أكبر محل للعقل، وهذا يعني أنه ليس الوحيد مطلقاً.

والآن نورد قولاً لأمير المؤمنين عليه السلام، غاية في القصد الذي عقدنا له هذا البحث، قال عليه السلام: ***«ما نزلت آية إلا علمت فيم نزلت وأين نزلت في ليل أو في نهار أو جبل أو في سهل وأن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً قؤولاً»***[٣]، فليس أوضح من هذا النص، في أن

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة/ لصدر المتألهين الشيرازي ج٩ ص٢٩٠.

(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٥٥ باب العرش والكرسي ح٦١، وفي عوالي اللآلئ ح٧ الحديث القدسي يقول الله عز و جل لا يسعني أرضي و لا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن.

(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة رقم ٢٠٤٢.

العقل في القلب، فالقلب هو العَقُول، ومن هنا كان الدماغ تبعاً له، وقد مر علينا بحمد الله تعالى علاقة القلب بالدماغ في الباب الثاني في الفقرة سادساً: القلب والدماغ.

ولما كان مدار التكليف يدور مدار العقل، كما عن أبي جعفر عليه السلام قال: *(لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما أني إياك آمر وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب)*[١]، كان التكليف إذن على القلب، لأنه محل العقل.

فكم نحن بحاجة إلى معرفة قلوبنا؟ من معرفتها وطرق الترقي بها، إلى معرفة أمراضها ووقايتها منها، إلى علاج أمراضها، فلو قدّر لهذا الإنسان أن يبقى على الفطرة، لخلصت أعماله كلها، لخلو قلبه من شوب العقائد الفاسدة والأمراض الخبيثة.

من هنا نجد القرآن لم يذكر الدماغ مطلقاً، لا على مستوى التذكر ولا على مستوى التفكر ولا على مستوى الحفظ ولا على مستوى النسيان، ولا البغض ولا الحب.

إني أعتقد أن تسمية الدماغ لم تكن موفقة من قبل العرب، فدمغ الشيء إبطاله، وليس للدماغ هذا القدرة، بل القدرة للقلب، وعدم ذكر الدماغ في القرآن لا يمكن أن يكون عن غفلة، فحاشا لله من ذلك وتعالى الله علواً كبيراً، فهو الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا وذكرها في الكتاب فقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢] وهذا يعني أن عدم ذكره ليس عن نسيان، بل عن حفظ وعدم فائدة له بهذا المعنى، وهو العقل، مع أنه ذكر القلب ١٢٣ مرة، وذكر دمغ مرة واحدة وبصيغة الفعل (يدمغه): ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[٣] ولم يذكر الاسم الاصطلاحي ولا حتى لغة.

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح١.
(٢) فصلت/ ٤٢.
(٣) الأنبياء/ ١٨.

كيفية حلول العقل في القلب Obtain Mind Method in The Heart

أنا بحسب ادعائي أقول: إن العقل في القلب، وهذا الادعاء قد يدفع الآخرين للإشكال عليّ، وإشكاله هو: أن العقل ليس مادياً، ولا يحمل صفات المادة، أي أنه من المجردات التي لا يحدها مكان، نعم يحده الزمان باعتبار الحديث الشريف الوارد في أصول الكافي: *(إن أول ما خلق الله العقل...)*، وأن هذا القلب الصنوبري من المادة، وهو محدود بالزمان والمكان، فكيف يكون من هو خارج عن المكان حالاً في المكان؟

الجواب على هذا الإشكال هو: لو كان المستشكل يعرف حقيقة العرش، أو الكرسي، لما استشكل هذا الإشكال.

يقول العلماء نقلاً عن أهل بيت العصمة عليهم السلام: إن العرش مكان، «*يقول الرازي: اتفق المسلمون على أن فوق السماوات جسماً عظيماً هو العرش. واختلف في المراد بالعرش هنا، فقال أبو مسلم: المراد من أنه لما خلق الله السماوات والأرض سطحها ورفع سمكها، فإنّ كل بناء يسمى عرشاً وبانيه يسمى عارشاً*، قال تعالى ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1] *والاستواء على العرش هو الاستعلاء عليه بالقهر، والمشهور بين المفسرين أن المراد بالعرش فيها الجسم العظيم الذي في السماء*[2]، قال صاحب آيات الكون: وروى الأصبغ بن نباته أن علياً عليه السلام قال: ***السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي***[3]. وفي الحديث الشريف: ***قلب المؤمن أعظم من العرش***[4]، إن الله تعالى يوحي للملائكة في مكان هو العرش، فالعرش من حيث كونه مكان لا يؤثر في استقبال الوحي الإلهي، وليس هناك مانع من وجود غير المادي في المكان، وكذلك

---

(١) النحل/ ٦٨.

(٢) آيات الكون وأسرار الطبيعية/ الشيخ عبدالله الغديري ص١٣ نقلاً عن مفاتيح الغيب ج٤ ص٣٤٢.

(٣) آيات الكون وأسرار الطبيعية/ الشيخ عبدالله الغديري ص ١٢ نقلاً عن مجمع البيان ج٤ ص٣٦٢.

(٤) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة/ صدر المتألهين الشيرازي ج٣ فصل ٥ الفرق بين صدور الصورة الإدراكية.

العقل، فمن حيث إنه لا مادياً لا يؤثر في كون وجود في المادة، والسبب أن العقل متحيز أو محدود بحدود محله، ولا يعني هذا أنه محدود بحدود المادة، ولكن حدوده عدم إطلاقه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾(١).

ولكن السؤال المهم هو: كيف يؤثر المجرد عن المادة بالمادة؟ والجواب عين الجواب، في أنه كيف يؤثر الله تعالى ـ وهو غير مادي مطلقاً ـ بالمادة؟ في إيجادها وتقلبها وفنائها، فالعقل له القدرة، بما وهبه الله، أن يغير في القلب ما يريد، والقلب هو الذي يرسم طريقة مخاطبة الجوارح، لأنه أميرها كما قرأت في الروايات. فالعقل يستخدم الفكر في إنارة القلب، لأن الفكر علم كما في التعريف اللغوي والكلامي، والعلم كما في الحديث، نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فيقذف العقل النور في القلب، وينشئ القلب التفكّر ويقذف التفكير في الجوارح، فمنها من يستجيب ومنها من يعصي، لأن العلاقة بين القلب والجوارح ليست من العلاقات التكوينية، بل هي على شكل وهيئة أوامر تشريعية وتكوينية من خلال الدم أو من خلال إرسال الموجات، سواء الصوتية أو الكهربائية أو الكهرومغناطيسية، فمن حيث الأمر فهو تكويني لا خطابي حتى يكون تشريعي، ومن حيث الإمتثال فهو تشريعي لا تكويني، فتارة يمتثل وأخرى يعصي، وهذا هو الذي ذكرته في أن الإيمان مبثوث لجميع الجوارح(٢).

إن القلب إذا ضعف غلبته الجوارح بل تغيرت جوارحه فلا العين تبصر وهي سليمة ولا الأذن تسمع سليمة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ***وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَ أَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا***(٣).

---

(١) البقرة/ ٢٥٥.

(٢) ص٦١.

(٣) نهج البلاغة خطبة ١٠٩/ تحقيق صبحي الصالح.

٣ ـ الدماغ والعقل

The Brain & The Mind

عن الإمام الصادقعليه السلام قال: *(الدُّبا يزيد في العقل والدماغ)*(١)، يبين هذا النص من أن العقل غير الدماغ، وإلا لو كان العقل في الدماغ لقال: يزيد في الدماغ، ليدلل على أن العقل في الدماغ، كما قالعليه السلام: *(أكل السفرجل قوة للقلب الضعيف)*(٢) وكما قال الإمام عليّعليه السلام: *(إن الله وهب لي قلباً عقولاً..)*(٣) ولم يقل إن الله وهب لي قلباً وعقلاً، ولم يقل دماغاً عقولاً، لأن الإمامعليه السلام يعلم أن العطف يدل على التغاير، وهنا الإمامعليه السلام ذكر العقل كصفة للقلب، ولم يذكره صفة للدماغ، وهي دلالة على أن القلب قد لا يكون عقولاً، لأن الصفة غير الموصوف، ولأن الصفة ملكة تتغير بتغير الظروف والأحوال، ودلالة على أن الدماغ ليس من صفته التعقل المستقل، أو حلول العقل فيه.

تكشف لك عزيزي القارئ من أن الدماغ، وبالتحديد المخ ليس له القدرة على التعقل، بل هي ليست من وظائفه المكلف بها، نعم هو عنده القدرة على التعقل، ولكن بعد أن توضع الأسس التعقلية التي يرسيها القلب فيه، ويؤسس لها مسار خاص بكل إنسان، تمشياً مع الفطرة أو ابتعاداً عنها قرباً وبعداً شدة وضعفاً.

---

(١) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص٣٨.

(٢) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص ٥١.

(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة ٢٠٤٢.

إن قدرة الدماغ على التعقل الجزئي تساعد القلب في اختصار الكثير من الأفكار التي لا تحتاج إلى تأسيس، بل تحتاج الرجوع إلى الأرشيف وأخذ المعلومات والبناء على ضوئها، وهنا يكون الدماغ هو المسؤول عن هذا الفكر والتفكّر، وأنه المسؤول الأول عنه بتفويض من القلب، وهذه العملية تجري بعد زمن طويل من عمر الإنسان، لا أستطيع أن أحدده الآن، لعدم وجود التجارب العملية، ولم أسمع بها من غيري، ولكن بشكل إجمالي، يبدو أن هذه العملية تبدأ بعد أن يكمل الذكر الخامسة عشر من عمره في الأعم الأغلب من الناس، وبعد أن تكمل الأنثى التسعة من عمرها والدخول في العاشرة، عندها يبدأ الفصل بين القلب والدماغ، وبين التعقل والطفولة، وبين التكليف وعدمه، والشواهد كثيرة في التأريخ، من تقلد من الرجال للقيادة في سن الشباب وكدعوة النبيﷺ للإمام عليّ عليه السلام للإسلام وهو ابن ثمان أو عشر سنين، ولو لم يكن أهلاً للدعوة والتعقل والفهم لما دعاه، وكذلك مواجهة الإمام عليه السلام لعمرو بن عبدوَد العامري في الخندق وفي سن السابعة عشر، وما حصل لنبي الله يحيى عليه السلام، فقد آتاه الله الحكم صبياً، مع الفارق في دعوة المعصومين عليهم السلام عن غيرهم، وكما حصل في تأمير أسامة على جيش المسلمين وجل الصحابة فيه.

إني أعتقد أن عمل الدماغ في التعقل كالآتي:

* استلام المعلومات العقلية وخزنها.

* تبويب هذه المعلومات وفق مناهج خاصة به.

* إعادة هذه المعلومات عند الحاجة إليها.

* القدرة على التصرف والإبداع في الأمور التي أنشأها القلب.

* لا يتصرف الدماغ مع كل معلومة عقلية جديدة.

* كل ما قيل لا يخص الأمور العقائدية، وأما ما يخص العلوم الطبيعية وغيرها حتى الرياضيات فإنها من واجبات الدماغ الأولى، ولكنها ليست من مختصاته، نعم هو الرائد العملي الأول لها، ولكن يمكن للقلب أن يتدخل فيها لو اقتضى الأمر ذلك،

ونعني به، لو أن الأمر وصل إلى العقيدة فلا بدّ من أن يتدخل القلب لأنها من اختصاصه ومختصاته، ومن شواهده عودة الميت سريرياً إلى حياته الأولى وإعادة معلوماته.

٤ ـ دور العقل
The Duty Of Mind

إن دور العقل هو الكشف عن الأمور العقائدية والأخلاقية، وبيان الصالح من الطالح، والتكليف يدور مدار وجود العقل وعدمه وشدته وضعفه، وبالعقل يعبد الرحمان وتكتسب الجنان، وهنا نقول بالقلب يعبد الرحمان وتكتسب الجنان لأنه محل العقل.

إن العقل يدعو إلى الإيمان، والإيمان في القلب، كما قال أمير المؤمنين، فالعقل بالقلب، وعليه فإن دور القلب هو الكشف عن الحقائق، وهناك الكثير من أقوال الإمام عليّ عليه السلام عن دور القلب في الإيمان، ولذلك نجد أن القرآن عندما وصف الكافرين الذين لا يرتجى إيمانهم بأنهم مختوم على قلوبهم، أو ران عليها، أو طبعها، وغيرها من الصفات التي وصفها القرآن الكريم.

٥ ـ القلب والدماغ والحفظ

The Heart & Brain at Memorize

إعادة نفس اسم العنوان كما في الباب الثاني ولكن ليس من جهة مكان الحفظ بل كيفية زيادة الحفظ وعلاقته بالعقل.

ينقسم الحفظ إلى قسمين: القسم الأول: هو القدرة على معرفة المعلومة الجديدة ثم الإبقاء عليها وعدم تفلتها وضياعها، والاحتفاظ بها أو خزنها في مكان آخر، والقسم الثاني: حفظ هذه المعلومة التي تمت معرفتها في خزينة الحافظ. والقسم الأول من خصائص ومختصات القلب فقط، قال النبي الأكرمﷺ: ***يا علي ثلاثة يزدن في الحفظ، ويذهبن السقم: اللبان والسواك وقراءة القرآن***[1]، وقال النبي الأكرمﷺ: ***من أراد الحفظ فليأكل العسل***[2]، وهذا الحفظ من النوع الأول، أي الذي يختص بالقلب، لذلك نقول يحفظ عن ظهر قلب، ولا نقول عن ظهر دماغ أو مخ، وأما القسم الثاني فيختص بالدماغ من سائر أعضاء الجسم، وليس من مختصاته، لأن أصله من القلب، قال النبي الأكرمﷺ: ***(عليكم بالأترج فإنه ينير الفؤاد، يزيد في الدماغ)***[3]، وهذا يدل على أن سعة الدماغ في الحفظ أهم من سعة القلب فيه، لأنه أرشيف القلب، ولأن القلب يهتم بأمور أهم من اهتمامات الدماغ، والقلب لا يحتاج إلى السعة لأنه أعظم من الدماغ في قدراته.

---

(١) الخصال/ الشيخ الصدوق باب الثلاثة ح١٢٢.

(٢) الشفاء في الغذاء في طب النبي والأئمة/ السيد حسين نجيب محمد ص٣٨.

(٣) الشفاء في الغذاء في طب النبي والأئمة/ السيد حسين نجيب محمد ص٤٠.

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: *عليكم بالقرع فإنه يزيد في الدماغ*[١]. وهذا هو القسم الثاني من الحفظ، لأن الزيادة تعني زيادة عدد خلاياه، واستيعابها لكل ما يرد إليها أو زيادة عدد الخلايا الفارغة التي تخزن المعلومات تماماً كما قلت في الجينات التي تشبه الـ (رام RAM)، أي القدرة على استعاب أكبر عدد ممكن من خلايا المخ.

---

(١) الشفاء في الغذاء في طب النبي والأئمة/ السيد حسين نجيب محمد ص٤٠.

الباب الرابع
القلب في الأثر الديني

الفصل الأول: عند الإسلام

أ ـ القلب في القرآن الكريم ب ـ القلب في الحديث الشريف

ج ـ القلب في أقوال أهل البيت عليهم السلام

د ـ في الفقه الإسلامي

الفصل الثاني: عند اليهود

أ ـ في التوراة

ب ـ في المزامير

الفصل الثالث: عند النصارى (المسيحيين)

أ ـ في إنجيل برنابا

ب ـ في إنجيل متّى

ج ـ في إنجيل مرقص

د ـ في إنجيل لوقا

هـ ـ في إنجيل يوحنا

الفصل الرابع: القلب عند الصابئة المندائية

الگنزاربا

الفصل الأول
القلب عند المسلمين

وقفة مع مصادر هذا الباب

قد يسأل البعض، لماذا كل هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وروايات أهل البيت عليهم السلام في كتب المسلمين التي حشدتها في الكتاب، ولماذا كل هذه الإصحاحات في كتب اليهود التوراة والزبور، ولماذا كل هذه الإصحاحات في كتب النصارى (المسيحيين) الأناجيل الخمسة برنابا ومتّى ولوقا ومرقص ويوحنا، ولماذا كل ما جاء في كتاب الكنزاربا للصابئة المندائية؟ أما كان يكفي أن تذكر من كل شريعة أو من كل كتاب شاهداً واحداً على ما تدعيه؟

السؤال مشروع في غير موضوعنا، أما هنا، فنحن أمام علم جديد لم يتطرق إليه أحد، لا من علماء الدين ولا من علماء الطب، ثم إن الكثير الكثير من علماء الطب من أهل هذه الشرائع، سواء من المسلمين أو اليهود أو النصارى أو الصابئة المندائية، لا يعلمون بهذا الكمّ الهائل من الآيات والأحاديث والروايات والإصحاحات، وكذلك لا يعلمون بهذا التطابق بين هذه الكتب، القرآن والتوراة والزبور والأناجيل، التي ذكرت أحياناً بنفس الأسلوب ونفس الفحوى والمضمون لمعنى القلب ولدوره في حياة الإنسان، وقد يكونوا غير عالمين بما موجود في العرف العام بما يطابق ما جاء في كتب الشرائع السماوية.

هذه هي أهم الأسباب التي دعتني لأن أحشد هذا الكمّ الكبير بل الهائل من الآيات

والأحاديث والروايات وما جاء في كتب الشرائع الأخرى، إضافة إلى أن الآيات والأحاديث والروايات وكتب الشرائع الأخرى ذكرت أنواعاً من القلوب، فمنها المطبوعة، ومنها المختومة، ومنا السليمة، ومنا المريضة، وهذا الاختلاف لم يكن عفوياً، ولا هو من الترف الفكري.

أ ـ في القرآن In Quran القلوب المختومة والمطبوعة Stamping Heart

١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾(١).

الختم هنا للدلالة على أنهم قد أوصدوا قلوبهم بأيديهم، لأن الله غني عن العالمين، وأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فبسوء فعلهم، ختم الله على قلوبهم، وليس فقط على قلوبهم، بل على أدوات القلب من الجوارح التي توصله بالمحيط الخارجي، ومنها العين والأذن، فليس الختم ختماً جزافياً أو انتقاماً من غير سبب أو عمل قام به الإنسان الكافر، وهذا هو قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾(٢).

نقف قليلاً عند هذا القلب وطريقة ختمه، وهل أن الله تعالى قد أغلق الباب في وجه هذا القلب؟ وهل سيموت على غير دين الله؟ والجواب نعم، لأن هذا القلب قد تحول كلياً عن الفطرة على الرغم من بقائها، ولكن الجدران التي أحاطت بالفطرة تمنع صاحبها من الرجوع، فمثله مثل أبي لهب وزوجته، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾(٣)، ولعل أبحاث المستقبل ستكشف هذا

---

(١) البقرة/ ٦ ـ ٧.
(٢) هود/ ١٠١.
(٣) سورة المسد.

الختم، لأن كل أمر تكويني له أمر تشريعي يصفه، وكل أمر تشريعي له أثر تكويني، فمع أن الأثر أخلاقي أو روحي أو عقلي، بأي اسم سميت، فإن له أثر وضعي حتى لو لم يتم اكتشافه الآن، فسيتم ذلك إن شاء الله تعالى في المستقبل.

٢ - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾(١).

الطبع هنا لا يختلف كثيراً عن الختم.

٣ - ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٢).

٤ - ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(٣).

٥ - ﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

٦ - ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(٥).

٧ - ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾(٦).

٨ - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(٧).

٩ - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾(٨).

١٠ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٩).

---

(١) الأعراف/ ١٠٠.
(٢) غافر/ ٣٥.
(٣) التوبة/ ٨٧.
(٤) التوبة/ ٩٣.
(٥) النحل/ ١٠٨.
(٦) محمد/ ١٦.
(٧) المنافقون/ ٣.
(٨) الأنعام/ ٤٦.
(٩) الشورى/ ٢٤.

القلب المريض: Sikly Heart

وهو القلب الذي تعرض إلى لون من ألوان التقلب، سواء التقلب المادي أو التقلب الروحي، والذي يهمنا هو التقلب الروحي، وهو قصد القرآن هنا.

إن هذه القلوب يمكن إصلاحها وإعادتها إلى ما كانت عليه، وذلك من خلال العبادة وأسلوب المشارطة والمراقبة والمحاسبة، سواء المراقبة الداخلية وهي النفس أو الخارجية وهي المجتمع، من البيت أو المدرسة أو المعمل وكل تجمع.

١ ـ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾(١).

٢ ـ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾(٢).

٣ ـ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

٤ ـ ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾(٤).

هنا يبدو أن المنافقين هم مرضى القلوب، ولكن بشكل أشد بل أن مرض قلوبهم مزمن، ولذلك قدمهم على مرضى القلب، وأن مرض قلوب المنافقين يختلف عن هؤلاء، لأنهم على علم بالحقيقة ولكن يعملون بخلافها.

٥ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾

٦ ـ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٥).

٧ ـ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾(٦).

---

(١) البقرة/ ٩ ـ ١٠.
(٢) المائدة/ ٥٢.
(٣) الأنفال/ ٤٩.
(٤) الأحزاب/ ١٢.
(٥) النور/ ٤٩ ـ ٥٠.
(٦) الأحزاب/ ٦٠.

٨ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(١).

٩ ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾(٢).

١٠ ـ ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ﴾(٣).

١١ ـ ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٤).

١٢ ـ ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾(٥).

القلب القاسي: Hardness Heart

١ ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾(٦).

٢ ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٧).

٣ ـ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٨).

٤ ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾(٩).

---

(١) محمد/ ٣٠.
(٢) محمد/ ٢٩.
(٣) المدثر/ ٣١.
(٤) الأحزاب/ ٣٢.
(٥) الحج/ ٥٢ ـ ٥٣.
(٦) المائدة/ ١٣.
(٧) الأنعام/ ٤٣.
(٨) الزمر/ ٢٢.
(٩) البقرة/ ٧٤.

القلب الرين: Corrosion Heart

أي القلوب التي تكدرت بالأعمال فصدأت كما يصدأ الحديد أو النحاس.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[(١)].

القلب السليم: Correct Heart

١ ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾[(٢)].

٢ ـ ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤)﴾[(٣)].

القلب المتقلب: Overturn Heard

١ ـ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[(٤)].

القلب العاقل: Minded Heart

١ ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[(٥)].

هذه الآية هي محل البحث

القلب المتقي: Fearness (protection) Heart

١ ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[(٦)].

٢ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[(٧)].

---

(١) المطففين/ ١٤.
(٢) الشعراء/ ٨٨ ـ ٨٩.
(٣) الصافات/ ٨٣ ـ ٨٤.
(٤) النور/ ٣٧.
(٥) الحج/ ٤٦.
(٦) الحج/ ٣٢.
(٧) الحجرات/ ٣.

القلب المطمئن: Assured Heart

هذه القلوب أكثر من القلوب السليمة، فقد تكون القلوب سليمة ولكنها غير مطمئنة، وإنما العلاقة معكوسة، فكلما كانت مطمئنة كانت سليمة.

١ - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١).

٢ - ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾(٢).

القلب الزائغ: Deviation Heart

١ - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣).

من غير باب: Unkind

١ - ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٤).

أي لمن كانت عنده عقيدة باقية على الفطرة، من غير تبدل ولا تغير ولا تحول، لأن العقيدة محلها القلب، فذكر المحل وأراد الحال، لأنه أبلغ في التعبير كما هو متعارف في لغة العرب أولاً ولأنه يريد أن يصف القلب بما هو عضو روحي على أنه محل للعقائد، وذلك أيضاً من أجل الحفاظ على هذا القلب، لأنه عرش الرحمن.

٢ - ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٥).

٣ - ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٦).

---

(١) الرعد/ ٢٨.
(٢) الانفال/ ١٢٦.
(٣) آل عمران/ ٧.
(٤) ق/ ٣٧.
(٥) غافر/ ٣٥.
(٦) البقرة/ ٩٣.

هذا التعبير غاية في الإبداع، فالشراب مقدم على الطعام أولاً، لأن الإنسان يصبر على الطعام أياماً كثيرة ولا يصبر على الشراب مثله، ولأن الشراب مادة سائلة فلها القدرة على النفوذ إلى جميع أجزاء العضو الذي تدخله، فقوله وأشربوا في قلوبهم للدلالة على أمرين: الأول: الشرب وفيه معنيان، أحدهما ذكرته آنفاً وهو سهولة الشُّرب إضافة إلى لذة الشرب، والثاني على أنهم لم يشربوا بمحض اختيارهم، لأنه معارض للفطرة وإنما الذي أشربهم قوم آخرون، وهم أئمة الكفر، والأمر الثاني للدلالة على أن العجل مربوط بقلوبهم، أي أنهم يعتقدون بعبادته بقلوبهم وليس اعتقاد عابر.

٤ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١).

٥ ـ ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٢).

٦ ـ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾(٣).

٧ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾(٤).

٨ ـ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٥).

هؤلاء بسوء فعلهم لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، وليس ابتداء لم يرد الله، لأن الله غني عن العالمين، ولأن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر.

---

(١) البقرة/ ١١٨.
(٢) آل عمران/ ١٥٦.
(٣) آل عمران/ ١٦٧.
(٤) النساء/ ٦٣.
(٥) المائدة/ ٤١.

٩ - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.

١٠ - ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

١١ - ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٢).

١٣ - ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾(٣).

١٤ - ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾(٤).

١٥ - ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾(٥).

١٦ - ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾(٦).

١٧ - ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾(٧).

١٨ - ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٨).

١٩ - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(٩).

---

(١) الانفال/ ٢ و ٦٣.
(٢) التوبة/ ٨.
(٣) التوبة/ ١٥.
(٤) التوبة/ ٤٥.
(٥) التوبة/ ٦٠.
(٦) التوبة/ ٦٤.
(٧) التوبة/ ٧٧.
(٨) التوبة/ ١١٠.
(٩) التوبة/ ١٢٧.

٢٠ ـ ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾(١).

٢١ ـ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾(٢).

٢٢ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٣).

٢٣ ـ ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾(٤).

٢٤ ـ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٥).

٢٥ ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٦).

٢٦ ـ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣)﴾(٧).

٢٧ ـ ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾(٨).

٢٨ ـ ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾(٩).

٢٩ ـ ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(١٠).

٣٠ ـ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ

---

(١) يونس/ ٨٨.
(٢) الكهف/ ١٤.
(٣) الكهف/ ٥٧.
(٤) الأنبياء/ ٢ ـ ٣.
(٥) الأنفال/ ٢.
(٦) الحج/ ٥٤.
(٧) المؤمنون/ ٦٢ ـ ٦٣.
(٨) الأحزاب/ ٢٦.
(٩) سبأ/ ٢٣.
(١٠) الفتح/ ١١.

ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

٣١ - ﴿جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

٣٢ - ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٣).

٣٣ - ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

٣٤ - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

٣٥ - ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٥).

٣٦ - ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(٦).

٣٧ - ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾(٧).

٣٨ - ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

٣٩ - ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾(٨).

٤٠ - ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾(٩).

---

(١) الفتح/ ١٨.
(٢) الفتح/ ٢٦.
(٣) الحديد/ ١٦.
(٤) المجادلة/ ٢٢.
(٥) الحشر/ ٢٥.
(٦) الصف/ ٢.
(٧) الأحزاب/ ٥.
(٨) الأنفال/ ١١.
(٩) الأنفال/ ٧٠.

٤١ ـ ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(١).

٤٢ ـ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾(٢).

٤٣ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾(٣).

٤٤ ـ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(٤).

٤٥ ـ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾(٥).

٤٦ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾(٦).

٤٧ ـ ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٧).

٤٨ ـ ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(٨).

٤٩ ـ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٩).

٥٠ ـ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾(١٠).

٥١ ـ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾(١١).

---

(١) الأحزاب/ ٥.
(٢) الفتح/ ١٢.
(٣) الأحزاب/ ٥١.
(٤) الحجرات/ ١٤.
(٥) الحجرات/ ٧.
(٦) البقرة/ ٢٠٤.
(٧) البقرة/ ٢٨٣.
(٨) الكهف/ ٢٨.
(٩) التغابن/ ١١.
(١٠) القصص/ ١٠.
(١١) التحريم/ ٤.

هذه الآية تشير إلى أن هاتين المرأتين ذواتا قلوب متقلبة، فعبر عن كل قلب بقلوب، لأن الآية لو كانت تريد أن تقول: أن لكل واحدة منهما قلب لقالت (إن تتوبا إلى الله فقد صغا قلباكما)، ولكنها قالت: إنَّ لكل واحدة منكما قلوب، أي أن هاتين المرأتين ـ والله العالم ـ لم تكونا على ما كان عليه المؤمنون، أي أنهما كانتا متقلبتين في العقيدة والمزاج، وإن الواقع والحوادث قد بينا هذا المزاج.

إن هذه الآية تؤكد صحة ما ذهبنا إليه، من أن القلوب الروحية أربعة عند الإنسان الواحد، وهو الذي يستطيع أن يوحدها على رأي واحد فيكون له قلب واحد وعقيدة واحدة لا تتبدل، أما من يتخذ إله هواه فيقذف به في سبل متعددة، لأن الهوى مجموعة أهواء، وهي ظلمات متعددة، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

٥٢ ـ ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(٢).

٥٣ ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

٥٤ ـ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾(٤).

إن هاتين الآيتين (البقرة/ ٩٧ والشعراء/ ١٩٤) صريحتا التعبير والبيان في أن القرآن وما فيه من عظمة العلوم سواء في العقيدة أو في أن التشريع نزل على قلب النبي الأكرمﷺ، ولو كلن العقل والتفكّر والعلم في الدماغ لقال أنزله على رأسك.

والآية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار على دلالة إدراك القلب لوحده دون مشاركة جوارحه للسمع أو للبصر أو للتحسس، لأن القول المنزل ثقيل، قال تعالى:

---

(١) البقرة/ ٢٥٧.
(٢) النحل/ ٢٢.
(٣) البقرة/ ٩٧.
(٤) الشعراء/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾(١)، وثقل هذا القول النازل من عرشه لا يتحمله إلا من كان في عرشه أو هو في مقام العرش، ولما كان القلب عرش الرحمن، كان أولى في تلقي القرآن، بل الوحيد الذي له القدرة على ذلك. كما أن الآية فيها دلالة على قدرة القلب على السمع، بل هو أسمع الجوارح على الإطلاق، وهذا ما يؤكده كيفية نزول الوحي، فكان النبي ﷺ يسمع ويرى إلا أن غيره لا يسمع ولا يرى، فلو كان بالبصر وبالسمع لاشترك معه الناس، مع أنه لم يثبت السمع والبصر في الوحي إلا لعلي عليه السلام، حيث قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: ***فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير***(٢) وهذا يؤكد مركزية القلب ومحوريته وقيادته لجسم الإنسان، وقد أشار إليه السيد الطباطبائي: *ولعل الوجه في قوله: «نزل به الروح الأمين على قلبك» دون أن يقول: عليك هو الإشارة إلى كيفية تلقيه (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن النازل عليه، و أن الذي كان يتلقاه من الروح هو نفسه الشريفة من غير مشاركة الحواس الظاهرة التي هي الأدوات المستعملة في إدراك الأمور الجزئية. فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى و يسمع حينما كان يوحى إليه من غير أن يستعمل حاستي البصر والسمع كما روي أنه كان يأخذه شبه إغماء يسمى برجاء الوحي*(٣).

٥٥ ـ ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا﴾(٤).

هذه الآية تبين عقيدة الإنسان، فلا يمكن أن تكون للإنسان عقيدتان في وقت واحد، كالإيمان من جهة والشرك أو الكفر من جهة أخرى، نعم يمكن أن تكون عنده مخالفات لبعض عقيدته، أو يكون عنده التباس في العقيدة، كمن يدعي أنه اثنا عشري ولكنه لا يعتقد بالإمامة، لأن الإمامة من لوازم مذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) المزمل/ ٥.

(٢) نهج البلاغة خطبة ١٩٢/ تحقيق صبحي الصالح.

(٣) الميزان في تفسير القران/ السيد الطباطبائي ج١٥ تفسير آية ١٩٤ الشعراء.

(٤) الأحزاب/ ٤.

إن وجود عقيدتين في قلب واحد كاجتماع المتناقضين، ولذلك قال تعالى ما جعلنا، ولعل هذا الجعل جعل تكويني أيضاً إضافة إلى كونه تشريعي، أي أن القلب لا يتسع لعقيدتين، لا كحقيقة تكوينية موجودة، ولا كتكليف من الله تعالى.

إن قولنا كالمتناقضين نعني تمام شرائط المتناقضين، ومنها الكلية، أي أن الإنسان لا يمكن أن يكون في عقيدته يعتقد بالله كلياً وبالشيطان أو الكفر كلياً، وأما إيمانه بشيء وكفره بآخر، فهذا موجود حتى مع المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٢] تجد الآية الأولى تخاطبهم بصفة المؤمنين، ولكنها تطلب منهم أن يؤمنوا بالله ورسوله والكتاب والكتب السابقة وبالملائكة وبالرسل، وأما الآية الثانية، فتقول: إن المؤمنين أكثرهم مشركون، وهنا فرقت الآية بين الإيمان النظري والإيمان العملي، فكلنا من حيث المبدأ الاعتقادي مؤمنون بالله وموحدون ولا نشرك في عقيدتنا مع الله أحداً، ولكنه على مستوى العلم والنظر، أما على مستوى التطبيق والعمل، فالرب هو الله تعالى والجاه والمنصب والجنس والزوجة والمال، وغيرها، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال: «قال (صلى الله عليه وآله) ***«دبيب الشرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء»***[٣].

وأنا أعتقد أن في الآية التفاتة عظيمة، ألا وهي: إن الله تعالى خلق الإنسان على الفطرة، كما في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[٤]، وهذا الخلق في أصله متوجه إلى الله تعالى، فلا يوجد في جوف الإنسان قلبان، أي عقيدتان، بل عقيدة واحدة، وهذا الجعل جعل تكويني من جهة خلق القلب وأنه

---

(١) النساء/ ١٣٦.

(٢) يوسف، ١٠٦.

(٣) شرح أصول الكافي ج١٨ ص٧٧/ مولى محمد صالح المازندراني.

(٤) الروم/ ٣٠.

تشريعي من جهة التكليف، مع أن الله تعالى قد سهل علينا المهمة في التوحيد والاعتقاد، ولكننا بسوء اختيارنا وبتربية الأبوين والمجتمع ننحرف عن الفطرة التي فطرنا الله تعالى عليها.

ب ـ القلب في الحديث النبوي الشريف
Heart in Prophtic

إن الروايات التي سنذكرها في هذا الباب لا نحقق في سندها، لأنها ليست من أبواب العبادات أو المعاملات التي جرى عليها التحريف أو التزوير أو الحذف أو الإضافة بشكل يجعلنا نشك في صحة صدورها، وذلك لأنها لم تكن لها مدخلية في الحكم والأموال، نعم هناك بعض الأحاديث التي تم وضعها في باب الأكل والشرب والملبس لأغراض شخصية، ولتفضيل شخص على آخر، إلا أنها قليلة قياساً إلى هذا الكمّ الهائل من الأحاديث والروايات التي تناولت شخصية الإنسان من خلال قلبه وعينه وأذنه ويده ورجله وغيرها من الحواس التي نعتقد أن لها تأثيراً على شخصية الإنسان عامة والمسلم خاصة.

أنقل إليك عزيزي القارئ بعض ما قاله النبي الأكرمﷺ في القلب:

١ ـ قال: *إن الله يحب كل قلب حزين*(١).

٢ ـ *وسئل أين الله؟ فقال: عند المنكسرة قلوبهم*(٢).

٣ ـ *الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي*(٣).

٤ ـ *اعطوا الله الرضا من قلوبكم*(٤).

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٧٠ ح٣.

(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٧٠ باب ١٢٦ح٣.

(٣) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص٤٠٨.

(٤) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص ٥١٦.

٥ ـ *إنه ليران على قلبي فأنا أستغفر بالنهار سبعين مرة*[١].

٦ ـ *أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر*[٢].

٧ ـ *تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميتة إذا انتهوا فيه إلى أمري*[٣].

٨ ـ *خمسة لا يجتمعن إلا في قلب مؤمن حقاً يوجب الله له بهن الجنة: النور في القلب، والفقه في الإسلام...*[٤].

٩ ـ *العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة على ابن آدم، وعلم في القلب فذلك العلم النافع*[٥].

١٠ ـ *في القلب نور لا يضيء إلا من اتباع الحق وقصد السبيل وهو نور من المرسلين الأنبياء، مودوع في قلوب المؤمنين*[٦].

١١ ـ *إن قوة الإنسان في قلبه ألا ترون أنه قد يكون ضعيف البدن، نحيف الجسم، وهو يقوم الليل ويصوم النهار..*[٧].

١٢ ـ *كلوا الرمان فليس منة حبة إلا أنارت القلب، وأخرجت الشيطان أربعين يوماً*[٨].

١٣ ـ *كان جعفر بن أبي طالب عند النبي صلى الله عليه وآله فاهدي إلى النبي صلى*

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول/ العلامة المجلسي ج١١ ص٣٠٨.

(٢) الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب العبادة ح ٣.

(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج١ باب ٤ ح١٧ وكذلك ح ١٦ أن القلوب لترين كما يرين السيف.

(٤) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج١ باب ٦ح ٤٩.

(٥) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٢ باب٩ ح٢٦.

(٦) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٢ باب ٢٢ ح٢٠.

(٧) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٦٤ باب ١٤ ح ٢٤.

(٨) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج ٦٣باب فضل الرمان ح١.

الله عليه وآله سفرجل فقطع النبي صلى الله عليه وآله قطعة وناولها جعفرا فأبى أن يأكلها، فقال: خذها وكلها فإنها تذكى القلب وتشجع الجبان[١].

١٤ ـ *عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه اسفله*[٢].

١٥ ـ *ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في البيت*[٣].

ج ـ القلب في روايات أهل البيت عليهم السلام
Heart in Ahl - Albayt Speech

كتاب إكمال غرر الحكم

١ ـ *العين بريد القلب*[٤].

٢ ـ *آية [آلة] البلاغة قلب عقول و لسان قائل*[٥].

٣ ـ *العيون طلائع القلوب*[٦].

٤ ـ *يا كميل: اللسان ينزح من القلب (والقلب) يقوم بالغذاء، فانظر فيما تغذي قلبك*

وجسمك، فإن لم يكن حلالاً لم يقبل الله تسبيحك ولا شكرك[٧].

٥ ـ *الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالإركان*[٨].

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٦٣ باب ٨ التفاح والسفرجل ح٩.

(٢) وسائل الشيعة ج١١ كتاب الجهاد باب وجوب اجتناب الخطايا والذنوب ح٧.

(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج١ باب حقيقة العقل ح ١٤ نقلا عن علل الشرائع ج١ باب ٨٦ ح١.

(٤) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الهمزة حكمة ٤١٦.

(٥) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة ١.

(٦) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الهمزة حكمة ٤٥٣.

(٧) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الهمزة حكمة ٢٨٥٢.

(٨) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف اللام حكمة ١٤٣ (مع اختلاف قليل حكمة ٢٢٨٥ اللألف).

٦ ـ *لقد علق بنياط الإنسان مضغة هي أعجب ما فيه وذلك القلب، وله أضداد من مواد الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده بالرضا نسي التحفظ، وإن غاله الخوف شغله الحذر، وإن اتّسع له الأمن استلبته الغرة، وإن أصابته مصيبة مسة الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عظته الفاقة شغله البلاء، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسدة*(١).

٧ ـ *قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه*(٢).

٨ ـ *لقاء أهل الخير عمارة القلوب*(٣).

٩ ـ *من الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور*(٤).

١٠ ـ *طوبى لمن بُوشِر قلبه ببرد اليقين*(٥).

١١ ـ *قسوة القلب من الشبع*(٦).

١٢ ـ *عليك بذكر الله فإنه نور القلب*(٧).

١٣ ـ *يا من طاعته نجاة للمطيعين، صل على محمد وآله، واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر*(٨).

---

(١) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الألف حكمة ٢٢٨٥.
(٢) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف القاف حكمة ١٦٦.
(٣) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف اللام حكمة ١٥٥٦.
(٤) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الميم حكمة ٢٨١٦.
(٥) إكمال غرر الحكم/ الآمدي حرف الطاء حكمة ٣٣.
(٦) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف القاف حكمة ٢٤٤.
(٧) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف العين حكمة ٢٤.
(٨) الصحيفة السجادية دعاء ١١ دعاؤه بخواتيم الخير.

١٤ ـ *اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلاً . . . اللهم وأشرب قلوبنا إنكار عمله*[١].

١٥ ـ *حدثنا مسعدة بن اليسع قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: إني والله أحبك، فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: صدقت يا أبا بشر، سل قلبك عمّا لك في قلبي من حبك، فقد أعلمني قلبي عمّا لي في قلبك*[٢].

١٦ ـ *السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب وقلّت فيه الذنوب*[٣].

١٧ ـ *إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو*[٤].

وهناك المئات من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام التي تحدثت عن القلب والصدر وعلاقته بالإيمان والتعقل والحب والمودة والبغض، وغيرها من العقائد والقيم والأفكار والعلوم، ولكن أعتقد أن ما أثبتناه في الكتاب يفي بالغرض الذي من أجله وضع هذا الكتاب، ومن أراد فليراجع مصادر المسلمين من كتب الحديث والطب ويرى بنفسه.

د ـ في الشريعة الإسلامية Islamic Sharia In

١ ـ في الفقه In Doctrine

يهتم الفقه الإسلامي بالقلب اهتماماً كبيراً، فقد أفتى العلماء بأن الجسم المقطع الذي يحتوي على الصدر أو القلب يعامل معاملة الجسد الكامل فيغسل ويكفن ويصلى عليه، وإليك فتاوى الفقهاء في ذلك.

أ ـ ما جاء في كتاب الكافي:

عن أبي الحسن قال: سألته عن الرجل يأكله السبع والطير فتبقى عظامه بغير لحم

(١) الصحيفة السجادية دعاء ١٧ دعاؤه على الشيطان.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب العشرة باب نادر ح٣.

(٣) الصحيفة السجادية دعاء ٤٥ في وداع شهر رمضان.

(٤) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب ذم الدنيا والزهد فيها ح١٠.

كيف يصنع به؟ قال: يغسل ويكفن ويصلى عليه، وإذا كان الميت نصفين صلى على النصف الذي فيه القلب[١].

ب ـ كتاب من لا يحضره الفقيه:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: . . وإذا وسّط الرجل بنصفين صلى على النصف الذي فيه القلب، وإن لم يوجد منه إلا الرأس لم يصل عليه[٢].

ج ـ يقول الشهيد الثاني في مسالك الأفهام:

وإذا وجد بعض الميت فإن كان فيه الصدر أو الصدر وحده غسل بالخليطين ويكفن بثلاث لفائف. ويجب تحنيط ما فيه من مواضعه لا غير. وحكم القلب حكمه. وكذا عظام الميت بأجمعها دون الرأس وأبعاضها، لعدم النص[٣].

د ـ قال صاحب الحدائق الناضرة (قدس سره)

وقال في المعتبر: إذا وجد بعض الميت وفيه الصدر فهو كما لو وجد كله وهو مذهب المفيد في المقنعة، ثم ساق البحث إلى أن قال: والذي يظهر لي أنه لا تجب الصلاة إلا أن يوجد ما فيه القلب أو الصدر واليدان أو عظام الميت ثم استدل بصحيحة علي بن جعفر الآتية ثم ذكر رواية البزنطي ورواية الفضل بن عثمان الأعور. وقال الشهيد في الذكرى: وما فيه الصدر يغسل لمرفوعة رواها البزنطي، ثم ساق متن الرواية وقال: وهو يستلزم أولوية الغسل، ثم نقل رواية الفضل بن عثمان، وقال بعدها: ولشرف القلب لمحلية العلم والاعتقاد الموجب للنجاة[٤].

هـ ـ وأما السيد الخوئي (قدس سره) فيقول:

مسألة ٣٢٩: إذا وجد بعض الميت، وفيه الصدر، غسل وحنط وكفن وصلى عليه

---

(١) الكافي/ ثقة الإسلام الشيخ الكليني ج٣ باب أكيل السبع والطير والقتيل. ح١.

(٢) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق ج ١ باب الصلاة على الميت ح٣٥.

(٣) مسالك الأفهام/ الشهيد الثاني ج١ ص١٢٣.

(٤) الحدائق الناضرة/ البحراني ج٣ غسل الميت.

ودفن، وكذا إذا كان الصدر وحده، أو بعضه على الأحوط وجوباً[(١)].

و ـ ينقل الشيخ محمد جواد مغنية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مصادر المسلمين رأيهم في تغسيل أو دفن أو تكفين الميت فيقول:

وقال الإمامية: إن وجدت قطعة من الميت يُنظر، فإن كانت الصدر أو بعضه المشتمل على القلب كان حكمها حكم الميت التام من وجوب الغسل والتكفين والصلاة[(٢)].

من هنا يتبن لنا أن القلب له أهمية في التشريع الأسلامي، وأن أعمال الدفن والغسل والكفن التي شرعها الإسلام في الميت هي عينها على القلب، وأن الإنسان هو القلب حياً وميتاً.

وأما مصادر مدرسة الصحابة فهي:

أ ـ قال: *وَالْقَصْدُ مِنْ وَضْعِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى تَسْكِينُ يَدَيْهِ فَإِنْ أَرْسَلَهُمَا بِلاَ عَبَثٍ فَلاَ بَأْسَ وَالْحِكْمَةُ فِي جَعْلِهِمَا تَحْتَ الصَّدْرِ أَنْ يَكُونَا فَوْقَ أَشْرَفِ الأَعْضَاءِ وَهُوَ الْقَلْبُ فَإِنَّهُ تَحْتَ الصَّدْرِ وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ النِّيَّةِ وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ بِأَنَّ مَنْ احْتَفَظَ عَلَى شَيْءٍ جَعَلَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَلِهَذَا يُقَالُ فِي الْمُبَالَغَةِ أَخَذَهُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ*[(٣)].

ب ـ قال: *(وَيَقُومُ الَّذِي يُصَلِّي عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بِحِذَاءِ الصَّدْرِ) لأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَلْبِ وَفِيهِ نُورُ الإِيمَانِ فَيَكُونُ الْقِيَامُ عِنْدَهُ إِشَارَةً إِلَى الشَّفَاعَةِ لإِيمَانِه*[(٤)].

٢ ـ في التفسير In Explaining:

بعض ما ذكره المفسرون في الآية محل البحث أو ما ذكروه عن القلب الوارد في القرآن الكريم.

---

(١) منهاج الصالحين/ السيد الخوئي ج١ الفصل الثامن ص٨٧.

(٢) الفقه على المذاهب الخمسة/ محمد جواد مغنية ص١٠٨ ينقل في الهامش الخلاف: ١/ ٧٤، الفقيه: ١/ ١٠٤، التهذيب: ١/ ٣٣٦، جامع المقاصد: ١/ ٣٥٨، المختلف: ٤٦.

(٣) شرح البهجة الوردية سبب الوضوء ج٣ ص٣٣٩المكتبة الشاملة/ المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.

(٤) فتح القدير ج٣ فصل الصلاة على الميت ص٣٨٩.

أ ـ ما قاله صاحب التبيان في تفسير القرآن الشيخ الطوسي:

قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ «إذا شاهدوا آثار ما أخبرنا به، وسمعوا صحة ما ذكرناه عمن أخبرهم بصحته من الذين عرفوا أخبار الماضين. وفيها دلالة على أن العقل هو العلم، لان معنى (يعقلون بها) يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة. وفيها دلالة على أن القلب محل العقل والعلوم، لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تذهب عن إدراك الحق، فلولا أن التبيين يصح أن يحصل فيها لما وصفها بأنها تعمى، كما لا يصح أن يصف اليد والرجل بذلك.

والهاء في (أنها لا تعمى) هاء عماد، وهو الاضمار على شروط التفسير، وإنما جاز أن يقول: ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، للتأكيد لئلا يتوهم بالذهاب إلى غير معنى القلب، لأنه قد يذهب إلى أن فيه اشتراكاً كقلب النخلة، فإذا قيل هكذا كان أنفى للبس بتجويز الإشتراك وأما قوله ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1] فلأن القول قد يكون بغير الفم.

والمعنى في الآية أن الأبصار وإن كانت عمياً، فلا تكون في الحقيقة كذلك، إذا كان عارفاً بالحق. وإنما يكون العمى عمى القلب الذي يجحد معه معرفة الله ووحدانيته[2].

ب ـ قال صاحب مجمع البيان في تفسيره لقوله تعالى:

﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[3] نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري و كان لبيباً حافظاً لما يسمع و كان يقول إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون و فيهم أبو معمر و تلقاه أبو سفيان بن حرب و هو آخذ بيده إحدى

---

(١) آل عمران/ ١٦٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن/ للشيخ الطوسي ج ٦ سورة الحج آية ٤٦.

(٣) الأحزاب/ ٤.

نعليه و الأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك إحدى نعليك في يدك و الأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعرفوا يومئذ أنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده[١].

ج ـ ما قاله صاحب تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، ألخ.. و من هنا يظهر وجه الترديد في الآية بين القلب و الأذن من غير تعرض للبصر وذلك لأن الترديد في الحقيقة بين الاستقلال في التعقل و تمييز الخير من الشر و النافع من الضار و بين الاتّباع لمن يجوز اتّباعه و هذان شأن القلب و الأذن. ثم لما كان المعنيان جميعا ـ التعقل و السمع ـ في الحقيقة من شأن القلب أي النفس المدركة فهو الذي يبعث الإنسان إلى متابعة ما يعقله أو سمعه من ناصح مشفق عد إدراك القلب لذلك رؤية له و مشاهدة منه، و لذلك عُد من لا يعقل و لا يسمع أعمى القلب ثم بولغ فيه بأن حقيقة العمى هي عمى القلب دون عمى العين لأن الذي يعمى بصره يمكنه أن يتدارك بعض منافعه الفائتة بعصا يتخذها أو بهادٍ يأخذه بيده و أما القلب فلا بدل له يتسلى به، و هو قوله تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور».

و جعل الصدر ظرفاً للقلب من المجاز في النسبة، و في الكلام مجاز آخر ثان من هذا القبيل و هو نسبة العقل إلى القلب و هو للنفس، و قد تقدم التنبيه عليه مراراً[٢].

إن قول السيد(هذا من المجاز) يخالف قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٣]، حيث قال: قوله تعالى: » ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ «الحيلولة هي التخلل وسطا،

---

(١) مجمع البيان/ الطبرسي ج ٨ تفسير الآية ٤ من سورة الأحزاب.
(٢) الميزان في تفسير القران/ السيد الطباطبائي ج١٤ تفسير الآية ٤٦/ الحج.
(٣) الأنفال/ ٢٤.

والقلب العضو المعروف. ويستعمل كثيراً في القرآن الكريم في الأمر الذي يدرك به الإنسان ويظهر به أحكام عواطفه الباطنة كالحب والبغض والخوف والرجاء والتمني و القلق و نحو ذلك فالقلب هو الذي يقضي ويحكم، و هو الذي يحب شيئاً ويبغض آخر، وهو الذي يخاف ويرجو و يتمنى ويسر ويحزن، وهو في الحقيقة النفس الإنسانية تفعل بما جهزت به من القوى والعواطف الباطنة(١).

وما قاله السيد الطباطبائي أيضاً:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾(٢).

قوله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» كناية عن امتناع الجمع بين المتنافيين في الاعتقاد فإن القلب الواحد أي النفس الواحدة لا يسع اعتقادين متنافيين ورأيين متناقضين فإن كان هناك متنافيان فهما لقلبين و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فالرجل الواحد لا يسعه أن يعتقد المتنافيين و يصدق بالمتناقضين و قوله: «في جوفه» يفيد زيادة التقرير كقوله: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

قيل: الجملة توطئة وتمهيد كالتعليل لما يتلوها من إلغاء أمر الظهار والتبني فإن في الظهار جعل الزوجة بمنزلة الأم وفي التبني و الدعاء جعل ولد الغير ولداً لنفسه والجمع بين الزوجية و الأمومة و كذا الجمع بين بنوة الغير و بنوة نفسه جمع بين المتنافيين و لا يجتمعان إلا في قلبين و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

و لا يبعد أن تكون الجملة في مقام التعليل لقوله السابق: «لا تطع الكافرين والمنافقين» ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فإن طاعة الله و ولايته و طاعة الكفار والمنافقين و ولايتهم متنافيتان متباينتان كالتوحيد و الشرك لا يجتمعان في القلب الواحد و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه(٣).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن/ السيد محمد حسين الطباطبائي ج٩ تفسير سورة الأنفال الآية ٢٤.

(٢) الأحزاب/ ٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن/ السيد الطباطبائي الجزء ١٦ تفسير سورة الأحزاب الآية ٤.

إن العبارة التي تحتها خط تشير إلى ما ذكرت من أن القيد «في الصدور» للتبيين والاحتراز.

د ـ عند السيد محمد تقي المدرسي

والظاهر أن القلب هو النفس البشرية التي ألهما الرب فجورها وتقواها، فالتقلب بينهما، ونسبة العمى للقلب في آيات أخرى بمعنى العقل، ولعل ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ مثل ﴿ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ﴾ فقد يكون أذن لا تسمع ﴿ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ﴾ الأعراف/ ١٧٩ وكذلك يكون قلب غير عاقل. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ حينما لا يوجد عند الإنسان فكر، وينطفئ نور قلبه، ولا يستوعب العبر(١).

هـ ـ قال الزمخشري

والمعنى: أنّ أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها. وإنما العمى بقلوبهم. أولاً يعتدّ بعمى الأبصار، فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب. فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟ قلت: الذي قد تعورف واعتقد أنّ العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف، ليتقرّر أنّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقولك: الذي بين فكيك، تقرير لمّا ادّعيته للسانه وتثبيت لأنّ محلّ المضاء هو هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهواً مني، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمداً.

و ـ ما قاله الآلوسي

والمعنى أنه لا يعتد بعمى الأبصار وإنما يعتد بعمى القلوب فكأن عمى الأبصار ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب، فالكلام تذييل لتهويل ما بهم من عدم فقه

---

(١) من هدي القرآن/ آية الله السيد محمد تقي المدرسي ج٥ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

القلب وأنه العمى الذي لا عمى بعده بل لا عمى إلا هو أو المعنى إن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم فكأنه قيل: أفلم يسيروا فتكون لهم قلوب ذات بصائر فإن الآفة ببصائر قلوبهم لا بأبصار عيونهم وهي الآفة التي كل آفة دونها كأنه يحثهم على إزالة المرض وينعي عليهم تقاعدهم عنها، ووصف القلوب بالتي في الصدور على ما قال الزجاج للتأكيد كما في . . . .

وهذه العبارة أيضاً لنفس الغرض التبييني كما أذهب إليه.

ز ـ ما قاله الرازي

أما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ *فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع البتة ولو تفكّر فيها سمع لا نتفع، فلهذا قال:* ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ *كأنه قال لا عمى في أبصارهم فإنهم يرون بها لكن العمى في قلوبهم حيث لم ينتفعوا بما أبصروه، وههنا سؤالات:*

هنا يطرح الرازي مجموعة أسئلة نختار منها هذين السؤالين والإجابة عليهما:

السؤال الثالث: أي فائدة في ذكر الصدور مع أن كل أحد يعلم أن القلب لا يكون إلا في الصدر؟ الجواب: أن المتعارف أن العمى مكانه الحدقة، فلما أريد إثباته للقلب على خلاف المتعارف احتيج إلى زيادة بيان كما تقول: ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسان وتثبيت، لأن محل المضاء هو هو لا غير، وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك سهواً، ولكني تعمدته على اليقين. وعندي فيه وجه آخر وهو أن القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ *[ق: ٣٧] وعند قوم أن محل التفكر هو الدماغ فالله تعالى بين أن محل ذلك هو الصدر.*

فالعبارة التي تحتها خط تؤكد ما ذهبنا إليه.

السؤال الرابع: هل تدل الآية على أن العقل هو العلم وعلى أن محل العلم هو القلب؟ الجواب: نعم لأن المقصود من قوله: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ العلم وقوله: ﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل ويسمى الجهل بالعمى لأن الجاهل لكونه متحيراً بشبه الأعمى.

ح ـ ما قاله الثعالبي

ثم وَبَّخَهُمْ تعالى على الغفلة وترك الاعتبار بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ وهذه الآية تقتضي أَنَّ العقل في القلب، وذلك هو الحق، ولا يُنْكَرُ أَنَّ للدماغ اتصالاً بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ(١).

هذا هو الذي أعتقده أنا، ولكن الفارق، أني أكدته بالعمليات التجريبية لزراعة القلوب، والأبحاث العلمية، والنتائج المختبرية، وقد ثبتّه في معرض الإجابة على السؤال «لماذا يجن الإنسان إذا اختل دماغه؟» فراجع الأسئلة في آخر الكتاب.

٣ ـ في الدعاء Prayer:

إن تناول الدعاء للقلب لا يختلف عن غيره من العلوم التي تناولت القلب، سواء الأبحاث القرآنية أو الأبحاث العلمية، فقد تناولت الأدعية القلب على أنه المفكر والمتعقل والمتدبر، وغيرها من النعوت التي نعتت القلب، وأنا لا أذكر النصوص إلا القليل منها، ولكن سأشير إلى مصادرها.

كتاب أصول الكافي:

١ ـ *قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي*(٢).

---

(١) التفاسير (الزمخشري، الآلوسي، الرازي، الثعالبي) من المكتبة الشاملة قرص حاسوب الإصدار الثالث.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب الدعاء سلاح المؤمن ح ٢.

٢ ـ سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الله عزوجل لايستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة(١).

٣ ـ إذا رق أحدكم فليدع، فإن القلب لايرق حتى يخلص(٢).

٤ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوحى الله عزوجل إلى موسى عليه السلام يا موسى لاتفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وإن ترك ذكري يقسي القلوب(٣).

٥ ـ يا عيسى ألن لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أن سروري أن تبصبص إليّ وكن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً(٤).

٦ ـ ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم عليه السلام حتى وصلن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح يقول: اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً. . (٥).

٧ ـ أبي عبدالله عليه السلام قال: كان من دعاء أبي عليه السلام في الأمر يحدث: «اللهم صل على محمد وآل محمد واغفرلي وارحمني وزك عملي ويسر منقلبي واهد [ء] قلبي»(٦).

٨ ـ إنا نعوذبك من تخلفه في قلوبنا وتوسده عند رقادنا ونبذه وراء ظهورنا ونعوذبك من قساوه قلوبنا لما به وعظتنا، . . . . (٧).

كتاب بحار الأنوار

١ ـ سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب الإقبال على الدعاء ح ١.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب الأوقات والحالات ح ٥.

(٣) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب ما يجب من ذكر الله ح ٧.

(٤) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب ذكر الله عز وجل في السر ح ٣.

(٥) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب الإصباح والإمساء ح ١٠.

(٦) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب للكرب والهم ح ٨.

(٧) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الدعاء باب قراءة القرآن ح ١.

فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة[(١)].

٢ ـ قال النبي صلى الله عليه واله: ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكللاً بالدر والجوهر، فيه مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر[(٢)].

٣ ـ عن علي بن مهزيار عن علي بن حديد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:

إذا اقشعر جلدك، ودمعت عيناك ووجل قلبك، فدونك دونك، فقد قصد قصدك[(٣)].

٤ ـ وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً وعفر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك واقنت بين يدي في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل. وإلى عيسى عليه السلام: يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث يا عيسى أذل لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات[(٤)].

صحيح البخاري

١ ـ وَكَانَ [ص] يَقُولُ فِى دُعَائِهِ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِى بَصَرِي نُورًا، وَفِى سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»[(٥)].

٢ ـ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٩٠ كتاب الدعاء باب آداب الدعاء والذكر ح ١.

(٢) بحار الانوا/ العلامة المجلسي ر ج٩٠ كتاب الدعاء باب فضل البكاء وذم جمود العين ح ٣.

(٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٩٠ كتاب الدعاء باب في الأوقات والحالات.. ح ٥.

(٤) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٩٠ كتاب الدعاء باب الرغبة والرهبة والتضرع.. ح ١٢.

(٥) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب إذا انتبه بالليل ح٦٣١٦.

(٦) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب الاستعاذة من أرذل العمر ح٦٣٧٥، صحيح مسلم ٦٩٠٨.

كتاب مفاتيح الجنان

في كتاب مفاتيح الجنان تعبير غاية في الإبداع والتعبير عن القلب الذي تكلمنا عنه في بحثنا هذا، فقد جاء في المناجاة الثانية من مناجيات الإمام زين العابدين عليه السلام ما نصه: «. . *وشيطاناً يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي. إلهي إليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً، وبالرين والطبع متلبساً*. . »(١).

هل هناك أدق عبارة من هذه العبارة، وساوس الشيطان في الصدر، كما ذكرت، أي في الرئتين، وهو يحاول أن يملأ الرئتين حتى لا يبقى ما يصل إلى القلب من خير قد يمر من خلال الهواء إلى الأوكسجين الممتزج بالدم، فإن امتلاء الرئتين قد يمكن القلب من التنفس الإلهي، ولكن لو مليئ الصدر كله بوساوس الشيطان فقد أحاط إحاطة تامة بالقلب، فصارت هواجسه على شغاف القلب المسمى بالتامور، وهذا بكثرة الطرق على القلب يكل ويكون عرضة لخروقات الشيطان، كما أن الإمام لم يقل إبليس، أو شياطين الجن، وإنما قال بالأعم من الجن والإنس، ثم يشكو الإمام من قساوة القلب وتقلبه، فإن قساوة القلب يعني رقته أمام الشيطان، لأن العملية معكوسة، فقساوة القلب تجاة جهة ما تعني لينه تجاه الأخرى، وهو تماماً كالشيء الكائن بين شيئين، كلما اقترب من أحدهما ابتعد عن الآخر والعكس بالعكس، فقربه من الشيطان يعني بعده عن الرحمن.

صحيح الترمذي

١ ـ حديث طويل نأخذ منه ما يناسب المطلب، قال صلى الله عليه وآله: *اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي. اللهم اجعل لي نوراً في قبري، ونوراً في قلبي، ونوراً بين يدي، ونوراً من خلفي*. . .(٢).

---

(١) مفاتيح الجنان/ الشيخ عباس القمي، الفصل الثامن المناجاة الثانية.

(٢) صحيح الترمذي كتاب الدعوات باب ٣٠ ح٣٤١٩.

٢ ـ قالﷺ: *اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي. .* [١].

٣ ـ عن أم سلمة (رض) قالت: قلت: يا رسول الله ما لأكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال: *يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ. .* [٢].

٤ ـ في دعائهﷺ: *. . وثبت حجتي، وسدد لساني، واهدِ قلبي، واسلل سخيمة صدري. .* [٣].

نرى في نصوص الأحاديث (١، ٢، ٤) المعنى مشابه لما جاء في كتاب الكافي من أن الإيمان مبثوث لجميع الجوارح، للقلب ولليد وللبصر، وهكذا.

إن اعتقاد المسلمين جميعاً لا يختلفون فيه وهو، أن القلب هو الآمر وهو الناهي، وأن الجوارح لا تصدر إلا عنه كما قال الإمام الصادقعليه السلام والإمام الرضاعليه السلام، وهو أمير البدن، اللهم إلا أن يصدر التعارض بين أفكار القلب وأفكار الجوارح كما أسلفنا.

ينقل الدكتور عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر في كتابه أسباب زيادة الإيمان ونقصانه ما نصه: ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء، ثم يقول: ومعنى هذا: أن كل حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله فقد كمل إيمان العبد بذلك باطناً وظاهراً، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله[٤].

---

(١) صحيح الترمذي كتاب الدعوات باب ٧٥ ح ٣٤٩٢.

(٢) صحيح الترمذي كتاب الدعوات باب ٩٢ ح ٣٥٢٢.

(٣) صحيح الترمذي كتاب الدعوات باب ١٠٥ ح٣٥٥١.

(٤) أسباب زيادة الإيمان ونقصانه/ عبدالرزاق البدر ص٥٨ ينقله عن جامع العلوم والحكم لابن رجب.

إن الذي وصل إلى هذه المرتبة التي وافقت جوارحه قلبه تمام التوافق هو المعصوم عليه السلام سواء كان نبياً أم إماماً، لأن الواقع لم يظهر لنا مسلماً مؤمناً واحداً لم يرتكب خطيئة ولو بالباطن، إلا أهل البيت عليهم السلام والنبي على رأسهم، فلم يسجل عليهم عليه السلام ما يخالف شرع الله تعالى أو ما فيه التكاسل أو التباعد حتى عن الأولى.

أخذت كتاب الصحيفة السجادية وكتاب مفاتيح الجنان كنموذجين معروفين وموثقين عند أصحاب مذهب أهل البيت عليهم السلام، لأبين أن الدماغ ليس له ذكر وأن الذكر كل الذكر للقلب، ونعيد نفس العبارة، من أنه ليس من باب النسيان ولا الغفلة أن لا يذكر الدماغ مطلقاً ويذكر القلب بهذا العدد.

ورد ذكر القلب في الصحيفة السجادية مائة وثلاث وأربعون مرة، وكانت بالصيغ التالية: قلب = ٨، قلبي = ٨٥، قلبه = ٨، قلوبنا = ٢٢، قلوبكم = ٢٠، وورد ذكر القلب في كتاب مفاتيح الجنان ثمان وسبعون مرة، وكانت بالصيغ التالية: قلب = ٦، قلبي = ٤٥، قلبه = ٩، قلوبنا = ١٤، قلوبهم = ٣، قلوبكم = ١، ولم يرد ذكر للدماغ بكل صيغه في هذين الكتاب.

الفصل الثاني
القلب عند اليهود

في العهد القديم The Old Testment

١ ـ (التوراة) Torat

* سفر التكوين

قايين ٦

١ ـ عقاب الله للبشرية: قال: ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور فِكْرِ قلبه يتسم دائماً بالإثم، فملأ قلبه الأسف والحزن[١].

نوح ٦

٢ ـ بناء مذبح للرب: قال [والكلام على لسان نوح عليه السلام]: «٢١ لن ألعن الأرض مرة أخرى من أجل الإنسان، لأن أهواء قلب الإنسان شريرة منذ حداثته»[٢].

سارة ٢٠

إبراهيم وسارة وإبيمالك

٣ ـ قال إبيمالك: «٥ ما فعلت هذا إلا بسلامة قلبي وطهارة بدني»، ٦ فأجابه

---

(١) سفر التكوين قايين ٦ ص٢٣.

(٢) سفر التكوين نوح ٦ ص٢٧.

الرب، «أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك قد فعلت هذا...»[١].

* سفر الخروج

يثرون ٧

الرب يخاطب موسى وهارون

٤ ـ : «٣ ولكنني أقسي قلب فرعون فأكثِّر آياتي وعجائبي في أرض مصر»[٢].

٥ ـ ٢٧ «ولكن الرب صلّب قلب فرعون فلم يطلق سراحهم»[٣].

عمود السحاب بين الفريقين ١٤

٦ ـ ١٧ «فها أنا أغلظ قلوب المصريين فيسعون وراءكم»[٤].

موسى

صدرة القضاء ٢٨

٧ ـ ٢٩ «فيحمل هرون أسماء أسباط بني إسرائيل في» صدرة القضاء «على قلبه عندما يدخل على القدس، تذكاراً دائماً أمام الرب ٨ ـ ٣٠ وتضع أيضاً في صدرة القضاء» الأوريم والتُّمِّيم «ليحملها هرون على قلبه عندما يمثل أمام الرب. وهكذا يحمل هرون على قلبه أمام الرب دائماً رمز قضاء بني إسرائيل»[٥].

هارون ٣٣

تجديد العهد

٩ ـ ٥ «وكان الرب قد قال لموسى» قل لبني إسرائيل أنتم شعب متصلب القلب، لهذا إن بقيت لحظة واحدة في وسطكم أفنيكم»[٦].

---

(١) سفر التكوين سارة ٢٠ ص٥٣.
(٢) سفر الخروج يثرون ٧ ص١٤٣.
(٣) سفر الخروج يثرون ٧ ص١٥١.
(٤) سفر الخروج يثرون ٧ ص١٦٠.
(٥) سفر الخروج موسى ص١٨٨.
(٦) سفر الخروج هارون ص١٩٧.

* سفر التثنية

غرض الشريعة ٦

١٠ ـ ٤ «اسمعوا يا بني إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، فاحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم. وضعوا هذه الكلمات التي أوصيكم بها على قلوبكم، وقصوها على أولادكم، وتحدثوا بها حين تجلسون في بيوتكم وحين تسيرون في الطريق، وحين تنامون، وحين تنهضون. . . . . . [والكلمات هي] فالرب إلهكم تتقون، وإياه تعبدون وباسمه تحلفون، لا تسيروا خلف آلهة أخرى من آلهة الأمم المحيطة بكم»(١).

الأمر بحفظ الوصايا

١١ ـ ١٦ «ولكن إياكم أن تغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها فيحتدم غضب الرب عليكم»(٢).

الأمر بقتل الأنبياء الكذبة وعابدي الأوثان ١٣

١٢ ـ ٦ «وإذا أضلك سراً ابن أمك أخوك أو ابنك أو زوجتك المحبوبة أو صديقك الحميم قائلاً: لنذهب ونعبد آلهة أخرى غريبة عنك وعن آبائك ومن آلهة الشعوب الأخرى المحيطة بك أو البعيدة من أقصى الأرض إلى أقصاها فلا تستجب له ولا تصغ إليه، ولا يشفق قلبك عليه، ولا تترأف به»(٣).

* يشوع

الهزيمة أمام مدينة عاي ٧

١٣ ـ ٥ «. . فذب الرعب في قلوب بني إسرائيل»(٤).

---

(١) سفر التثنية غرض الشريعة ص٣٦٨.

(٢) سفر التثنية الامر بحفظ الوصايا ص٣٧٧.

(٣) سفر التثنية الامر بقتل الأنبياء الكذبة وعابدي الأوثان ص٣٨٢.

(٤) يشوع الهزيمة أمام مدينة هاي ص ٤٣٧.

* صموئيل الأول

حنة ٣

١٤ ـ ٣٥ «فاختار لنفسي كاهناً مخلصاً يعمل بمقتضى ما بقلبي ونفسي فأقيم له بيتاً أميناً»(١).

التداول لإعادة تابوت العهد ٦

١٥ ـ ٦ «فلماذا تصلبون قلوبكم كما صلب المصريون وفرعون قلوبهم»(٢).

شارول يصبح ملكاً ١٠

١٦ ـ ٢٦ «ومضى شارول أيضاً إلى بيته إلى جبعة ترافقه الجماعة التي مس الله قلبها»(٣).

اختيار داود ملكاً ١٦

١٧ ـ «لأن الإنسان ينظر إلى المظهر الخارجي، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب»(٤).

داود يسمع تعييرات جليات ١٧

١٨ ـ ٢٨ « . . فاحتدم غضبه على داود وقال: «لماذا جئت إلى هنا؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة في البرية؟ لقد عرفت غرورك وشر قلبك»(٥).

* صموئيل الثاني

أبشالوم ١٥

مؤامرة أبشالوم

١٩ ـ ١٣ «فجاء مخبر قال لداود: «إن قلوب رجال إسرائيل قد مالت نحو أبشالوم»(٦).

---

(١) صموئيل الأول حنة ٣ ص٥٦٢.

(٢) صموئيل الأول التداول لإعادة تابوت العهد ص ٥٦٨.

(٣) صموئيل الأول شارول يصبح ملكاً ص٥٨٢.

(٤) صموئيل الأول اختيار داود ملكاً ص٥٩٧.

(٥) صموئيل الأول داود يسمع تعييرات جليات ص٦٠٠.

(٦) صموئيل الثاني ابشالوم ص٦٧٠.

حوشاي يشير بحشد القوات كلها ١٧

٢٠ ـ ٩ *«حتى يشيع أن جيش أبشالوم قد كُسر ١٠ فيذوب قلب من هو في شجاعة الأسد.»*[١].

* الملوك الأُول

سليمان

مصاهرة سليمان لفرعون

قال سليمان للرب: *«لقد صنعت إلى عبدك داود أبي رحمة واسعة لأنه سلك أمامك بأمانة وصلاح واستقامة قلب...... ٩ فهب عبدك قلباً فهيماً لأقضي بين شعبك، وأميز بين الخير والشر...... ١٢ فإنني سألبي طلبك فاهبك قلباً حكيماً مميزاً»*[٢].

وهذا نظير قول الإمام عليّ عليه السلام *«ما نزلت آية إلا علمت فيم نزلت وأين نزلت في ليل أو في نهار أو جبل أو في سهل وأن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً قؤولاً»*[٣].

صلاة سليمان التدشينية ٨

٢٢ ـ ٣٩ *«لأنك تعرف قلبه، فانت وحدك المطلع على خفايا قلوب الناس»*[٤].

٢٣ ـ ٤ *«فان سلكت أنت أمامي كما سلك أبوك داود بكمال القلب والاستقامة، وطبقت كل ما أمرتك به»*[٥].

ثراء سليمان وأمجاده ١٠

٢٤ ـ ٢٤ *«وتوافد الناس من جميع أرجاء الأرض للمثول في حضرة سليمان والاستماع إلى حكمته التي أودعها الله في قلبه»*[٦].

---

(١) صموئيل الثاني حوشاي يشير ابحشد القوات كلها ص٦٧٥.
(٢) الملوك الأول سليمان ص ٧١٢.
(٣) إكمال غررالحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة رقم ٢٠٤٢.
(٤) الملوك الأول صلاة سليمان التدشينية ص٧٢٥.
(٥) الملوك الأول صلاة سليمان التدشينية ص ٧٢٧.
(٦) الملوك الأول ثراء سليمان وأمجاده ص٧٣١.

٢ ـ المزامير (الزبور) Psalms

المزمور التاسع

٢٥ ـ «١٩ قم يا رب. لا تدع الإنسان يسود، ولتحاكم الأمم أمام حضرتك. ألق في قلوبهم الرعب فتعلم الأمم أنهم ليسوا سوى بشر»[١].

وهذا تمام قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

المزمور التاسع عشر

٢٦ ـ «٤ وصايا الرب مستقيمة وتفرح القلب»[٣].

المزمور الرابع والعشرون

٢٧ ـ «٣ من يحق له أن يصعد إلى جبل الرب، ويقف في بيته المقدس؟ ٤ إنه صاحب اليدين الطاهرتين والقلب النقي»[٤].

المزمور السادس والثلاثون

٢٨ ـ «١٠ أدم رحمتك لعارفيك، وعدلك لذوي القلوب المستقيمة»[٥].

المزمور السابع والثلاثون

٢٩ ـ «٣٠ فم الصدِّيق ينطق دائماً بالحكمة ويتفوه بكلام الحق. ٣١ شريعة إلهه ثابتة في قلبه»[٦].

المزمور الحادي والأربعون

٣٠ ـ «٦ إن أقبل ليراني، يبدي لي نفاقاً ويضمر في قلبه شراً يشيعه عني حالما يفارقني»[٧].

---

(١) الزبور المزمور التاسع ص١١٤٣.
(٢) آل عمران/ ١٥١.
(٣) الزبور المزمور التاسع عشر ص١١٥٤.
(٤) الزبور المزمور الرابع والعشرون ص ١١٥٩.
(٥) الزبور المزمور السادس والثلاثون ص ١١٧٣.
(٦) الزبور المزمور السابع والثلاثون ص١١٧٥.
(٧) الزبور المزمور الحادي والأربعون ص١١٧٩.

المزمور الرابع والأربعون

٣١ ـ «١٨ *لم يرتد قلبنا إلى الوراء ولا حادت خطواتنا عن طريقك*»[(١)].

المزمور الثاني والستون

٣٢ ـ «٣*إلى متى توالون الهجوم على الإنسان، وتسعون جميعكم إلى هدمه، كأنه حائط متداع أو سياج مخلخل؟ ٤ إنما يتآمرون كي يطيحوا به عن مكانته الرفيعة، مبتهجين بالكذب، يباركون بأفواههم ويلعنون بقلوبهم*»[(٢)].

وهذا نظير قوله تعالى في صفة المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[(٣)].

المزمور الثالث والسبعون

٣٣ ـ «١ *حقاً إن الله رفيق بإسرائيل، بذوي القلوب النقية.... ٧ عيونهم جاحظة من كثرة شحم طمعهم. وشرهم تجاوز ما يتصوره القلب*»[(٤)].

٣٤ ـ «٢٦ *إن جسدي وقلبي يفنيان، أما الله فهو صخرة قلبي ونصيبي إلى الدهر*»[(٥)].

هذا المقطع فيه إشارة إلى أن القلب قلبان، الأول الجسدي المادي، المضغة اللحمية التي تنفني بعد الموت وتنتهي، وأما القلب الثاني فهو القلب الروحي، الذي عبر عنه بـ «الله فهو صخرة قلبي إلى الدهر» ويقصد بالدهر هنا إلى الأبد لأن الدهر محدود وهو أراد اللامحدود، فاعتقد أن الترجمة كانت حرفية ولم تصب الهدف بدقة ولكن القصد واضح من خلال كلمة الله وهو الذات الأزلية.

المزمور الثامن والسبعون

٣٥ ـ «١٨ *وجربوا الله في قلوبهم طالبين طعاماً اشتهته أنفسهم، ١٩ وتذمروا على*

---

(١) الزبور المزمور الرابع والأربعون ص١١٨٢.

(٢) الزبور المزمور الثاني والستون ص١١٩٨.

(٣) آل عمران/ ١٦٧.

(٤) الزبور المزمور الثالث والسبعون ص١٠٢٩.

(٥) الزبور المزمور الثالث والسبعون ص١٢١٠.

الله قائلين: أيقدر الله أن يبسط لنا مائدة في البرية؟[١].

وهذا نظير قول النصارى من بني إسرائيل عندما طلبوا من الله أن ينزل عليهم مائدة من الطعام من السماء، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

المزمور الثالث والثمانون

٣٦ ـ «٢ *هو ذا أعداؤك ثائرون، ومبغضوك يشمخون برؤوسهم، يتآمرون بالمكر على شعبك. . . . ٥ فإنهم قد تآمروا معاً بقلب واحد*»[٣].

وهذه هي المنهجية الجمعية للأمة في مواجهة الحق، فالتعبير بقلب واحد يدلل على أنهم من عقيدة واحدة ومنهج واحد وغاية واحدة، لأن التعبير بالقلب تعبير عن العقيدة.

المزمور السادس والثمانون

٣٧ ـ «١١ *يا رب علمني طريقك فأسلك بموجب حقك. وحد قلبي ليخاف اسمك. أحمدك يا رب إلهي بكامل قلبي*»[٤].

في هذا المقطع طلب التوحيد، ولكنه أراد أن يكون القلب واحداً لا متقلباً، وفي ذيل المقطع أراد التوحيد بكامل القلب، لأن القلب مجموعة قلوب، لا قلب واحد كما قرأت معنا في الباب الأول، من أن القلوب أربعة، وأن لكل قلب واجب مستقل عن الآخر ولكن متمم له، على أن لا يتعارض مع القلب الأول.

المزمور التسعون

٣٨ ـ «١٢ *علمنا إحصاء أيامنا لعلنا نتعقل بقلب حكيم*»[٥].

---

(١) الزبور المزمور الثامن والسبعون ص١٢١٤.
(٢) المائدة/ ١١٢.
(٣) الزبور المزمور الثالث والثمانون ص١٢٢٠.
(٤) الزبور المزمور السادس والثمانون ص١٢٢٢ ـ ١٢٢٣.
(٥) الزبور المزمور التسعون ص١٢٢٧.

وهذا أهم مقطع يتوافق ما نحن عليه من رأي، لأن العقل في القلب، ولأن الحكمة في القلب، فالقلب الحكيم قلب عاقل، أو قلب يسكنه العقل ولا يفارقه، وهذا نظير أقوال عديدة منها أحاديث وروايات أهل البيت عليهم السلام.

المزمور الخامس والتسعون

٣٩ ـ *«٨ فلا تقسوا قلوبكم. . . . ١٠ هم شعب أضلتهم قلوبهم ولم يعرفوا قط طريقي»*(١).

المزمور المئة والثاني

٤٠ ـ *«٤ قلبي منكوب ويابس كالعشب الجاف»*(٢).

المزمور المئة والسابع

٤١ ـ *«١١ لأنهم تمردوا على كلام الله واستهانوا بمشورة العلي. ١٢ فأذل قلوبهم بالجهد المضني»*(٣).

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٤).

المزمور المئة والثاني عشر

٤٢ ـ *«٧ لن يخاف من خبر سوء فقلبه متكل على الرب. ٨ قلبه ثابت لا تعتريه المخاوف»*(٥).

المزمور المئة والتاسع عشر

٤٣ ـ ب *«١١ خبأت كلامك في قلبي، لئلا أخطيء إليك»*(٦).

المزمور المئة والسابع والأربعون

٤٤ ـ *«١ سبحوا الرب فان الترنيم لإلهنا طيب، وتسبيحه ملذ ولائق. ٢ يبني*

---

(١) الزبور المزمور الخامس والتسعون ص١٢٣٠.
(٢) الزبور المزمور المئة والثاني ص١٢٣٥.
(٣) الزبور المزمور المئة والسابع ص١٢٤٣.
(٤) البقرة/ ٧.
(٥) الزبور المزمور المئة والثاني عشر ص ١٢٤٧.
(٦) الزبور المزمور المئة والتاسع عشر ص١٢٥٢.

الرب أورشليم ويجمع شمل المنفيين من إسرائيل. ٣ أنه يشفي منكسري القلب ويضمد جراحهم»[١].

وهذا يشبه حديث رسول الله ﷺ: *(إن الله عند المنكسرة قلوبهم)*[٢].

(١) الزبور المزمور المئة والسابع والأربعون ص١٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج٧٠ باب ١٢٦ ح٣.

الفصل الثالث
القلب عند النصارى (المسيحيين)

القلب عند السيد المسيح عليه السلام Heart at Jesus Christ

١ ـ *(بحق أقول لكم: أنه لا يكون من مطر بغير حساب كذلك لا يكون عمل في مرضات الرب إلا بقلب نقي)*[١].

٢ ـ *(بحق أقول لكم: إن الشمس نور كل شيء وإن الحكمة نور كل قلب)*[٢].

٣ ـ *(يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو حبواً على الركب، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الماء الأرض الميتة بوابل المطر)*[٣].

أ ـ في إنجيل برنابا Barnaba Gospel

الفصل العاشر

١ ـ *«٣ فقدم له الملاك جبرائيل كتاباً كأنه مرآة براقة ٤ فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله»*[٤].

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول/ لابن شعبة الحراني ص٥١٢.
(٢) تحف العقول عن آل الرسول/ لابن شعبة الحراني ص٥١٢.
(٣) تحف العقول عن آل الرسول/ لابن شعبة الحراني ص٥٠١.
(٤) إنجيل برنابا الفصل العاشر ص١١.

الفصل الرابع عشر

٢ ـ «٧ أما يسوع فقد عاد إلى نواحي أورشليم ووجد الشعب مرة أخرى بفرح عظيم ٨ ورجاه أن يمكث معه لأن كلماته لم تكن ككلمات الكتبة بل كانت قوية لأنها أثرت في القلب»[(١)].

الفصل السادس عشر

٣ ـ «٣ عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله علينا فترتب علينا من ثم أن نعبده بإخلاص قلب[(٢)].

الفصل الثاني والثلاثون

٤ ـ «٣٩ أجاب يسوع: الحق أقول لكم لا تقول الشريعة «أعبد» بل «أحب الرب إلهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك»[(٣)].

الفصل الرابع والثلاثون

٥ ـ «٢ فوجه يسوع قلبه لله وصلى»[(٤)].

الفصل السادس والثلاثون

٦ ـ «١٤ ولا تنظروا في صلواتكم إلى كثرة الكلام ١٥ لأن الله ينظر إلى القلب كما قال سليمان «يا عبدي أعطني قلبك»[(٥)]،

ثم يقول:

٧ ـ «٢٦ لأن الله لايحب أولئك الذين يكرمونه بشفاههم ٢٧ الذين يطلبون في الهيكل بشفاههم ٢٨ ولكن قلوبهم تستصرخ العدل»[(٦)].

ثم يقول:

---

(١) إنجيل برنابا الفصل الرابع عشر ص١٦.
(٢) إنجيل برنابا الفصل السادس عشر ص١٨.
(٣) إنجيل برنابا الفصل الثاني والثلاثون ص٤٨.
(٤) إنجيل برنابا الفصل الرابع والثلاثون ص٥٠.
(٥) إنجيل برنابا الفصل السادس والثلاثون ص٥٤.
(٦) إنجيل برنابا الفصل السادس والثلاثون ص٥٥.

٨ ـ «٣٩ هكذا يرحم الله الذين يقولون بشفاههم "يا رب ارحمنا" ٤٠ ويحبون بقلوبهم ويهمون بخطايا جديدة»[(١)].

الفصل التاسع والثلاثون

٩ ـ «٢٩ فلما رأى الله الإنسان وحده قال: "ليس حسناً أن يكون وحده" ٣٠ فلذلك نسومه ٣١ وأخذ ضلعاً من جهة القلب ٣٢ وملأ الموضع لحماً»[(٢)].

وهذا يعني أن جهة القلب هي الجهة المهمة والفاعلة في الإنسان كما يعتقد، وإلا ليس هناك خصوصية للجهة من حيث الأهمية، بل العكس هو الصحيح، فإن جهة اليمين أهم من اليسار لأنها مباركة، كما هي اليد اليمنى

الفصل الخامس والأربعون

١٠ ـ «٧ قال يسوع: الحق أقول لكم أن كل من يفعل حسناً لكي يراه الناس فهو مراء ٨ لأن عمله لا ينفذ إلى القلب الذي لا يراه الناس فيترك فيه كل فكر نجس وكل شهوة قذرة ٩ أتعلمون من هو المرائي ١٠ هو الذي يعبد بلسانه الله ويعبد بقلبه الناس»[(٣)].

وهذا قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[(٤)].

١١ ـ «١٠ الحق أقول لكم أن كثيرين يغتسلون ويذهبون إلى الصلاة ١١ وكثيرون [كثيرين] يصوموا[ن] ويتصدقون ١٢ وكثيرون [كثيرين] يطالعون ويبشرون الآخرين، وعاقبتهم ممقوتة عند الله ١٣ لأنهم يطهرون الجسد لا القلب ١٤ ويصرخون بالفم لا بالقلب ١٤ يمتنعون عن اللحوم ويملؤن أنفسهم بالخطايا ١٥ يهبون الآخرين أشياء غير نافعة لهم أنفسهم ليظهروا بمظهر الصلاح ١٦ يطالعون ليعرفوا كيف يتكلمون لا ليعملوا ١٧ ينهون الآخرين عن الأشياء التي يفعلونها هم أنفسهم ١٨ وهكذا يدانون بألسنتهم ١٩ لعمر الله أن هؤلاء لا يعرفون الله بقلوبهم ٢٠ لأنهم لو عرفوه لأحبوه ٢١

---

(١) إنجيل برنابا الفصل السادس والثلاثون ص٥٦.

(٢) إنجيل برنابا الفصل التاسع والثلاثون ص٥٨.

(٣) إنجيل برنابا الفصل الخامس والأربعون ص٧٠.

(٤) آل عمران/ ١٦٧.

ولما كان كل ما للإنسان هبة من الله كان عليه أن يصرف كل شيء في محبة الله»[(١)].

الفصل السابع والستون

١٢ ـ *«٦ وكما يقول حزقيال النبي: «سيعمل الله ميثاقاً جديداً مع شعبه ليس له نظير الميثاق الذي أعطاه لآبائكم فلم يفوا به وسيأخذ منهم قلباً من حجر ويعطيهم قلباً جديداً*[(٢)].

الفصل الرابع والسبعون

١٣ ـ *«٧ ولأي غاية يرمي سليمان إذ يقول «أحفظ قلبك كل الحفظ» . . . . . وهكذا يفعل الشيطان الذي إذا زرع الخطيئة لا يقف عند العين أو الأذن بل يتعداه إلى القلب الذي هو مستقر الله ١١ كما تكلم على لسان موسى عبده قائلاً «إني أسكن فيهم ليسيروا في شريعتي» ١٢ ألا قولوا لي إذا عهد إليكم هيرودس الملك لتحفظوا بيتاً ود سكناه أتبيحون لبلاطس عدوه أن يدخله أو يضع أمتعته فيه؟ ١٣ كلا ثم كلا ١٤ فبالحري يجب عليكم ألا تبيحوا للشيطان أن يدخل قلوبكم أو يضع أفكاره فيها ١٥ لأن الله أعطاكم قلبكم لتحفظوه وهو مسكنه»*[(٣)].

هل هناك نص أوضح من هذا النص، فالقلب مسكن الرب تعالى «الله» وهو مدخل الإيمان ومخرجه وهو مدخل إبليس ومخرجه، وهو موضع الأفكار. إن بداية النص تشير إلى ما قاله الإمام الصادق عليه السلام كما جاء في الكافي ج٢ في كتاب الإيمان والكفر باب أن الإيمان مبثوث للجوارح، فللعين إيمان ولليد إيمان وللرجل إيمان وللقلب إيمان، وكما في الحديث «القلب عرش الرحمان».

الفصل التاسع والتسعون

١٤ ـ *«٢ لقد رأينا اليوم إثماً عظيماً في اليهودية وفي إسرائيل وهو أثم يخفق له قلبي في صدري من خشية الله»*[(٤)] وهو نفس مضمون الآية محل البحث، القلب في الصدر.

---

(١) إنجيل برنابا الفصل الثاني والستون ص ٩٦.
(٢) إنجيل برنابا الفصل االسابع والستون ص١٠٢.
(٣) إنجيل برنابا الفصل الرابع والسبعون ص١١٣.
(٤) إنجيل برنابا الفصل التاسع والستون ص١٥١.

الفصل العاشر بعد المئة

١٥ ـ «٢ *الحق أقول لكم أنه يجب على قلبكم أن يقول كلما تنفس جسدكم «الحمد لله»*[١].

وهذا يعني أن التنفس تنفسان، كما أشرنا في موضوع القلب، وفي موضوع الدم، أحدهما للجسد، وهو الهواء الداخل إليه عن طريق الرئتين والذي يحمل معه الأوكسجين، والآخر للقلب والذي يحمل معه الأفكار والقيم والعقائد الصالحة والطالحة، ولكن لكون الحمد لله على هذه النعمة في التنفس فكان لزاماً على الإنسان أن يتنفس الأفكار الصالحة التي توافق الفطرة التي فطرها الله عليها.

الفصل التاسع عشر بعد المئة

١٦ ـ «١٠ *لأن الإنسان يخطئ في كل كلمة قبيحة ويمحو إلهنا خطيئته بالصلاة ١١ لأن الصلاة هي شفيع النفس ١٢ الصلاة هي دواء النفس ١٣ الصلاة هي صيانة القلب ١٤ الصلاة هي سلاح الإيمان ١٥ الصلاة هي لجام الحس ١٦ الصلاة هي ملح الجسد الذي لا يسمح بفساده بالخطيئة ١٧ أقول لكم إن الصلاة هي يدا حياتنا اللتان يدافع بهما المصلي عن نفسه في يوم الدين ١٨ فانه يحفظ نفسه من الخطيئة هنا على الأرض ويحفظ قلبه حتى لا تمسه الأماني الشريرة»*[٢].

وهذا أيضاً من النصوص التي تبين أن الجوارح لها وظائف مختلفة باختلاف الأعضاء، وأن القلب يقف هنا موقف الأمير من بقية الأعضاء.

الفصل العشرون بعد المئة

١٧ ـ «١٢ *أجاب يسوع: إن قلبكم ثقيل حتى أني لا أقدر على رفعه»*[٣].

وهذا يعني: أولاً: أنهم أصحاب قلب واحد للتعبير عن اشتراكهم بعقيدة واحدة

---

(١) إنجيل برنابا الفصل العاشر بعد المئة ص١٦٧.

(٢) إنجيل برنابا الفصل التاسع عشر بعد المئة ص١٨١.

(٣) إنجيل برنابا الفصل العشرون بعد المئة ص١٨٣.

فعبر عنها بالقلب الواحد، وثانياً: إن هذا القلب يحمل عقيدة ثقيلة عند الله، ألا وهي عقيدة التوحيد، فعبر عليه السلام أنه لا يقدر أن يرفع هذا القلب، وهذا نظير ما جرى للإمام عليّ عليه السلام حين أراد أن يرفع النبي ﷺ في تحطيم الأصنام ولم يقدر على رفعه، ثم رفع النبي ﷺ علياً عليه السلام ليحطم الأصنام، وذلك لأن النبي ﷺ كان يحمل الرسالة، كما قال تعالى عنها: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[(١)].

الفصل الثالث والعشرون بعد المئة

١٨ ـ «٣ *فلما جلسوا عاد يسوع فقال: إن الله لأجل أن يظهر لخلائقه جوده ورحمته وقدرته على كل شيء وكرمه وعدله صنع مركباً من أربعة أشياء متضاربة ووحدها في شبح واحد نهائي هو الإنسان وهي التراب والهواء والماء والنار ليعدل كل منها ضده ٤ وصنع من هذه الأشياء الأربعة إناء وهو جسد الإنسان من لحم وعظام ودم ونخاع وجلد مع أعصاب وأوردة وسائر أجزائه الباطنية ٥ ووضع الله فيه النفس والحس بمثابة يدين لهذه الحياة ٦ وجعل مثوى الحس في كل جزء من الجسد لأنه انتشر هناك كالزيت ٧ وجعل مثوى النفس القلب حيث تتحد مع الحس فتتسلط على الحياة كلها*»[(٢)].

وهذا من أوضح مصاديق بحثنا، فالقلب مثوى النفس، وأعتقد أنه يريد أن يقول أن القلب مقر النفس وأن الحياة مقرها القلب، وأن الحس الذي يتوزع على أجزاء جسد الإنسان إنما يأخذ أوامره من النفس ولما كانت النفس في القلب فجميع الأوامر تأتي من القلب، كما أن النص يشير إلى ما كان عليه الناس في علومهم من أن المواد أربعة الماء والهواء والنار والتراب، لأن زمن السيد المسيح عليه السلام كان زمن انتشار الطب حتى أن من معاجزه شفاء المرضى وإحياء الموتى.

تعال معي أخي القارئ الكريم إلى تكملة النص لترى أن هذا القلب هو عرش

---

(١) المزمل/ ٥.

(٢) إنجيل برنابا الفصل الثالث والعشرون بعد المئة ص١٨٦.

الرحمن وأنه لا يمكن له أن يستقيم إلا بالله تعالى الذي ينوره بنوره، والأحاديث كثيرة كما قرأت معنا في القلب في الكتاب الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وفي أقوال أهل البيت عليهم السلام.

١٩ ـ قال: *«١٢ لذلك وجب برحمة الله أن ينور عقل الإنسان من جديد ليعرف الخير من الشر والمسرة الحقيقة ١٣ فمتى عرف الخاطئ ذلك تحول إلى التوبة ١٤ لذلك أقول لكم حقاً أنه إذا لم ينور الله ربنا قلب الإنسان فإن تعقل البشر لا يجدي»*[١].

إن القلب عرش الرحمان، وإن الله يحول بين المرء وقلبه وإن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمان، والأحاديث كثيرة والروايات أكثر والآيات أعظم، كلها تذكر هذه الحقيقة التي بدأ العلم لتوه يكتشف بعضها.

إن صلاح الإنسان بصلاح قلبه وصلاح القلب بتقواه والتقوى هي تقوى القلب والتقوى هي وقاية عقاب الله، والسبيل إليها طاعة الله تعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وسيكتشف العلماء ما في التشريع الإسلامي من عظمة سبقت علومهم، بل التشريع الإلهي عامة، من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، كالصلاة والصوم والحج والدعاء والارتباط بالغيب الذي هو شهود لأصحاب الشهود، للعارفين بالله، لذلك قال الإمام الحسين عليه السلام: *(عميت عين لا تراك عليها رقيباً)*[٢].

الفصل السابع والعشرون بعد المئة

٢٠ ـ *«٢٥ ليس تغطرس الإنسان بقلبه سوى إقفال رأفة الله ورحمته حتى لا يعود يصفح»*[٣].

الفصل التاسع والأربعون بعد المئة

٢١ ـ *«١٩ وبعد أن هذا أخذ المزامير وقرأ ما يقول أبونا داود: «إني أضع حارساً*

---

(١) إنجيل برنابا الفصل الثالث والعشرون بعد المئة ص١٨٧.

(٢) مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.

(٣) إنجيل برنابا الفصل السابع والعشرون بعد المئة ص١٩٣.

لفمي حتى لا يميل إلى كلمات الإثم منتحلاً عذراً عن خطاياي» . . . . ثم يقول : «إن الله لا يطلب أن تكون بصيرتنا جيدة بل قلوبنا»[١] .

وهنا أعتقد أن الترجمة لم تكن موفقة، فالقصد هو «إن الله لا يطلب أن يكون بصرنا جيد بل قلوبنا» .

وهذا المقطع يوضح لنا تأثير الجوارح على الجوانح، أي تأثير الفم على القلب، فإن كثرة استعمال الألفاظ البذيئة تجعل من هذا الكلام ملكة في الإنسان، وهذا بعد أن يتأثر قلبه بفمه، كما يتأثر بيده وبرجله وبعينه، كما في الحديث أن النظرة (بالعين) سهم من سهام إبليس .

الفصل الثالث والستون بعد المئة

٢٢ ـ *«٧ أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم؟* ،

٨ أجاب يسوع بابتهاج قلب : «أنه محمد رسول الله [ص][٢] .

وهذا يعني أن البهجة في القلب، أي أن بهجة العقيدة في القلب وأنه مقر العقيدة، والعقيدة منطلق كل فكر .

الفصل التاسع والستون بعد المئة

٢٣ ـ *«٨ ولقد قال عن هذه المسرات أشعيا النبي «لم تر عينا إنسان ولم تسمع أذناه*

ولم يدرك قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه»[٣] .

هذا النص يبين أن الإدراك في القلب، مع أن السمع في الأذن والبصر في العين، إلا أنه من غير إدراك ليس هناك فائدة من هذه الحواس بغير القلب المدرك لهذه

---

(١) إنجيل برنابا الفصل التاسع والعشرون بعد المئة ص٢٢٩ .

(٢) إنجيل برنابا الفصل الثالث والستون بعد المئة ص٢٥٢ .

(٣) إنجيل برنابا الفصل التاسع والستون بعد المئة ص٢٥٩ .

الحواس والمبين لعملها. وهذا نضير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[(١)].

الفصل التسعون بعد المئة

٢٤ ـ «٤ *ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ولكن لا تخشى أن تخسر الإيمان والحياة الأبدية التي تضيع متى تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله*»[(٢)].

وهذا يبين لنا أن الجوارح قد لا تلتزم بما يريد القلب، فتتمرد عليه، وهذا يثبت أن الحواس مرتبطة ارتباطاً أمرياً لا تكوينياً بالقلب، نعم هيئة الأوامر تكوينية، كما هي أوامر النبي ﷺ من خلال لفظه، إلا أنها قد تشذ عنه وتأخذ بما تريد، وهنا كلما زاد هذا الفعل أصبح ملكة في نفسه.

الفصل الثالث بعد المئتين

٢٥ ـ «١ *أيتها المدينة القاسية القلب المرتكسة العقل*»[(٣)].

وهذا يدل على: أولاً: أن الأمة يكون لها قلب واحد كناية عن العقيدة التي تربط أهلها فيما بينهم، وثانياً: أن العقل في القلب، لأن القلب القاسي ينتكس فيه الفكر والتفكّر والتذكر والتعقل.

الفصل السابع عشر بعد المئتين

٢٦ ـ «٣٦ *ولكن قست قلوب رؤساء الكهنة*»[(٤)].

وهذا نص آخر على قساوة القلب الذي كثيراً ما يذكره القرآن الكريم.

---

(١) السجدة/ ١٧.

(٢) إنجيل برنابا الفصل التسعون بعد المئة ص٢٨١.

(٣) إنجيل برنابا الفصل الثالث بعد المئتين ص٢٩٥.

(٤) إنجيل برنابا الفصل السابع عشر بعد المئتين ص ٣١١.

ب ـ في العهد الجديد The New Testment

١ ـ في إنجيل متّى Matty Gospel

هيرودس

الموعظة على الجبل ٥

١ ـ «*٨ طوبى لأنقياء القلب فإنهم سيرون الله*»[١].

الزنى

١ ـ «*٢٨ كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها فقد زنى في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى فخاً لك فاقلعها وارمها عنك، فخير لك أن تفقد عضواً من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في جهنم*»[٢].

ثم بعد ذلك يضرب مثلاً لليد، وهذا يعني أن العذاب لا يكون إلا على ما ارتكبه قلبه لأنه إمام الجوارح كلها وهو المسيطر عليها بالتفويض الإلهي، ولكنه بسوء اختياره وتهاونه في السيطرة على جوارحه وصدها عن غيّها وعدم ردعها أوصلته إلى ما أوصلته إليه، إلى جهنم، فالعقوبة على القلب وإقراراته.

متّى الرسول

الشجرة تعرف من ثمرتها

٣ ـ «*٣٤ يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون، وأنتم أشرار، أن تتكلموا كلاماً صالحاً؟ لأن الفم يتكلم بما يفيض القلب. ٣٥ فالإنسان الصالح، من الكنز الصالح في قلبه، يصدر ما هو صالح، والإنسان الشرير يصدر ما هو شرير*»[٣].

لماذا تكلم المسيح بأمثال؟ ١٣

---

(١) إنجيل متى هيرودوس إصحاح ٥ص١٨٨١.

(٢) إنجيل متى هيرودوس إصحاح ٥ص١٨٨٥.

(٣) إنجيل متى متّى الرسول إصحاح ١٢ ص١٩١٢.

وهذا تماماً كقول الإمام عليّ عليه السلام: *ما نزلت آية إلا علمت فيم نزلت وأين نزلت في ليل أو في نهار أو جبل أو في سهل وأن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً قؤولاً*»[1].

٤ ـ «١٣ *لهذا السبب أكلمهم بأمثال: فهم ينظرون دون أن يبصروا، ويسمعون دون أن يسمعوا أو يفهموا. ١٤ ففيهم قد تمت نبوءة أشعياء حيث يقول: سمعاً تسمعون ولا تفهمون، ونظراً تنظرون ولا تبصرون. ١٥ لأن قلب هذا الشعب قد صار غليظاً وصارت آذانهم ثقيلة السمع، وأغمضوا عيونهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم*»[2].

هذا المقطع ينطبق على الآية محل البحث: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3].

الوصية العظمى ٢٢

٥ ـ «٣٦ *يا معلم ما هي الوصية العظمى في الشريعة؟ ٣٧ فأجابه «أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك*»[4].

٢ ـ في إنجيل مرقص Marcas Gospel

شفاء مشلول في كفر ناحوم

١ ـ «٨ *وفي الحال أدرك يسوع بروحه ما يفكرون فيه في قلوبهم فسألهم لماذا تفكرون بهذا الأمر في قلوبكم؟*»[5].

وهذا هو التخاطر ومعرفة ما يدور في صدور الناس أو في قلوبهم، كما كان عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، عندما كانوا يبدأون الناس قبل أن يتكلموا ويعرفون

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الميم حكمة رقم ٢٠٤٢.

(٢) إنجيل متى لماذا تكلم المسيح بأمثال؟١٣ إصحاح ١٣ص١٩١٥.

(٣) الحج/ ٤٦.

(٤) إنجيل متى الوصية العظمى إصحاح٢٢ ص١٩٤٤، مرقص إصحاح١٢ ص٢٠٢٩.

(٥) إنجيل مرقص شفاء مجنون في كفر ناحوم إصحاح٢ ص ١٩٨٤.

ما يدور بخواطرهم وبما في دواخلهم ويقضون حوائج المحتاجين من غير سؤال وقبل أن يطلبوا بل يعرفون حتى نوع الحاجة التي يريدونها.

شفاء الرجل ذي اليد اليابسة ٣

٢ ـ «٥ فأدار يسوع نظره فيهم غاضباً وقد تضايق من صلابة قلوبهم»[(١)].

هيرودس أنتيباس

ما ينجس الإنسان ٧

٣ ـ «٢٠ ثم قال إن الذي يخرج من الإنسان هو ينجس الإنسان. فإنه من الداخل، من قلوب الناس تنبع الأفكار الشريرة، الفسق، السرقة، القتل، الزنى، الطمع، الخبث، الخداع، العهارة، العين الشريرة...»[(٢)].

خمير الفريسيين والصدوقيين

٤ ـ «..١٧ ألا تدرون بعد ولا تفهمون؟ أما زالت قلوبكم متقسية»[(٣)].

٣ ـ في إنجيل لوقا Looca Gospel

زكريا

لماذا كتب هذا الإنجيل ١

البشارة بميلاد يوحنا المعمدان

١ ـ «١٧ فيتقدم أمامه وله روح إيليا وقدرته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى حكمة الأبرار، ليهيء للرب شعباً معداً»[(٤)].

اليصابات

---

(١) إنجيل مرقص شفاء الرجل ذي اليد اليابسة إصحاح٣ ص ١٩٨٨.

(٢) إنجيل مرقص ما ينجس الإنسان إصحاح٧ ص٢٠٠٧.

(٣) إنجيل مرقص خمير الفريسيين والصدوقيين إصحاح٨ ص٢٠١٠.

(٤) إنجيل لوقا زكريا ، لماذا كتب الإنجيل إصحاح ١ ص ٢٠٥٨.

ميلاد يوحنا المعمدان

٢ ـ «٦٦ وكان جميع السامعين يضعونها في قلوبهم، قائلين: «ترى ماذا سيصير هذا الطفل؟»[١].

مريم العذراء

الرعاة والملائكة

٣ ـ «١٩ وأما مريم فكانت تحفظ هذه الأمور جميعاً وتتأملها في قلبه»[٢].

يعقوب ١٠

السامري الصالح

٤ ـ «٢٦ فقال له ماذا كتب في الشريعة؟ وكيف تقرأها؟ ٢٧ فأجاب: أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل فكرك»[٣].

مرثا ١٦

الطلاق

٥ ـ «١٥ فقال لهم: إنكم تبررون أنفسكم أمام الناس، ولكن الله يعرف قلوبكم[٤].

السهر والصلاة

٦ ـ «٣٤ ولكن أحذروا أنفسكم لئلا تتثقل قلوبكم بالانغماس في اللذات وبالسكر وهموم الحياة»[٥] وهذا نضير قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾[٦].

---

(١) إنجيل لوقا اليصابات ميلاد يوحنا المعمدان إصحاح٢ ص٢٠٦٤.

(٢) إنجيل لوقا مريم العذراء. الرعاة والملائكة إصحاح٢ص٢٠٦٨.

(٣) إنجيل لوقا يعقوب ١٠ السامري والصالح إصحاح ١٠ص٢١٠٨.

(٤) إنجيل لوقا مرثا ١٦ الطلاق إصحاح١٦ ص٢١٣٠.

(٥) إنجيل لوقا السهر والصلاة إصحاح٢١ ص٢١٤٧.

(٦) التوبة/ ٣٨.

يسوع يظهر لتلميذين

٧ ـ «٢٥ فقال لهما: يا قليلي الفهم وبطيئي القلوب في الإيمان»[١].

يسوع يظهر للتلاميذ

٨ ـ «٣٨ فقال لهم: ما بالكم مضطربين؟ ولماذا تنبعث الشكوك في قلوبكم؟»[٢].

٤ ـ في إنجيل يوحنا Uhanna Gospel

نيقوديموس ٨

الإبن يحرر عبيد الخطيئة

٩ ـ «٣٧ أنا أعرف أنكم أحفاد إبراهيم. ولكنكم تسعون إلى قتلي، لأن كلمتي لا تجد لها مكاناً في قلوبكم»[٣].

قيافا١٢

عمى عدم الإيمان

١٠ ـ «٤٠ أعمى عيونهم وقسّى قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم ويفهموا بقلوبهم[٤].

وحنا الرسول ١٤

أنا هو الطريق والحق والحياة

«لا تضطرب قلوبكم. أنتم مؤمنون بالله، فآمنوا بي أيضاً»[٥].

---

(١) إنجيل لوقا يسوع يظهر لتلميذين إصحاح ٢٤ ص٢١٦١.
(٢) إنجيل لوقا يسوع يظهر للتلاميذ إصحاح ٢٤ ص٢١٦١.
(٣) إنجيل يوحنا الابن يحرر عبيد الخطيئة إصحاح ٨ ص٢٢٠١.
(٤) إنجيل يوحنا عمى عدم الإيمان وحنا الرسول إصحاح ١٢ ص٢٢١٦.
(٥) إنجيل يوحنا أنا هو الطريق والحياة إصحاح ١٤ ص٢٢٢١.

سلام يسوع

١١ ـ «٢٧ *سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا، فلا تضطرب قلوبكم، ولا ترتعب*»[١].

الفرح بعد الحزن ١٦

١٢ ـ «٢٢ *فكذلك أنتم، تحزنون الآن، ولكن عندما أعود للقائكم، تبتهج قلوبكم*»[٢].

ملاحظة: مصدر العهدين القديم والجديد من كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس الطبعة الأولى بريطانيا العظمى سنة ١٩٩٧، شركة ماستير ميديا القاهرة مصر.

---

(١) إنجيل يوحنا سلام يسوع إصحاح ١٤ ص٢٢٢٣.

(٢) إنجيل يوحنا الفرح بعد الحزن إصحاح ١٦ ص٢٢٢٧.

الفصل الرابع
القلب عند الصابئة المندائيّة

*** كتاب الگنزاربا (الكنز العظيم)Ganzarabba**

اليمين

المقدمة

١ ـ *«أسبحك ربي بقلب طاهر*[١].

الكتاب الأول

التسبيح الأول/ التوحيد

٢ ـ *«مسبح ربي بقلب طاهر هو الحي العظيم مسرة القلب»*[٢]*« . . للكاملين الذين عرفوك بقلب نقي فآمنوا بك مخلصين ص٣»* .

التسبيح الثاني/ الوصايا

٣ ـ *«صوموا الصوم الأكبر صوم القلب والعقل والضمير»*[٣] .

٤ ـ *«علموا أنشماثا أن لا ترتاب قلوبها، واسمعوها لغة السلام، التسبيح الذي آتيتكم، فتشهد قلوبها وتطمئن» ص١٨*

---

(١) الكنزاربا اليمين/ المقدمة.

(٢) الكنزاربا اليمين التوحيد التسبيح الأول ص١،ص٣.

(٣) الكنزاربا اليمين التوحيد التسبيح الثاني ص١٤ ١٨، ١٩، ، ٢٠. ٢٣.

٥ ـ «لا تزنوا ولا تفسقوا، ولا تَمِلْ قلوبكم إلى غواية الشيطان، إن غواية الشيطان ضلال مبين» ص١٩

٦ ـ «انظروا بعيونكم، وانطقوا بأفواهكم واسمعوا بآذانكم وآمنوا بقلوبكم واعملوا بأيديكم» ص.٢٠

٧ ـ «فمن هؤلاء سيل متسرب، وأبناء كذب ينزعون الحكمة من قلوبكم» ص٢٣

الكتاب الثاني

التسبيح الثاني/ الغفران

٨ ـ وسمعنا تسبيحك فحل الصدق في قلوبنا»[(١)].

التسبيح الثالث/ رسول النور

٩ ـ النمامون. . . الشتامون سمعوا كلماتي فامتلأت قلوبهم بالسلام»[(٢)].

الكتاب الثالث

التسبيح الأول/ الخليقة

١٠ ـ «قال لي العظيم قوله هذا فاستقر قلبي»[(٣)].

الكتاب السادس

التسبيح الأول/ النواهي

١١ ـ «وصارت الملائكة عفاريت هناك يعبثون بقلوب البشر الغافلين»[(٤)].

١٢ ـ «أما أنتم يا من تحسبون أنفسكم حكماء ولستم بحكماء * يا من تدعون بأن الله بينكم، وجل الله أن يكون بين أحد أيها المخطوفة قلوبهم»

---

(١) الكنزاربا اليمين الكتاب الثاني التسبيح الثاني ص ٣٢.

(٢) الكنزاربا اليمين الكتاب الثاني التسبيح الثالث ص٣٦.

(٣) الكنزاربا اليمين الكتاب الثالث التسبيح الأول ص٦٠.

(٤) الكنزاربا اليمين الكتاب السادس التسبيح الأول ص ١١٨ ، ١٢٠ ـ ١٢١.

التسبيح الثالث/ صعود يحيى إلى عالم النور

١٣ ـ «قال يهانا: أنت تعرف ما في القلوب والأفكار»(١).

الكتاب العاشر

تحذير مناداد هيي للمؤمنين

١٤ ـ مع انفلاق الفجر تنهضون * وإلى الصلاة تتوجهون * وثانية في الظهر تصلون *ثم صلاة الغروب * فالصلاة تطهر القلوب * وتغفر الذنوب»(٢).

الكتاب الحادي عشر

الضياء الأول

١٥ ـ «كل من باح بسر هذا البيت، لبشر ذي قلب ميت، فإنه لن يبصر النور، ومن يحفظ سره يصعد إلى بلد النور»(٣).

الكتاب الثالث عشر

آنوش

١٦ ـ «أنا آنوش الصغير. . فحين رأيتها علمت أن مناداد هيي فيها آت فامتلأت بالحياة، قلبي هام وجذعي استقام»(٤).

الكتاب الرابع عشر

التسبيح الأول/ تساؤلات آنوش

١٧ ـ «ارتعشت قامتي وارتعدت رجلاي وخشع قلبي»(٥).

التسبيح الثاني/ الترانيم

---

(١) الكنزاربا اليمين الكتاب السادس التسبيح الثالث ص١٤٤ مخاطباً مناداد هيي.

(٢) الكنزاربا اليمين الكتاب العاشر ص ١٨٠.

(٣) الكنزاربا اليمين الكتاب الحادي عشر الضياء الاول ص١٨٣.

(٤) الكنزاربا اليمين الكتاب الثالث عشر آنوش ص٢١٧.

(٥) الكنزاربا اليمين الكتاب الرابع عشر التسبيح الأول ص٢٢٧.

الترنيم الأول

١٨ ـ يا ناصر المختارين والكامين الذين سكن الحق في قلوبهم[١].

الترنيم الثالث

١٩ ـ مقدسة للرجانة النقية التي أنارت القلوب المظلمة»[٢].

الترنيم الرابع/ مصير الخائفين

* عيونهم يملؤها الظلام

* قلوبهم يملؤها الظلام

* يظل عماهم يلازمهم فلا يرون بلد النور

* منعشي القلوب

* ملبسين بالذنوب[٣].

الكتاب السابع عشر

التسبيح التاسع/ أصل نشمثا

٢٠ ـ «* سألته الاطمئنان. . سألته راحة ليس فيها عصيان * سألته قلباً يصلح للكبار والصغار»[٤].

الكتاب الثامن عشر

التسبيح الثالث/ يا كشطا بك أهتدي

٢١ ـ قل لقلبي أن يهدأ[٥].

---

(١) الكنزاربا اليمين الكتاب الرابع عشر التسبيح الثاني الترنيم الأول ص٢٣٣.

(٢) الكنزاربا اليمين الكتاب الرابع عشر التسبيح الثاني الترنيم الثالث ص٢٣٧.

(٣) الكنزاربا اليمين الكتاب الرابع عشر التسبيح الثاني الترنيم الرابع ص ٢٤١.

(٤) الكنزاربا اليمين الكتاب السابع عشر التسبيح التاسع ص٢٩٨.

(٥) الكنزاربا اليمين الكتاب الثامن عشر التسبيح الثالث ص٣٠٣.

اليسار

الكتاب الأول التسبيح الأول

٢٢ ـ «*سبحانك ربي كما أزلت الغشاوة عن قلبي أزلها عن قلب آدم أبي*»[١].

التسبيح الثالث

٢٣ ـ «*قالت* [القصد حواء] *كيف بقلبي الجريح*»[٢].

الكتاب الثاني

التسبيح الأول

٢٤ ـ «*قلبي الذي كان للحي ينبض بالحنين صار يخفق داخل هذا الجذع المهين*»[٣].

التسبيح الرابع

٢٥ ـ «*ها أنذا أسبح في الضوء الذي عليه أنشأوني، وأستمتع بالكنز الذي وعدوني، مضيئاً بحكمته قلبي وعقلي وعيوني*»[٤].

الكتاب الثالث

التسبيح الأول

٢٦ ـ «*يا نشمثا الحي، سكبت الحكمة في قلبك. . لتسبحي ربك*»[٥].

التسبيح العاشر

٢٧ ـ «*قال آدم طريقي الذي صعدت به مطمئن القلب والعيون سيصعد به الناصورائيون العادلون والمؤمنون الكاملون*»[٦].

---

(١) الكنزاربا اليسار الكتاب الأول التسبيح الأول ص ٦.

(٢) الكنزاربا اليسار الكتاب الأول التسبيح الأول ص ٢١.

(٣) الكنزاربا اليسار الكتاب الثاني التسبيح الأول ص ٢٦.

(٤) الكنزاربا اليسار الكتاب الثاني التسبيح الرابع ص ٣٣.

(٥) الكنزاربا اليسار الكتاب الثالث التسبيح الأول ص ٤٦.

(٦) الكنزاربا اليسار الكتاب الثالث التسبيح العاشر ص ٧٠.

التسبيح الرابع عشر

٢٨ ـ *«أنا أحببت هيي وأحببت منداد هيي * لقد حلا في قلبي وملكا علي لبي»*[١].

التسبيح الحادي والعشرون

٢٩ ـ *«قالوا لقد غادرتنا أيها الرجل فمتى نراك؟ * قال: أنا ذاهب هناك * مطمئناً قلبي، فقد طلبني ربي * لقد ضمني سبحانه إلى الكاملين الخفيين وسأكون في عليين»*[٢].

التسبيح الخامس والثلاثون

٣٠ ـ *الصدقة والإحسان وثبات قلبك في الإيمان... ذاك هو زادك في طريقك إلى الديان»*[٣].

---

(١) الكنزاربا اليسار الكتاب الثالث التسبيح الرابع عشر ص ٧٩.
(٢) الكنزاربا اليسار الكتاب الثالث التسبيح الحادي والعشرون ص٩٧.
(٣) الكنزاربا اليسار الكتاب الثالث التسبيح الخامس والثلاثون ص ١٢٤.

الباب الخامس
أنواع القلوب

أولاً: القلب في القرآن الكريم

ثانياً: القلب في الحديث الشريف

ثالثاً: القلب في أقوال أهل البيت عليهم السلام

أنواع القلوب

أولاً: القلب في القرآن الكريم In Quran

تنقسم القلوب إلى أقسام كثيرة، وذلك بحسب المرض وعدمه، فإن القلوب مثلها مثل الأجسام السليمة والسقيمة، فالجسم السليم لا يحتاج إلى علاج وأما الجسم السقيم فيحتاج إلى العلاج، ويختلف العلاج باختلاف الأمراض نوعاً وشدةً، فمنها ما يمكن علاجه ومنها ما لا يمكن علاجه، ومنها ما يكون سهلاً في علاجه ومنها يكون صعباً، ومنها ما يكون أصعب، ومنها ما لا يمكن علاجه لأن المرض إذا استفحل وأصبح مزمناً فهو بحاجة ماسة مستمرة في العلاج وقد لا ينفع العلاج، ومنها الذي لا يمكن علاجه لأنه ميت، تماماً كالجسم الميت، وعليه فالقلوب تنقسم إلى تقسيمات متعددة باعتبارات مختلفة:

١ ـ القلب السليم: Correct Heart

وهو القلب الذي لم يتعرض إلى أي نوع من أنواع الأمراض، وبالتعبير الكلامي هو القلب الذي بقي على الفطرة كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١]، وهذا هو القلب الذي نريده من هذا الكتاب، أي أن نوصل القلوب إليه، حتى نرد على الله تعالى بقلوب صحيحة لم يصل إليها المرض، أو قلوب شفيت من أمراضها من خلال العلاج المستمر والمركز، ولا نحتاج بعد ذلك إلى العلاج وإنما نحتاج إلى أن نحافظ

---

(١) الشعراء/ ٨٩.

على القلب من خلال الوقاية من المرض فقط، وسنمر على كيفية علاج القلوب من الأمراض وسنضع لكل مرض علاجه المناسب في موضوع علاج أمراض القلب الروحية لأن الكتاب لا يتكلم عن الأمراض الجسدية للقلب كالتضخم وانسداد الشرايين والصمامات وغيرها من الأمراض إلا ما كان له علاقة بمرض القلب الروحي.

٢ ـ القلب القاسي: Hardness Heart

وهو بعكس القلب الأول، فقد وصل إلى الحدّ الذي لا يمكن بعده أن يعود إلى ما كان عليه، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١]، فتحول إلى صخرة صمّاء لا يمكن أن تنبت الشجر، بل أشد من الصخر، لأن الصخر قد يتخلله التراب القليل فيخرج منه الزرع، أو يتخلله الفراغ القليل فيخرج منه الماء، أما القلب القاسي فبتحوله إلى صخرة صماء ليس فيها فراغ، فلا يرى إلا الصخر ولا يعرف إلا الصخر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ *إلخ. . . . و قساوة القلب صلابته و غلظه مأخوذ من الحجر القاسي أي الصلب.*

وصلابته بطلان عواطفه الرقيقة المعينة في إدراك المعاني الحقة كالخشوع والرحمة والتواضع والمحبة. . . . والقلب القسي بطيئهما معاً، وكلاهما سريع القبول للوساوس الشيطانية. [٣].

٣ ـ القلب المريض: Sicly Heart

وهو القلب الذي تعرض إلى لون من ألوان المرض، فقد يكون المرض حب الجاه والمنصب والتسلط على الآخرين، حتى لو أدى ذلك إلى قتل الإنسان، مع أن

---

(١) الأنعام/ ٤٣.

(٢) البقرة/ ٧٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن/ السيد محمد حسين الطباطبائي ج١٤ سورة الحج الآية ٥٣.

صاحب هذا القلب لم يفكر في القتل لغرض القتل، وإنما من نتائج الحاجة إلى التسلط، فيكون القتل فعلاً عرضياً ونتيجة من نتائج ذلك التصرف بسبب المرض، لا أنه مريض بمرض حب القتل، بل تجده يتألم لقتل الناس، لكنه يبرر ذلك الفعل، لأن المقتول وقف بوجهه، وهو أحق أن لا يقف بوجهه أحد، وقد يكون هذا الموقف ـ الحاجة إلى القتل ـ سبباً من أسباب العودة إلى الحق وإلى التعقل وترك حب الجاه والتسلط والمنصب، إلا بما يمكن أن يناله بالطرق الشريفة والسليمة.

وقد يكون المرض حب الجنس، فلا يفكر إلا بالجنس وتحصيله والوصول إليه بشتى الطرق والوسائل، حتى تصل به خطراته إلى الرذيلة التي قد توصله إلى ارتكاب جريمة القتل، ليتخلص من الفضيحة التي سببتها له جريمة الزنى أو الاغتصاب.

وقد يكون المرض حب المال، فلا يفكر إلا بالحصول على الأموال وبأي الطرق كانت، الشريفة والرذيلة، القانونية وغير القانونية، المحللة شرعاً وقانوناً وعرفاً والمحرمة. قال تعال في وصف هذه القلب: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

إن هذه القلوب يمكن إصلاحها، لأن العلاج وجد من أجل شفاء المريض ورفع المرض عنه، والطرق متعددة في شفائه من مرضه، فمنها ما هو سهل ويسير، ومنها ما هو صعب وعسير، ولكل واحد من هذه الأمراض والحالات علاجه الخاص به، تماماً كأمراض القلب المادية، اللهم إلا إذا ترك العلاج حتى يصل إلى المرض المزمن، فإنه لا يمكن علاجه بسهولة بل قد لا يمكن علاجه، ولكن يوقف تقدم واستفحال المرض على القلب، وهذا يعني أن صاحبه سوف لن يتقدم خطوة إيمانية، ويبقى على الحالة التي هو فيها الآن كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾[2]، اللهم إلا أن يدركه اللطف الإلهي، فيغير حاله الى حال آخر، وسيمر علينا علاج أمراض القلب في محله.

---

(١) الأنفال/ ٤٩. (٢) البقرة/ ١٠.

مرض القلب عدم استقامة حاله في التعقل بأن لا يذعن بما من شأنه أن يذعن به من الحق و هو الشك و الارتياب، . . . . . . فالقلب المريض سريع التصور للحق بطيء الإذعان به[١] .

٤ ـ القلب الرين:Corrosion Heart

وهو القلب الذي تعرض إلى الترك وعدم المداراة، فصدأ ظاهره، فصار ضعيفاً على استقبال النفح الرحماني، إلا القليل القليل، مستعصياً على الطاعة والفضيلة، معظماً لهما، لكنه لين في استقبال النفث الشيطاني، مُسْتسهَلاً على المعصية والرذيلة، مُسْتَشْهِلاً لهما.

إن هذا القلب في رينه يمكن الرجوع به إلى الحالة التي يمكن معها أن يعود القلب معافاً، لا سليماً، لأن الذنب صغر أم كبر لا يمكن التخلص منه تماماً، وأما مع الاستمرار يصل إلى الحدّ الذي لا يمكن معه أن نصل إلى أعماقه، وأن جلاء الصدأ قد يؤدي إلى انكسار هذا القلب أو موته بعد ذلك لأنه يؤدي إلى فقده الجزء الأعظم وعدم قدرته على الحياة، وهذا ما يدفع بصاحبه أن يترك التجلية والتصفية، لأنها تؤدي إلى موته الذي هرب منه، وعلى العكس من ذلك فإن المتقين لو شعروا أنهم مقصرون ولو قيد شعرة، لما استطاعوا أن يعيشوا ولو دقيقة واحدة. إن هذه الحالة هي التي قتلت همام عندما طلب من الإمام علي عليه السلام أن يصف له المتقين حتى كأنه ينظر إليهم فتثاقل الإمام عليّ عليه السلام ثم قال عليه السلام في الخطبة المعروفة باسمه، حيث قال عليه السلام: ***(. . . فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشييهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، . . . وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة. . . . وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم. . . يمزج الحلم بالعلم، والقول بالفعل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعاً نفسه. . . أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه. بعده عمن تباعد عنه***

---

(١) الميزان في تفسير القرآن/ السيد محمد حسين الطباطبائي ج١٤ سورة الحج الآية٥٣.

زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة. ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة) قال فصعق همام. . قال أمير المؤمنين عليه السلام أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها[١].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: *ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج من النكتة نكتة سوداء فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾*[٢]، [٣] وهذا يدل على أن الإنسان يمكن أن يتفادى الوصول إلى السواد المطبق الذي ليس بعده رجوع إلى البياض، لأنه سوف لن تكون له عودة ورجوع وإنابة إلى الله تعالى فهو مصداق قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[٤]، أما إذا انتبه على نفسه وعاد إلى رشده واستمع إلى النصيحة واتبع عقله لا هواه، فإنه يستطيع أن ينقذ نفسه ويضعها على الجادة الحق، وينأى بنفسه عن الانزلاق والهوي في مستنقع الرذيلة والحيوانية.

٥ ـ القلب الزائغ: Deviation Heart

وهو القلب الذي يعرف الحق والباطل، ودرس الحق ودرس الباطل، وعرف نتائج كل واحد منهما، إلا أنه لتعلقه بالدنيا مال إلى الباطل فزاغ قلبه إلى الدنيا، لأنها رأس كل خطيئة، كما في الحديث، هذه القلوب تحاول دائماً أن تخلط في الكلام، أو أن تحرف الكلام عن معناه، أو تفرغه من محتواه، أو أن تقلل من أهميته لغرض صرف النظر عنه وعدم الالتفات إليه، وسبب عملهم هذا لأنهم يعلمون أنهم لو تركوا الحق وإقامه الناس لخسروا ما كانوا يخططون له، وأنهم لا يستطيعون أن يقولوا نحن لا نطبق هذا القول، لأنهم سيعلنون معصيتهم جهاراً، وهم لا يريدون ذلك، وإنما لو قدر أن

---

(١) نهج البلاغة/ صبحي الصالح الخطبة ١٩٣.

(٢) المطففين/ ١٤.

(٣) أصول الكافي ج٢ كتاب الايمان والكفر باب الذنوب ح٢٠.

(٤) الفرقان/ ٤٣.

افتضح أمرهم لقالوا: إنهم لم يفهموا ولم يدركوا المعنى المطلوب، ولا ضير عليهم، وهذا الصنف يسميهم القرآن بالمنافقين، وقال عنهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾(١).

إن هذه القلوب أيضاً يمكن إصلاحها، ولكنها تحتاج إلى دروس مكثفة وحازمة.

٦ ـ القلب المُكَن: Reserved Heart

وهو القلب الذي سجن وأبعد عن الحياة إلا ما ندر وما يتعلق فقط بالشيطنة، مع أنه له القدرة على التعامل الحسن والإيماني، إلا أنه ضعيف، فسيطرت عليه جوارح جسده، ومثل هذا القلب مثل القائد الذي يوضع في الإقامة الجبرية، لأنه لو سجن لهبت الجماهير لإنقاذه، ولكنه لم يسجن علناً، ويخرج في المناسبات والاحتفالات ويلقي الخطب، إلا أنها مكتوبة له، وليس عليه إلا إلقاؤها، هذا القلب لو درب دماغه ورئتيه لما غلبته أعضاؤه وألقته في معتقل الإقامة الجبرية.

قال تعالى عن هذه القلب: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

ثانياً: القلب في الحديث الشريف Heart in Prophtic

١ ـ القلب الرين: Corrosion Heart

(إنه ليران على قلبي فاستغفر الله سبعين مرة)(٣).

---

(١) آل عمران/ ٧ ـ ٨.

(٢) الأنعام/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول/ العلامة المجلسي ج١١ ح٤ ص٣٠٨.

٢ ـ **القلب الساهي**:Inattentive Heart

(يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه)[١].

٣ ـ **القلب المتفكر**: The Thinking,sabout Heart

(يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه)[٢].

٤ ـ **القلب الحكيم**:Prudent Heart

(ما أخلص عبد لله ـ عزّ وجلّ ـ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)[٣].

٥ ـ **القلب الحي**: Alive Heart

(نعم الإدام الخل يكسر المرة ويطفئ الصفراء ويحيي القلب)[٤].

٦ ـ **القلب الميت**: Dead Heart

وهذا المأخوذ من الحديث في أعلاه وهو بالمفهوم المخالف له، أي أن هناك القلب الحي وهناك مقابله، وهو الميت.

وقد أعرضنا عن الكثير من أنواع القلوب في أحاديث النبي الأكرمﷺ روماً للإختصار.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٤ أبواب المواعظ ما أوصى به رسول الله إلى أبي ذر باب ٤ ح٣.

(٢) بحار الأنوار ج٧٤ أبواب المواعظ ما أوصى به رسول الله إلى أبي ذر باب ٤ ح٣.

(٣) عيون أخبار الرضا/ الشيخ الصدوق ج١ ص ٧٣.

(٤) الشفاء في الغذاء/ السيد حسين نجيب محمد ص١١٦.

ثالثاً: القلب في أقوال أهل البيت عليهم السلام
In Ahl - Albayt Speech The Heart

١ - القلب المتقي: Fearness (protection) Heart

وهو القلب الذي يخاف الله تعالى ويتحذر من كل ذنب، فهو يتقي بإيمانه الكفر والشرك والفاحشة وكل أمر مذموم عند الله، بل كل أمر مكروه، لأنه يعلم أن القلوب سميت قلوب لتقلبها، فأراد أن تكون ملكة التقوى لقلبه حتى لا ينازعه عليه أحد، لا من الشيطان الداخلي ولا من الشيطان الخارجي، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (أشعر قلبك التقوى وخالف الهوى تغلب الشيطان)[١].

٢ - القلب القاسي: Hardness Heart

وهو القلب الذي ذكرته في أقسام القلوب في القرآن الكريم، قال الإمام عليّ عليه السلام : *(إياكم والبطنة فإنها مقساة للقلب)*[٢].

٣ - القلب المريض: Sikly Heart

وهو كما ذكرته في القرآن الكريم

قال الإمام عليّ عليه السلام : ***(ألا وأن من البلاء الفاقة وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من مرض البدن مرض القلب)***[٣]، فلو كان القلب المقصود من البدن لما ميزه الإمام.

٤ - القلب الحزين: Sad Heart

في وصف المتقين مخاطباً همام *(.. قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة)*[٤].

---

(١) إكمال غرر الحكم للآمدي حرف الألف حكمة رقم ١٣٩.
(٢) إكمال غرر الحكم للآمدي حرف الألف حكمة رقم ٥٢٢.
(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة رقم ٥٢١.
(٤) نهج البلاغة/ صبحي الصالح خطبة رقم ١٩٣.

كلام عن سكينة القلب

و السكينة من السكون خلاف الحركة و تستعمل في سكون القلب و هو استقرار الإنسان و عدم اضطراب باطنه في تصميم إرادته على ما هو حال الإنسان الحكيم من الحكمة باصطلاح فن الأخلاق صاحب العزيمة في أفعاله، و الله سبحانه جعلها من خواص الإيمان في مرتبة كماله، و عدها من مواهبه السامية.

بيان ذلك: أن الإنسان بغريزته الفطرية يصدر أفعاله عن التعقل، و هو تنظيم مقدمات عقلية مشتملة على مصالح: الأفعال، و تأثيرها في سعادته في حياته و الخير المطلوب في اجتماعه، ثم استنتاج ما ينبغي أن يفعله و ما ينبغي أن يتركه.

و هذا العمل الفكري إذا جرى الإنسان على أسلوب فطرته و لم يقصد إلا ما ينفعه نفعاً حقيقياً في سعادته يجري على قرار من النفس و سكون من الفكر من غير اضطراب و تزلزل، و أما إذا أخلد الإنسان في حياته إلى الأرض و اتبع الهوى اختلط عليه الأمر، و داخل الخيال بتزييناته و تنميقاته في أفكاره و عزائمه فأورث ذلك انحرافه عن سنن الصواب تارة، و تردده و اضطرابه في عزمه و تصميم إرادته و إقدامه على شدائد الأمور و هزاهزها أخرى.

و المؤمن بإيمانه بالله تعالى مستند إلى سناد لا يتحرك و ركن لا ينهدم.

بانياً أموره على معارف حقة لا تقبل الشك و الريب، مقدماً في أعماله عن تكليف إلهي لا يرتاب فيها، ليس إليه من الأمر شيء حتى يخاف فوته، أو يحزن لفقده، أو يضطرب في تشخيص خيره من شره.

و أما غير المؤمن فلا ولي له يتولى أمره، بل خيره و شره يرجعان إليه نفسه فهو واقع في ظلمات هذه الأفكار التي تهجم عليه من كل جانب من طريق الهوى و الخيال و الإحساسات المشؤومة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ٦٨]، و قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد/ ١١]، و قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ

يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة/ ٢٥٧]، و قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٧]، و قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران/ ١٧٥]، و قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦٨]، و قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ إلى أن قال ـ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء/ ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس/ ٦٢]، و الآيات كما ترى تضع كل خوف و حزن و اضطراب و غرور في جانب الكفر، و ما يقابلها من الصفات في جانب الإيمان.

و قد بين الأمر أوضح من ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام/ ١٢٢]، فدل على أن خبط الكافر في مشيه لكونه واقعاً في الظلمات لا يبصر شيئاً، لكن المؤمن له نور إلهي يبصر به طريقه، و يدرك به خيره و شره، و ذلك لأن الله أفاض عليه حياة جديدة على حياته التي يشاركه فيها الكافر، و تلك الحياة هي المستتبعة لهذا النور الذي يستنير به، و في معناه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد/ ٢٨][1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن/ السيد محمد حسين الطباطبائي ج٢ سورة البقرة الآية ٢٤٨.

الباب السادس
أحوال القلب

أولاً: أمراض القلب وعلاجها في النصوص الدينية والبحث العلمي

١ ـ الأمراض الروحية

٢ ـ الأمراض المادية

ثانياً: وقاية القلب

١ ـ الوقاية الروحية

٢ ـ الوقاية المادية

أحوال القلب

أولاً: أمراض القلب وعلاجها Heart,s Diseases & Remedy

يحسن بنا قبل البدأ في التعرض لأمراض القلب، أن نذكر ما يقي القلب من الأمراض المادية والأمراض الروحية، وكذلك نذكر ما يغذي القلب بالغذاء المادي وبالغذاء الروحي، فإن لكل قسم وقايته الخاصة به وغذاؤه الخاص به، وأن الغذاء المادي يؤثر بالقلب الروحي، وأن الغذاء الروحي يؤثر بالقلب المادي.

إننا نعتقد أن القلب الروحي والمادي يقعان في مكان واحد، ألا وهو هذا القلب الكمثري، ولتجاورهما، بل لاتحادهما في المكان مدخلية في التأثير المتبادل، ولأن الروح هي الأصل، فإن تأثير القلب الروحي على القلب المادي أقوى بكثير من تأثير القلب المادي على القلب الروحي.

١ ـ الأمراض الروحية: Spiritual Diseases

إن الكتاب لم ولن يتعرض لأمراض القلب المادية ـ كما قلت أكثر من مرة ـ إلا بقدر ما تؤثر على القلب الروحي الملكوتي، وكيف يؤثر الفعل المادي الخارجي على اعتقاد الإنسان وعلمه وأفكاره وما يتعلق به كإنسان، لا كما يتعلق به كحيوان، أي النفس الحيوانية ومن قبلها النفس النباتية، إنما الكتاب عن النفس الملكوتية والنفس الكلية الإلهية المرتبطتان بالروح أو القلب، وثمرتهما، ألا وهو العقل، الذي فضل الله تعالى به الإنسان على بقية المخلوقات وتفاضل الناس فيما بينهم به، والذي به يكون التكليف والثواب والعقاب.

أما أمراض القلب الروحية فهي:[١].

أولاً: الغضب: Anger

وهو كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج للغلبة ومبدؤه شهوة الانتقام. قال رسول الله ﷺ: (الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل)[٢].

قال الإمام الباقر عليه السلام: ***(إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك)***[٣].

علاج الغضب:

١ ـ *أن يتذكر أن الغضب مرض القلب ونقصان العقل، صادر عن ضعف النفس.*

٢ ـ *أن يتذكر أن قدرة الله عليه أقوى وأشد من قدرته على هذا الضعيف.*

٣ ـ *أن يعلم أن الله يحب منه ألا يغضب، والحبيب يختار البتة ما يختار محبوبه.*

٤ ـ *أن يتذكر قبح الغضب وسوء عاقبته.*

٥ ـ *أن يقدم الفكر والروية على كل فعل أو قول يصدر عنه.*

٦ ـ *أن يحترز من مصاحبة أرباب الغضب.*

وهناك بعض العلاجات، ونفس هذه العلاجات هي وقاية من المرض، فالتحرز من مصاحبة أرباب الغضب قبل مصاحبتهم وقاية وبعدها علاج، وذكرُ الله قبل الغضب وقاية وبعده علاج، وهكذا بقية العلاجات.

ثانياً: الوسوسة Scruple

اعلم أن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار فإن كان مذموماً داعياً إلى الشر سمي وسوسة.

---

(١) الأمراض الروحية وعلاجها من كتاب جامع السعادات/ للشيخ محمد مهدي النراقي.

(٢) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي باب الغضب ص ١٦٧.

(٣) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي باب الغضب ص١٦٧.

قال النبي الأكرم ﷺ: *(في القلب لمتان، لمة من الملك إعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق)*(١).

وقال ﷺ: *(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)*(٢).

علاج الوسوسة

١ ـ سد أبواب الوسوسة العظيمة للشيطان وهي الشهوة والغضب والحرص والحسد والعداوة والعجب والحقد والكبر والطمع والبخل والجبن والتعصب لغير الحق وغيرها من الرذائل.

٢ ـ عمارة القلب بأضدادها.

٣ ـ كثرة الذكر باللسان والقلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾(٤).

ثالثاً: العجب : Conceit

هو استعظام نفسه لأجل ما يرى لها من صفة كمال، سواء كانت تلك الصفة في الواقع أم لا وسواء كانت صفة كمال في نفس الأمر أم لا.

علاج العجب

١ ـ بالعلم، أن يعلم أن العالم الحقيقي هو الذي يعرف نفسه وخطر الخاتمة، وأن من تليق به العظمة والعزة والكبرياء هو الله سبحانه.

ولذلك قيل «من ازداد علماً ازداد وجعاً». كذلك العلم إذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمة وخباثة، والطيب الصافي طيباً وصفاء.

---

(١) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي باب الوسوسة ص ٩٤.

(٢) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي باب الملائكة والشياطين ص٩٦.

(٣) الأعراف/ ٢٠١.

(٤) ق/ ٣٧.

٢ ـ *بالعبادة والطاعة، أن يعلم أن الغرض من العبادة هو إظهار الذل والانكسار، وصيرورتهما ملكة للنفس ليحصل له معنى العبودية وحقيقتها، فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها.*

٣ ـ *بالورع والتقوى والصبر والشكر والسخاوة والشجاعة، وغيرها من الفضائل النفسية، فعلاجه أن يعلم أن هذه الفضائل إنما تكون نافعة ومنجية إذا لم يدخلها العجب وإذا دخلها العجب أبطلها وأفسدها.*

٤ ـ *بالمال، فهو عجب بأمر خارج عن ذات الإنسان فهو أقبح أنواع العجب، وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكونه في معرض الفناء والزوال.*

٥ ـ *بالجمال، فعلاجه أن يعلم أنه في معرض الزوال والآلام والأمراض والاسقام، وأي عاقل يعجب بشيء تزيله حمى يوم أو قرحة أو جدري.*

٦ ـ *بالقوة وشدة البطش، أن يعرف ما سلط عليه من العلل والأمراض.*

٧ ـ *بالجاه والمنصب وولاية السلطان والاتباع، فعلاجه أن يعلم أن كل ذلك في معرض الانقطاع.*

٨ ـ *بالعقل والكياسة والفطن، فعلاجه أن يعلم أن ذلك يزول عنه بأدنى مرض يصيب دماغه، وهذا رأي المصنف رحمه الله، وعندنا قلبه.*

أما أنا فأعتقد أن الدماغ أداة من أدوات القلب، ليس إلا، وأن زوال العقل الظاهر، وما يصدر من صاحبه من تصرفات توحي أو تظهر أنه مجنون أو مخبول لا يعني زوال العقل، بل ينقطع الاتصال ما بين القلب وأدواته فتتصرف من غير إمام يردها وقائد يرشدها فيظهر الجنون وفقدان العقل.

رابعاً: الكبر: Haughtness

الكبر عزة وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزية والرجحان عليه.

علاج الكبر

علاج الكبر التواضع، أي ضده، وما كان في علاج العجب يكون في الكبر.

خامساً: البخل: Stinginess

وهو الإمساك حيث ينبغي البذل، كما أن الإسراف البذل حيث ينبغي الإمساك، وكلاهما مذمومان، والمحمود هو الوسط.

علاج البخل

علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل، والعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يرجع إلى البذل على سبيل التكلف إلى أن يصير طبعاً له.

سادساً: الحسد: Envy

وهو تمني زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح [وأنا أقول تمني زوال نعم الله تعالى عن الناس عامة].

علاج الحسد

١ ـ اعلم أن الحسد من الأمراض المهلكة للنفوس.

٢ ـ اعلم أن امراض النفوس لا تداوى إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك في الدين الدنيا ولا يضر محسودك فيهما، بل ينتفع به فيهما.

٣ ـ إذا عرفت هذا فلا تكن عدو نفسك، واترك الحسد.

٤ ـ اعلم أنه يضر بدينك لما عرفت من الآيات.

سابعاً: الغيبة:

وهو أن يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه، سواء كان ذلك نقصاً في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله، أو في أفعاله المتعلقة بدينه أو دنياه، بل إن كان ينقص في ثوبه أو داره أو دابته.

واعلم أن الغيبة لا تختص باللسان، بل بكل ما يفهم نقصان الغير.

علاج الغيبة

١ ـ أن يقطع أسباب الغيبة، وهي السخرية بالآخرين أو الاستهزاء بهم والافتخار

وغيرها المسطورة في كتب الأخلاق.

٢ ـ أن يعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق.

٣ ـ أن يعلم أن من يسمع غيبة في أخيه يأتي عليه أن يغتاب هو عند الناس، فهل يرضى بأن يغتاب؟.

٤ ـ أن يعلم أن الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، فهل يريد أن يضيع كل ما فعله لله تعالى؟

ثامناً: حب الجاه والشهرة: Rank & Fame

والمراد بالشهرة: انتشار الصيت، ومعنى الجاه: ملك القلوب وتسخيرها بالتعظيم والإطاعة والانقياد له، وبعبارة أخرى قيام المنزلة في قلوب الناس.

علاج حب الجاه والشهرة

١ ـ أن يعلم أن الجاه ليس من الباقيات، لأن بعده موت.

٢ ـ أن يعلم أن كل ذي جاه محسود مقصود بالإيذاء.

٣ ـ أن يعلم أنه من أمراض القلب، فعليه أن يعالجه قبل استفحاله.

٤ ـ أن يعلم أن اجتذاب قلوب الناس انشغال عن ذكر الله تعالى.

٥ ـ أن يعلم أن اجتذاب قلوب الآخرين يحتاج في أغلب الأحيان إلى الكذب عليهم، والكذب من الكبائر والقبائح.

٢ ـ الأمراض المادية Material Diseases (١).

قبل البدأ في ذكر أمراض القلب المادية نصنف المرضى تصنيفاً إجمالياً يتناسب مع قدرة المريض على الحركة وعدمها، وعلى المراقبة الصحية أو عدمها أو الجهد وأنواعه أو منع البعض من الحركة تماماً.

---

(١) الأمراض المادية وعلاجها من كتابي الجلطة وأمراض القلب وكتاب فصائل الدم لغسان جعفر.

يصنف الأطباء مرضى القلب إلى الأصناف التالية:

أ ـ الصنف الأول: مرضى القلب هؤلاء لا يعلمون أنهم مرضى، وحياتهم طبيعية حتى مع الجهد.

ب ـ الصنف الثاني: أصحاب هذا الصنف من المرضى يعلمون بمرضهم، إلا أن حياتهم طبيعية ما لم يجهدوا أنفسهم بقوة.

ج ـ الصنف الثالث: أصحاب هذا الصنف هم أقل تحملاً من الصنف الثاني، فأدنى جهد يؤثر على قلوبهم.

د ـ الصنف الرابع: هؤلاء هم مرضى القلب حتى مع عدم الجهد.

علاج أصحاب هذه الصنوف

أ ـ الصنف الأول: يترك وشأنه ولكنه يوضع تحت المراقبة.

ب ـ الصنف الثاني: يمنع صاحبه من ممارسة الأعمال الشاقة التي لا تتلاءم مع قدرة القلب عليها (مع بقاء المراقبة).

ج ـ الصنف الثالث: يمنع صاحبه من ممارسة أبسط جهد كان.

د ـ الصنف الرابع: يمنع أصحابه من الحركة تماماً ويلازموا الفراش.

الأمراض المادية

أما أمراض القلب المادية فهي كثيرة لا أتطرق إليها كما ذكرت، ولكن بقدر ما يتعلق الأمر بمرض القلب الروحي، فإن مرض القلب المادي يؤثر على القلب الروحي، على أقل تقدير يمنع القلب الروحي من تكليف أعضاء جسده بالتكاليف ذات الجهد المضني، لأن الجوارح ضعيفة بسبب ضعف القلب المادي، وهنا يؤثر القلب المادي على عمل القلب الروحي، وإليك الأمراض:

١ ـ ضيق التنفس: وهذا المرض بسبب ضعف عضلة القلب أو بسبب آخر ينتج عنه عدم مقدرة القلب على استيعاب الدم القادم من الرئتين لضخه إلى الجسم.

وتكون من نتائج هذا المرض، أن الدم المادي السائل الذي يحمل معه الدم الروحي يكون قليل الكمية، وهذه القلة المادية تتبعها قلة روحية، فيعجز القلب الروحي عن أداء واجباته بالشكل المطلوب، كما أن قلة الأوكسجين حتى مع كثرة الدم المادي ومعه الروحي سوف تقلل من التبادل المادي وبعده التبادل الروحي، فضيق التنفس يقلل من اتصال القلب الروحي بالعالم الخارجي والإستفادة من الأفكار والقيم الحسنة، وكذلك يقلل من طرح الأفكار الفاسدة التي حملها الهواء إليه من الخارج واستقرت في الأعضاء، وكذلك ما تستهوي الأعضاء من معصية للقلب، فلا يستطيع أن يتخلص منها لضعف عملية الزفير.

٢ ـ **الخفقان**: وهو زيادة ضربات القلب بسبب الجهد أو القلق النفسي أو غيره من الحالات الطارئة على الإنسان.

وهناك أنواع من الخفقان، وذلك باختلاف أسبابه، فمنها ما هو متقطع ومنها ما هو مستمر ومنها ما هو بطيني، ومنها ما هو فوق بطيني، ومنها ما هو أذيني، ويفرق الأطباء ما بين الخفقان الأذيني والبطيني عند تناولهم لأمراض القلب المادية، ولأن الكتاب ليس من مختصاته التعرض للأمراض المادية العضوية فلا نتعرض إلا بقدر الحاجة إليها.

إن هذا المرض يعرّض القلب للتقلب والتغير بين فترة وأخرى، فبدل أن يستقر القلب في دفعه للدم وبنسق واحد وكمية معلومة تتغير هذه الكمية من وقت لوقت فيتغير معها أداء القلب المادي الذي يؤدي إلى تغير أداء القلب الروحي وكمية الأفكار ونوعيتها إلى الجسم، وسواء كان السبب في الخفقان نفسياً أو مادياً، فالنتيجة واحدة، هي أن القلب اضطربت فعالياته، وتقلب بين الشدة والضعف، بل لعل الشدة أحياناً تكون كالقلة والضعف، لأن الجوارح قد لا تتحمل الأفكار والقيم العالية التي لم تتعود عليها، ثم جاءتها دفعة واحدة، مما يؤدي إلى النفور منها والابتعاد عن أدائها والامتثال لأوامر القلب.

إن الخفقان قد يكون من مرض نفسي، أي روحي، وهذا لا يمكن علاجه بالطرق

المادية، وأما تشخيص سبب هذا المرض فيعرف من خلال إعطاء المريض جرعة دوائية مادية فان استجاب القلب لها فهي مادية وإن لم يستجب لها فهي روحية، وعليه فيجب ترك هذا العلاج لأنه يضاعف المرض، ويكون اللجوء إلى العلاج الروحي النفسي.

٣ ـ الغشيان والدوخة والزوغان: ويحدث هذا بسبب عدم ضخ الدم إلى الدماغ وبسبب هبوط ضغط الدم، وكل ذلك بسبب مرض القلب.

أما هذا المرض فهو مرضان من حيث التأثير، فالأول على القلب نفسه، لأن قلة ضخ الدم تؤثر على القلب، لأنه أيضاً يحتاج إلى الدم في التغذيتين المادية والروحية، وأما المرض الثاني فهو على أكبر أداة من أدوات القلب، على الأمين العام للقلب وهو الدماغ، الذي به يصول ويجول القلب، وهو الساعد الأيمن له، وبه تستقيم أفعال القلب وأوامره، فالدماغ كما ستعرف المسؤول الأول عن الذاكرة بعد القلب، بل إن القلب جعل الذاكرة للدماغ أكثر من استعماله لها، وهذا يؤثر على عمل القلب الروحي.

٤ ـ الآلام الصدرية ـ القلبية: هذه الآلام منها ما هو بسبب الصدر ومنها ما هو بسبب العضلة القلبية، ومنها التهاب التامور (غلاف القلب الخارجي الواقي).

الأمراض الصدرية تسهل الطريق للشيطان في الدخول إلى القلب، لأن الشياطين يحومون حول القلب، وأن مكان الحوم هو الصدر، أي الرئتين تحديداً، فلو انشغل القلب بغلافه الملتهب لقل عمله أولاً، ولخالطه عمل الشيطان ثانياً، لأن الغلاف الملتهب يعني المحترق، والذي تلهب به النيران، أي الشيطان لأن الشيطان مخلوق من النار، وهنا لو كان المرض مركباً من التهاب التامور والآلام الصدرية لكانت المشكلة أكبر ويصعب السيطرة عليها

أعراض أُخرى عند مرضى القلب:

١ ـ التعب: ينشأ غالباً من اضطراب الدورة الدموية.

٢ ـ الأرق: ويحدث بسبب نوبات السعال أو بعدم انتظام ضربات القلب، أو بسبب ضيق التنفس.

٣ ـ **العوارض الهضمية**: وتحدث هذه العوارض بسبب قصور القلب الأيمن.

إن هذا التعبير من المؤلف لا أدري هل هو قاصد له ـ كما أدعي أنا بأن القلوب المادية أربعة ـ، أو كان يقصد البطين الأيمن، وعلى كل حال فالعبارة بالقلب الأيمن عبارة دقيقة جداً لتعلقها بالبطين الأيمن فقط.

وقد أعرضنا عن بقية العوارض لأنها ليست لها علاقة بموضوع البحث.

علاج أمراض القلب

إن الله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وهذا يعني أن الأرض كانت حية ثم ماتت، وأن المطر أعاد للأرض حياتها، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾(١)، أي أن الماء جعل الأرض تربو أي تنمو وتزدهر بسبب الماء الحي وليس الماء الميت، فإن الماء إذا نزل من الأعلى التقى بالهواء وأخذ منه الشحنات فازداد الماء حياة، لأنه حي بالأساس، فإن صعوده بخاراً يؤدي إلى احيائه إن كان ميتاً.

هذا الموضوع يتناسب مع إحياء القلوب بالأكل الحلال وبالشرب الحلال وبالأكل والشرب الحييّن، وحياة الأكل والشرب من خلال البسملة عليهما بل بعد الأكل والشرب.

عن الإمام الصادقعليه السلام قال: *(لو قُرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم رددت فيه الروح ما كان عجباً)*(٢).

نستفيد من هذا الكلام في علاج القلب روحياً ومادياً من خلال الماء الحي ومن خلال الأكل الحي، وهو الأكل الحلال.

إن تجربة العالم الياباني ماسارو إيموتو على بحيرة الماء وتغيرها من خلال الكلام

---

(١) الحج/ ٥.

(٢) مكارم الأخلاق/ الشيخ الطبرسي الباب ١١ الفصل الثاني ص٣٤٩ .

الجميل[1] تدفعنا للاعتقاد بصحة ما شرعه الإسلام في التسمية على الطعام والحمد بعد الانتهاء منه والبسملة لأمر ما، وما قرأته عن سورة الفاتحة ومعاجزها في إحياء الأموات وغيرها من الأفعال والأقوال التي أتت بها الشريعة الإسلامية واعتقدها المسلمون وطبقوها في حياتهم العملية.

ثانياً: وقاية القلب: Heart Protaction

أ ـ الوقاية الروحية: Spiritual Protaction

أما وقاية القلب من الأمراض، فهي نفس العلاجات التي ذكرتها لكل مرض من الأمراض الآنفة الذكر في أولاً، فلو قام الإنسان بالعمل بما ذكرته لوقى قلبه من الأمراض.

الذكر : Glorify

يبقى عندنا واحد من أعظم الوقايات ألا وهو الذكر ودوامه، فبالذكر يحيا القلب وبالترك يموت، قال أمير المؤمنين: ***(ذكرُ الله جلاء الصدور وطمأنينة القلوب)***[2].

التقوى : Spiritual Protection

التقوى علاج ووقاية، وهي وقاية قبل أن تكون علاجاً، ولكنها يمكن استخدامها كعلاج بعد أن يمرض القلب، إلا أنها أنجع للقلب وقاية منها علاجاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ***(إني أوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إنْ أنت أخذت به)***[3].

ب ـ الوقاية المادية: Material Protection

أما الوقاية المادية فليس من مختصات الكتاب كما قلت أكثر من مرة، ولكن وقاية القلب المادي مقدمة لوقاية القلب الروحي.

---

(١) مرت عليك التجربة في موضوع التنفس الروحي في الباب الأول/ الفصل الثاني/ الدم.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الذال حكمة رقم ٧.

(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة رقم ٣٠٠٧.

الباب السابع

تخاطر القلوب والعلم بالنوايا
في النصوص الدينية والبحث العلمي

تخاطر القلوب والعلم بالنوايا في النصوص الدينية والبحث العلمي

هذا الموضوع من أعقد المواضيع التي يمكن إثباتها بالتجربة، بل لعله من المستحيل إثباته بالتجربة أو بالمختبر، لأن المطلعين على القلوب وخفاياها لا يُعرفون بين الناس إلا القليل منهم هذا أولاً، ولأنهم لا يخبرون بما يعلمون من خفايا القلوب ونوايا الناس ثانياً، ولأنهم لا يريدون أن يتظاهروا أمام الناس على أنهم يعلمون ثالثاً، وذلك لأن عملهم خالصاً لوجهه تعالى، ولذلك نجدهم إذا علم أحد به استحلفه الله تعالى على أن لا يخبر به، اللهم إلا بعد موته.

لذلك فنحن أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، عندما نعتقد بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام أنه يعلم ما في نفوس الآخرين، أو يبدأهم بالاستفسار عن حاجاتهم ويذكرها لهم، ليس من باب علم الغيب المختص بالله تعالى، فليس كل غيب عن عامة الناس هو غيب عن الجميع، وإلا لو أن حدثاً حدث في شرق الأرض وعلم به أهل ذلك المكان، وشخص في غربها فهل سيعلم الغربي بالحدث ساعة حدوثه؟ أم أنه غيب بالنسبة إليه؟ فهل يصدق على الشرقي أنه يعلم الغيب؟ واضرب مثالاً أوضح منه. لو أن شخصاً يقف في جهة يطل من خلالها على موقعين، وحدث شيء في موقع لا يراه الآخرون، فأخبر به، ثم وصل الخبر إلى الآخرين، فهل يعتبر إخباره علماً بالغيب؟

إن قلوب الأئمة عليهم السلام التي صفت لله تعالى ولم يداخلها شيء إلا الله تعالى، فإنها

ترى الأشياء متى شاءت، ولكنه بالأذن الإلهي، وهذا الإذن سابق على الحدث، وهو العلم الذي ورثوه من جدهم المصطفى ﷺ الذي تعلمه من الله تعالى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: *ما رأيت شيئاً إلا و رأيت الله قبله [أوبعده أو معه]*[١].

التخاطر Telepathy

ما هو التخاطر؟ *التخاطر ترجمة لكلمة لاتينية مكونة من مقطعين هما: (Tele) ومعناها: بُعد، والآخر: Pathy ومعناها، شعور، فالترجمة الكاملة لها: الشعور عن بُعد*[٢]، أي الإحساس والتعرف على الحالة النفسية للآخر خارج الحواس الخمس، أو عن طريق التحسس العقلي.

إن العلماء الغربيين يعتقدون أن التخاطر يتم من خلال الدماغ وذلك عن طريق بعث الأشعة الكهرومغناطيسية، ويحدث اتصال بين اثنين أو أكثر من خلال نشاط أشعة ألفا بمستوى من ٨ ـ ١٢ *دورة في الدقيقة*[٣]، ولكن الصحيح عندنا أن التخاطر يتم من خلال القلب لأنه المنتج للطاقة الكهربائية وأن كهربائية القلب ٥٠ مرة قدر كهربائية الدماغ ومجاله الكهرومغناطيسي ٥٠٠٠ مرة قدر مجال الدماغ. إن القلب هو الذي يوحي إلى الدماغ للاتّصال بالأدمغة الأخرى، وقد يكون الاتّصال بين دماغ المرسل وقلب المتلقي، ولكن بشرط أن يكون المستقبل ضعيف القلب، وأما لوكان قوي القلب فيتم الاتّصال مع الدماغ ومن ثم من دماغ المستقبل إلى قلبه.

أما العالم دين راين المتخصص البارز في مجال الباراسيكولوجي قال: *إن هناك وفرة ومن مصادر مستقلة ومتنوعة في الدلائل التي تشير إلى حقيقة وجود التخاطر، ومنها العلاقة المتبادلة بين معدل ضربات القلب والسلوك والتصرف الجلدي، ونتائج*

---

(١) شرح أصول الكافي/ مولى محمد صالح المازندراني ج٨ ص ١٣٥، وأما إضافة (أو بعده أو معه) فمن كتاب مرآة العقول للعلامة المجلسي ج١٠ ص ٣٩١ ح٨.

(٢) التخاطر عن بعد/ إعداد وترجمة سعد رستم ص ١٥. بتصرف.

(٣) التخاطر عن بعد/ إعداد وترجمة سعد رستم ص ٢٥. بتصرف.

تجارب «جانز فيلد» إضافة إلى الزيادة والانحسار في نشاط الدماغ[١]. فلو كان القلب مضخة للدم فما علاقة زيادة أو نقصان نشاط الدماغ بمعدل ضربات القلب؟ ولكن لعل الإجابة تكون من خلال ضخ الغذاء للدماغ لكي يستخدم بث أشعة ألفا، أقول: إن أشعة ألفا تزداد بزيادة المجال الكهرومغناطيسي وهو في القلب أكبر بكثر كما قرأت، بل إن إنتاج الكهرباء حصرياً في القلب، فيكون الممول الوحيد للطاقة الذهنية، وأما الدماغ فهو الآلة لنقل الطاقة، فمثل القلب والدماغ والأعصاب مثل المولد من جهة والمحول والأسلاك من جهة أخرى، فلو تقطعت الأسلاك فإما أن لايصل التيار إلى المحولة وإما أن لا يصل إلى المستهلك، فهكذا بين القلب من جهة والدماغ والأعصاب من جهة أخرى.

إن عملية الاتصال بين اثنين وأكثر هي عبارة عن تحول الروح إلى أشعة كهرومغناطيسة ثم إلى أشعة ألفا، وذلك من خلال القلب والدماغ والأعصاب، ولكن الأفكار الروحية أو العقلية لا يتم تحميلها على هذه الأشعة كما تحمل الصور التلفزيونية أو الراديوية، وإنما تتم بعملية تحويل الأشعة إلى طاقة روحية مرة أخرى ثم الدخول إلى قلب المستلم ثم إلى الدماغ وهناك تتحول مرة ثالثة إلى أشعة ألفا ومجال كهرومغناطيسي حتى يتمكن الدماغ من التعامل معها لأن تعامله وعمله مادي بحت.

إن نقل الأحاسيس والمشاعر عبر ملايين الكيلومترات لا يمكن أن يتم بهذه الطاقة القليلة، لأنه سيتبدد خلال نقله، وأما نقله على شكل طاقة روحية فلا يمكن أن يتبدد، لخلود الروح أولاً، ولعدم ماديتها ثانياً، أي أنها لا تخضع لقوانين المادة، ولكنها تخضع لقوانين طبيعة الروح، وهي قوانين طبيعية، لكنها ليست مادية، لذلك من الخطأ أن يقال ماوراء الطبيعة، إلا إذا كان القصد ماوراء الطبيعة المادية، لأن من الطبيعة ما هو مادي وما هو غير مادي أي مجرد، ومن هذا المجرد ما هو تام التجرد.

---

(١) القدرات ما فوق الحسية/ كمال هاشم حمود ص١٦٠.

إن نظرية الفيلسوف الإسلامي الكبير محمد صدر الدين الشيرازي (صدر المتألهين) في النفس من أنفس النظريات وأدقها في وصف طبيعة النفس الإنسانية، قال: *فالحق إن النفس الإنسانية جسمانية الحدوث والتصرف، روحانية البقاء والتعقل؛ فتصرفها في الأجسام جسماني، وتعقلها لذاتها وذات جاعلها روحاني، وأما العقول المفارقة فهي روحانية الذات والفعل جميعاً والطبائع جسمانية الذات والفعل جميعاً*(١).

إن اختلاف الناس في قدراتهم على الخواطر والكشف بالفراسة وتنبؤات المستقبل يدل على اختلاف الطاقات الروحية، وهذه الطاقات من ملازمات العقل الحال في القلب، وإلا لو كانت العملية هي عملية نقل الطاقة من الدماغ وأنها بأثر أشعة ألفا الخارجة من الدماغ لتساوى الناس في هذه القدرات أو لكان الاختلاف طفيفاً، ولما كان أغلب الناس لا يملك حتى واحد بالمليون من هذه القدرات خرج الدماغ من كونه محل الخواطر والتنبؤ والكشف والفراسة.

عزيزي القارئ سأذكر لك بعض الوقائع التي حصلت مع النبي الأكرم ﷺ ومع الأئمة الأطهار عليهم السلام، بغض النظر عن سند الروايات.

النبي الأكرم ﷺ

الرواية الأولى:

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً جالساً فاطلع عليه علي عليه السلام مع جماعة، فلما رآهم تبسم، قال: *جئتموني تسألوني عن شيء إن شئتم أعلمتكم بما جئتم، وإن شئتم تسألوني. فقالوا: بل تخبرنا يا رسول الله؛ قال: جئتم تسألونني عن الصنائع لمن تحق، فلا ينبغي أن يصنع إلا لذي حسب أو دين؛ وجئتم تسألونني عن جهاد المرأة، فإن جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها؛ وجئتم تسألونني عن الارزاق من*

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة لصدر الدين محمد الشيرازي ج١ ص٣٠٣.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج[illegible] باب [illegible] ح[illegible] معجزاته في إخباره بالمغيبات.

أين أبى الله أن يرزق عبده إلا من حيث لا يعلم، فإن العبد إذا لم يعلم وجه رزقه كثر دعائه[١].

الرواية الثانية:

قال أبو عقبة الأنصاري: كنت في خدمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء نفر من اليهود فقالوا لي: استأذن لنا على محمد[ص]، فأخبرته فدخلوا عليه، فقالوا: أخبرنا عما جئنا نسألك عنه، قال: جئتموني تسألونني عن ذي القرنين، قالوا: نعم، فقال: كان غلاماً من أهل الروم، ناصحاً لله عزوجل فأحبه الله وملك الارض، فسار حتى أتى مغرب الشمس، ثم سار إلى مطلعها، ثم سار إلى خيل يأجوج ومأجوج فبنى فيها السد، قالوا: نشهد أن هذا شأنه وأنه لفي التوراة[٢].

الإمام عليّ عليه السلام

الرواية: *عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: شهدت مع عليّ عليه السلام الجمل وصفين، لا أشك في قتال من قاتله، حتى نزلت النهروان، فداخلني شك في قتال القوم وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم! إن هذا الأمر عظيم، فخرجت غدوة أمشي ومعي إداوة ماء، حتى برزت من الصفوف فركزت رمحي ووضعت ترسي إليه، واستترت من الشمس فإني لجالس حتى ورد عليّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أخا الأزد أمعك طهور؟ قلت: نعم، فناولته الأداوة، فمضى حتى لم أره، ثم أقبل وقد تطهر، فجلس في ظل الترس، فإذا فارس يسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدك، قال: فأشر إليه، فأشرت إليه فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم [إليهم] وقد قطعوا النهر، فقال: كلا ما عبروا، فقال: بلى والله لقد فعلوا، قال: كلا ما فعلوا، قال: وإنه كذلك إذ جاء آخر فقال: يا أمير المؤمنين عبروا القوم، قال: كلا ما عبروا، قال: والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال، قال: والله ما فعلوا وإنه لمصرعهم ومهراق دمائهم، ثم نهض ونهضت معه، وقلت في نفسي: الحمد لله*

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج١٨ باب ١١ ح ٥ معجزاته في أخباره بالمغيبات.

الذي بصرني هذا الرجل وعرفني أمره هذا أحد الرجلين إما رجل كذاب جري، أو على بينة من ربه وعهد من نبيه، اللهم إني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله وأول من يطعن بالرمح في عينه، وإن كان القوم لم يعبروا أن أئتم على المناجزة والقتال، فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هو قال: فأخذ بقفاي ودفعني ثم قال: يا أخا الأزد أتبين لك الأمر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين، فقال: شأنك بعدوك، فقتلت رجلاً من القوم ثم قتلت آخر، ثم اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي وأفقت وقد فرغ من القوم(١).

الإمام الصادق عليه السلام

الرواية الأولى:

حدثنا مسعة بن اليسع قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: إني والله أحبك، فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: صدقت يا أبا بشر، سل قلبك عمّا لك في قلبي من حبك، فقد أعلمني قلبي عمّا لي في قلبك(٢).

الرواية الثانية

حدثني من سمع حنان بن سدير يقول: سمعت أبي سدير الصيرفي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم، وبين يديه طبق مغطى بمنديل، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد السلام، ثم كشف المنديل عن الطبق فإذا فيه رطب فجعل يأكل منه، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله ناولني رطبة، فناولني واحدة فأكلتها ثم قلت: يا رسول الله ناولني أخرى فناولنيها فأكلتها، وجعلت كلما أكلت واحدة سألته أخرى، حتى أعطاني ثماني رطبات فأكلتها، ثم طلبت منه أخرى فقال لي: حسبك! قال: فانتبهت من منامي، فلما كان من الغد، دخلت على جعفر بن محمد الصادق عليه

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٤١ باب ١١٤ معجزات كلامه من إخباره بالغائبات وعلمه باللغات ح٣.
(٢) الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام محمد الكليني ج٢ كتاب العشرة باب نادر ح٣.

السلام وبين يديه طبق مغطى بمنديل، كأنه الذي رأيته في المنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فسلمت عليه، فرد علي السلام، ثم كشف عن الطبق فإذا فيه رطب، فجعل يأكل منه فعجبت لذلك، فقلت: جعلت فداك ناولني رطبة، فناولني فأكلتها، ثم طلبت أخرى فناولني فأكلتها، وطلبت أخرى حتى أكلت ثماني رطبات، ثم طلبت منه أخرى فقال لي: لو زادك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك فأخبرته الخبر فتبسم تبسم عارف بما كان(١).

الإمام الرضا عليه السلام

الرواية الأولى:

عن الريان بن الصلت قال: كنت بباب الرضا عليه السلام بخراسان فقلت لمعمر: إن رأيت أن تسأل سيدي أن يكسوني ثوباً من ثيابه ويهب لي من الدراهم التي ضربت باسمه، فأخبرني معمر أنه دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام من فوره ذلك، قال: فابتدأني أبو الحسن فقال: يا معمر ألا يريد الريان أن نكسوه من ثيابنا أو نهب له من دراهمنا؟ قال: فقلت له: سبحان الله هذا كان قوله لي الساعة بالباب، قال: فضحك ثم قال: إن المؤمن موفق قل له فليجئني، فأدخلني عليه فسلمت فرد علي السلام ودعا لي بثوبين من ثيابه فدفعهما إلي، فلما قمت وضع في يدي ثلاثين درهماً(٢).

الرواية الثانية:

عن ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن محمد بن الحسن بن زعلان، عن محمد بن عبيد الله القمي قال: كنت عند الرضا عليه السلام وفي عطش شديد فكرهت أن أستسقي فدعا بماء وذاقه وناولني فقال: يا محمد اشرب فإنه بارد فشربت.

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٤٧ باب معجزاته واستجابة دعواته ح٢.

(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٤٩ باب ٣ معجزاته وغرائب شأنه ح٥.

قصص العرفاء

القصة الأولى

يقول الميرزا عبدالله شالجي:

حضرت درس البحث الخارج للميرزا جواد، وبعد الدرس أعطاني برنامجاً (دستور عمل) للعمل به، وصممت على الإتيان به في منتصف الليل، ولكن لم أوفق لإحياء تلك الليلة بسبب كثرة أعمالي، ولم أستطع الإتيان بذلك الورد في السحر. وعندما ذهبت إلى الدرس في اليوم الثاني، ونهضت للخروج بعد انتهاء الدرس أمرني الاستاذ بالبقاء، وعندما خرج الطلاب من قاعة الدرس قال لي: لماذا لم تأتِ بما أمرتك به البارحة؟ فدهشت من قوله وأخذتني الحيرة لأني لم أخبر أحداً بذلك، ولم يطلع على هذا الأمر غير الله سبحانه(١).

القصة الثانية:

يقول الميرزا عبدالله شالجي:

ذهبت يوماً لزيارة أستاذنا الملكي، فجاء وجثى على ركبتيه في مقابلي بنحو اتصلت ركبتاه بركبتي، وأخذ ينظر إلي ففهمت الموضوع العلمي الذي يريد إفهامه لي(٢).

القصة الثالثة

قصة المرأة التي وهبت قلب طفلها إلى طفل:

ذكرت هذه القصة في موضوع المستبدلة قلوبهم، وقلت: إن المرأة تشعر بضربات قلب هذا الطفل، لأن قلب طفلها معه.

القصة الرابعة

الممثلة الفرنسية شارلوت فلندري، التي تم استبدال قلبها من قلب امرأة تعرضت

---

(١) مشكاة العارفين/ إعداد عبدالرحيم حاتم ص٦٤ . (٢) مشكاة العارفين/ إعداد عبدالرحيم حاتم ص ٦٧ .

لحادث سيارة، وبعد ذلك التقت بزوجها، وكان يشعر كما هي أيضاً تشعر بأنهما يعرف كل واحد منها الآخر من قبل، حتى عرفا قصة استبدال القلب[١].

وهذه هي ليست آخر القصص، بل هناك الكثير الكثير من تبادل المشاعر بين شخصين أو أكثر، وليس من باب المصادفة أن يشتهر المثل الشعبي العراقي أو العربي (القلوب شواهد)، فلو قلنا تشهد، على ماذا تشهد؟ لجاء الجواب على ما في القلوب، فقد جاء في كتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للخوئي في شرح الخطبة ٨٦ ما نصه: ***فإنّ الموعظة إذا صدرت عن اللّسان لا يتجاوز الآذان و إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، و قد ذمّ الله أقواماً خالفت أفعالهم أقوالهم بقوله***. وكذلك: ***الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب و إذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان***[٢].

وهذا يعني أن الإنسان له القدرة على التحكم بقلوب الآخرين شريطة أن يكون كلامه معبراً عن ذاته واعتقاده أولاً، وأن يكون صادقاً فيما يقول ثانياً، والشرط الأول أهم من الثاني، لأن الاعتقاد من خَلْق الإنسان، أي من الفطرة، ولتساوي الفطرة عند الناس في أصل وجودها واختلافها في الشدة والضعف من فرد إلى آخر.

يقول ألكسيس كاريل: *وهكذا فإن معرفة العالم الخارجي قد تصل إلى الإنسان عن طريق مصادر أخرى غير أعضاء الحس. ومن المحقق أن الأمر قد ينتقل من فرد إلى آخر ولو كانت تفصل بينهما مسافة كبيرة.. وهذه الحقائق التي تنتمي إلى عالم ما وراء النفس الجديد يجب أن تقبل على علاتها.. إنها جزء من الحقيقة.. وتعبر عن جانب نادر يكاد يكون غير معروف من أنفسنا.. ومن الجائز أنها مسؤولة عن الدقة العقلية الحاذقة التي تلاحظ في أفراد معينين.. يا له من تغلغل غير عادي ذلك الذي ينتج من اتحاد العقل النظامي والاستعداد التلباثي! حقاً.. إن العقل الذي هيأ لنا السيادة على العالم المادي ليس شيئاً بسيطاً*[٣].

---

(١) برنامج بث من فضائية فرانس ٢٤ ليلة ٢٤/ ٩/ ٢٠١١.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠ الحكم المنسوبة للإمام حكمة ٢٧٩.
(٣) الإنسان ذلك المجهول/ الكسيس كاريل الفصل الرابع النشاط العقلي ص١٤٨.

إن النص في أعلاه يبين أن الإنسان يمكنه أن يتصل بأخيه الإنسان ليس عن طريق الحواس الخمس، وإنما عن طريق مجهول، لكنه موجود، ويتصل به رغم بعد المسافة، فليس للمسافة دخل في الاتصال زادت أو قلت، وأن هذا المجهول هو الذي جعل العقل يهيأ لنا السيادة على العالم المادي، وأن هذا العقل ليس بسيطاً كما يسميه الكسيس، مع أنه بسيط جداً لتجرده، ولكنه محدود.

الباب الثامن

القلب في الأبحاث العلمية الطبية

١ ـ القلب والدماغ

٢ ـ القلب والذاكرة

٣ ـ القلب وقلوب الآخرين

٤ ـ القلب وأدمغة الآخرين

٥ ـ القلب والإدراك

٦ ـ دماغ في القلب

٧ ـ القلب والحالة النفسية

٨ ـ الدم ونقل المعلومات

٩ ـ الصدر والذاكرة

١٠ ـ استقرار القلب

القلب في الأبحاث العلمية الطبية

إن هذا البحث يعتمد على الأخبار المنقولة عن طريق الشبكة العنكبوتية، وفي مواقع مختلفة، إلا أنها اتفقت في نقل المعلومات بشكل متشابه، ويبدو أنها تنقل الواحدة عن الأخرى(١).

إن العلم مازال يتقدم ولن يتوقف، كما مر عليك في مقدمة ثانية في مسار تطور العلم، وسيكشف عن كثير من العلوم التي ذكرها القرآن الكريم أو النبي الأكرمﷺ أو التي ذكرها أهل البيتعليهم السلام، عندها يظهر الحق الذي أريد له أن ينطمس، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

لم تكن الأبحاث عميقة إلى الحدّ الذي يكشف عن حقيقة القلب، ولكن كثرة المصادر واختلاف أنواعها وتوجهاتها، يزيد من احتمال صحة المعلومة. فالبحث أولاً قرآنياً، ولا يشك مسلم في تواتر صدور القرآن على ما هو عليه الآن، وقد ذكر القرآن الكريم القلوب التي في الصدور، وهذا القيد ـ في الصدور ـ هو قيد احترازي من تأويل معنى القلب إلى العقل فقط، والذي محله الدماغ كما هو شائع عند الكثير، كما ذكرت في أول البحث، ولغرض رفع هذا التوهم ذكر القيد، وثبت معنى القلب المعهود عند الناس، ألا وهو هذا القلب الصنوبري، إضافة إلى وظيفة أخرى هي التعقل كما ذكرت الآية، وبلحاظ آخر فهو قيد تبييني، وذلك لأن القرآن في مقام البيان، كما في قوله

---

(١) بحوث هذا الباب من مواقع الشبكة العنكبوتية مثبت الموقع لكل نص.

تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[(٢)] فذكر القلب بيان على موقع العقل فيه.

والكلام نفس الكلام في الأحاديث الشريفة للنبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام.

والكلام نفس الكلام مع العرف العام الذي يعتقد أن القلب محل التفكير والتعقل والحب والبغض وغيرها من الأمور التي تُعد من المعقولات، وهذا الاعتقاد موروث من النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ولم يأتِ جزافاً.

إن تأخر العلم عن كشف حقيقة القلب لا يعني صحته، فكثير من الحقائق كانت معكوسة الحقيقة، باطلة، كمركزية الأرض في المجموعة الشمسية ورتبوا عليها الخسوف والكسوف، وكانت النتائج موافقة للواقع لأوقات الخسوف والكسوف، وكالعناصر الأربعة، الماء والهواء والنار والتراب، ثم تبين للعلماء خلاف ما ساد مئات السنين عند عامة الناس فضلاً عن العلماء.

وإليك الأبحاث عزيزي القارئ، ولم أنقلها نصاً لركاكة التعبير الإنشائي والعلمي، فقد تصرفت في بعض ألفاظها فقط.

١ ـ القلب والدماغ: Heart & Brain

يؤكد بعض الباحثين إن المعلومات تتدفق من القلب إلى ساق الدماغ ثم تدخل الدماغ عبر ممرات خاصة، وتقوم بتوجيه خلايا الدماغ لتتمكن من الفهم والاستيعاب. ولذلك فإن بعض العلماء يقومون اليوم بإنشاء مراكز تهتم بدراسة العلاقة بين القلب والدماغ، وعلاقة القلب بالعمليات النفسية والإدراكية، بعدما أكدوا الدور الكبير للقلب في التفكير والإبداع[(٣)].

---

(١) آل عمران/ ١٣٨.

(٢) المائدة/ ١٥.

(3) www. Heartmath.org Paul Pearsall.

إن الباحث لم يذكر لنا ما هي المعلومات التي تتدفق إلى ساق الدماغ، أهي العلوم الطبيعية؟ أم هي العلوم العقلية المحضة؟ التي نطلق عليها بالعلوم العقلية، كالتوحيد أو الإلهيات بالمعنى الأخص أو بالمعنى الأعم أو المنطق، أم أن هذه المعلومات هي عامة المعلومات ولم تختص بعلم دون آخر؟ فإذا كان الثاني فهذا يعني أن القلب محل جميع انواع التعقل والمعرفة، حتى الرياضيات والطبيعيات، وليس فقط التوحيد والعقليات خصوصاً، ولاسيما: أن ترك المتعلق يدل على العموم، وهو الصحيح، فأنا أعتقد أن القلب محل التعقل والتفكّر في كل شيء، وأما واجب الدماغ فليس إلا الحفظ لهذه المعلومات واستخدامها عند الحاجة إليها في قابل الزمان.

إن هذا الاستنتاج لا يحمّل به الباحثون، ولا يُعبر عن رأيهم، بل هو رأيي أنا في هذا البحث كما أعتقد. وذكرت مراراً أن الدماغ آلة من آلات القلب التي بها يتحرك القلب ويأمر وينهي، وهو أمين عام القلب ومستودع أسراره، ولذلك فالدماغ بحاجة إلى التوسع أو سعة الخزن.

إن المعلومات التي تتدفق إلى الدماغ هي معلومات مادية ممكنة الاكتشاف والتسجيل على الأجهزة، أما المعلومات العقلية وجميع الإيعازات في هذا الباب لا يمكن أن تسجل أو تعرف لعدم وجود أجهزة تسجلها، ولعل هذه الإيعازات من موجات غير ما هو متعارف، كموجات الكهرباء أو موجات الكهرومغناطيس أو موجات ألفا أو بيتا، إنما هي موجات مترشحة عن العقل، وحتى لو كانت مادية الوجود أو على شكل طاقة لكنها لم تكتشف لحدّ الآن لعدم التوجه إليها.

لنرى ماذا يقول الطبيب ابن سينا عن علاقة القلب بالدماغ: *وثانيها: كيفيات الأعضاء، أما الكيفيات الملموسة، فكما يستدل بشدة حرارة القلب على أن منافعه إحالة الدم إلى الجوهر الروحي، وببرودة الدماغ على أن فائدته تعديل الروح الآتي إليه من القلب حتى يصلح لأن يصدر عنها أفعال الحس والحركة الإرادية*[(١)].

---

(١) شرح تشريح القانون لابن سينا/ المكتبة الشاملة قرص حاسوب الإصدار الثالث.

إن أفعال الحس والحركات الإرادية هي الحواس الخمس وحركة اليدين والرجلين وتحريك الرأس وغيرها من الحركات، وهذه الحركات يقوم بها الدماغ، ولكن بواسطة الروح كما يقول ابن سينا، وهذه الروح من القلب، وهذا هو رأي ابن سينا.

فتلخص أن القلب له المدخلية الأساس في حركة الإنسان وحواسه.

٢ ـ القلب والذاكرة: Heart & Memory

يقول البروفيسور كيري سجيوارتز (Gary Schwartz) اختصاصي الطب النفسي في جامعة إريزونا، والدكتورة لندا روسكي :(Linda Russee) *«ليست الذاكرة فقط في الدماغ، حيث يعتقدان أنها في القلب كذلك، وأن للقلب طاقة خاصة يتم بواسطتها تخزين المعلومات ومعالجتها أيضاً، وعليه فإن القلب قد يكون هو المحرك لها والمشرف عليها. كما يؤكد الباحثون إن كل خلية من خلايا القلب تشكل مستودعاً للمعلومات والأحداث، ولذلك بدأوا يتحدثون عن ذاكرة القلب.*

وقد قام الدكتور (Gary) ببحث ضم أكثر من ٣٠٠ حالة زراعة قلب، فوجد بأن جميعها قد حدثت لها تغيرات نفسية جذرية بعد العملية، وهذا ما ستقرأه في الباب الخاص بالمستبدلة قلوبهم سواء القلوب الطبيعية أو القلوب الصناعية[١].

ويضيف الدكتور باول بيرشل (Paul Pearsall)، بعد تجارب ومشاهدات استمرت سنوات طويلة «أن القلب يحس ويتذكر ويرسل ذبذبات تمكنه من التفاهم مع القلوب، ويتساءل هل من الممكن أن تسكن الذاكرة في قلوبنا»[٢].

كما مر عليك أيها القارئ الكريم أننا لا نعتقد أن الإنسان يستخدم في حياته العملية المستمرة القلب للذاكرة، بل إن هذه من وظائف الدماغ، مع أن هذه الوظيفة أصلاً هي من وظائف القلب، ولكن لأن القلب مسؤول عن القضايا العقائدية وهي حكراً عليه ولأهميتها أعطى صلاحياته إلى الدماغ ليقوم بها وفق شروط وضوابط عقيدة القلب التي

---

(1) www.kaheel17.com. Linda Marks THE POWER OF THE HEART.

(٢) شفرة القلب/ باول بيرشل (بيرسل) .www.kaheel17.com

يعتقدها. فالذاكرة هنا فقط لحث الدماغ للقيام بالعمل المناط اليه، لا أن يقوم القلب بها، نعم لو أخفق الدماغ في الوصول إلى المعلومة المخزونة فيه أو التي فقدت منه فإن القلب له القدرة على إعادتها إلى الوجود، وهذا قد يكون من خلال نبش معلومات الدماغ، أو إنها تبقى مخزونة في القلب ويعيد إرسالها وتخزينها في الدماغ مرة أخرى، وهكذا لو حصل النسيان أو الفقدان لنفس المعلومة أو غيرها مرة بعد أخرى.

إن من أوضح مصاديق هذه الحالة هي عودة الإنسان إلى ذاكرته بعد الموت السريري، فنقول من الذي أعاد للإنسان ذاكرته بعد الموت؟ أليس هو القلب؟ أم أن الذكريات جاءته من خلف الغيب؟ ماذا تقولون؟

٣ - القلب يؤثر على قلوب الآخرين: The heart effect in anathers hearts

أجرى معهد رياضيات القلب العديد من التجارب، أثبت من خلالها أن القلب يبث ترددات كهرومطيسية تؤثر على الدماغ وتوجهه في عمله، وأنه من الممكن أن يؤثر القلب على عملية الإدراك والفهم لدى الإنسان. كما وجدوا أن القلب يبث مجالاً كهربائياً هو الأقوى بين أعضاء الجسم، لذلك فهو من المحتمل أن يسيطر على عمل الجسم بالكامل(١).

وأقول: قد يؤثر قلب الإنسان بل يؤثر على قلوب الحيوانات أو على أدمغتها، فيشل الجهاز العصبي أو الجهاز التنفسي أو الجهاز الدموي، وهذه القصة واحدة من تلك الدلائل على صحة هذا الادعاء:

يقول العلامة محمد حسين الطهراني: نقل بعض رفقائنا وأصدقائنا النجفيين عن أحد كبار العلم والمدرسين في النجف الأشرف أنه قال: كنت في شك في أمر المرحوم أستاذ العلماء العاملين، وقدوة أهل الحق واليقين والسيد الأعظم والسند الأفخم وطود أسرار رب العالمين الحاج الميرزا علي آقا القاضي الطباطبائي وبشأن أحواله التي تطرق سمعي والمطالب التي ينقل عنه أحياناً. ثم يقول: *التقيت السيد خارج مسجد الكوفة*

---

(1) Science of the heart, Institute of HeartMath. www.kaheel17.com.

وتبادلنا الحديث وفي هذه الأثناء خرجتْ من الجدران حية وأنسابت أمامنا تسير بمحاذاة جدار المسجد. . وحالما وصلت الحية أمامنا وكنت في فزع منها أشار المرحوم القاضي إليها: مُت بإذن الله، فتيبستْ في مكانها فعاد السيد إلى كلامه(١).

ينقل لنا كتاب الله الخالد قصة نبيه عيسى عليه السلام وكيف كان يحيي الموتى ويبرأ الأبرص والأكمة، وهذا ما تؤكده كتب النصارى، فقد جاء في إنجيل متّى: *٢٣ ولما وصل يسوع إلى بيت الرئيس اليهودي رأى الندابين والناس في اضطراب، ٢٤ فقال: «اخرجوا! ما ماتت الصبية، لكنها نائمة!» فضحكوا عليه ٢٥ وبعدما أخرج الناس، دخل وأخذ بيد الصبية فقامت. ٢٦ وانتشر الخبر في تلك الأنحاء كلها*(٢).

٤ ـ القلب يؤثر على أدمغة الآخرين Brains The heart effect in anather Brains

كذلك أجرى نفس المعهد ـ معهد رياضيات القلب ـ بحوثاً وقدم فيها نتائج مبهرة تؤكد أنه عند الاقتراب من أي إنسان أو تلمسه أو تتحدث معه، فإن تغيرات نظام دقات قلبك تنعكس على نشاطه الدماغي، أي أن قلبك يؤثر على دماغ من هو أمامك، وذاك لأن المجال الكهربائي للقلب أقوى ٥٠ ـ ١٠٠ مرة من المجال الكهربائي للدماغ، وأن المجال المغناطيسي للقلب أقوى ٥٠٠٠ مرة من المجال المغناطيسي للدماغ.

كما يؤكد الباحثون أن القلب يتأثر ببعض الكلمات ذات المعنى المريح، ويتغير معدل النبض، ويتغير المجال الكهرمطيسي للقلب مما يؤثر على قلوب الناس القريبين منه.

يقول الدكتور باول بيرشل : (Paul Pearsall) «بعد تجارب ومشاهدات استمرت سنوات طويلة» إن القلب يرسل ذبذبات تمكنه من التفاهم مع القلوب الأخرى(٣).

إن أجمل ما في هذا البحث هو أنه قال: إن القلب يؤثر على أدمغة الآخرين، ولم

---

(١) أسوة العرفاء/ صادق حسن زاده ص٤٥ بتصرف.

(٢) إنجيل متى، إحياء ابنة رئيس القوم، شفاء نازفة الدم ص١٩٠١.

(3) Science of the heart, Institute of HeartMath. ww.kaheel17.com.

يقل إن الدماغ يؤثر على أدمغة الآخرين، والسبب واضح ولا يحتاج إلى تبيين وتعليق، لأن الدماغ ليس له القدرة على الاتصال بالقلوب ولا الاتصال بالأدمغة الأخرى، لأن وظيفة الدماغ وظيفة داخلية وليست لها علاقة بالخارج.

ومن البحث السابق، نعلم أنه يمكن للقلب أن يؤثر على أدمغة الآخرين، ولكن هناك شرط مهم، ألا وهو أن يكون قلب الشخص المراد السيطرة على دماغة ضعيفاً ودماغه متمرداً على قلب ذلك الشخص، وإلا لو كان القلب قوياً لما استطاع أحد أن يخترق أي عضو من أعضاء الجسم فضلاً عن الدماغ، وهو الأمين العام للقلب.

إن تأثير القلب على أدمغة الآخرين أسهل من تأثيره على قلوبهم، لأن المواجهة مع الأصل أصعب من المواجهة مع الفرع، والدماغ من توابع القلب.

٥ - القلب والإدراك: The Heart &

يؤكد الباحثان: رولّن مكراتي ومايك أتكينسون Mike Atkinson و Rollin McCraty أن هناك علاقة بين القلب والإدراك، فقد لاحظوا أن القلب يتغير أثناء تلقي المعلومات، وهذا يؤكد أن للقلب مدخلية في الإدراك، وأن القلب السليم يساعد صاحبه على الفهم أكثر، ولاحظوا ذلك من خلال قياس النشاط الكهرومطيسي للقلب والدماغ أثناء عملية الفهم، أي عندما يحاول الإنسان أن يفهم ظاهرة ما، لقد وجدوا أن الإدراك يتناسب طردياً مع أداء القلب[1].

إن إنتاج الطاقة الكهربائية في القلب يدلل علة انفراد القلب في التحكم بالإيعازات العصبية التي يستخدمها الدماغ، والنشاط الكهرومغناطيسي للقلب هو الذي يحدد شدة أشعة ألفا وبيتا اللتان تقومان بزيادة نشاط الدماغ، وهذا يؤكد هيمنة القلب على الدماغ وتابعية الدماغ للقلب وليس العكس، فضلاً عن النشاط العقلي (الروحي) المجهول الذي لم يكتشف لحدّ الآن.

---

(1) The Scintific Role of the Heart in Learning and Performance www.kaheel17.com.

وليتهم يدرسوا حالات القلب وتأثيره على بقية أعضاء الجسم الميت سريرياً، وهل أن هناك اتصالاً مع الجسم أم لا؟ وما هي طبيعة هذه الاتصالات؟ والتي من خلالها سيتم معرفة الطرق التي تؤدي إلى إعادة الميت سريرياً إلى الحياة مرة أخرى، لا أن يتم بالصدفة أو بطريق مجهول.

٦ ـ دماغ في القلب: Brain in Heart

إن معدل نبضات القلب تتغير تبعاً للحالة النفسية والعاطفية للإنسان وهذا ما يؤكده الدكتور آرمور J. Andrew Armour أن هناك دماغاً شديد التعقيد موجود داخل كل خلية من خلايا القلب، ففي القلب أكثر من (٤٠٠٠٠) خلية عصبية تعمل بدقة فائقة على تنظيم معدل ضربات القلب، وإفراز الهرمونات وتخزين المعلومات ثم يتم إرسال المعلومات إلى الدماغ، وهذه المعلومات تلعب دوراً مهماً في الفهم والإدراك[١].

هذه المعلومة من أدق المعلومات التي تتوافق مع بحثنا، فالعلم والدرك في القلب، ثم التخزين في الدماغ، إلا أننا نعتقد إضافة إليها أن المعلومات تبقى رهن إشارة القلب إذا أراد أن يتدخل، فليس القلب يفهم ويدرك بل له القدرة على الخزن أيضاً.

إن الجديد في هذا البحث هو، أولاً: إن القلب يتحكم من خلال خلايا عصبية تفوق الـ(٤٠٠٠٠) خلية في نبضاته، وهذا يؤكد استقلالية القلب تماماً، وثانياً: إن القلب يفرز هرمونات، ولكن لم يقل لنا ماهية هذه الهرمونات، حتى نتعرف على طبيعة تأثير القلب من خلالها على الجسم.

إن جميع هذه الأعمال هي من الواجبات المادية للقلب، لا الواجبات الروحية العقلية، فإذا كان القلب له هذه الواجبات فمن باب أولى أن يكون له الواجب العقلي الروحي المرتبط بالله تعالى، وهوعينه الذي يجعل المعصوم عليه السلام نبياً كان أو إماماً أن يرتبط بروح القدس لوجود جنبة التجرد في القلب، وهي عينها الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن، فتكون منبه تذكير والتفات.

---

(1) Science of heart Institute of HeartMath www.kaheel17.com.

إن صغر حجم ووزن القلب قياساً بالدماغ يدل على عظمة القلب، والفارق بينهما في خزن المعلومات كالفارق بين السجلات الورقية والكتب التي تحوي مئات المعلومات والأقراص الليزرية التي تحوي ملايين المعلومات، مع أن القرص الواحد أقل من عُشر غلاف كتاب واحد. وقصة الحجر الأسود معرفة وهي: *روي أن عمر لما قبل الحجر الأسود قال و الله إني لأعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع و لو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك فقال علي عليه السلام لا تقل هكذا، و الله إنه ليضر و ينفع، و إنه ليأتي يوم القيامة و له عينان و لسانان، يشهد لمن وافاه بحسن الموافاة أو ضدها»* كما روي في حديث آخر: *أنه قال إن الله سبحانه لما أخذ الميثاق على بني آدم في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ ألقمه هذا الحجر ليكون شاهداً عليهم بأداء أماناتهم*[1]، وهذا يعني أن الحجر الأسود يحوي معلومات جمة لا حصر لها، لأن البشر بالمليارات الذين مروا من أمام الحجر.

٧ ـ القلب والحالة النفسية: The Heart & Psychlogy

أ ـ القلب والمشاعر العاطفية : The Heart & Sentiment

إن العمليات التي أجريت وتم فيها استبدال القلب الطبيعي بالقلب الصناعي، أثبتت أن المرضى بعد شفائهم يفقدون القدرة على التعامل مع الآخرين كما كانوا في السابق، فلا يعرفون كيف يحبون، أو يعبرون عن عواطفهم، وحتى تجاه أهلهم وذويهم، بل تغيرت عقائدهم. والكثير منهم قالوا لم نعد نهتم بأقاربنا وأبنائنا رغم أننا نعلم أنهم هم أهلنا.

ب ـ القلب والخوف : The Heart & Fear

بينت أبحاث القلب الصناعي أن للقلب دوراً أساسياً في الخوف، فعندما سألوا أصحاب القلوب الصناعية عن مشاعرهم قالوا: فقدنا القدرة على الخوف، ولم نعد نتأثر بالمستقبل أو نهتم به.

---

(١) عوالي اللآلئ/ ابن أبي جمهور الأحسائي ج٤ ح١٦، ح ١٧ ص١٤.

إن القرآن الكريم سبق هؤلاء بذكره للخوف الذي يسكن القلوب، فإذا فقدت القلوب فقدت أدوات الخوف والحب والبغض والعاطفة، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٢)، هل هناك أدق وأوضح من هذا القول؟ الخوف والرعب في القلوب، وليس في الدماغ، نعم قد يكون الخوف والرعب والحب والبغض وغيرها من المشاعر والأحاسيس التي تكون من خلال الدماغ، لكن هذه هي أفعال المشاعر، وليست نفس المشاعر، هي الناتج لعملية الإحساس، لأن الدماغ بمقام السلطة التنفيذية ليس إلا، وأما القلب فهو السلطات كلها، فهو المشرع والقاضي والمنفذ، وأما بعض صلاحياته فقط أعطى قسماً منها إلى بقية الأعضاء ومنها الدماغ، وهو العضو الأكثر خطورة بعد القلب، وهو أمينه

٨ ـ الدم ونقل المعلومات: The Blood & Transltion,s Informtion

ذكرت في موضوع الدم في الفصل الثاني من الباب الأول، إن الدم ينقل الأفكار والقيم والأخلاق من القلب إلى بقية أعضاء الجسم، وأن الدم ليس فقط لنقل الغذاء المادي إلى الجسم، وإنما ينقل العقيدة والأخلاق وغيرها، فهو الوسط الناقل لعقيدة القلب إلى الجسم وهو الناقل للقيم والأفكار الخارجية إلى الرئتين ومن ثم إلى القلب، وأن الدم قد يتمرد على القلب، وهنا يؤكد البحث العلمي صحة ما ذهبنا إليه، فعلى الرغم من قدم بحثنا إلا أن النتائج جاءت مطابقة إلى حدٍّ كبير مع ما نعتقده.

انتظام إيقاع القلب وتحكمه بإيقاع الجسد(٣).

إن القلب بإيقاعه المنتظم يتحكم بإيقاع الجسد كاملاً، فهو وسيلة الربط بين كل

---

(١) الأنفال/ ٢.

(٢) الحشر/ ٢.

(3) Science of the heart, Institute of HeartMath. www.kaheel17.com.

خلية من خلايا الجسم من خلال عمله كمضخة للدم، حيث تعبر كل خلية دم هذا القلب وتحمل معها المعلومات منه وتذهب بها إلى بقية خلايا الجسم، إذن القلب لا يغذي الجسد بالدم النقي فحسب، إنما يغذيه أيضاً بالمعلومات مع كل نبضة، وهذا ما يؤكده بعض الباحثين اليوم، وأن هذا البحث أيضاً يعضد الفكرة التي نطرحها ونعتقد بها، والتي هي من إنتاج الفكر الإسلامي فقط، أو الفكر الديني السماوي [الإلهي].

«للدم ذاكرة أيضاً، فقد لوحظ أن الأشخاص الذين تم تغيير دمهم، قد تغيروا بنسبة كبيرة وأصبحوا محبين للأشياء التي كان يحبها من تبرع لهم بالدم. وهكذا يمكن القول: إن القلب يعمل كمضخة ويشرف على ذاكرة الخلايا، فجميع الخلايا تختزن المعلومات، ولدى انتقال الدم عبر الجسم فإنه يمر إلى القلب الذي يقوم بتزويد خلايا الدم بالمعلومات ويتم نقلها إلى الدماغ. أي أن القلب هو الذي يسيطر على الدماغ ويوجهه[١]».

٩ ـ صدر والذاكرة: The Heart & Memory

لوحظ أخيراً أن التغيرات أكبر ما يمكن عندما يتم استبدال القلب أو الرئة، ونحن نعلم أن الصدر يحوي بشكل أساس القلب والرئتين، وهنا يمكن أن نخلص إلى نتيجة، وهي أن محتوى الصدر مسؤول عن الذاكرة، ثم يضيف البحث: بعد إجراء عملية زرع الرئة تبين أن تغيرات عميقة تحدث للمريض عقب استبدال الرئة.

إن قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢] يبين بشكل قاطع أن الصدر مركز الحفظ والذاكرة، أي أنه المكان الذي يتم به خزن المعلومات، سواء في الرئتين أو في القلب، مع أننا قد فصلنا الكلام فيه عند تطرقنا إلى وظيفة القلب في الباب الثاني فراجع.

كذلك هناك الكثير من الآيات التي أشارت إلى ما في الصدور للدلالة على أن

---

(١) الأكاديمة العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

(٢) الملك/ ١٣.

للصدر دوراً في خزن المعلومات، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(١).

وهنا جاء دور العلم والبحوث العلمية التي تؤكد لنا ما صرح به القرآن الكريم، وأن العلم مازال في أول الطريق لمعرفة خفايا القلب وأسراره، بل نجزم بأن العلم لن يصل إلى ما في القلوب لأنها عرش الرحمان، وإنما يتوصل إلى الكثير من أسرارها، عندها يتم إعادة بناء الإنسان، لأن الإنسان هو القلب.

إن بناء الإنسان لهو أعظم ما موجود في الوجود بعد وجود الله تعالى المطلق، وأن بناؤه يُعد المهمة الأساس للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، إلا أن الإنسان هو الذي وقف بوجه الأنبياء عليهم السلام والأوصياء والأولياء في بنائه وإعادته إلى جادة الحق.

إن حياة الإنسان بروحه لا بجسده والروح بالعقل والعقل بالقلب، فاتباع النبي صلى الله عليه وآله يعيد الإنسان إلى إنسانيته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢)، والذي يتمعن في الآية يجدها تخاطب الأحياء ولا تخاطب الأموات، فكيف تقول الآية ـ لما يحييكم ـ فهل هم أموات؟ وإذا كانوا أمواتاً فكيف تخاطبهم؟ والجواب: نعم هم أموات يمشون على الأرض، هم أموات القلوب بفعلهم وجهلهم، فبعد ذكر الإحياء عكف على ذكر القلوب التي هي بين أصبعين من أصابع الرحمن، كما في الحديث(٣).

١٠ ـ استقرار القلب: Stability

إن استقرار القلب يعني استقرار الإنسان، وإن استقرار القلب يتم من خلال تلقيه بعض الترددات التي تحيط به في الخارج، ومن أعظم تلك الترددات ترددات الصوت

---

(١) آل عمران/ ١٥٦.

(٢) الأنفال/ ٢٤.

(٣) قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، الحديث، مقامات القلب/ الفيض الكاشاني ص٤٨..

القرآني، فإن الأصوات الجملية ـ كما قرأت معنا عزيزي القارئ ـ حولت الماء الآسن إلى ماء نظيف[١]، فكيف بقول الله تعالى؟ فقراءة القرآن تساعد وبشكل كبير في استقرار القلب.

إن الأبحاث العلمية تؤكد أن بعض الترددات تساعد على استقرار القلب، والقرآن قد سبقهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢].

من الشروط التي لابدّ منها لغرض أن يعطي القرآن دوره في معالجة المريض هو الإيمان بعظمة القرآن، والاعتقاد به اعتقاداً تكوينياً، وأعني بالاعتقاد التكويني أن يعتقد به كما يعتقد برفع الماء للعطش، بل أشد من هذا الاعتقاد، لأن الماء مخلوق من مخلوقات الله تعالى، وقد ضمنه مجموعة قوانين، منها الإرواء ومنها التبريد ومنا إحياء موات الأرض وغيرها من القوانين، وهذه القوانين يمكن رفعها، كما رفعها الله تعالى من الذي منع الإمام الحسين عليه السلام فدعا عليه فلم يرتوِ عند شربه الماء حتى مات بسبب كثرة شرب الماء، لكنه مات عطشاناً، بل ليس بعيد تحول النار التي ألقي فيها إبراهيم الخليل عليه السلام برداً وسلاماً، مع أن النار من قوانينها الحرارة وليس البرودة، والإحراق وليس السلامة.

وهناك حالة أخرى وهي الاعتقاد بعكس الحالة الأولى، أي عدم سمو القرآن وكذبه وأنه من وضع الواضعين، فإن القرآن قد يكون له شفاء لسببين، إما أن يعتقد به أو أن يكون عليه حجة يوم القيامة، بل حجة للآخرين الذين يرون هذه المعاجز.

إن تجارب علماء النفس على حالات كثيرة كان للاعتقاد النفسي دور كبير في مرض أو شفاء أشخاص كثيرين، وذلك لأن العامل النفسي له دور يفوق العامل الجسمي المادي، ونظريات بافلوف أكبر شاهد على هذا، بل له تأثير حتى على الحيوان، كما هو في كلب بافلوف.

---

(١) صفحة ١٥٧.

(٢) الرعد/ ٢٨.

ستقرأ في الملاحظة الثانية في آخر الكتاب أن الموسيقى تشفي مرضى القلوب وتساعد في استقرار القلب، فكيف إذا كانت الموسيقى موسيقى القرآن الذي لم ولن يكون مثله كتاب في التناغم والتوازن الكلماتي والحروفي والحركاتي، فضلاً عن المعاني الرائعة التي لم تكتشف بعضها بل جلها لحدّ الآن مجهولة، والقرآن يصف نفسه بإنه شفاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

(١) الاسراء/ ٨٢.

الباب التاسع

أخبار أصحاب المستبدلة قلوبهم أو رئتاهم

أولاً: استبدال القلوب

١ ـ القلوب الطبيعية

٢ ـ القلوب الصناعية

ثانياً: زرع الرئة

أخبار أصحاب المستبدلة قلوبهم أو رئتاهم

إني أعتقد أن الآثار المترتبة على عملية تبديل القلب بالقلب الطبيعي غير الآثار المترتبة على تبديل القلب الطبيعي بالقلب الصناعي، لأني وإن كنت أعتقد بأن صفة الجماد غير موجدة بالإطلاق، إلا أنني أيضاً أعتقد بأن الإنسان غير الحيوان وأن الحيوان غير النبات، فهناك تفاوت ومراتب مختلفة بين المخلوقات، فالقلب الذي يعمل بالكهرباء (البطارية) غير القلب الذي يتحرك من ذاته أولاً، وأن القلب الطبيعي الإنساني يحمل معه الطبيعية الإنسانية، وإن كان صاحبها مجرماً فاسقاً، فالفطرة الإنسانية تبقى في الإنسان مهما تغيرت ظروفه وأوضاعه وأفكاره، أو ظهر منه ما يخالفها.

أعتقد جازماً أن الإنسان الذي يستبدل قلبه بالقلب الصناعي يفقد القدرة على تغيير العقيدة، وقد يفقد الشعور بالخوف أو الخجل أو على أقل تقدير ينخفض عنده الخوف والخجل والحب والبغض إلى درجة تكاد تكون معدومة، أو أن يبقى ما تبقى وتجذر في الدماغ، وما تعودت عليه الأعضاء وطبقته فترة طويلة من حياة المستبدل قلبه.

إن استبدال القلب يعني تغيير في طبيعة الإنسان ولو بنسبة معينة تختلف من شخص لآخر، ومن ظرف لآخر أيضاً، وتحوله إلى إنسان آخر بقدر تلك النسبة في التغيير، وهذا يعتمد على قوة القلب القديم وضعفه وعلى قوة القلب الجديد وضعفه، وبقدر ترسيخ المفاهيم والعقائد السابقة في أعضاء الجسم وتزلزلها، وبخاصة في الدم وفي الرئتين.

إن تحول العقيدة والأخلاق إلى اتحاد في الإنسان ـ كما هي في المعصوم عليه السلام ـ أو ملكة كما هي في الإنسان المؤمن الورع التقي في غير المعصوم عليه السلام، هي التي تجعل القلب الجديد يتوافق معها أو يغيرها، أو على أقل تقدير ينحرف بعض الشيء عنها، وعليه نقول لا بدّ لمرضى القلب الذين يريدون أن يستبدلوا قلوبهم بقلوب إنسانية أن يدخلوا دورة تدريبية، وهذا ما سنبينه في الخاتمة.

أما زرع القلوب الصناعية فيختلف اختلافاً كبيراً عن زرع القلوب الطبيعية، فلا بدّ أن تجرى له تدريبات غير التي أجريت مع أصحاب المستبدلة قلوبهم بالقلوب الطبيعية.

سترى عزيزي القارئ آثار استبدال القلب على عقيدة وأخلاق وتطلعات الإنسان المستبدل القلب، وترى تأثير القلب الجديد على الإنسان، وانطباعه بالعقيدة والقيم والأفكار التي كان يحملها صاحب القلب القديم (المتبرع)، في حين سنجد خلاف ذلك في الذين استبدلت قلوبهم بالقلوب الصناعية، وهذا بحدّ ذاته بحاجة إلى وقفة طويلة من قبل العلماء والأطباء، وقفة تميز الحي من الميت (المسمى بالتعبير العامي الجماد).

أولاً: زراعة القلب: Heart Transplan

أ ـ زراعة القلب الطبيعي: Natural Heart Transplan

إن القصص التي سنذكرها في هذا الباب مأخوذة من الأبحاث العلمية والتي أخذناها عن طريق الشبكة العنكبوتية.

١ ـ قصة الزوج المنتحر

تزوجت امرأة من شاب ملحد، وبعد فترة أقدم على الانتحار، فضرب رأسه بالمسدس، وقبل أن يموت تم رفع قلبه وزرعه لأحد المرضى، وكان المريض من المؤمنين بحسب دينه، وكان يحب الخير للناس خلافاً للمنتحر.

نجحت العملية وأخذ يمارس حياته، ولكنه تغير كثيراً عما كان عليه، فلم يعد

ذلك الإنسان المؤمن، وصار كسابقه ملحداً، وتشاء الأقدار (الأقدار المقدرة في قلب المتبرع من كثرة العمل والإصرار عليها بحيث صارت هي هو) أن يتزوج من أرملة المنتحر، وتأتي المفاجأة لهذه الأرملة، بأن زوجها الثاني انتحر بنفس طريقة انتحار زوجها الأول.

فهل هذه مصادفة؟ لعلها نعم، مصادفة أن يحدث ما حدث، ولكنه رصيد يضاف إلى رصيد فكرتنا عن القلب وأثره، واحتمال من الاحتمالات التي تقوي فكرتنا وطرحنا. وكثرة الاحتمال تجعل الطرف المقابل حالة شاذة، والأصل هو التبدل بحسب القلب الجديد(١).

٢ ـ أم تتبرع بقلب طفلها

يقول الدكتور سجيوارتز قمنا بزرع قلب لطفل من طفل آخر أمه طبيبة، وقد توفي، وقررت أمه التبرع بقلبه، ثم قامت بمراقبة حالة الزرع جيداً، وتقول هذه الأم: «إنني أحس دائماً بأن ولدي ما زال على قيد الحياة، فعندما أقترب من هذا الطفل (الذي حمل قلب ولدها) أحس بدقات قلبه وعندما عانقني أحسست بأنه طفلي تماماً، إن قلب هذا الطفل يحوي معظم طفلي»، والذي أكد هذا الإحساس أن هذا الطفل بدأ يظهر عليه خلل في الجهة اليسرى، وبعد ذلك تبين أن الطفل المتوفى صاحب القلب الأصلي كان يعاني من خلل في الجانب الأيسر من الدماغ يعيق حركته، وبعد أن تم زرع هذا القلب تبين بعد فترة أن الدماغ بدأ يصيبه خلل في الجانب الأيسر تماماً كحالة الطفل الميت صاحب القلب الأصلي(٢).

إن هذه القصة تدل على أن الإنسان إنسان بقلبه لا بدماغه.

إن هذه القصة الحقيقية تبين أن القلب له القدرة على الاتصال بالقلوب التي تكون قريبة منه، سواء بالاعتقاد أو بالنسب أو بالسبب، كالحب والعلاقة الإنسانية وغيرها،

---

(1) www.kaheel17.com.

(2) School of Nurshng University of Hawaii -Pearsall P, Schwartz www.kaheel17.com.

كما تبين أن للقلب استقلالية لا يمكن أن تزول بسهولة، أو لعلها لا تزول أبداً، إلا أن صاحب القلب الجديد يتصرف بخلاف ما يعتقد من خلال هذا القلب الجديد، كما نقوم نحن بالتقية أو بإظهار ما لا نعتقد تمشياً مع الظرف الموجود.

٣ ـ زراعة قلب لفتاة عمرها ٨ سنوات

زراعة قلب لفتاة عمرها ٨ سنوات، وكان القلب مأخوذاً من فتاة مقتولة عمرها ١٠ سنوات وبعد الزرع أصيبت الفتاة بكوابيس مفزعة فقد كانت ترى قاتلاً يقتل فتاة ، مما أدى إلى إرهاق الفتاة نفسياً، مما حدا بوالدها للذهاب بها إلى الطبيب النفسي واستشارته بشأنها ، كانت الصور التي حلمت بها واضحة ومحددة لدرجة أن الطبيب والأم أخبرا الشرطة بصورة القاتل الذي ظهر في أحلام ابنتهم وبواسطة هذه الصفات قبضت الشرطة على قاتل الفتاة المقتولة وكان ما أخبرته الفتاة دقيقا جداً[١] .

وهذا يؤكد صحة احتفاظ القلب بالذكريات التي محلها القلب كما بينت، وقلت: إن الذكريات من واجبات الدماغ الأساسية، ولكن قلت أيضاً: إن القلب له القدرة على الاحتفاظ بالذكريات كما تؤكده الأبحاث العلمية الحديثة.

٤ ـ الشاب الذي أخذ قلب ورئتي طفل

إن أحد المرضى الذين تم استبدال القلب والرئتين له معاً أي محتوى الصدر كاملاً، بقلب ورئتين من طفل ، وبعد العملية ذهب الشاب الذي تم زراعة القلب والرئتين له إلى أهل ذلك الطفل الذي تبرع له بقلبه ورئتيه ، فوجد أنه يعرف هذا البيت من قبل مع أنها كانت المرة الأولى التي يدخل فيها هذا البيت، ووجد أيضاً أنه يعرف كثيراً عن حياة هذا الشاب، وعندما جاءت والدة ذلك الطفل وأظهرت أمامه بعض أبيات الشعر التي كتبها الطفل قبل أن يموت، استطاع ذلك الشاب أن يكمل كثيراً من العبارات والأبيات مع أنه لم يقرأها من قبل[٢] .

---

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.
(٢) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

وهذا يؤكد الحالة السابقة من أن الذكريات يمكن أن تكون في القلب.

٥ ـ فتاة تعاني من اعتلال في عضلة القلب

تقول الدكتورة لندا روسكي linda Russek من الحالات المثيرة أيضاً أنه تم زرع قلب لفتاة كانت تعاني من اعتلال في عضلة القلب، ولكنها أصبحت كل يوم تحس وكأن شيئاً يصطدم بصدرها فتشكو لطبيبها هذه الحالة فيقول لها هذا بسبب تأثير الأدوية، ولكن تبين فيما بعد أن صاحبة القلب الأصلي صدمتها سيارة في صدرها وأن آخر كلمات نطقت بها أنها تحس بألم الصدمة في صدرها[١].

٦ ـ الطفل الذي أخذ قلب طفلة غرقت

غرقت طفلة عمرها ثلاث سنوات في المسبح المنزلي، وتبرع أهلها بقلبها ليتم زراعته لطفل عمره تسع سنوات، الغريب أن هذا الطفل أصبح خائفاً جداً من الماء، بل ويقول لوالديه لا ترموني في الماء!![٢].

٧ ـ الطالبة في علم النفس

هنالك طالبة في علم النفس لديها فشل في عمل القلب، أو خلل منذ الولادة، وعمرها ثمانية وعشرون عاماً عندما قاموا باستبدال قلبها بقلب شخص آخر مات حديثاً ماذا كانت النتيجة؟؟ عندما أفاقت بعد العملية، وجد الأطباء أنه هنالك تغييرات في شخصية هذه المريضة، فعلى سبيل المثال: كانت لا تحب الألعاب الرياضية أبداً، وفجأة بعد أن تم زراعة القلب لها أصبحت من المتابعين للعبة كرة القدم. هنالك أنواع من المأكولات لم تكن ترغب في تناولها قبل العملية، وبعد العملية أصبح لديها ميل شديد باتجاه هذه الأطعمة. وهنالك تغييرات كثيرة حدثت في هذه الفتاة[٣].

---

(١) مجلة ديلي ميل ٩/ ٤/ ٢٠٠٨، الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

(٢) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

(٣) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

٨ ـ كلير امرأة عمرها ٤٧ عاماً

كلير هي امرأة عمرها ٤٧ عاماً أصيبت بارتفاع ضغط الدم الرئوي الأساسي، وأشرفت على الموت، وتصادف أن مات شاب عمره ١٨ عاماً بحادث دراجة نارية فأخذوا قلبه ورئتيه وتمت زراعتهما لكلير. تقول كلير: على الفور وبعد انتهاء العملية أحسست أن في صدري قلب يختلف عن قلبي وضرباته تختلف.

إن أول سؤال سأله الصحفيون لكلير بعد العملية ماذا تشعرين الآن: قالت أشتهي «البيرة» بشكل كبير، واستغرب كل من كان حولها من أهلها، فهي لا تشرب «البيرة» أصلاً ولا تحبها، فماذا حدث؟ تتابع كلير قصتها فتقول: لقد بدأت بعد شهر من العملية أشتهي بعض الأطعمة التي لم أكن أحبها مثل الدجاج، وبدأتُ أتصرف مثل الرجال، وكنتُ أحس بأنني رجل ولست امرأة! وبدأت أشعر بميول نحو النساء بدلاً من الرجال! بدأتُ أرى حلماً وهو أن شاباً كان صديقاً لي أحببته ولم أستطع مفارقته وأحسست أننا سنكون معاً إلى الأبد، واسمه «تيم»، وبعدما أفقت من الحلم اكتشفت بعد بحث طويل أن «تيم» هذا هو متبرع القلب والرئتين والذي مات بحادث، وبعد ذلك بدأت «كلير» تبحث عن عائلة المتبرع، لأن الأطباء لا يجوز لهم أن يخبروها عنه، هكذا هي القوانين، لا يسمح بإظهار المتبرع. وبعد بحث طويل بمساعدة الأصدقاء استطاعت الوصول للعنوان المطلوب، وعندما ذهبت إلى بيتهم سألتهم عن اسمه كانت المفاجأة أن اسمه بالفعل هو «تيم» وسألتهم عن شخصيته فقالوا إنه كان يحب البيرة والدجاج والأطعمة ذاتها التي أصبحت «كلير» تحبها![1].

هل أن كل ما جرى لكلير من باب المصادفة؟ هل الإحساس بالذكورة من باب المصادفة أيضاً؟ وهل الرؤيا بـ (تيم) أكثر من مرة من باب المصادفة؟ يا ليت المصادفة تفصح عن نفسها فتقول أنا القلب ولست جزافاً، ولا مصادفة من غير قانون، ولكنه قانون مجهول فنوكله إلى المصادفة لجهلنا به.

---

(١) مجلة ديلي ميل ٩/ ٤/ ٢٠٠٨ .www.binbaze.org

٩ ـ المرأة الشاذة جنسياً

وثّق البروفسور جيري ستيوارت Gary Schwartz حالة غريبة، وهي أن امرأة شاذة جنسياً تحب الوجبات السريعة عمرها ٢٩ عاماً، وقد أصيبت بفشل في قلبها وتم زرع قلب لها مأخوذ من فتاة نباتية لا تأكل اللحوم عمرها ١٩ عاماً، وبعد الزرع مباشرة أصبحت هذه المرأة طبيعية، زال الشذوذ وأصبحت تكره الوجبات السريعة تماماً مثل صاحبة القلب الأصلي(١).

وهناك المئات من الحالات التي حدثت لها تغيرات عميقة بعد زراعة القلب.

ب ـ زراعة القلب الصناعي: Synthetic Heart Transplan

يبدو أن القلب الاصطناعي الكامل الذي يزرع في قلب المريض، لم يف بوعوده بعد، وفق ما قاله مستشاروا صحة حكوميون في الولايات المتحدة، مبدين قلقهم من أن معظم المتلقين القلائل حتى الآن، تعرضوا لمضاعفات خطيرة أكثر مما استفادوا منه. وذكر موقع (السي أن أن CNN) أن القلب الاصطناعي الذي أطلق عليه اسم "AbioCor" كان قد تم اختباره على ١٤ رجلاً فقط، توفي اثنان جراء الجراحة، فيما لم يستيقظ آخر من الغيبوبة. أما الباقون فقد عاشوا لفترة خمسة أشهر، مع استثناء واحد فقط، حيث بقي رجل زرع له القلب حياً لفترة ١٧ شهراً، بعد أن تلف القلب تقنياً(٢).

يقول العلماء: إن ٧٠٪ من الذين أجريت لهم عملية زرع قلوب صناعية انحرفت عقائدهم للإلحاد، وهذا رقم كبير، فإن النسبة تقرب من ثلاثة أرباع المرضى تحولوا إلى ملحدين، وهذا يزيد من احتمالية أثر القلب في العقيدة بنفس هذه النسبة، بل لعله بالأكثر، لأن أسباب عدم الانحراف قد تكون بسبب قوة القلب السابق وأثره وتأثيره في الأعضاء مما جعلها تبقى على العقيدة السابقة، لا أن المسألة مسألة نسبية، والدليل عليه، هذا الكمّ الهائل من الذين استبدلت قلوبهم بالقلوب الصناعية(٣).

---

(١) مجلة ديلي ميل ٩/ ٤/ ٢٠٠٨ akhawat.islamway.com.

(٢) ويكيبيديا زراعة القلب الصناعي AbioCor.

(٣) ويكيبيديا زراعة القلب الصناعي.

تبديل قلب بيتر هيوكتن

تحقيق صحفي حول رجل يدعى peter Houghton وقد أُجريت له عملية زرع قلب اصطناعي، يقول هذا المريض: *«إن مشاعري تغيرت بالكامل، فلم أعد أعرف كيف أشعر أو أحب، حتى أحفادي لا أحس بهم ولا أعرف كيف أتعامل معهم، وعندما يقتربون مني لا أحس أنهم جزء من حياتي كما كنت»*(١).

ثانياً: استبدال الرئة: Lung Transplan

١ - زرع قلب ورئتين:

هنالك شيء آخر يتعلق بمحتوى الصدر أو الرئتين، فعندما قام العلماء باستبدال الرئتين أيضاً لأشخاص لديهم خلل كبير في عمل هاتين الرئتين، استبدلوا هذه الرئة برئة شخص آخر أيضاً شخص مات حديثاً أخذوا رئتيه ووضعوها لمريض بحاجة لهاتين الرئتين، فوجدوا أيضاً أن هنالك تغيرات عميقة تحدث لهذا المريض أيضاً، في شخصيته وفي تصرفاته وفيما يحب ويكره. حتى إن أحد المرضى الذين تم استبدال القلب والرئتين له أي محتوى الصدر كاملاً، بقلب ورئتين من شخص آخر بعدما نجحت العملية وقام هذا الشاب وذهب إلى أهل ذلك الطفل الذي ذلك الشاب الذي تبرّع له بقلبه ورئتيه قبل أن يموت، عندما ذهب إلى بيته وهو يحمل قلبه ورئتيه وجد أنه يعرف هذا البيت من قبل، مع أنها كانت المرة الأولى التي يدخل فيها هذا البيت، ووجد أيضاً أنه يعرف كثيراً عن حياة هذا الشاب، وعندما جاءت والدة ذلك الطفل صاحب القلب والرئتين وأظهرت أمامه بعض أبيات الشعر التي كتبها قبل أن يموت ذلك الشاب، استطاع أن يكمل كثير من العبارات والأبيات مع أنه لم يقرأها من قبل.
وهنا وصل بعض الباحثين إلى نتيجة ثانية توازي بأهميتها النتيجة الأولى: وهي أن

---

(١) جريدة الواشنطن بوست Washington Post في ١١/ ٨/ ٢٠٠٧.

الرئتين أيضاً لديهما ذاكرة ولديهما نوع من تخزين الأحداث أو المعلومات، وكأن في الصدر هنالك مستودع للمعلومات والبرامج(١).

إن الباحث يرى أن الرئتين لهما الدور الكبير في زعزعة عقيدة الإنسان وثباتها، نعم نعتقد أن الرئة لا تؤسس للعقيدة ولا تتبنى عقيدة معينة، بل هي في موضع التشكيك بالاعتقاد، وخاصة الاعتقاد بالله تعالى، فهي محل الوسوسة والشيطنة، وقد مر علينا قول الإمام الرضاعليه السلام في أن الصدر حجاب القلب(٢)، فأنا أعتقد أن الصدر هو بوابة القلب على المحيط الخارجي، وهو الناقل الوحيد لأخبار الخارج إلى الداخل، وكلما سلمت الرئتان من العيوب والأمراض العضوية والعيوب والأمراض الروحية، كلما تحسن عمل القلب وخفت عليه معاناة الخارج من القيم والأفكار، والعكس بالعكس كلما كثرت عيوبها وأمراضها كلما ساهمت في زعزعة العقيدة والانحراف عن جادة الحق والصواب، وعليه فلابدّ للإنسان من رادع قوي يردع الرئتين عن فعلهما، وليس هناك إلا القلب، إلا أن هذا القلب بحاجة إلى التدريب والضغط على أعضاء جسمه كي تستجيب له ولأوامره، وهو بحاجة إلى الصرامة في فرض العقيدة والأوامر، وكلما تساهل مع أعضاء جسمه كلما كانت النتائج عكسية.

إنني عندما أسجل ملاحظاتي عن الرئتين مع عدم وجود المؤونة العلمية، لا يعني هذا أنهما ليستا مهمتين، وإنما كما يقول الفلاسفة وعلماء الكلام «عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود» فإني أعتقد أن الزمن لن يطول حتى يطل علينا علم استبدال الرئة وأثره على الإنسان.

٢ ـ تبديل رئتين لفتاة

إحدى الفتيات عانت لفترة طويلة من التهاب الرئة المزمن، وأكد الأطباء أنها ستموت قريباً، إلا إذا استبدلت رئتيها برئتين سليمتين، وصادف أن مات شاب بحادث

---

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

(٢) صفحة ٦٤.

دراجة نارية، وأسرع الأطباء وانتزعوا قلبه ورئتيه بحالة سليمة، وأجروا زراعة القلب والرئتين لهذه الفتاة. بعد نجاح العملية التف الصحفيون حول هذه الفتاة، وبدأوا بطرح الأسئلة: كيف تشعرين الآن؟ تقول لهم إنني أحس أنني أحمل شخصية أخرى غير شخصيتي، إن سلوكي قد تغير بالكامل، أصبحت أفضل بعض المأكولات التي لم أكن أحبها من قبل! وبعد أن زارت هذه الفتاة أهل الشاب صاحب القلب الأصلي، وحدثتهم عن الأشياء التي أصبحت تحبها، قالوا لها بأن هذا ما كان يحبه ابننا، وأن الأشياء التي تغيرت فيها تشبه شخصية هذا الابن»(١).

٣ ـ تبديل رئة امرأة:

هناك حالات غريبة أيضاً، فبعد إجراء زراعة للرئة، تبين أن هناك تغيرات عميقة في شخصية المريض تحدث عقب استبدال رئته. ومن الحالات أن شخصاً لم يكن يحب كرة القدم، وبعد زرع رئة له أصبح مولعاً بمراقبة هذه اللعبة. وصل البروفسور Gary Schwartz إلى نتيجة وهي: أن للرئتين تأثيراً كبيراً وعميقاً على شخصية المريض، فقد كان لدى إحدى السيدات خوف كبير من المرتفعات يصل إلى الحالة المرضية، ولكنها بعد ذلك تعرضت لخلل في نظام عمل الرئتين، وبعد فترة أُجريت لها عملية زرع الرئة من شخص تُوفي بنتيجة حادث، وكانت المفاجأة أن أول شيء فعلته هذه المريضة بعد العملية أنها قامت بتسلق بعض الجبال! وبعد التدقيق في سجلات صاحب الرئة الأصلي، تبين بأن من هواياته تسلق الجبال!! وهنا نصل إلى نتيجة وهي: أن للرئتين تأثيراً على الدماغ، فالمريضة تولدت لديها عقدة الخوف من المرتفعات، وبعد تغيير رئتيها زالت هذه العقدة فكيف حدث ذلك؟ التفسير المنطقي هو، أن الدماغ يختزن المعلومات ولكن بإشراف الرئتين والقلب، أي أن في صدر الإنسان (في قلبه ورئتيه) مستودع من الخفايا والعقد النفسية والذكريات، هذا المستودع هو الذي يوجه الدماغ في عمله، أي أن الدماغ تابع لمحتوى الصدر، وبالتالي عندما يتغير محتوى

---

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

الصدر بزرع القلب أو الرئتين، فإن الرئة الجديدة تبدأ بممارسة نشاطها وتأثيرها على الدماغ حتى تحدث فيه التغيير المناسب لها. لوحظ أن التغيرات أكبر ما يمكن عندما يتم استبدال القلب أو الرئة، ونحن نعلم أن صدر الإنسان يحوي بشكل أساسي القلب والرئتين، وهنا يمكن أن نخلص إلى نتيجة وهي: أن محتوى الصدر مسؤول عن الذاكرة لدى الإنسان»(١).

(١) الأكاديمية العالمية للتدريب والتطوير/ بحث لـ أ. سندس محمد رشدي.

الباب العاشر

القلب عند العرفاء والشعراء

الفصل الأول : عند العرفاء

الفصل الثاني : عند الشعراء

الفصل الأول
القلب عند العرفاء At Knowings

١ ـ القلب عند ابن عربي

اعلم أيدك الله أن العلم تحصيل القلب أمراً ما على حدّ ما هو عليه ذلك في نفسه معدوماً كان ذلك الأمر أو موجوداً فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب والعالم هو القلب والمعلوم هو ذلك الأمر المحصل وتصور حقيقة العلم عسير جداً ولكن أمهد لتحصيل العلم ما يتبين به إن شاء الله تعالى فاعلموا أن القلب مرآة مصقولة كلها وجه لا تصدأ أبداً فإن أطلق يوماً عليها أنها صدئت كما قال عليه السلام: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد الحديث وفيه أن جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن ولكن من كونه الذكر الحكيم فليس المراد بهذا الصدأ أنه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالله كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب لأنه المانع من تجلي الحق إلى هذا القلب لأن الحضرة الإلهية متجلاة على الدوام لا يتصوّر في حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود لأنه قبل غيرها عبر عن قبول ذلك الغير بالصدأ والسكن والقفل والعمى والران وغير ذلك وإلا فالحق يعطيك أن العلم عنده ولكن بغير الله في علمه وهو بالله في نفس الأمر عند العلماء بالله ومما يؤيد ما قلناه قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ فكانت في أكنة مما يدعوها الرسول إليه خاصة لا أنها في كن ولكن تعلقت بغير ما تدعى إليه فعميت عن إدراك ما دعيت إليه فلا تبصر شيئاً والقلوب أبداً

لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية فكل قلب تجلت فيه الحضرة الإلهية من حيث هي ياقوت أحمر الذي هو التجلي الذاتي فذلك قلب المشاهد المكمل العالم الذي لا أحد فوقه في تجل من التجليات ودونه تجلي الصفات ودونهما تجلي الأفعال ولكن من كونها من الحضرة الإلهية ومن لم تتجل له من كونها من الحضرة الإلهية فذلك هو القلب الغافل عن الله تعالى المطرود من قرب الله تعالى فانظر وفقك الله في القلب على حدّ ما ذكرناه وانظر هل تجعله العلم فلا يصح وإن قلت الصقالة الذاتية له فلا سبيل ولكن هي سبب كما أن ظهور المعلوم للقلب سبب وإن قلت السبب الذي يحصل المعلوم في القلب فلا سبيل وإن قلت المثال المنطبع في النفس من المعلوم وهو تصور المعلوم فلا سبيل فإن قيل لك فما هو العلم فقل درك المدرك على ما هو عليه في نفسه إذا كان دركه غير ممتنع وإما ما يمتنع دركه فالعلم به هو لا دركه»(١).

٢ ـ القلب عند صدر المتألهين (قدس):

فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح العلوي إلى الروح الحيواني وصيره نفساً، ويتكون من سكون الروح إلى النفس القلب، وأعني بهذا القلب اللطيفة التي محلها المضغة اللحمية، فالمضغة اللحمية من عالم الخلق، وهذه من عالم الأمر، وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء من عالم الخلق، ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما الروح والآخر النفس ما تكون القلب، فمن القلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوي ميال إليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله ﷺ فيما رواه حذيفة قال ﷺ ***«القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس، فذلك قلب الكافر، وقلب مربوط على علاقة فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق»***(٢).

---

(١) الفتوحات المكية/ لابن عربي الفصل الثالث في العلم والعالم والمعلوم من الباب الثاني المجلد الأول ص١٣٧.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة/ محمد إبراهيم الشيرازي ج٨ ص٢٧٨.

٣ ـ القلب عند الشيخ محمد مهدي النراقي

قال: *وغاية الكل حتى يصل إلى مقام التوحيد ويتخلص عن وساوس الشيطان ويطمئن قلبه بنور العرفان*(١).

وقال: *فإن الأخلاق المذمومة في القلب هي مغارس المعاصي فمن لم يطهر قلبه منها لم تتم له الطاعات الظاهرة*(٢).

وقال: *الأخلاق المذمومة هي الحجب المانعة عن المعارف الإلهية، والنفحات القدسية إذ هي بمنزلة الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جلية الحال اتضاحاً، كيف والقلوب كالأواني فإذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها معرفة الله وحبه وأنسه، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله **«لولا أن الشياطين يحومون إلى قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض»** فبقدر ما تتطهر القلوب من هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول وتتلألأ فيها حقائقه كما أشار إليه ﷺ **«إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»**، فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصلة عن الأخلاق الرديئة، فكل إقبال على طاعة وإعراض عن سيئة يوجب جلاءً ونوراً في القلب يستعد به لإفاضة علم يقيني»*(٣) ثم يقول: *ثم ما ظهر للقلب من العلوم لطهارته وصفاء جوهره هو العلم الحقيقي النوراني الذي لا يقبل الشك وله غاية الظهور والإنجلاء لاستفادته من الأنوار الإلهية والإلهامات الحقة الربانية، وهو المراد بقوله عليه السلام **«إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء»** وإليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله **«إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى قلبه «ثم** يقول: وبالجملة ما لم يحصل للقلب التزكية له يحصل له هذا القسم من المعرفة إذ*

---

(١) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص٢٣.

(٢) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص٢٤.

(٣) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص٢٥.

العلم الحقيقي عبادة القلب . . . فإذا كان بيت القلب مشحوناً بالصفات الخبيثة التي هي كلاب نابحة لم تدخل فيه الملائكة القادسة . . .[١].

وقال: *ولما سأل* [يقصد القلم] *الإرادة، قالت: «ما انتهضت بنفسي، بل بعثت على أشخاص القدرة وإنهاضها، وبحكم رسول قاهر من حضرة القلب بلسان العقل، وهذا الرسول هو العلم، فالسؤال عن انتهاضي يتوجه على العقل والقلب والعلم» ولما سألها قال العقل: «أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت» وقال القلب «أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت» وقال العلم: «أما أنا فنقش نقشت في لوح القلب لما أشرق سراج العقل»*[٢].

يقول السيد عبدالله بن محمدرضا الحسيني الكاظمي في كتابه «السلوك إلى الله»، قال: *الفصل التاسع عشر: في ذكر الجوارح: وأما طاعات القلب وتقواه فهي صفاته الحميدة، وأخلاقه الحسنة وهي كثيرة: منها: الفرائض بها ينال أصل الحياة. ومنها: النوافل يحصل بها الفوز بالدرجات فمن الفرائض تَعلُّم العلوم التي هي معرفة العقائد الحقة الدينية، ولو إجمالاً، ومعرفة الأحكام الشرعية الواجبة عليه عن بصيرة، أو استبصار، ومعرفة آفات النفس، وأخلاقها الحسنة، والرذيلة لتكتسب، أو تتجنب، والتوبة عن الذنوب كبيرها، وصغيرها، وشكر نعم الله الدنيوية، والأخروية، والصبر على المصائب، والطاعات، وعن المعاصي، والشهوات، والزهد في زخرف الدنيا، والتوكل على الله في الأمور، وتفويضها إليه سيما في الرزق، والرضا بقضائه والتسليم لأمره، والخوف، والخشية منه، والرجاء، والطمع في رحمته، ومعرفته، والنية، والإخلاص له، واليقين. ومن النوافل التفكّر في مصنوعات الله، زيادة على ما يتوقف عليه المعارف الضرورية، ومراقبة النفس، ومحاسبتها، وزيادة على ما يتوقف عليه تحصيل الأخلاق الواجبة، وذكر الموت، وما بعده كذلك، وتحصيل فضيلة الحكم*

---

(١) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص ٢٦.

(٢) جامع السعادات/ الشيخ محمد مهدي النراقي ص٩٠.

التي هي استقامة القوة العقلية من غير ميل إلى طرف إفراط الجربزة، والتفريط البله، وما يتبعها من حسن التدبير، وجودة الذهن، ونقاية الرأي، وصواب الظن، ومعرفة تفسير القرآن، والحديث، ومسائل الفقه، زيادة على الواجب، وتحصيل الشجاعة التي هي استقامة القوة الغضبية . . . . وهكذا يذكر الصفات الأخرى من الحلم والكرم والنجدة والخمود والمسامحة وغيرها من الأخلاق الحميدة، ثم يقول. . وأما معاصي القلب فأضداد هذه المذكورات. . .(١).

ويقول: فإن كثرة المزاح يذهب بماء الوجه، وكثرة الضحك يمحو الإيمان محواً، ويسقط المهابة، ويسجر الوحشة، ويؤذي القلب وهو مبدأ اللجاج، والتصادم، ويغرس الحقد في القلب.

وأما البطن: فاحفظه عن تناول الحرام، واجتهد في طلب الحلال، وإذا وجدته فاحرص على الاقتصار على ما دون الشبع، فإنه يقسي القلب. . .(٢).

قال: ومهما انكسر قلبك حزناً على تقصيرك في حث دينك فهو صاحبك وملازمك [يقصد الله تعالى]، إذ قال أنا عند المنكسرة قلوبهم(٣).

٤ ـ كتاب رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

قال: وكما أن الإيمان الأصغر هو روح الإسلام الأصغر ومعناه، وأن الإسلام قالبه ولفظه، وأن حصوله مشروط بتخطي الإسلام الأصغر اللسان والجوارح والقلب، فكذلك الإيمان الأكبر هو روح الإسلام. .(٤).

قال: وأهم الأعضاء التي يجب أن يوفى حظه من الإيمان، القلب، لأنه أمير

---

(١) السلوك الى الله/ محمد رضا الحسيني الكاظمي ص ١٩٥ ـ ١٩٨.
(٢) السلوك الى الله/ محمد رضا الحسيني ص ٢١٦.
(٣) السلوك الى الله/ محمد رضا الحسيني ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
(٤) رسالة السير والسلوك/ بحر العلوم ص ١٠٤.

البدن، ولأن إيمان القلب يتعداه إلى سائر الأعضاء والجوارح كما في حديث الزبيري وحماد السابقين. فيجب مراقبة القلب في جميع الأحوال. وأما إيمانه فبالذكر والتفكّر، ولذا ورد في أحاديث عديدة أن أفضل العبادة التفكّر والذكر. ولذا جاء في كتاب الله ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت/ ٤٥] وبه يصل الإيمان التام ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد/ ٢٨][(١)].

قال: وللمرحوم الحاج السبزواري (قدس سره) كلام في هذه الأسفار الأربعة ذكره في حاشيته على الأسفار ج١ ص١٨ نورد خلاصته هنا:

قال الشيخ المحقق كمال الدين عبد الرزاق الكاشي (قدس سره): السفر هو توجه القلب إلى الحق تعالى، والأسفار أربعة:

الأول: هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الاسمائية.

ثم يقول: السفر الأول (وهو من الخلق إلى الحق) يرفع الحجب الظلمانية والنورانية، حيث إن الحجب الظلمانية متعلقة بالنفس، أما الحجب النورانية فمتعلقة بالقلب والروح. ويجب على السالك أن يعبر الأنوار القلبية والأضواء الروحية، وأن يتحرك من مقام النفس إلى القلب ومن القلب إلى الروح ومن الروح إلى المقصد الأقصى[(٢)].

قال: على أن مرافقة السالك للأستاذ العام لازمة أيضاً، لأن النفحات الرحمانية من جانب رب العزة تصل إلى السالك عن طريق الحجاب الأقرب (وهو الأستاذ الخاص) بواسطة القلب الأستاذ العام، ومن هنا فإن على السالك أن لا يغفل عن الإفاضات القلبية للأستاذ العام كي لا يحرم من إفاضاته المعنوية[(٣)].

---

(١) رسالة السير والسلوك/ بحر العلوم ص١٤٠.
(٢) رسالة السير والسلوك/ بحر العلوم ص ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٣) رسالة السير والسلوك/ بحر العلوم ص٢٠٧.

٥ ـ القلب عند العارف محمد البهاري الهمداني

. . . . لكي يخرج من منزله طاهراً مطهراً، بل يقطع جميع علائقه ومشاغله القلبية لكي يتوجه بجميع قلبه وبكل وجوده إلى ربه تبارك وتعالى، خروج من لا يأمل بالعودة من هذا السفر(١).

وقال: *وينبغي له أن يعلم أن الطواف لا ينحصر بالطواف بجسمه حول البيت، بل ثمة طواف آخر هو أصل الطواف الحقيقي وهو طواف القلب بذكر الله، وأصالته ترجع إلى كون المناسك والأعمال البدنية الظاهرية هي أمثلة يصل الإنسان بواسطتها إلى تلك المعاني الأصلية . .*(٢). وقال: *إذا دخل العشق إلى جوف القلب ألقى العقل رحله خارج القلب.*

أعلق فقط على هذا المقطع الأخير، فقد يتصور البعض أن العقل ليس في القلب، وأن القلب محل العواطف فقط، والصحيح أن العقل والعواطف محلها القلب، ومن نفس هذا النص، فلو لم يكن العقل محله القلب كيف يخرج منه ليحل محله العشق؟ هذا أولاً وثانياً ليس العشق في هذا المعنى المتعارف بين الناس، وهو العشق الغزلي الجنسي، بل العشق الإلهي الذي هو أصل كل عشق ومبدؤه، وليس فوق هذا العشق عشق، وهذا العشق هو الشعور والإحساس والعمل بلذة التوحيد، والفناء في الله تبارك وتعالى، وهو المحو كما يعبر عنه العرفاء، لكنه المحو مع الصحو، لا مع الغفلة، نعم الغفلة عما عند العباد، ولكنه يتعبد ويعمل ويأكل ويأتي النساء والملذات، لكنه زاهد فيها، وهل هناك أكثر عشقاً لله من رسول الله ﷺ؟ أو من أمير المؤمنين عليه السلام؟ مع أنهم كانوا مع الناس في عملهم وطعامهم وملبسهم وحروبهم ومع نسائهم كذلك، وهذا والله هو العقل التام الكامل الذي كان قلب أمير المؤمنين عليه كما قرأت قوله عليه السلام.

---

(١) تذكرة المتقين من رشحات أقلام الهاري، الكربلائي، السداني، البيدآبادي ص٦٩.

(٢) تذكرة المتقين من رشحات أقلام الهاري، الكربلائي، السداني، البيدآبادي ص ٧٨.

إن دخول العشق الإلهي إلى القلب يجعل العاشق مستغنياً عن بقية العلوم، لأن هذه العلوم ما هي إلا رشحة من علم التوحيد، فلا يحكم عقله بما أفاض الله عليه من علم العلوم وأخصها وأعظمها شرفاً وعلواً وأنفعها على الإطلاق، بل إنه يستغنى به عن غيره، وما تحصيلنا لبقية العلوم إلا لنصل إلى هذا العلم الشريف.

وقال: *وملخص الكلام، أنه لا ينبغي لطالب التقرب الإلهي ـ بعد السعي الجاد في المراقبة ـ أن لا يغفل عن قيام الليل والتهجد في الأسحار ساعة أو ساعتين ـ كحد أدنى ـ قبل طلوع الفجر، ويستمر إلى طلوع الشمس، فيصلي نافلة الليل ملتزماً بآدابها وبحضور القلب فيها، وإذا اتسع وقته فليتوجه إلى الذكر أو التفكّر أو المناجاة، لكن عليه أن يقبل على الذكر مع حضور القلب في مقدار معين من ليله يخصصه لذلك، ولا ينبغي أن يخلو قلبه من الحزن في جميع حالاته، فإن لم يكن فيه حزن فليحصل عليه بتوفير أسبابه*[١].

٦ ـ القلب عند السيد علي القاضي (قدس سره)

السيد القاضي كان متأثراً جداً برواية عنوان البصري، وهذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام كما نقلها العلامة المجلسي في بحاره ج١ كتاب العلم باب آداب طلب العلم ح١٧، وسآخذ منها قدراً ما يناسب المطلب.

فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليَّ ويرزقني من علمك وأرجو أنّ الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقلا: يا أبا عبدالله! ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه. . . . .

ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم فاحفظها: إياك والتهاون بها!

قال عنوان: ففرغت قلبي له[٢].

---

(١) تذكرة المتقين من رشحات أقلام الهاري، الكربلائي، السداني، البيدآبادي ص٢٠٤.

(٢) أسوة العرفاء/ صادق حسن زاده ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

٧ ـ القلب عند السيد الخميني (قدس سره)

وبعض من القلوب خوفيّ ومن مظاهر الجلال، وأرباب تلك القلوب يدركون دائماً العظمة والكبرياء والجلال، وخشوعهم يكون من الخوف، ومن تجلي الأسماء القهرية لقلوبهم، كما أن يحيى، على نبينا وآله وعليه السلام، كان هكذا. فالخشوع يكون ممزوجاً تارة بالحب وأخرى بالخوف والوحشة، وإن كان في كل حب وحشة، وفي كل خوف حب.

ومراتب الخشوع على حسب مراتب إدراك العظمة والجلال والحسن والجمال، وحيث إن أمثالنا مع ما لنا من هذه الحالة، من نور المشاهدات محرومون فلا بدّ أن نكون بصدد تحصيل الخشوع من طريق العلم أو الإيمان. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ②﴾[1] فجعل الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلائمه.

ثم يقول: ونذكر لذلك مثلاً، وهو أن الذكر الشريف (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إذا قاله أحد من قلبه وباطمئنان من لبه وراح يعلم القلب هذا الذكر الشريف فيتعلم القلب الذكر ويتكلم به شيئاً فشيئاً حتى يتبع لسان القلب اللسان الظاهر فيكون القلب ذاكراً أولاً ثم يتبعه اللسان الظاهر، ويكون ذاكراً وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام، على ما في رواية مصباح الشريعة قال: اشعر قلبك قبلة للسالك لا تحركه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضى الإيمان[2].

٨ ـ القلب عند السيد عبدالأعلى السبزواري (قدس سره)

(وقد دلت الأدلة العقلية والنقلية على أن المأكولات لها الدخل الكبير في إصلاح أو إفساد النفوس، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أنَّ القلب في الإنسان هو المركز وله السيطرة على الحواس التي تسترشد منه، ولا ريب أن الذي يغذي القلب هو الدم وهو

---

(١) المؤمنون ١ ـ ٢.

(٢) الآداب المعنوية للصلاة/ السيد روح الله الخميني ص٤٠ وص٤٨.

خلاصة ما يأكله الإنسان وعصارة ما يطعمه، فإذا فسد هذا الطعام مادياً ومعنوياً فإنه يفسد الدم فيكون الغذاء الذي يغذي القلب منه فاسداً فيفسد بالآخرة، فيكون الأكل من المقدمات التربوية في تهذيب القلب ولعله إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[1].

٩ ـ جواد الملكي التبريزي

قال: ... وفي مصباح الشريعة يقول الإمام الصادق عليه السلام في تعريف العارف: والعارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه...[2].

قال الميرزا جواد الملكي التبريزي: إن جميع حركات الإنسان وسكناته الاختيارية منشأها عزمه وإرادته وحبه وبغضه واستشعار السعادة والشقاوة، وبالجملة جميع حركات الأعضاء وسكناته ناشئة من أثر أحوال القلب. وصفاته وأحوال القلب منشأها أما ما يؤثر فيه من الظاهر من أعمال الجوارح لاسيما الحواس أو من الباطن، فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان، فإنه إذا أدرك بحواسه شيئاً حصل منه أثر في القلب إن خيراً فنور وصفاء، وإن شراً فظلمة وكدر، وكذا إذا هاجت الشهوة مثلاً بكثرة الأكل وبقوة المزاج فإن لها أثراً في القلب، وهذه الآثار تبقى وتؤثر في انتقال الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقالها ينتقل القلب من حال إلى حال، والقلب دائماً في التغير والتأثر مما يرد عليه من آثار الأسباب المذكورة، وأخص الآثار الحاصلة فيه هي الخواطر، وأعني بالخواطر ما يعرض فيه من الأخطار والأذكار، أما على سبيل التجدد أو التذكر، ومنها يحصل الشوق والنفور، ومنها ينبعث إرادة الجلب والدفع، فإن النية والإرادة والعزم إنما تحصل بتأثير الخواطر.

---

(١) عبس/ ٢٤ نقلاً عن كتاب الشفاء في الغذاء السيد حسين نجيب محمد ص٥٦.
(٢) مشكاة العارفين/ إعداد عبدالرحيم حاتم ص٨.

ثم يقول: واللطف الذي يتهيأ به القلب لإلهام الملك وقبول إلهامه يسمى توفيقاً، والذي يتهيأ به لوسوسة الشيطان وقبول وسوسته يسمى خذلاناً.

ثم يقول: والقلب دائماً متجاذب بينهما، فإذا عرفت ذلك تعرف قطعاً أن للأعمال، بدنياً كان أو قلبياً تأثيراً في التوفيق والخذلان(١).

١٠ ـ القلب عند الشيخ بهجت (قدس سره)

سئل الشيخ. . لم نشعر باللذة في عباداتنا؟

أجاب: أن لا يرتكب الإنسان الذنوب، ولا يلوث القلب بالمعاصي. فإن المعصية تكدر صفاء الروح وتطفئ نور القلب. سألوا يوماً: ماذا نفعل كي ننال حضور القلب في الصلاة؟ فقال: من العوامل الرئيسية التي تسبب حضور القلب في الصلاة هي أن نسيطر على حواسنا الخمسة(٢).

١١ ـ كتاب العرفان الشيعي للسيد كمال الحيدري

قال: وأما كيفية تحصيل العلوم الحقيقية ـ أي الإرثي الإلهي ـ فهو في غاية السهولة، لأنها موقوفة على فراغ القلب وصفاء الباطن(٣).

قال: وعرف التصوف في «دائرة معارف القرن العشرين» بأنه «مذهب الغرض منه تصفية القلب عن غير الله، والصعود بالله إلى عالم التقديس، بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه»(٤).

قال: قال في تمهيد الفوائد، لابدّ للسالكين من أصحاب المجاهدات السائرين في طريق الحقيقة بمساعي الجد والإجتهاد أن يحصلوا على العلوم الفكرية والمعارف اليقينية النظرية بعد تصفية القلب عن شوائب النسب الخارجية بقطع العلائق المكدّرة

---

(١) مشكاة العارفين/ إعداد عبدالرحيم حاتم ١٣٧ص ـ ١٣٨.

(٢) أسوة العارفين/ محمود البدري ص١٢٣.

(٣) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص١٩.

(٤) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص٥٦.

وتحليته بمكارم الأخلاق ومحامدها[١].

وقال: *فالعرفان مذهب فكري يرمي إلى معرفة الحق تبارك وتعالى ومعرفة حقائق الأمور وله رؤية في الكون والوجود تستند في بنيتها المعرفيّة إلى المعرفة الوجدانية القلبية*[٢].

قال: *وكما ميز الصوفية بين القلب والعقل من حيث هما أداتان للإدراك ميزوا بين* نوعي الإدراك الحاصلين منهما[٣].

قال: . . *ترى أن الأداة الوحيدة التي توصلنا إلى معرفة حقيقة الوجود وإلى كنه الوجود وإلى معرفته كما هو عليه في الواقع هي المجاهدة والرياضة إذ إنه من خلال «التزكية» و«تصفية القلب» يمكن للسالك الوقوف على حقيقة الوجود من حوله، ومن خلال ذلك يمكنه الوصول إلى المعرفة الصحيحة بالله تعالى وبنفسه وبالعالم*[٤].

قال: *فالقلب عند الصوفية هو محل الكشف والإلهام، وأداة المعرفة، والمرآة التي يتجلى على صفحتها معاني الغيب*[٥].

قال: *أما الورع بحسب الباطن، فهو بمثابة رياضة أخلاقية لتصفية الباطن ورفع الكدورة عن القلب، قال القاساني، «الورع هو تطهير القلب عن دنس التعلق بالحرام في الشريعة أو الطريقة أو الحقيقة»*[٦].

---

(١) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص ١٧٢.

(٢) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص ١٩٣.

(٣) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص ١٩٧.

(٤) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص ٢٠٥.

(٥) العرفان السيعي/ السيد كمال الحيدري ص ٢٠٦.

(٦) العرفان الشيعي/ السيد كمال الحيدري ص٢٦٠.

الفصل الثاني

القلب عند الشعراء At Poets

نقلت استعمال القلب عند مختلف الشعراء، عند المسلم وعند العلماني، عند القديم وعند الحديث، عند الشاعر وعند العالم، في القريض وفي الحر، حتى ترى عزيزي القارئ أن القلب ليس فقط عند الروحانيين أنه يعني العقل أو الحب أو البغض، بل حتى عند العلماني، لأنه قضية فطرية، لا يمكن التخلص منها، كما يقول الدكتور باول بيرشل: *إنك عندما تفاجئ بشيء أو تفرح أو تحزن، تضع يدك على صدرك دون أن تشعر.*

إن هذا الحشد الكبير من أشعار الشعوب في ثمان لغات، على اختلاف أشعارها وقيمها وعاداتها وعقائدها، لهو من الأدلة على أن القلب المذكور في الشعر والأمثال والحكم، غير القلب المعهود عند علماء الطب، ولا أنه من تخيلات اللغة العربية فقط حتى يقال إن القرآن العظيم نزل بلغتهم وبلسانهم، ولما كان القلب كناية عن العقل وليس المقصود هذا القلب العضوي، نقول لهم: لو أن ما تدعون صحيح، لما كان القلب بهذا المعنى في لغات العالم، التي وصفته بمركز العواطف والخوف والحب والكره وغيرها من الصفات التي هي بالأصل من العقل، وأما ما يقال إن القلب للعواطف وأن الدماغ للعقل، فهذا كلام وهن، ليس له من الصدق قيد شعرة، فالحب عقل والكره عقل والخوف عقل، لأن هذه المشاعر تبتني على التفكّر والتدبّر، وهي العقل بعينه، وإنما مثل العاطفة والذاكرة أو حل المسائل العلمية، مثلها مثل الاختلاف

بين العلوم، فعلم الرياضيات غير علم الفقه وهما غير علم الجغرافية، وهكذا غيرها من العلوم.

فما يسمى بالعاطفة عقل يستند على مقدمات نفسية (سيكلوجية)، وأما ما يُسمى بالعقل فعقل يستند على مقدمات موضوعية (واقعية في نظر المتعقل)، وهذا ما عبر عنه السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) في كتابه الأسس المنطقية للاستقراء، قال: *فاليقين الذاتي هو التصديق بأعلى درجة ممكنة سواء كانت هناك مبررات موضوعية لهذه الدرجة أم لا. واليقين الموضوعي هو التصديق بأعلى درجة ممكنة على أن تكون هذه الدرجة متطابقة مع الدرجة التي تفرضها المبررات الموضوعية، أو بتعبير آخر: إن اليقين الموضوعي هو أن تصل الدرجة التي تفرضها المبررات الموضوعية إلى الجزم... وهكذا نعرف: أن اليقين الموضوعي له طابع موضوعي مستقل عن الحالة النفسية والمحتوى السيكولوجي الذي يعيشه هذا الإنسان أو ذاك فعلاً، وأما اليقين الذاتي فهو يمثل الجانب السيكولوجي من المعرفة*[1].

اولاً: في الشعر العربي Arabic Poetry

بائية الكميت

إليكم ذوي آل النبي تطلعت ... نوازع من قلبي ضماء وألبب

بائية الناشئ الصغير

ولا سيما أبو حسن علي ... له في الحرب منزلة تهاب

كأن سنان ذابله ضمير ... فليس عن القلوب له ذهاب

بائية الشريف الرضي

لعلي أن أبل بكم غليلاً ... تغلغل بين قلبي والحجاب

(١) الأسس المنطقية للاستقراء المفكر والفيلسوف آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ص٣٢٥ـ ٣٢٦.

تائية دعبل

فلولا الذي نرجوه في اليوم أوغد تقطع قلبي إثرهم حسرات

رائية الكاظمي

ورنت لتعلم كيف فتك لحاظها فتكت لحاظك في القلوب فاقصر

عينية السيد الحميري

ذكرت ما قد كنت ألهو به فبت والقلب شج موجع

عينية ابن أبي الحديد

والحبر يصدع بالمواعظ خاشعاً حتى تكاد لها القلوب تصدع

عينية العمري

عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو كان العلاج بغير البيض ما نجعا
مستنبط من قليب القلب ينضحه فكر وهل تنزح الأفكار مانبغا

كافية الجبري

ويصدن صائدة القلوب بأعين نجل كصيد الطير بالإشراك

ميمية عبدالحسن زلزلة

دوي بقلب المستكين وجلجلي صوتاً يريع الظالمين ويلجم

ميمية الحمداني

وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا يوماً ورأيهم رأي إذا عزموا

هائية الأزري

عودونا على الجميل كما كنتم فقد عاود القلوب أساها[١].

---

(١) جميع الأبيات الشعرية السابقة من كتاب القصائد الخالدات.

الشيخ أحمد الوائلي

حمل العرب بين جنبيه روحاً ... ورجاء بقلبه لا يخيب

وقال:

وتبقى ضرائحنا ها هنا ... مزار القلوب مدى الأحقب[١].

المعتمد بن عباد

كم زفرة من شغاب القلب صاعدة ... وعبرة من شؤون العين تنحدر

ابن الدهان

يظنون دمعي من قذى العين دامياً ... وجدك ما يدميه إلا جوى القلب

ابن حزم الأندلسي

إذا ما جفون العين سالت شؤونها ... ففي القلب داء للغرام مبرح[٢].

ابن الصيفي

العين تبدي الذي في قلب صاحبها ... من الشناءة أو حب إذا كانا

إن البغيض له عين يصادقها ... لا يستطيع لما في القلب كتمانا

فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من صميم القلب تبيانا[٣].

مظفر النواب

حطموها على قحف أصحابها

اعتمدوا القلب

فالقلب يعرف مهما الرياح الدنيئة سيئة جارفة

---

(١) ديوان الشيخ أحمد الوائلي.

(٢) المعتمد وابن الدهان وابن حزم من كتاب العين/ الشيخ الدكتور خالد عبدالوهاب ص٥٤.

(٣) كتاب العين/ الشيخ الدكتور خالد عبدالوهاب ص ١٠٦ عن معجم الأدباء فصل سعد بن سعيد ج١ص٤٧٩ .

وقال:

لكل نديم يؤرق

والقلب مل نديمه

وقال:

قلبي مبتهج تعب[١].

ثانياً: في الشعر الانكليزي English Poetry [٢].

I wrote your name on sand it got washed
I wrote your name in air, it was blown away
Then I wrote your name on my heart & I got Heart Attack

كتبت اسمك على الرمال فمُسِحَ

كتبت اسمك في الهواء فتطاير

بعدها كتبت اسمك في قلبي فأُصبت بنوبة قلبية

*Most people walk in and out of your life, but only FRIENDS leave footprints in your heart

معظم الناس يدخلون ويخرجون من حياتك، لكن أصدقائك الحقيقيون هم من لهم موضع قدم في قلبك

Take heed, dear heart, of this large privilegeee ;
The hardest knife ill _ used doth lose his edge

انتبه، أيها القلب العزيز، لهذه الميزات الكبرى،

إن أكثر السكاكين صلابة يضيع حدها إذا أُسيئ استخدامها.

ثالثاً: في الشعر الفرنسي Franch Poetry

عندما قالت لي: أبى

(١) الأعمال الشعرية الكاملة.

(٢) جميع المقاطع الشعرية التالية منقولة من مواقع متعددة من الشبكة العنكبوتية.

صرخت من قلبي: يا الله

عبر رؤاى التي لا تحصى

سمعت كلامها المنتشى

L'amour a son instinct,
il sait trouver le chemin du Coeur

فطرة الحب تقوده ليجد طريق القلب

Suivre le même chemin.

نختار نفس الطريق

Des rêves plein le coeur,

أحلام تملاء القلب

Que du plaisir, aucune rancoeur

إذا وجد الحب لا وجود للحقد

إذا استطعت أن تخرج من الدنيا، سليم الصدر فافعل

فإنك إن لم تملك قلوب الآخرين

فستخرج بقلبك وكفاك.

رابعاً: في الشعر الفارسي Persian Poetry

رباعيات للشاعر عبد الله الأنصاري (القرن الحادي عشر الميلادي)

لا أريدُ منكَ الحياةَ

الخالدة، و لا أريدُ نُعمَ الحياة ورغدَها،

وليس القلبَ وسكونَ الروحِ،

ما أريدُه، ما أرغبُ فيه هو كل شيء يرضيك.

خامساً: في الشعر الإسباني Spanish Poetry

Algla Belklb ojo Bo lejos.
en mi mente que, Diem...

y puede pasar el tiempo y vamos a abusar del coraz?n
y Akinkm que Diem.

الغلا بلقلب بو تبعد العين. . .

في خاطري دايم ذكركم. . .

ويمكن يمر الوقت ونكون لاهين. .

ولاكنكم بالقلب دايم ذكركم

يؤسفني أن الشعر مترجم فقط ولم يذكر الناشر أو المترجم المتن، وإنما ذكر الترجمة، فأعتذر مرة أخرى عن عدم قدرتي على ترجمة النصوص، وأعتذر عن الترجمة باللهجة العامية من الشبكة العنكبوتية.

سادساً: الشعر الصيني Chinese Poetry

الشاعر: شي جي

وفجأة في ألم قلبي انقبضْ

لابدّ أن إبرة قد نفذتْ في الصدرْ

من يد أمي

حينما كانت تخيط في القميص الزرْ

في هذه اللحظةِ قلبي انقلبْ

طائرة من ورقْ

في يد أمي كان خيط الطائرة

الخيط مربوط بإحكام

الشاعر: بي داو

مراتي في العمر كذبتْ

لكني دوماً أحترم بإخلاصي

عهداً كان بصغري

ولذلك لم يقدر قلبي الطفلْ

أن يتآلف مع دنيا قاسية

هذا العالم لم يغفر لي

سابعاً: الشعر التركي Turkish Poetry

Dünde, bugünde, yarind
Yüregin kadar yanindayim.
Kendini yalniz hissettiginde elini kalbine koy;
ben hep ordayim!
ben hep ordayim!

بالأمس واليوم وفي الغد

أنا إلى جانبك مثل قلبك

وعندما تشعرين بالوحدة ضعي يدك على قلبك

فأنا موجود هناك على الدوام

وهذا مقطع آخر من القصيدة

Agirdir sevmelerim her yürek tasiyamaz,
büyüktür umutlarim her omuz kaldiramaz,
her sey olur da su kalbim, bir tek sensiz olamaz.

محبتي ثقيلة لا يستطيع كل قلب حملها

آمالي كبيرة لا يستطيع كل كتف رفعها

كل شيء ممكن إلا قلبي فإنه من دونك لا يستطيع أن يكون

ثامناً: الشعر الأوردي Ordu Poerty

الشاعر (مير)

كيا كهتي كيا ركهي هي هم تجه سي يار خواهش

يك جان وصه د تمنّى، يك ده ل هه زار خواهش

وترجمته :

(ياحبيبي، لا أستطيع أن أخبرك بكل ما أريد منك

لي روح واحدة ولدي مئات الأماني،

ولي قلب واحد وعندي آلاف الأحاسيس)

ويصف معاناة الحبيب بقوله :

دل جه لتي كجه بن نهي آتي، حال بكرتي جاتي هي

جيسي جراغ آخري شب هم لوك نهرتي جاتي هي

وترجمته :

(حين يشتعل القلب ناراً،

لا تستطيع أية قوة إنقاذنا من مصيرنا

مثل السراج الذي يحترق طوال الليل،

كذلك نحن نستهلك باستمرار)

الباب الحادي عشر

زبدة المخاض

١ـ حسم النزاع

٢ ـ الفرق بين العقل والفكر

٣ ـ العقل والفكر والتفكّر والتفكير والعلم

٤ ـ الملاحظة الأولى

٥ ـ الملاحظة الثانية

٦ ـ تبرع الرجل للمرأة وبالعكس

٧ ـ عمليات المستقبل

٨ ـ الأسئلة التي واجهت البحث والمحتملة المواجهة

زبدة المخاض

١ ـ حسم النزاع

النزاع بين العقليين والحسيين نزاع عميق وقديم قدم المعرفة الإنسانية، ولن يتوقف هذا النزاع إلا بعد إقامة الحجة التجريبية على صحة رأي العقليين، وهذا لا يتم إلا لمن كان له المعرفة التامة بعقول الناس وتطلعاتهم وخفايا نواياهم. ولما غيّب هذا الفرد من الناس الذي له القدرة التي ذكرتها، فسيبقى هذا النزاع قائماً مادام الولي غائباً.

ونحن إذ نسأل الله تعالى أن يعجل بفرج قائم آل محمدﷺ وذلك من خلال العلم والعمل بالنهج الإسلامي القويم، في نفس هذا الوقت لا يسوغ لنا أن نترك الحبل على الغارب، ونتكأ على ظهوره المبارك، بل علينا أن نقيم الحجة العلمية المثلى، سواء في الأدلة العقلية أو الخوض في تجارب علمية تعتمد على العقل وهم يعتقدون بها، وهذا ما قمت به في هذا البحث والبحث اللاحق وهو بحث الجينات الروحية، أو من خلال المفهوم العرفي لإقامة الحجة على هذا الادعاء.

فنقول في المناظرة التي تقع بين أصحاب فكرتين ومنهجين: لو صادف أن وافق الطرف (أ) على فكرة ما ووافقه الطرف (ب) عليها فلا خلاف ولا نزاع بينهما، ولكن لو وافق الطرف (ب) على جزء فكرة الطرف (أ) ولكنه ظل معتمداً فكرته، فنقول له قد خسرت السباق.

الآن قضيتنا وهي قضية الصراع على محل العقل أفي القلب أم في الدماغ، فقد بدأ أصحاب التجربة يخوضون في تجارب أبطلت الكثير من آرئهم السابقة المبنية على

مركزية الدماغ، وذلك من ما يلاقوه من حالات غريبة على الفكر والنظرية التجريبية، وخاصة بعد انتشار عمليات زرع القلب الطبيعي والصناعي والنتائج التي تتمخض عن هذه العمليات، والتي تهد كيان العقيدة لكثير ممن أجريت لهم هذه العمليات، والتصرفات الشخصية المتغيرة عما كانت عليه لأصحاب القلوب المستبلة، وتلبسهم بتصرفات أصحاب القلوب المانحة لهم بنسب مختلفة.

إنني إذ أُؤكّد على محورية القلب في العقيدة والإيمان والتفكر والتدبر، وهذا ما يؤكده العلم الحديث، نخلص إلى فكرة وجود علم سابق في خلق الإنسان، وغير مأخوذ من التجارب، وهذا العلم على أقل تقدير القانون البديهي الذي لا يحتاج إلى برهان وهو بديهة التناقض القائلة (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان)، وهي أم الحقائق كلها كما قلت في الطريق الثاني من كيفية حصول العلم في القلب فراجع.

الآن قال التجريبيون: إن القلب ليس فقط مضخة دافعة للدم، ومع ذلك مازالوا يقدمون الدماغ عليه، ولأن العلم في حالة تغير وتبدل والمكتشفات العلمية تميل شيئاً فشيئاً إلى جهة العقليين، فيتحصل من هذا أن الشهادة العلمية في محورية ومركزية القلب في صالح العقليين وذلك بحسب قانون الاحتمال.

لقد ثبت هذه المقالة الصغيرة لغرض إثبات وجود الله تعالى ـ وعلى أقل تقدير ـ في كل نفس إنسانية وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) ـ وإلا نحن نعتقد أن هذه البديهة في الحيوان أيضاً ـ، ولو أننا وافقناكم جدلاً على أن الأشياء موجودة منذ الأزل، فنقول: هل أن الأشياء تتبدل أو لا؟ فإن قلتم: لا، فقد أوقفتم كل التجارب العلمية مع أنها جارية حتى في داخل أجسامكم، فتغيركم من الشباب إلى الشيخوخة وحركة الإلكترون حول النواة وغيرها، فكذبتم على أنفسكم فضلاً على غيركم، وإن قلتم: نعم، فمن المغير؟ فإن قلتم: إن المغير هو

---

(١) الروم/ ٣٠.

المتغير، أقول: صار المتغير موجوداً قبل أن يوجد، أي أنه موجود ومعدوم في نفس الوقت، وهذا يكفي لبطلان رأيكم، فلا يبقى إلا أن نقول: إن المغير غير المتغير، وذلك لأن المغيّر لا بدّ أن يكون عالماً بشؤون المتغير أولاً وقاصداً لما يريد من التغيير ثانياً، هذا كله أولاً وإن المغير ثابت غير متغير مطلقاً وهذا ثانياً وإلا لعاد نفس الإشكال.

٢ ـ الفرق بين العقل والفكر

بين العقل والفكر عموم وخصوص، فكل عقل فكر وليس كل فكر عقل، لأن العقل أعم من الفكر، بل الفكر من أدوات العقل، ومن أدوات العقل الإلهام، كالإلقاء في الرُوُع أو النقر بالأذن، وهو المتعلق بالله تعالى، فإذا أخطأ الفكر الطريق حاد عن العقل وذهب صوب النكراء، فيسمى عند العوام بالعقل، وهو عند الخواص وفي الحقيقة ليس بعقل بل النكراء والشيطنة.

العقل: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل(١).

هذا من حيث اللغة، ولكون اللغة حيادية فلا تفرق بين القوة المؤدية للرحمان والقوة المؤدية للشيطان، وأما من حيث الاصطلاح فهو:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهي وإياك أُعاقب وإياك أُثيب(٢).

يطلق العقل على ستة معانٍ:

الأول: قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الأمور ذوات الأسباب وما يؤدي إليها وما يمنع منها. والعقل بهذا المعنى مناط التكليف والثواب والعقاب.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني باب العين ص٥٧٧.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل ح١.

الثاني: ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخيرات والمنافع، واجتناب الشرور والمضار.

الثالث: القوة التي يستعملها الناس في نظام أمور معاشهم، فإن وافقت قانون الشرع واستعملت في ما استحسنه الشارع تسمى بعقل المعاش وهو ممدوح وإذا استعملت في الأمور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى بالنكراء والشيطنة في لسان الشرع.

الرابع: مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وقربها وبعدها عن ذلك، وأثبتوا لها مراتب أربع سموها بالعقل الهيولاني: والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد.

الخامس: النفس الناطقة الإنسانية التي بها يتميز عن سائر البهائم.

السادس: ما ذهب إليه الفلاسفة من أنه جوهر قديم لا تعلق له بالمادة ذاتا ولا فعلا(١).

الفكر: الفكرة: قوة مُطْرِقَةٌ للعلم إلى المعلوم.

والتفكّر: *جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب*(٢).

لعل هذا المعنى من أرقى المعاني التي ذكرها الأصفهاني

وأما اصطلاحاً فلا يختلف عنه لغة كما قرأت معي.

إن العقل كما قرأت في أصول الكافي، ليس له تعلق بالمادة أو الماديات، وهذا يعني أنه ليس بجسم وليس له حدود ولا ينفعل، وهو مشترك بين العباد جميعاً، إلا أن العباد يختلفون في الأخذ منه، فمثله مثل ماء المطر النازل من السماء، كثير ولكن كل فرد يأخذ بحسب حاجته، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب العقل والجهل في هامش ح١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني باب الفاء ص٦٤٣.

﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[1]، ومثله مثل التيار الكهربائي يسري في السلك بمئات أو آلاف الأمبيرات (شدة التيار الكهربائي)، ولكن كل جهاز يأخذ بقدر قدرته من الاستهلاك، فهذا يأخذ عُشرَ أمبير، وذاك يأخذ مئة أمبير، مع أن فرق الجهد (الفولتية) واحد، مثلاً ٢٢٠ فولت، فكذلك العقل، فهو نعمة كبقية النعم التي أنعم الله بها على العباد، وكل عبد يختار الكمية التي يريد بحسب استعداده الذي أعده للأخذ، لا بحسب العطاء الإلهي، فعطاؤه تعالى غير محدود بالقياس إلى العباد رغم محدوديته لأنه مخلوق من مخلوقاته كما عرفنا العقل بالاصطلاح.

أما الفكر، فهو الوسيلة التي يستخدمها العقل من خلال القلب ـ لأنه فيه ـ لدرك الأشياء وأما التفكّر فهو الآلية التي يستخدمها القلب للوصول للهدف، فتكون مرة بالعين وأخرى باللسان وثالثة بالأذن ورابعة بالدماغ (أي المخ) وهو أكبر من هذه الحواس جميعاً، وله التفويض، كما ذكرت، من قبل القلب للتصرف بغياب القلب، كالتذكر مثلاً، أو إجراء العمليات الحسابية والرياضية والفلكية وغيرها من العلوم.

إن العقل مرتبط بخلق الإنسان كما بدأه الله تعالى في أصل الفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، أي أن العقل يبقى مع الإنسان وإن خالف ما أراد الله منه، وإن ظهر منه خلاف العقل، وذلك بسبب مرض القلب أو تقلبه، ولذلك ندعو ا: *يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك*[3]، أي ثبته على الفطرة في أصل الخلق، أي على أول الدين وهو التوحيد كما قال أمير المؤمنين: *أول الدين معرفته . .*[4]، وأحياناً تكون بسبب مقدمات خاطئة فيخطأ الفكر، فإذا أخطأ

---

(١) الرعد/ ١٧.

(٢) الروم/ ٣٠.

(٣) مفاتيح الجنان/ الشيخ عباس القمي تعقيب صلاة الصبح ص ٤٩.

(٤) نهج البلاغة الخطبة الأولى/ تحقيق صبحي الصالح.

الفكر ظهر خلاف العقل، وهذا بسبب تقلب القلب عن العقل المودع فيه، والذي من واجبه أن يحافظ على أوامر العقل.

لقد أخطأ الكثير من العلماء والمفكّرين في وصف العقل وواجبه، فتصوروا أن العقل نتاج الفكر وأن الفكر نتاج التفكير، والعمليّة معكوسة تماماً، لأن الفكر قوة مطرقة للعلم، فبالفكر نصل إلى العلم ولكن بعد أن نستخدم الواسطة إليه وهما التفكّر والتفكير، فهما أدوات الفكر، لأن التفكّر هو المقاربة بين العلوم والتفكير هو العمل بما يمليه التفكّر والنتيجة التي يستخلصها الفكر من التفكّر والتفكير هي العلم، ولولا وجود العقل لما تمكن التمييز بين فكر وفكر، فالعقل مفيض الفكر والفكر مفيض التفكّر والتفكير وسيلة الوصول من المجهول إلى المعلوم، والمعلوم إذا كان في مجال النظر سمي العقل الفعّال، وإذا كان في مجال العمل سمي العقل المستفاد.

وعليه فليس تمام العقل موجوداً عند الطفل، بل نسبة وجوده تعتمد على أركان عدة، منها الوراثة ومنها البيئة ومنها حركة الطفل نفسه ومنها ما يأتي بالأمر المفاجئ، أي غير المخطط له ومنها اللطف الإلهي، وأعني بالعقل هنا: قدرة الإنسان في الأخذ من العقل الكامل التام الشامل الذي خلقه الله تعالى أول ما خلق كما في الحديث، ولسمو هذا الخلق جعله الله تعالى في أسمى الأعضاء، التي هي عرشه وهو القلب، ومنع من إدخال غير الله إليه، فالإنسان هو الذي يختار إما العقل وإما ما يقابل العقل وهي النكراء، فيبدو للآخرين أن فلاناً عاقلاً وهو ليس بعاقل بل منكر.

أما التجربة فلا تضيف للعقل شيئاً، بل تفتح الطريق للفكر أن يجول بواسطة التفكّر والتفكير للوصول إلى المجهول، فتكون النتيجة أن الفكر أخذ من منبع ومكمن العقل ما قاده إليه تفكّره وتفكيره، ولذلك قال النبي الأكرمﷺ: *(تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة)*[1]، ولم يقلﷺ تفكير ساعة، لأن النبيﷺ في مقام البيان لكل

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول/ العلامة المجلسي ج٩ ح٢٥ وجاء في التربية الروحية/ السيد كمال الحيدري ص٢١٠ فصل التذكر بلفظ سبعين بدلاً من ستين.

شيء، والحديث هنا يعطي أولوية التفكّر على التفكير، لأنه علته، والتفكر هنا كما أسلفت الطريق إلى العلم النظري وهو ممزوج بالنية، التي هي خير من العمل كما في الحديث: ***نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله؛ و كل عامل يعمل على نيته***[1]، والتفكير الطريق إلى العلم العملي، والنتيجة أن العقل استخدم أدواته في تفعيل حركة نفسه وزيادتها، وهذا يتم بالحركة الجوهرية للعقل، ولا إشكال في كيفية انفعال العقل بنفسه، وهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ***وإنما هي نفسي أروضها***(أذللها) ***بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر [القيامة]***[2]، هذه هي الحركة الجوهرية للنفس والتي هي هنا بمقام الروح وهي أيضاً بمقام العقل.

أما التفكّر فلا يرد على الدماغ، وإنما التفكير هو الذي يرد على الدماغ، فالعين لها تفكير وليس لها تفكّر واللسان له تفكير وليس له تفكّر والمخ له تفكير وليس له تفكر، فضلاً عن كونها ليست فكر، فلا هي بالعقل، إنما العقل بالقلب لأن الفكر فيه، ولهذا يستطيع الإنسان أن يعيد ذكرياته وأحاسيسه بعد الموت السريري لبقاء القلب حياً، أي بقاء الإنسان حي، ولو كان العقل والفكر والتفكّر بالدماغ لما عاد للميت سريرياً إحساسه وذكرياته، لأنها ماتت بموت دماغه، وهذا من أدل الإدلة على أن القلب محل العقل والتدبّر والتفكّر وأما الدماغ فمحل التدبير والتفكير، وهما ليسا من مختصاته، بل اليد لها تدبير والعين لها تدبير والرجل لها تدبير وهكذا بقية الأعضاء، ولكن الدماغ أكثر الجوارح (الأعضاء) لها التفكير والتدبير، وهو أمين عام القلب وموضع أسراه وأرشيفه.

٣ ـ العقل والفكر والتفكّر والتفكير والعلم

فرق القرآن بين العقل والفكر والتفكّر والتفكير، ولكن النتيجة منها هو العلم الذي يدور مداره التكليف والتمييز بين الناس.

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج ٢ كتاب الإيمان والكفر باب النية ح٢.

(٢) نهج البلاغة كتاب رقم ٤٥ لواليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري عند إجابته لدعوة (وليمة).

أولاً: العقل: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[١]، وهذه الآية تتكلم عن العقل التام للإنسان الذي محله القلب، وذلك بدلالة آيات السمع وآيات البصر التي ذكرت جنباً إلى جنب التعقل والذي هو في معنى التفكر، والتفكر لا يكون إلا بعد وجود الفكر، وهذا لا يكون إلا بعد وجد من يعقل هذا الفكر.

عندما نقول فلان يعقل، نعني أنه يدرك الموضوع بشكل إجمالي، ونعني به هنا العقل الكلي مقابل الجزئي، وأما تفاصيله فمن خلال الفكر أو التفكر.

ثانياً: الفكر: عن الإمام عليّ عليه السلام قال: ***عليك بالفكر فإنه رشد من الضلال ومصلح الأعمال***[٢]، ولأن الفكر يستند إلى العقل فهو بوابة العقل، فمنه تخرج الأوامر وإليه ترد الأفكار والهدى والضلال، وبه يتمكن التفكر من الهدى والرشاد، وكذلك عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ***ثم ترك الغداة على حالها، لأن الاشتغال في وقتها أكثر، والمبادرة إلى الحوائج فيها أعم، ولأن القلوب فيها أخلى من الفكر، لقلة معاملات الناس بالليل، ولقلة الأخذ والإعطاء، فالإنسان فيها أقبل على صلاته منه في غيرها من الصلوات، لأن الفكر قد تقدم العمل من الليل***[٣].

وهذه الرواية تدل على أن الفكر في القلب لأنه أقرب إلى العقل، والعقل في القلب، فالفكر هو النور المقذوف في القلب، أي هو العلم كما في الروايات، ولكنه العلم النظري البحت من غير التفات إلى العمل، فهو بحاجة إلى التفكّر والتفكير. فالفكر هو العقل الجزئي في مقام إنشاء النظر، وعليه فالفكر واحد بسيط لأنه ظل العقل، لكنه محدود بحدود نفس الشخص المفكر والموضوع.

إن الفكر لما كان من العقل، فهو بمثابة الدستور الذي شرعه العقل للقلب، فلابدّ

---

(١) الحج/ ٤٦.

(٢) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف العين حكمة ٥٣.

(٣) علل الشرائع/ الشيخ الصدوق ج١ باب ١٨٢ علل الشرائع وأصول الإسلام ح٩.

أن يكون في القلب، قال الإمام عليّ عليه السلام: ***القلب مصحف الفكر***[١].

إن قولنا فلان يفكر يعني يستخدم الفكر أولاً لغرض الخوض فيه مستخدماً بعد ذلك التفكّر، فهو فكر يفكر فكراً.

ثالثاً: التفكر: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، هذه الآية تتحدث عن التفكر، لأن فعل يتفكرون مفرده: تفكر يتفكر تفكراً، ومصدره ومادته: (ت ـ ف ـ ك ـ ر) واسم المصدر: تَفَكّرٌ، ومعناه في هذه الآية النظر إلى العلاقات ما بين الأشياء، واستخراج النتيجة منها، لذلك ذكر تعالى في الآية الأرض والثمرات والليل والنهار من باب المثال لا الحصر، وإلا فهناك آيات الآفاق وآيات الأنفس. والتفكّر محله القلب ولكن بمشاركة الجوارح، لأنه العلم النظري المستنبط ولكن بالتفات إلى العمل. فالتفكّر إذن هو العقل في مقام البحث عن الوسيلة، وعليه فإن التفكّر متعدد، كالتفكر العلمي والتفكر الأدبي والتفكر الإيجابي والتفكر السلبي، فمنه ما هو خير ومنه ما هو شر، فالأول عقل والثاني شيطنة.

إن قولنا فلان يتفكر فهو: تفكر يتفكر تفكراً، وهو العقل الجزئي المتعدد.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ***نبه بالتفكّر قلبك وجاف بالليل جنبك واتق الله ربك***[٣]، فالتفكر في القلب، وبه يكتشف القوانين، فينطلق من البديهيات إلى النظريات ثم يزاوج بين النظريات ويلاقح الأفكار وما أنتجه التفكّر، ***فعن الحسن بن الصقيل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: عما يروي الناس أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكر؟ قال: يمر بالخربة أو بالدار فيقول: أين ساكنونك، أين بانوك، ما (با) لك لا تتكلمين***[٤].

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الهمزة حكمة ١١١٩.

(٢) الرعد/ ٣.

(٣) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب التفكر ح١.

(٤) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج٢ كتاب الإيمان والكفر باب التفكر ح٢.

رابعاً: التفكير: وهو إنزال التفكّر منزلة العمل، وبتعبير قرآني التدبّر والتدبير، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(١)، فبعد التفكّر لابدّ من التفكير ودراسة القرآن دراسة ميدانية، في لغته في علومه في إخباره في إعجازه، في كل شيء. وأما التدبر أو التفكير فمحله في الجوارح بتدبير القلب. فالتفكير هو العلم العملي مستفيداً من التفكر. فالتفكير إذن هو العقل الجزئي في مقام العمل، وعليه فالتفكير متعدد، كالتفكير العلمي والتفكير الأدبي والتفكير الفردي والتفكير الجمعي وغيرها من أنواع التفكير.

ما قلته في التفكّر ينطبق على التفكير، فهو تفكر يتفكر تفكيراً، إلا أن الفارق هو أن التفكر نظرياً والتفكير عملياً.

إن كثرة التفكير المستند إلى الشيطنة ـ النكراء ـ يتحول إلى ملكة راسخة في الجوارح فينتج عنه تفكر شيطاني، فتكون العملية معكوسة، فتكون جوارحه هي التي تقوده، وهذا هو الذي عبرت عنه الروايات بالقلب المنكوس، فيأخذ القلب من الجوارح، لا الجوارح من القلب، قال الإمام عليّ عليه السلام: *وإن لسان المؤمن من وراء قلبه وإن قلب المنافق من وراء لسانه. لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شرًا واراه وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وما ذا عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»*(٢).

لنقرأ آراء بعض العلماء والمختصين في مجال الفكر والعقل ماذا يقولون:

يقول د. رضا الموسوي: *إن الترابط الذي وجد بين التقلصات والعمليات التفكرية فُسر تفسيرات مختلفة من النظريتين الكلاسيكيتين، فالنظرية المحيطة التي يؤمن بها واطسون وأتباعه ترى أن كل تفكير يتألف بالفعل من حركات خفية داخلية،*

---

(١) النساء/ ٨٢.

(٢) نهج البلاغة خطبة ١٧٦/ تحقيق صبحي الصالح.

فالطفل الصغير مثلاً يتكلم بصوتٍ عال وهو يقوم بعمل ما، ولكنه يتعلم فيما بعد أن يتكلم إلى نفسه بصمت، أي أنه يتعلم أن يفكر. لكن النظرية المركزية بنيت على موقف مخالف فهي ترى أن التفكير يجري في الدماغ والجملة العصبية وقد يكون مصحوباً بحركات عضلية خفية وقد لا يكون، أي أنهم يقولون إن الحركات ليست هي التفكير نفسه وإنما هي نتائج مكملة له[1].

بالرغم من عدم اطلاعي على نصوص أصحاب هاتين النظريتين، وإنما أنقله عن كتاب دراسات في سيكولوجية التفكير، فلو اطلعت على النص بشكل جيد تجد أن أصحاب هاتين النظريتين يتخبطون في تحديد مكان الفكر وطريقة حصوله وما هي مسبباته، فتارة في الدماغ مع الجملة العصبية، وأخرى وجود حركات خفية، ولم يقولوا لنا مكان هذه الحركات الخفية، والأنكى من ذلك يقول: «*إن الحركات ليست هي التفكير نفسه وإنما هي نتائج مكمله له*»، عجيب هذا الكلام، كيف تكون الحركات وهي المسبب وهي العلة مكملة للمسبب، وهي المعلول، فتكون مكونات العلة، وهي الحركات، من مكونات المعلول، وهو التفكير؟ ثم يقول بحركات عضلية خفية!! وهذا الكلام أغرب من الأول، كيف يكون في العضلات وهو خفي، مع أن العضلات معلومة لقدماء علماء الفسلجة؟

والآن لنقرأ رأي السيد الدكتور الموسوي في مكان آخر من الكتاب، فيقول تحت عنوان «اللغة والتفكير»: *ترتبط اللغة والتفكير برباط وثيق في نشاط عقلي بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر، من دون اللغة لا يستطيع العقل أن يصل إلى المراتب العليا من الأفكار النظرية، والمعاني الكلية التي تساعد على تقدم العقل والفكر، فالتفكير هو حديث الروح مع النفس كما عرفه بعضهم، والأبحاث الحديثة في علم النفس حاولت اختبار هذه العلاقة للتعرف على ما إذا كان صحيحاً أن واقع التفكير يتضمن بعض الجمل أو التخيل أو كلاهما معاً*[2].

---

(١) دراسات في سيكولوجية التفكير/ د. رضا الموسوي ص٢٥.

(٢) دراسات في سايكولوجية التفكير/ د. رضا الموسوي ص٣٢.

نسأل السيد الموسوي: هل أن الطفل في أيامه الأولى أو في الأشهر الثلاثة الأولى يعقل أو لا؟ فإن كان الجواب نعم، وهو صحيح، فأين اللغة منه؟ وإذا قلت لا يعقل فدونك التجارب العلمية التي تثبت تعقل الطفل لكثير من القضايا، وعلى أقل تقدير ارتياحه لسماع صوته حين كان في بطن أمه، كذلك معرفته لصورة أمه، فإن قلت تلك غريزة، فهذا بحاجة إلى إثبات، ودونه خرط القتاد.

إن تخبط مصنفي كتب العقل والتفكير في تعريفاتهم للعقل وللتفكير، هو الذي جعلهم لا يفرقون بين العقل والفكر والتفكير، فنرى السيد الدكتور الموسوي في كتابه في المبحث الخامس يقول: *إن المقدرة على التفكير هي مقدرة مصنوعة أكثر من كونها طبيعية، ولهذا فإن بإمكاننا الاهتمام بالتفكير كمهارة، فمهارات التفكير أصبحت أمراً جوهرياً في العالم المعاصر، إذ إنها مهارات حياتية يومية يحتاج إليها كل فرد من أفراد المجتمع*[(١)].

وهذا التعبير يختلف عن التعبيرات السابقة، فراجع الكتاب بشكل جيد، وهذا الرأي يتفق تمام الاتفاق مع ما ذهبنا إليه من أن التفكير واسطة من وسائط العقل عبر التفكر والفكر، وهو التدبّر والتدبير كما قلت، وذلك من خلال التجارب العملية والمهارات الفردية والجماعية في تنزيل التفكر والفكر منزلة العمل والواقع المجهول المطلوب الوصول إليه.

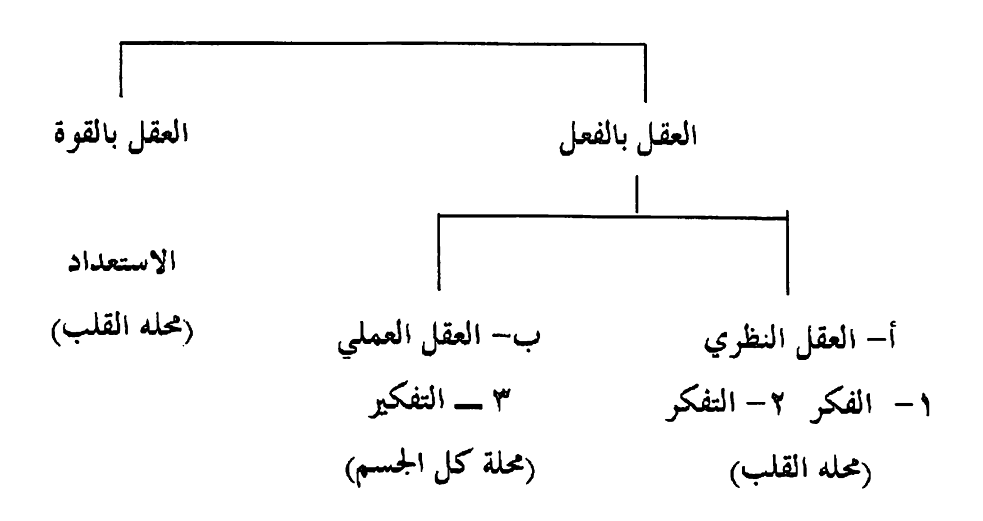
ثم يقول أكثر من كونها طبيعية، وهذا يدل على أن بعضها طبيعي، والطبيعي هو الفطرة التي منها العقل، وبهذا يكون التفكير غير العقل.

ونخلص إلى النتيجة التالية: إن الفكر والتفكر لا يكونان إلا في القلب، وأما التفكير فيكون في القلب وفي غيره من الجوارح ومنها القلب كجارحة، ولكن أكثر ما يكون التفكير في الدماغ (المخ حصراً) لأنه الوسيلة التي بها يجول القلب، وللدماغ مساحة واسعة من التفكير، بل له القدرة على التفكر البسيط المتعلق بالقضايا اليومية،

---

(١) دراسات في سيكولوجية التفكير/ د. رضا الموسوي ص١٢١ .

كمهام المعاش، والبيع والشراء وتمييز الألوان واللذة المادية، كالأكل والشرب والملبس والسفر الترفيهي وغيرها ما ليس له مساس بالعقيدة والقيم الأخلاقية المهمة، وكذلك بقية الجوارح فلها القدرة على التفكير كل بحسب دوره وأهميته، وهو المعبر عنه كما قلت بالعقل الجزئي في مقام العمل، ولذلك قال النبي الأكرمﷺ: ***تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة***، لأن التفكر هو جولان العقل، أما الفكر فهو العقل في مقام النظر، وأما التفكر فهو العقل في مقام التنظير، وعليه فليس التفكير تنظيراً، إنما هو العمل الصرف المستند إلى التفكر، وبتعبير منطقي، العقل جنس تحته نوعان، العقل النظري والعقل العملي كما مبين في هذا المخطط:



شكل رقم (٥) مخطط أقسام العقل

إن العقل يدل على العلم ويشير إليه، فالفكر والتفكر يرشدان إلى العقل النظري، أي إفعل ولا تفعل، وأما التفكير يدل ويرشد إلى الطريقة التي يتوصل بها إلى العلم، فالعقل كما ذكر، ما عبد به الرحمن، أي: أن العقل هو الذي أرشد إلى العبادة وهي

الاعتقاد بالله تعالى، وأما العمل وهو التفكير فيرشد إليه الفكر والتفكر، قال الإمام الصادق عليه السلام: ***العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه***(١). فالتفكّر يزيد في الفكر كما أن التفكير يزيد في التفكّر، فالتفكّر عمل بالقياس إلى الفكر والتفكير عمل بالقياس إلى التفكر، والمتحصل منها زيادة في العلم، فالعلاقة بين العلم والعمل التأثر والتأثير، فكلما زاد التفكر زاد الفكر والعكس صحيح كلما زاد الفكر زاد التفكر، والشيء نفسه في التفكير والتفكر، وهي عين العلاقة بين القلب الروحي والقلب الصنوبري المادي.

٤ ـ الملاحظة الأولى:

ما تختص بالإنسان أي إنسان وحسب المنهج التالي:

أولاً:

أ ـ شرب ماء المطر: إن شرب ماء المطر يحيي النفوس الميتة مية مادية وروحية، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾(٢)، فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: ***اشربوا ماء السماء فإنه يطهر البدن ويدفع الأسقام***،(٣) ثم ذكر الآية في أعلاه، وهذا العمل يشمل الإنسان السليم والإنسان المريض، ويشمل الأمراض المادية والروحية.

ب ـ إن الماء الذي نشربه ميت، وذلك لسكونه وركوده فترة طويله، فهو بحاجة إلى إحياء، وطريقة إحياء الماء تتم بإحدى الطرق التالية أو بها جميعاً، وهي:

الطريقة الأولى: أن يرج الماء رجاً جيداً بحيث تظهر على سطحة فقاعات هوائية كثيرة ويعاد الرج أكثر من مرة، وكلما زاد الرج زادت حياة الماء، وذلك لتشبعه

---

(١) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني ج١ كتاب فضل العلم باب استعمال العلم ح٢.

(٢) الأنفال/ ١١.

(٣) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الألف حكمة ٢٢٢٠.

بالأوكسجين أولاً وتكوين شحنة كهربائية مستقرة ثانياً. وهذه الطريقة هي الطريقة الطبيعية، وهي أسهل وأنفع، وهي عين الطريقة التي يحيا بها الماء عن طريق المطر، ففي أثناء نزول المطر يتشبع بالأوكسجين والشحنة الكهربائية. قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾(١)، ومعروف أن ماء المطر أنفع للأرض من ماء السقي، وهذا هو الذي دفع الزراع لسقي زرعهم بطريقة الرش الكهربائي (النافورات).

الطريقة الثانية: إمرار الماء على قطعة مغناطيس ليتم خلالها تنسيق الشكل البلوري لجزيئات الماء.

الطريقة الثالثة: قراءة آية البسملة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾ على الماء المراد شربه أو طهي الطعام به أو غسل الجسم أو الملابس به أو السباحة فيه، وهذه الطريقة من أنجح الطرق ولا تكلف شيئاً، والجمع بين الطريقتين الأولى والثالثة أفضل الطرق لإحياء الماء ومن ثم إحياء النفوس وتطهيرها، وثبات القلوب على العقيدة ودفع وساوس الشيطان، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾(٢).

ثانياً: نظام الطعام

قد مر عليك أثناء البحث ذكر لأنواع الطعام الذي يقوي القلب.

ثالثاً: اتّباع ما يلي:

١ ـ أن يتعرف الإنسان على نوع قلبه، ونقصد به نوع القلب من القلوب الأربعة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام وأما القلب الصنوبري فهو ما ذكر من القلوب المريضة، كما ذكرت في أنواع القلوب ونوع دمه الماديين، وذلك لغرض أن يأتيهما بالغذاء المادي (الطعام)المناسب لهما، فإن الغذاء المادي له المدخلية العظمى في إرشاد القلب وإبقائه على الفطرة، ومن بعد ذلك تثبيت هذه الفطرة وتنميتها وإيجاد الحافز المادي

---

(١) الحج/ ٥.　　(٢) الأنفال/ ١١.

للقلب المادي والحافز الروحي للقلب الروحي، ولما كان القلب المادي يؤثر بالقلب الروحي فلا بدّ من تناول الغذاء المادي الذي يناسبه حتى يتناسب مع القلب الروحي، وكذلك أن يتناول الغذاء الروحي المناسب لقلبه ودمه حتى يحافظ على القلب المادي والدم المادي، للعلاقة المتبادلة بينهما.

إن هذا التعانق بين القلبين الروحي والمادي والدمين الروحي والمادي، يجعل التناغم والتوافق بين القلوب الثمانية للإنسان، الأربعة الروحية والأربعة المادية، وكذلك يختار لقلبه طرائف الحكم، وأوقات الاختيار وطريقة الاختيار، فمثلاً يجد نفسه أنه لا يحب قراءة الأدعية الطويلة، فليكسر هذه الإرادة، وليترك قراءة الأدعية القصيرة فترة من الزمن طالت أو قصرت بحسب حالته وترويض نفسه حتى يتعود على الأدعية الطويلة، فإذا تملك القدرة على القراءة عاد إلى الأدعية القصيرة ووافق بينهما.

٢ ـ قراءة القرآن، فإنه إذا كان يمل من قراءة حزب في اليوم فليبادر إلى قراءة جزء في اليوم، بعد ذلك يسهل عليه الحزب الواحد لأنه نصفه.

في التفكير، أن يختار آية من آيات القرآن ويتدبر بها، نزولاً، سبباً، تفسيراً، تطبيقاً، فائدة، إعراباً، لغة، بلاغة، كل أو بعض ما يتعلق بها، ليرى أن هذا الكتاب فيه تبيان لكل شيء، وأنه بيان واضح مع صعوبته وإحكامه وإجماله، وما فيه من بواطن لا يعلمها إلا المعصومعليه السلام.

٣ ـ أن يتفكّر في خلق الله تعالى لأن التفكر، كما في الحديث، خير من عبادة ستين سنة، لم يأتِ جزافاً، ولا يتصور البعض أنه من الترف الفكري، أو أنه من المبالغات في الوصف، بل لعله أكثر من ذلك، ولكن لكون عقولنا لم تدرك ذلك فقال ستين، لأن الأنبياءعليهم السلام يكلمون الناس على قدر عقولهم، وإلا هل أن خطاب النبيصلى الله عليه وآله مع الإمام عليّعليه السلام هو نفس الخطاب مع غيره؟ والله كلا وألف كلا، فاختلاف المقامات يوجب اختلاف المقالات، واختلاف الحادث يوجب اختلاف

الحديث، ولذلك كانوا ـ أهل البيت‍ـ يزقون العلم زقاً، لا تعليماً عادياً[١]، وكانت ترفع لهم في كل يوم جمعة درجة كما جاء عنهم[٢].

٤ ـ أن يتعرف على جوارحه وأفعالها، وهواه وأمله، فإن معرفة الإنسان بجسمه المادي يؤدي إلى معرفته بجسمه الروحي، والعكس صحيح، وعليه فلا بدّ من معرفة أجسامنا ونفوسنا حتى نعرف على قدراتنا وننمي مواهبنا، وأقصد الفطرة، ثم نجذر هذه الفطرة ثم نوسعها بالعلوم الإلهية، كعلوم التوحيد والأخلاق النبوية وأخلاق أهل البيت‍ العملية مع الناس.

٥ ـ أن نعود أنفسنا على أننا في حالة تبديل للقلب في كل يوم، أعني أننا يجب أن نعود أنفسنا على أننا قد نتعرض على تبديل القلب المادي، فماذا عسانا أن نفعل بالقلب الجديد؟ وهذا يتكفله اثنان: الأول: الله سبحانه وتعالى، سواء في الحساب الأخروي أو في الحياة الدنيا، فإن الله لا يضيع عبده، وسنمر عليه. وأما الثاني: فهو الإنسان نفسه، فيعود أعضاء جسمه على الطاعة، وبشكل عام على العقيدة التي يعتقد، وأن يشبع جوارحه منها، وذلك عن طريق العمل العبادي المادي والروحي العقلي والعمل المعاملاتي، بعد ذلك تتحد الجوارح مع العمل فيصير العمل هو الجوارح وهي هو، أي كما يقول علماء الأخلاق: يتحول في عمله من الحال إلى الملكة ثم إلى الاتّحاد، فيسهل عليه البقاء على الفطرة في الملكة ويستحيل عليه التغيير في الاتّحاد.

٦ ـ أن يستمع إلى القرآن والدعاء ويوحي لنفسه أنه يسمعه بقلبه لا بأذنه، وأنه نزل عليه خاصة، ثم يقول لدماغه: استمع لما يستمع قلبي، وهكذا بقية الجوارح كالعين والأذن واليد والرجل والأنف، ثم يقول بصيغة السؤال: هل سمعتم قوله تعالى، أو حديث رسول الله‍، أو هذه الرواية عن المعصوم‍؟ ويكرر هذه الأسئلة على جوارحه في كل يوم.

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول م العلامة المجلسي ج٥ ح٩١ ص٤٠٣.

(٢) أصول الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام الكليني كتاب الحجة باب أن الائمة‍ يزدادون في ليلة الجمعة ح١.

٧ ـ أن يبدأ يومه بسؤال قلبه، ماذا فعلت بالأمس وماذا ستفعل اليوم؟ أي الأخطاء أخطأت، وأي الصواب أصبت؟ وأن يعيد هذا السؤال على جوارحه، وأن يحذرها معصية قلبه، لأنه أميرها، وأنه إمامها، ولأنه عرش الله تعالى، فمعصيته معصية الله تعالى، وأن يحذرها من وساوس الشيطان، ومن تقلب قلبها، وأن يركز فيها، أن القلب مطاع ما طاع الله تعالى، وأنه معصي ما عصى الله تعالى.

٨ ـ نحن نعتقد بعكس ما يجري في الدول التي تجري فيها عمليات زرع القلب الطبيعي من عدم معرفة صاحب القلب المتبرع، بل لابدّ له أن يتعرف على صاحب القلب المتبرع لمعرفة أخلاقه وصفاته وتطلعاته ورغباته وهواياته وأصله، وكل ما يتعلق به، حتى ملبسه وألوان ملابسه ونومه ويقضته وأكله ومشتهى طعامه.

إن معرفة المتبرع تجعل المزروع له على بينة من نفسه الآن وكيف يتصرف لو عارض فكر المتبرع مع فكر المتبرع له، حتى لا يعيش في دوامة الصراع بين القديم والجديد، بين الإيمان والكفر بين الشجاعة والجبن بين الحلم والغضب بين البخل والكرم وهكذا جميع الصفات.

● ـ الملاحظة الثانية:

وهي تخص علم الطب والأطباء، وهي:

في حالة تبديل قلب إنسان:

بدأ العلماء يكتشفون أسرار النظام العصبي للقلب، ويقول الدكتور آرمور (Armour) *إن للقلب نظاماً خاصاً به في معالجة المعلومات القادمة إليه من مختلف أنحاء الجسم، ولذلك فإن نجاح زرع القلب يعتمد على النظام العصبي للقلب المزروع وقدرته على التأقلم مع المرض*(١).

على ضوء ما تقدم من تقرير الدكتور آرمور وما عليه الاختلاف في نوعية الغذاء

---

(1) Science of heart, Institute of HeartMath.

الذي يناسب كل فصيلة من فصائل الدم، يجب معرفة النظام العصبي لكل من قلب المتبرع والمتبرع له، وكذلك شدة التيار الكهربائي والكهرومغناطيسي، وكذلك نوع الغذاء المناسب لفصيلة دمه ويطعم منه لفترة لا تقل عن أربعين يوماً هذا أولاً، وثانياً، أن يعرف نوع قلبه ويطعم الطعام الخاص به، فلو كان هذا الإنسان مؤمناً وأردنا أن نعطيه قلب رجل فاسق، فلا بدّ من معرفة الغذاء المناسب لفصيلة دمه، وكذلك الغذاء المناسب لقلبه ونجري التالي.

وقد تسأل لماذا أربعون يوماً؟ والجواب لأن النطفة تنتهي كمرحلة عند الأربعين يوماً على الروايات وهي مرحلة التأسيس الأولى، فلا بدّ له أن يبدأ تلك المرحلة مع القلب الجديد.

أولاً: يطعم المريض المراد استبدال قلبه بالقلب الطبيعي بالشكل التالي:

* يعطى الغذاء المناسب لفصيلة دمه ونوع قلبه لفترة لا تقل عن أربعين يوماً، لنفس السبب في أعلاه.

أما العلة من الأربعين فهي حديثه ﷺ: ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه[1].

* يقرأ الأدعية التي تناسبه كما تعود عليها بنسبة لا تقل عن ثلاثة أضعاف ما كان يقرأ سابقاً، وذلك مناسبة مع مراحل نمو الإنسان (جنين (طعام مباشر دون عناء) ـ طفل (إرضاع) ـ صبي فما فوق (أكل).

وإليك عزيزي القارئ آخر ما توصل إليه العلماء في علاج القلب من غير عقاقير أو عملية جراحية لتكتشف أثر الدعاء أو قول (بسم الله الرحمن الرحيم) على الطعام وعلى الأفعال والأقوال وجميع ما من شأنه النجاح والإنجاح والصلاح والإصلاح:

و الاكتشاف الجديد: *قام أطباء من فنلندا بتعرض (بتعريض) ٦٠ مريضاً يعانون من نوبة قلبية إلى صوت الموسيقى ووجدوا أن للموسيقى أثر [أثراً] في شفاء القلب وزيادة مقاومته للمرض. ويقول الباحث (تيبّو ساركامو) Teppo Sarkamo من جامعة*

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الشيخ الصدوق ج١ ص٤٢.

هلسنكي: الموسيقى يمكن أن تكون مهمة جداً لمرضى القلب والذين يعانون من نوبات قلبية وهي مادة رخيصة لا تكلف شيئاً(١).

لقد وجدوا أن النوبات القلبية التي يتعرض لها المريض تؤثر سلبياً على إدراكه وذاكرته، ولكن بعد أن تم وضع كل مريض في الجو الموسيقي الذي يرغبه أو الذي يرتاح لسماعه حدث تحسن ملموس في مستوى الذاكرة، واستقرار في أداء القلب.

ويؤكد الباحثون: إن هذا البحث وللمرة الأولى يظهر تأثير الاستماع إلى الأصوات المرغوبة من قبل المريض وأثر هذه الترددات الصوتية على قلبه وبخاصة بعد تعرضه للنوبة القلبية مباشرة. حتى أن بعض هؤلاء الباحثين بدأ ينظر إلى أهمية الصوت في علاج المشاكل النفسية العصبية مثل مشاكل النطق التي عجز الطب عن علاجها.

* يعطى من الغذاء المناسب لفصيلة دم متبرعه بنسبة تعادل عشرين بالمئة من غذائة ولفترة تعادل عشرين بالمئة من مجموع إطعامه من الغذاء المناسب لفصيلة دمه ونوع قلبه والغذاء المناسب لفصيله ونوع قلب متبرعه. فلو كانت الفترة من إطعامه الغذاء المناسب لفصيلة دمه ونوع قلبه أربعين يوماً يكون إطعامه من غذاء متبرعه لفترة تسعة أيام تقريباً فيكون المجموع تسعة وأربعين يوماً.

ثانياً: يربط قلب المتبرع بقلب المرض قبل رفع قلبه من جسمه ربطاً كهربائياً أو ربطاً كهرومغناطيسياً أو كليهما بأكبر فترة ممكنة، ويلاحظ هنا شدة أشعة ألفا الدماغية في المريض وفي المتبرع ومعرفة تفاصيل التغير الطارئ على قلب المريض عند ربط قلب المتبرع كهربائياً ومغناطيسياً، وتسجيل كل ما يلفظاه أثناء إجراء العملية وبعد الإفاقة بثوانٍ.

فلو كانت شدة التيار الكهربائي في قلب المتبرع أكبر من شدتها في قلب المريض فيجرى الآتي على المتبرع والمريض:

أولاً: إما أن يقلل من شدة تيار قلب المتبرع أو أن يزاد من شدة تيار قلب

---

(١) مجلة ديلي ميل ٩/ ٤/ ٢٠٠٨. www. kaheel17.com.

المريض، أو أن يجرى الاثنين معاً، فيقلل من شدة تيار قلب المتبرع ويزاد في شدة تيار قلب المريض إذا كان التفاوت كبيراً.

ثانياً: يجري نفس الشيء بالنسبة إلى أشعة ألفا ولكن يقلل من أشعة ألفا دماغ المتبرع ويزاد في أشعة ألفا دماغ المريض.

ثالثاً: أن لا نخبر المتبرع في حال كونه في الوعي بأنا نريد استبدال قلبه، بل نقول له: إننا نريد أن نبقي على قلبك في حالة الإيمان ونريد أن نزيد هذا الإيمان.

رابعاً: أن نطلب من المتبرع في حال كونه في الوعي أو بغير الوعي التبري من أفعاله السيئة التي عملها أو كان يفكر بها.

خامساً: أن نجعله يفكر بعمل الخير، ونقول له قل لقلبك أنه لو عاش ألف سنة لا يفكر إلا بالخير، ولا نقول له لو عشت، لأن الفرق واضح بين أن يعيش هو مع قلبه وأن يعيش قلبه، حتى لا يكون الفرق على القلب بعد عمله في جسد غير الذي كان فيه.

إن هذه الإجراءات لغرض المحافظة على عقيدة المريض لئلا تنتقل إليه عقيدة المتبرع.

أما لو كان المتبرع مؤمناً والمريض فاسقاً عكست كل هذه الأجراءات لغرض الحصول على التغير المطلوب.

٦ ـ تبرع الرجل للمرأة وبالعكس

أعتقد أن إعطاء قلب الرجل للمرأة أو العكس لا يتوافق مع خلقة كل واحد منهما، وإذا كان العلماء لم يفرقوا بين قلب الرجل وقلب المرأة تشريحياً إلا أن النتائج المترتبة على كل قلب تختلف، وهي معروفة لكل إنسان، حتى الإنسان البسيط الذي لا يقرأ ولا يكتب، وما هذا الاختلاف إلا لاختلاف جسد المرأة عن جسد الرجل، ولما كان القلب مخصص لهذا الجسد فلا بدّ أن يكون التخصيص مناسباً، فهل من المعقول أن نعطي للمرأة قلباً لا يعرف الأمومة ولم يعشها. إن إعطاء قلب الرجل للمرأة وبالعكس

يتعارض قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(١) ومع قول النبي ﷺ: *(كل ميسر لخلقه)*(٢)، لأن كل مخلوق له التصميم الخاص به بتعبير العلم الحديث، من الحجم والمتانة والوظيفة المخصصة له، وصيانته وطريقة تعامله مع المحيط الذي يعمل فيه ومع أعضاء أو أجزاء ذلك الجسم، فهل يمكن أن نعطي سيارة الحمل (لوري) محرك سيارة الصالون، هل نحمّل سيارة الحمل الصغيرة (بيك أب) حمل قطار، أو حمل قاطرة مقطورة؟ فإذا لم يجز هذا في الأجسام غير الشاعرة ولا المفكرة، فكيف يكون مع هذه الأجسام التي لا تتحرك حركة واحدة إلا وفيه نبض الحياة والشعور والألم واللذة والخوف والرغبة والحب والود والبغض والكراهية، وكل مشاعر الإنسان؟

إن قصة المرأة التي استبدل قلبها بقلب شاب والتي أصبحت تفكر في الزواج من امرأة، وأخذت تفكر في أعمال رجالية، وتركت أنوثتها، يدل على أن القلب الذكوري غير القلب الأنوثي في الأصل بتقبل الأشياء.

إذا ربطنا هذه الآية السالفة وهذا الحديث السالف بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾(٤)، فيكون خَلْقُ المرأة الذي يختلف عن خلْقِ الرجل سواء في الطول والوزن وكريات الدم من حيث العدد ونسبة الهيموكلوبين ووجود الهرمونات الخاصة بالرجل والخاصة بالمرأة وغيرها من الاختلافات سيكون الاختلاف في أعضاء الجسم، ومنها القلب، بل القلب أولى من غيره من الأعضاء في الاختلاف، لأنه أمير البدن، وأن واجبه ليس كواجب بقية الأعضاء، وعليه سيكون خُلُقُ المرأة غير خُلُق

---

(١) طه/ ٥٠.

(٢) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج٤ باب جوامع التوحيد ح١٦ وفي البخاري (كل يعمل لمل خلق له، او: لما يسر له).

(٣) القمر/ ٤٩.

(٤) الرعد/ ٨.

الرجل، وعليه فخَلْقُ المرأة غير خَلْق الرجل، فلا يصح وضع قلب امرأة في جسد رجل، كما لا يصح أن يوضع رحم المرأة للرجل ولا ثدييها له ولا لحية وشارب الرجل للمرأة، وعدم الصحة عدم تكويني وأخلاقي.

إن عمل المبيض عند المرأة يساهم في إفراز هورمونات الأنوثة التي تملأ الجسم وتجعله منسجماً مع جنس الأنثى، وهكذا بالنسبة إلى الرجل، فالخصية تفرز هورمونات الذكورة التي تملأ جسم الذكر مما تجعل كل واحد مهما يختلف في أداء وظائفه عن الآخر لاختلاف الخلق والاستعداد، وهذا يستلزم الاختلاف في العادات والتطلعات والرغبات، فضلاً عن الاستعداد الجسدي، وهو الظاهر للعيان في الأجهزة التناسلية والطول والوزن وغيرها من الاختلافات الروحية والمادية.

إن جسم الرجل عندما ينفذ الأوامر الصادرة من القلب لا يتكلف فيها لأنها متناغمة مع قلبه في أصل خلقته، أما لو أعطي قلب امرأة فلا تناغم بين القلب الجديد والجسم القديم، فيحصل التعارض، وهذا هو السبب الذي يجعل الجسم يصاب بأمراض جديدة لم تكن سابقاً في جسم من استبدل قلبه.

٧ ـ عمليات المستقبل

وأخيراً بودي أن أسبق الأحداث وأنبه على أن العلم يبقى في تطوره المطرد ولا يتراجع إلى الخلف، وسيصنع الإنسان الأجهزة والمعدات التي تساعده على معرفة القلوب كما ينبغي لمعرفتها، وهذا يمكنه أن يجري عملية تبديل لقسم من القلب، كالقلب الأيمن أو القلب الأيسر، وذلك لأن كل قلب، وبتعبير آخر كل مضخة، ليس لها تأثير من تغيير أو تبديل المضخة الأخرى، فالقلب الأيمن المكون من الأذين الأيمن والبطين الأيمن عمله استقبال الدم من الجهم وضخه إلى الرئتين لأكسدة، وهذا مستقل عن عمل القلب الأيسر المكون من الأذين الأيسر والبطين الأيسر، الذي عمله استقبال الدم من الرئتين وضخه للجسم، وهذان العملان متعاكسان من حيث البدأ والانتهاء ومن حيث الأكسدة وعدمها.

إنني أعتقد أنه يمكن أن يجعل القلب الأيمن صناعياً والأيسر طبيعياً وبالعكس، كما يجري الآن تبديل الشرايين الخاصة بالقلب سواء بين الأذينين والبطينين، وتبديل الصمامات كذلك، ولكن هذا يتطلب علماً راقياً بالقياس إلى العلم الحالي في عمليات زراعة القلب، الذي ما زال في بداياته، ومثل هذه العملية مثل تبديل رئة واحدة، والتي هي الآن أنجح من تبديل القلب، لأن الرئتين مستقلتان فيما بينهما رغم أن عملهما واحد، ولكن لعله سيتم اكتشاف أن عمل الرئتين ليس متطابقاً تماماً، بل إن لكل رئة عمل يختلف عن الأخرى، وإلا لماذا تختلف الرئتان من حيث التركيب، وكذا الكليتان، ولما كان لكل رئة أو كلية أن تعمل لوحدها كان عمل الكلية المنفردة الجمع بين العملين، إلا أن هذه العملية لا يمكن أن تكون في القلب لأن عمل كل قلب مستقل عن عمل القلب الآخر.

٨ ـ الأسئلة التي واجهت والتي يمكن أن تواجه البحث

السؤال الأول: لماذا يصاب الإنسان بالجنون عند إصابة دماغه؟ وأنتم تقولون أن التفكر بالقلب لا بالدماغ كما تزعمون، وأن العقل محله القلب، فكيف توفقون بين هذا الاختلاف في النتائج المترتبة على خلل الدماغ؟

الجواب: لو قرأت البحث جيداً لوجدت أني قلت: إن الدماغ وبشكل خاص المخ هو أرشيف القلب، فلو فقد القلب أرشيفه صعب عليه إعادة المخزون، وليس مستحيلاً، ولكنني أقول أيضاً: إن الدماغ هو الأمين العام للقلب، وقلت: إن القلب أمير الجوارح، فلو فقد الأمير قائد الجيش الذي ينظم جميع تحركات قطعات الجيش، فينقطع الاتصال مع جيشه، وهذا هو الذي يحدث للإنسان عند فقده لجزء من دماغه. كما قلت: إن القلب قد أوكل مهمة التذكر إلى الدماغ وأما عملية الحس فهي من واجبات الدماغ ولم نقل إنها من واجبات القلب، ولكن له القدرة على معرفتها والتحكم بها، ولكن قبل حدوث الخلل، أما بعد حدوث الخلل فلا يستطيع القلب أن يفعل شيئاً ما.

وقد مر عليك تعريف العقل كما جاء في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني حيث استشهد بأبيات للإمام عليّ عليه السلام نأخذ منها البيت الأخير، قال:

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

فالإمام يقول: إن الشمس موجودة لا مفقودة، وإنما المفقود الفائدة منها، وفقدان الفائدة بفقدان واسطة الفائدة، وهي العين، فكذا القلب، فهو موجود، ولكن فقدان المخ كلياً أو جزئياً يفقد القلب السيطرة على الجسم في جانب من جوانب العقل.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ***وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر بمجنون، فقال: ما له؟ فقيل: إنه مجنون فقال: بل هو مصاب، إنما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة***(١)، كما قرأت في موضوع العلاقة بين القلب والدماغ فراجع.

السؤال الثاني: لو زُرع قلب الكافر للمؤمن وتحولت عقيدة المؤمن إلى عقيدة الكفر، فما ذنب الرجل يحاسب على فعل غيره، وكذا العكس لو أعطي الكافر قلب المؤمن فيفعل الحسنات بفعل هذا القلب الجديد؟

الجواب: هذا من أبدع الأسئلة التي يمكن واجب البحث، وللباحث فيه إجابتان:

الأولى: أن الله تعالى تكفل بالحفاظ على عباده، سواء منهم المؤمن والكافر، ولو طرأ على الإنسان العجز في جسده رفع عنه التكليف، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(٢) فهنا يرفع الله التكليف عنه بقدر التغيّر الذي أصابه، أي أن رفع التكليف ليس كلياً، بل بقدر النقص الذي حصل للإنسان، فليس على الأعمى حرج، لا يعني السماح له بترك الصلاة أو الصيام أو الحج، بل بحسب قدرته على أداء العمل، بحيث لوكان قادراً على مساعدة المجاهدين في أرض المعركة لكان واجباً عليه، ولكن لا قتال عليه لعجزه عن القتال. وأما الأعمى فلا جهاد عليه،

---

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج١ كتاب العقل والعلم والجهل باب ٤ علامات العقل وجنوده ح٢١.

(٢) النور/ ٢٥.

يعني القتال، أو التواجد في أرض المعركة، ولكن يمكنه أن يطبخ للمقاتلين، أو أن يعد لهم السلاح والعدة وغيرها من الأمور التي لا تحتاج إلى البصر.

وهنا نواجه مشكلة أكبر من الأولى، وهي أن هذا القلب الذي ارتكب السيئات في زمن المتبرع، هل يحاسب عليها في العذاب الأخروي بجسد الثاني أم في الجسد الأول؟

والجواب عليها هو عين الجواب على شبهة الآكل والمأكول التي أجاب عليها العلماء، فنقول: إن الإنسان يحشر لا بجسمه هذا الذي فارقه في الحياة الدنيا، وإنما له جسد جديد ينمو من قطعة صغيرة لا تتغير ولا تتبدل وتبقى بعد موت الإنسان، وهذه القطعة الصغيرة لا تختلط ببقية القطع الخاصة بكل إنسان، فيقع العذاب على الجسد الذي ولد من الجسد الأول، فيكون العذاب الأخروي على الروح والجسد معاً، أي أن الحشر حشر جسماني وروحاني معاً، لأن العذاب على الاثنين.

الثانية: إن الإنسان ـ كما قلت في الملاحظة الأولى في الخاتمة ـ عليه أن يعوّد جوارحه قبل أن يحل عليه هذا اليوم الذي يكون فيه عرضة لأمر لم يكن ليتوقعه مطلقاً، وأما لو توقعه ووطن نفسه عليه واعتاد عليه مع جوارحه، لما صادفه هذا التغير الحاد، نعم تواجهه المصاعب، وهذا هو التكليف بعينه.

وأما بالنسبة للكافر الذي أصبح مؤمناً ببركة هذا القلب الجديد، فهو أيضاً من لطف الله بعباده بحيث هيأ له هذا القلب، وأن الله لم يهبه هذا القلب جزافاً، بل عن فعل فعله بإرادته، أو إرادة من غير فعل لمانع يمنعه من ذلك، فمثله مثل من يتصدق أو يصل رحمه فينسأ في أجله أو رزقه.

السؤال الثالث: لو استبدل قلب الرجل بقلب المرأة أو بالعكس، فهل سيحاسب كرجل أو كامرأة؟ والسؤال نفس السؤال فما هو ذنبه، أو ذنبها؟

الجواب: إن دخول قلب المرأة إلى الرجل وبالعكس سيواجه في أول الأمر مواجهة عنيفة من قبل أعضاء الجسم، وقد أثبتت التجارب ذلك، فتلك المرأة التي

أخذت تفكر بالزواج من فتاة بعد أن تم استبدال قلب شاب لها كان يعشق تلك الفتاة دليل على صحة هذا الرأي، فإن تغلب القلب الجديد تحولت أكثر أفكار وعلاقات الرجل إلى أفكار وعلاقات أنوثة، وبالعكس لو دخل قلب الرجل إلى المرأة لأصبحت أفكار المرأة وعلاقاتها أفكاراً وعلاقات ذكورية غالبة على المرأة، وأما لو كان القلب الجديد ضعيفاً تغلبت قوى الجسم على القلب الجديد، ولكن القلب الجديد سيضع بصماته على أفكار وعلاقات الرجل ويطبعها ببعض أفكار الأنوثة وكذا العكس بالنسبة إلى المرأة تتحول بعض أفكارها إلى الذكورية.

إن هذه المسألة مسألة نسبية بقدر قدرة القلب وقوة الجوارح قوة وضعفاً.

وأما الحساب فعلى الله تعالى يفعل ما يشاء، ولكنه عادل رحيم، فلا يظلم عنده أحد، فلا خوف من ذلك اليوم، لأننا نفد على رب كريم غفور رحيم.

يمكن أن نستفيد من الفقه قليلاً، فنقول: إن ميراث الخنثى وسط بين الذكر والأنثى، فيما لو لم تكن صفة غالبة على أخرى، وأما لو غلبت أحدى الصفتين لعوامل معاملة صاحب تلك الصفة، وهنا نقول لو غلبت أحدى الصفات على الأخرى فإما أن يبقى الرجل على رجولته والأنثى عل أنوثتها أو لغلبت بعض الصفات على بعضها، والله العالم.

السؤال الرابع: ماذا لو استبدل قلب البالغ لغير البالغ وبالعكس؟

الجواب: نفس الإجابة على السؤال السابق، ولكن مع فارق أن التكليف شيء مهم، فيسقط من التكليف ما سقط في إجابتنا على السؤال الأول.

السؤال الخامس: لو تم استبدال قلب المؤمن بالقلب الصناعي فتغير اعتقاده إلى الإلحاد، فما هو ذنبه؟

الجواب: إن الإنسان غير ملزم بالمحافظة على حياته المادية مقابل فقده لحياته الأخروية، بل العكس هو المطلوب منه، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ***«خذوا من***

ممركم لمقركم»[(١)] وقوله: *«الناس في الدنيا عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخالفه الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفنى عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها. فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً، فأصبح وجيهاً عند الله.، لا يسأل الله حاجة [شيئاً] فيمنعه»*[(٢)]، فالمؤمن الحقيقي لا يستبدل الآخرة بالدنيا، وعليه فلا يجوز له أن يَقْدِم على استبدال قلبه بقلب الكافر أو الملحد والذي يصدق على القلب الصناعي، ولنأخذ مثالاً من الفقه للوقوف على المسألة:

يقول، العلماء واستناداً للحديث الشريف في تحريم التعرب بعد الهجرة، والذي من مصاديقه الآن، السفر إلى بلاد الكفر مع عدم التيقن من بقاء عقيدته أو عقيدة أهله وعياله، فهنا نفس المثال، لا يجوز التعرب (الإلحاد) بعد الهجرة، وهي الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ، فلا يجوز له استبدال قلبه بالصناعي مع عدم قدرته على البقاء على الإيمان.

السؤال السادس: لماذا يفقد الانسان قدرته على التعقل والفهم بتلف دماغه، إذا كان العقل في القلب؟ وبتعبير آخر لماذا لا يبقى يعقل بقلبه؟

الجواب: قلت في ثنايا الكلام إن الدماغ هو الأداة التي من خلالها يستطيع القلب أن يحرك مشاعره وآراءه وتطلعاته، وقلت إن الدماغ بمثابة السلطة التنفيذية للقلب، وقلت إنه الأمين العام على أسرار القلب، فإذا فقد القلب أداة تنفيذ أوامره فلا تصدر الأوامر في الخارج، أما في حقيقة الأمر فإن القلب يصدر الأوامر للجسم، لكنها لا تنفذ لفقدان القائد الميداني لها، أو أن القلب لعلمه بانتفاء فائدة إصدار الأوامر لعدم وجود المنفذ لها فلا يصدر الأوامر، إلا ما ندر، ولذلك تجد الكثير من هؤلاء (المجانيين) يحافظون على عقيدتهم حتى بعد الجنون الظاهري.

---

(١) إكمال غرر الحكم/ للآمدي حرف الخاء حكمة رقم ١٦٩، الخطبة ٢٠٣ نهج البلاغة صبحي الصالح.

(٢) نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين حكمة رقم٢٦٩ تحقيق صبحي الصالح.

وهنا إجابة لا يمكن التحقق منها أو إثباتها عملياً، على أقل تقدير في الوقت الحاضر، وهي: أن الجوارح لوكانت في طاعة القلب طاعة تامة، لما أثر اختلال الدماغ بهذه النسبة التي يصل فيها الإنسان إلى مستوى (الخبال) الجنون الظاهر في أفعاله وأقواله، ولاستطاع الإنسان أن يعمل بشكل أقرب إلى الطبيعي، ولكان من المكلفين أمام القانون، لأننا لا نعلم في الحقيقة، هل أنه مكلف أم غير مكلف، كما هو ظاهر الأمر؟ وأن هذا الأمر إلى الله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة، وقد يكون مثلهم مثل من يدعون الجنون أو العوق بخلاف حقيقته.

ولو سألنا الأطباء عن الميت سريرياً، هل يعقل أم لا؟ فإن أجاب بـ (نعم) قلت كيف يعقل ودماغه ميت؟ وإن أجاب بـ (كلا) قلت له كيف يعقل لو عاد إلى الحياة مرة أخرى؟ أما أنا فأقول: إن العقل يبقى موجوداً، لأن مكانه القلب، والقلب سليم للميت سريرياً.

السؤال السابع: كيف يكون القلب المادي الصنوبري محلاً لتلقي العلوم من الله مع أن الله تعالى لا من المادة ولا من الماديات مطلقاً فهو محض الوجود المجرد، أو على فرض أن القلب عندكم قلبان ومحلهما واحد كما تقولون، فواحد القلب المادي والآخر القلب الروحي، فهل أن الروح محلاً لتلقي الوحي؟

الجواب: أجبنا على هذا السؤال في العلاقة بين القلب والدماغ تحت عنوان كيفية حصول العلم في القلب فراجع، ونزيد هنا بأن القلب له القدرة على تلقي الوحي من غير واسطة وليس فقط للمعصوم عليه السلام، وإلا كيف يحول الله بين المرء وقلبه كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾(١)، وما حصل لأم النبي موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾(٢) فلو لم يكن قلب أم موسى محلاً للإيحاء لما أوحى الله تعالى لها، والوحي هنا لم يذكر القلب، ولكن بدلالة الآية السابقة فإن الله يحول بين المرء وقلبه ولم يقل يحول بين المرء ودماغه أو

---

(١) الأنفال/ ٢٤.　　(٢) القصص/ ٧.

مخه، بل لم يقل عقله، لأن العقل لا يكون فيه التحويل، إنما التحويل والتقلب في القلب. وأما الروح فمحلها القلب أيضاً كعقل، وأما باقي الجسم فله من الروح بقدر واجب كل عضو.

هذا آخر ما كتبته عن العقل بين القلب والدماغ.

لقد أمضيت ليال وأياماً في وحدتي مع البحث، واختليت بقلبي في بعض الأحيان، وخاصة في الليل، عندما يبسط الظلام خيوطه وتنقطع الأصوات وتهدأ الأنفاس، حينها تدق الأجراس، أجراس الماضي والحاضر والمستقبل، وتعرج الروح إلى بارئها، ربنا عفوك ورضاك، ظلمت نفسي وتجرأت بجهلي وسكنت إلى قديم منّك عليّ، راجعت قلبي وسألته لم فعلت كذا ولم تركت كذا ولم.. ولم.. فجاء الجواب غلبتني شقوتي و.. حينها خاطبت قلبي طويلاً: أيها القلب المريض خذ العلاج الناجع، وامسك ما أنت عليه من العقيدة، وحافظ على فطرة الله التي فطرت عليها، وأمر جوارحي بطاعتك، والزمهم الطاعة، وازجر من يخرج عن الصراط، واكبح نزواتي، ثم التفت إلى جوارحي: أيها المخ ألزم طاعة القلب، أيتها العين غضي بصرك عن محارم الله، أيتها اليد لا تتطاولي على أموال الناس بالباطل، يا رجلي لا ترحلي بي إلى مزالق الهوى، وهكذا خاطبت جميع جوارحي، ونمت بعد أن أديت أدعية النوم وملازماته وغدوت على عملي ودُعِيتُ إلى مأتم عزاء، فما أن بدأ الخطيب يذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام حتى انهالت دموعي بغزارة لم أعهدها من قبل، فعرفت أن تطبيق الملاحظة الأولى الخاصة بالإنسان لها واقع وأثر وضعي حقيقي.

أسأل الله تعالى أن ينفعني به في الدنيا قبل يوم لقائه، وأن ينفع به المؤمنين والناس كافة بالإنابة إليه تعالى بقلوب سليمة أو بقلوب شفيت من أمراضها وتنظفت من أدرانها وتجلى الحق فيها كما هي الفطرة التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تنطمس...

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف خلق الله رسول رب العالمين المبعوث رحمة للعالمين المحمود الأحمد النبي الأمجد الرسول المسدد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، الذين أتم الله بهم النعمة

على العالمين، وهدانا به وبهمﷺ من ظلمات الجهل والرذيلة، إلى نور العلم والفضيلة، وعلى أصحابه الأخيار المنتجبين، الذين وقفوا معه في ساعات الشدة وساحات الميادين، وبذلوا مهجهم له وللدين، فرفعوا كلمة الله وجعلوها العليا، وأركسوا كلمة الكفر والكافرين وجعلوها السفلى.

المؤلف
الشيخ صباح الركابي
البصرة في ١٥/ شعبان المعظم/ ١٤٣٣
يوم ولادة منقذ البشرية (عج) من التيه والضلال
المصادف في ٦/ تموز/ ٢٠١٢